الجامعـــــة الأردنيّـــــة
كليّة الدراســـات العليـــــا

أسلـــوب الاستثنـــاء في القـــرآن الكـــريـــم
بـــين النحـــو والبلاغـــة

إعـــداد
عـــزام عمـــر قاســـم الشجـــراوي

إشـــراف
الاستـــاذ الدكتـــور محمد بركـــات أبـــو علـــي

المشرف المساعـــد
الدكتور محمـــد حســـن عـــواد

قدّمت هذه الرسالة استكمـــالا لمتطلبـــات درجـــة
الدكتـــوراه في اللغـــة العربيـــة وآدابهـــا من كليّـــة
الدراسات العليـــا في الجامعـــة الأردنيـــة

شهـــر آذار / ١٩٩١م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشـــت هـذه الرسالـــــة بتاريخ ١٦/ ٣ / ١٩٩١م

وأجـــــــيزت

الاستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي .....

الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفـــــــة .....

الاستاذ الدكتور محمـــــــود السمـــرة .....

الاستاذ الدكتور نهـــــــاد الموســـى .....

الدكتور محمـــــــد حسن عـــــوّاد .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــــــــداء

إلـــى أستـــاذي الفاضـــــل : الأستـــــاذ الدكتـــور محمد بركـــات حمـــدي أبو علـــي ، وإلى أساتذتـــي في قســـم اللغة العربيـــة وآدابهـــا فـــي الجامعـــــة الأردنيـــــة جميعهـــم ،الذين تتلمذت على أيديهم مـــدّة اثنـــتي عشـــرة سنـــة ، أهـــدي عملـــي هـــذا ، وفـــاءً لهـــم ، واعترافـــا بفضلهـــم . مـــع المحبّـــة والتقديـــر .

"" عـزام عمـــر الشجـــروا ي ""

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ القرآن الكريم هدّية السماء للبشريّة جمعاء ، أنزله الله - سبحانه وتعالى - بلسان عربي مبين ، فقال في محكم آياته : " وإنّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ العالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ " (١)

وكان محور الدراسات الدينيّة واللغويّة والبلاغيّة والنحويّة ، في العالم الاسلامي ، عبر العصور ، ولا أظنّ كتاباسماويّا أو غير سماوي ، قد نال من الحفظ والفهم والبحث والدراسة ، كما نال دستور هذه الأمّة عبر أجيالها .

فاتّصل الدين باللغة ، وكان الباعث على اهتمام علماء المسلمين باللغة ، وضبطها وتقعيدها ، خدمة النص القرآني ، فامتزجت علوم الدين بعلوم اللغة امتزاجا وثيقا وكانت مناهج التدريس قائمة على هذا المزج ، فكان علماء الشريعة والفقهاء - غالبا - لغويين ونحويين وبلاغيين وعروضيين وأدباء ومؤرخين . فهذا الطبري محمد بن جرير (- ٣١٠ هـ) يحدّثنا أنّه أتى مصر ، وجلس للتدريس ، فطلب إليه أحد طلّابه أن يدرّسهم العروض ففعل .(٢) إذا كان عالما في القراءات والتفسير والحديث والفقه وأصول الكلام ، وفي العلوم الأدبية من لغة ونحو وصرف وعروض وبلاغة ، وعالما في التاريخ ، وكتابه(تاريخ الرسل والملوك)يجعله شيخ المؤرخين .

ولهذا كلّه، ولأهمّية القرآن الكريم في اللغة ، فقد رأيت أنّه من حقه علينا ، أن ندرس أساليبه ، وأن نتفهّم أسراره ، وانطلقت في ذلك من قول العلوي يحيى بن حمزة (- ٧٤٥ هـ) " ليس في القرآن المجيد حرف إلاّ وتحته سرّ ومصلحة "(٣)

---

(١) الشعراء / الآيات " ١٩٢ - ١٩٥ "
(٢) معجم الأدباء : جـ١٨ ، ص٥٤ ، ياقوت الحموي
(٣) الطراز، المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:جـ٣ ،ص٤١٦ ،العلوي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما زادني إقبالا على هذه الدراسة ، أنني وجدت القرآن الكريم ، قد اشتمل على مئات الآيات والمواضع التي وردت فيها أدوات الاستثناء ، وبخاصة (إلاّ) التي وردت في آي الذكر الحكيم ، في ستمائة موضع وتسعة وخمسين موضعا، و (غير) التي وردت في القرآن الكريم في مائة موضع وسبعة وأربعين موضعا ، وغيرهما من أدوات الاستثناء .

فأسلوب الاستثناء في القرآن الكريم ، مادّة غنيّة للدراسة العلميّة ، بلاغيا ونحويا ، لترفد الدراسات القرآنيّة الأسلوبية الأخرى ، التي تناولت أساليبه قديما وحديثا .

وبما أن أسلوب الاستثناء في العربية ، يتجاذبه كلّ من النحو والبلاغة فقد رأيت أن يكون عنوان الدراسة (أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم ، بين النحو والبلاغة) . وعرضت الموضوع على استاذي الدكتور محمد بركات حمدي أبوعلي وأستاذي الدكتور محمد حسن عواد ، فباركا ذلك ، وشجّعاني على المضي به ، وعملا على إرشادي إلى كيفيّة التعامل مع هذا الموضوع ، والتحضير له ، والبحث فيه حيث إنّه لم يسبق أن درس أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية نحويّة متكاملة .

يتطلب هذا الموضوع أن أبحث عن الصلة بين البلاغة والنحو ، لأبيّن أثر كلّ منهما في الآخر ، من خلال دراسة نشأتهما وتطورهما ، في أمّهات كتب النحو والبلاغة العربية ، بما يخدم هذا البحث .

وكذلك يتطلّب البحث في الجوانب الخفيّة التي اشتمل عليها أسلوب الاستثناء ، واسترعت أنظار البلاغيين ، فضمّوه الى علومهم باسم القصر أو الاستثناء ، أو الاستدراك ، أو الرجوع ، أو التوجيه .

فوجدت أن أثر المعنى في أسلوب الاستثناء كان المنطلق الذي قامت حوله الدراسات البلاغية والنحوية ، إذ كان المعنى ، هو حلقة الوصل بينهما ، وقد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا المعنى الشعاع الذي يصل الدراسات النحوية بالدراسات البلاغية ، ولا سيّما في علم المعاني .

وقد بدأت بقراءة القرآن الكريم آية آية ، مستخرجا أدوات الاستثناء الواردة في آياته الكريمة ، فعملت على رصدها ، ثم أعدت قراءة القرآن الكريم مرّة أخرى للتأكّد من سلامة ما استخرجت وحصرت .

وبذلك فقد تكوّن لديّ سجلّ بآيات الاستثناء الواردة في القرآن الكريم بجميع أدواته العاملة وغير العاملة . وقد ساعدني هذا السجل على تبويب الدراسة وتسهيل البحث ، وتيسير الاستشهاد .

وقد عمدت إلى تجميع مادّة هذا الموضوع من أربعة محاور :

المحور الأوّل : أمهات مصادر اللغة والنحو العربي ، من معاجم لغويّة ، وكتب وشروح وحواش . وكتب الحروف ومعانيها .

المحور الثاني : مصادر البلاغة العربية القديمة ، من كتب ورسائل وشروح وحواش ومختصرات .

المحور الثالث : كتب إعراب القرآن وتفسيره وقراءاته وعلومه ومعانيه وإعجازه .

المحور الرابع : الكتب والدراسات القرآنية الحديثة ، وما يتعلّق منها بدراسة أساليب القرآن الكريم .

وقد تطلّب منّي البحث في هذه المصادر والمراجع جهدا متواليا ، وسفرا خارج الوطن ، إذ سافرت إلى مصر وأخذت من مكتبات الدراسات العليا في جامعات القاهرة ، ولا سيّما جامعة الأزهر ، ودار العلوم ، وعين شمس .

وأبرزت هذه الدراسة أثر المعنى في الربط بين النحو والبلاغة ، كما بيّنت غنى القرآن الكريم بأسلوب الاستثناء ، وأثره في إبراز إعجازه ، وأهمّيته في فن القول العربي . وكشفت عن المعاني البلاغيّة التي خرج إليها أسلوب الاستثناء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحدّدت نظرة كلّ من النحويين والبلاغيين الى أسلوب الاستثناء من حيث هي نظـــرة تكامليّـــة .

وعلى الرغم من أنّ أساليب القرآن الكريم ، قد درست في رسائل جامعيّـة وكتب حديثة عدّة ، ومنها أسلوب التوكيد والنفي والنداء والاستفهام والطلب والشرط في غير مرّة ، إذ إنّني وجدت ما يزيد على ست رسائل جامعيّة كتبت في الجامعـــات المصريّـــة ، في أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ، ولكنّني لم أجد أيّة رسالـــة أو كتاب ، تناول أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم ، بدراسة مستقلّة ، على الرغم من البحث ، والتقصّي والاستفسار ، ومراجعة فهارس الرسائل الجامعيّة في الجامعات العربيّـــة .

أمّـــا في المصادر والدراسات القديمة ، فلم أعثر على مصدر أو دراســـــة مستقلّة تناولت الاستثناء الّا في مصدر واحد ، وهو كتاب (الاستغناء في أحكـــام الاستثناء) للقرافي ، شهاب الدين أحمد بن أدريس (- ٦٨٢ هـ) ولكنّه تنـاول الاستثناء من جانبيه الفقهي والأصولي .

وقـــد صرّح القرافي في مقدّمـة كتابه بالهدف من تأليفه ، فحينمـــا تصدّى لشرح كتاب (المحصول في أصول الفقه) لفخر الدين الرازي (- ٦٠٦ هـ) وأنهى موضوع الاستثناء ، وجد أنّـــه يحتاج إلى نسخة أكثر اتساعا ، ويستأهـــــل دراسة أكثر استيعابا منها ، لذلك عقد العزم على استيعاب الموضوع في كتـــــاب خالص لـــه ، يلم أطرافه ، ويفصّل الكلام فيه فقال : " أما بعد فإن الاستثنـــــاءات العربية أوقع الله تعالى لي فيها مباحث جميلة وقواعد جليلة ، أودعت منها (شرح المحصول) جملا كثيرة ، وبقي منها على خاطري ، منها مالا يليق وضعه هنـــاك فأردت وضعها في هذا الكتاب فيعظم النفع بـه إن شاء الله تعالى ، لما اشتمـــل عليه من النحو الجميل ، والتفسير الجليل ، والمباحث الدقيقة والمعاني الرشيقـــة والمعاقد الأصوليّة ، والفوائـــد الفرعيّـــة "(١) .

(١) الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٨٦ ، القرافـــي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذا فان الباعث إلى تأليف هذا الكتاب ، كان فقهياً أصولياً لا نحويا ولا بلاغيا ، ممّا جعل أبوابه في معظمها أصولية فقهيّة ، وكان منهجه في ذلك منهج الأصوليين والفقهاء ، ولذلك فقد قسّم الاستثناء إلى أنواع فقهية منها : الأسباب والشروط ، والموانع ، والازمنة ، والمحال ، والبقاع والأحوال ، ومطلق الوجود ، وجعل أبوابه مقسّمة إلى مسائل وإجابات، على طريقة الفقهاء والأصوليين .

أمّا المنهج الذي أتّبعته في هذه الدراسة ، فهو المزج بين المنهج الوصفي ، والمنهج التحليلي ، فقد تناولت في الفصل الأول ، حدّ الاستثناء لغة وحده اصطلاحا عند النحويين ، والبلاغيين ، والأصوليين ، ثم ذكرت أنواع الاستثناء عند كلّ من النحويين والبلاغيين ، وحصرت أدواته التي ذكرها اللغويون والنحويون في مصنفاتهم ، عارضا ومحللا . ثم ذكرت صلة النحو بالبلاغة ، وأثر كل منهما في الاخر ، وبيّنت أثر المعنى في النحو والبلاغة ، من خلال أسلوب الاستثناء وختمت هذا الفصل بموضوع الحمل على المعنى في أسلوب الاستثناء ، محلّلا أثر هذه القاعدة النحويّة في تحديد قضايا الاستثناء ومسائله ، بقدر ما تحتاجه الدراسة في توضيح المصطلح ، واستخدامه ووظيفته .

وفي الفصل الثاني : تناولت موضوع خروج الاستثناء على مقتضى الظاهر وخلافه ، في القرآن الكريم ، وارتباط ذلك بالمقام ، وتحوّل معنى الاستثناء من الإخراج إلى معنى التضاد ، مقارنا ومحلّلا .

وفي الفصل الثالث : تناولت قضايا الاستثناء نحويا في القرآن الكريم من حيث أدوات الاستثناء التي وردت في آي الذكر الحكيم ، كاشفا عمّا ورد منها للاستثناء ، وعمّا لم يرد ، مركّزا البحث في (إلاّ) و (غير) و (حاشا) و (دون) ثم تناولت أنواع الاستثناء الواردة في القرآن الكريم ، موضحا أنّ أنواع الاستثناء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جميعها ، قد وردت في آيه ، مع تفرّد النص القرآني بنوعين من أنواع الاستثناء عرفا من خلاله ، وهما استثناء التوحيد ، أو التشهّد ، واستثناء المشيئة ،الذي أشار إليه النحويون إشارات عابرة .

وفي الفصل الرابع : تحدثت عن بلاغة الاستثناء في القرآن الكريم من خلال أسلوب القصر والاستثناء ، وأنواع القصر في آي الذكر الحكيم ، وعلاقة الاستثناء بالاستدراك ، وعلاقته بالنفي ،محلّلا استخدام (إنْ) النافية في سياق الاستثناء ،والفرق بينهما وبين (ما) النافية ، في جملة الاستثناء . ثمّ تناولت النظم في جملة الاستثناء وأنماطه بالدراسة والتحليل والاستنتاج .

أمّا في الفصل الخامس (الأخير) : فقد تناولت قضايا البلاغة ، في أسلوب الاستثناء ، اذ تحدّثت عن معاني الاستثناء البلاغيّة في القرآن الكريم وأثرها في الأدب ، وتحدّثت عن المستثنى وأغراضه في القرآن الكريم ، ثم تحدّثت عن الاستثناء والتراكيب اللغويّة الأدبيّة ، وختمت هذا الفصل ،بحديث عن الاستثناء وفن القول العربي ، موضّحا مدى توظيف الأدباء والشّعراء والكتّاب أسلوب الاستثناء في خدمة فنّهم .

وختمت الدراسة بخاتمة تناولت فيها أهم النتائج الجديدة التي توصّلت إليها .

وأرى من واجبي ، أن أتقدّم بعظيم الشكر والتقدير لأستاذي الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي ، الذي أشرف على هذه الرسالة ، ومنحني من العون والمساعدة والإرشاد والتوجيه ، ما لم استطع حصره ، كما أرشدني إلى عدد كبير من المصادر والمراجع ، وفتح لي مكتبته الخاصّة ، وزوّدني بعدد آخر من المصادر والمراجع ، وفتح لي أبوابا موصدة في هذه الدراسة ،فجزاه الله كلّ خير وأجر وأبقاه سندا للعلم والمتعلّمين .

وأقدّم جزيل شكري لأستاذي الدكتور محمد حسن عواد ، على ما أبدى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ملاحظات دقيقة ومفيدة ، ساعدت على إغناء هذه الدراسة . كما أقدّم شكري لجميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها ، في هذه الجامعة ، الذين تتلمذت على أيديهم شابا في مقتبل العمر ، وكهلا ، فأخذت من علمهم الشيء الكثير ، ولست مبالغا إذا قلت : إنّ عددا غير قليل من الأفكار العلميّة المعروضة في هذه الدراسة تعود الى فضلهم ، لأنّني تتلمذت على أيديهم مدّة اثنتي عشرة سنة ، فاكتسبت - خلال هذه السنين - من علمهم وأفكارهم ومناهجهم وخبراتهم ، ما لا أستطيع إحصاءه وإنني سأبقى فخورا بتتلمذي عليهم ، ووفيّا لأستاذيتهم .

كما أتقدّم بعظيم الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة ، الأساتذة الكرام : الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، والاستاذ الدكتور محمود السمرة ، والاستاذ الدكتور نهاد الموسى .

وأقدّم شكري إلى كل من مدّ لي يد العون والمساعدة في إنجاز هذا العمل .

وأخيرا ، وعلى الرغم ممّا بذلت من جهد وسهر ، وعمل متواصل ، في سبيل إعداد هذه الرسالة فانّني لا أبرئ نفسي من القصور ، أو التقصير ، والخطأ والخطل لأنّ الكمال المطلق لكتاب الله ، وأمّا أعمال بني البشر ، فانّها موضومة بالخطأ والنسيان ، وموصولة بالهفوات والزلّات ، ومهما بالغ المرء في الحرص واليقظة ، فلا بدّ له من العثار في هافية القول ، أو غافية الذهن والعقل .

والله أسأل أن يتقبّل هذا العمل المتواضع بقبول حسن ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يحفظه لي ذخرا ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وأن يوفّقني إلى المزيد من خدمة القرآن المجيد ، وأن يهديني سواء السبيل ، إنّه نعم المولى ونعم النصير .

وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكّلت وإليه أنيب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــــدّ الاستثنـــــاء

الاستثنـــاء لغـــة :

أخذ الاستثناء لغة ، من ثنى الشيء ثنيا : ردّ بعضه على بعض، فتثنّى وانثنى وانثنى : انعطف .

واستثنيت الشيء من الشيء : حاشيته . والثّنية : ما استثني ، وقيل : الشهداء ثنيّة الله في الأرض ، يعني : من استثناه من الصّعقة الأولى ، في قوله تعالى : " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ "(١) فالذين استثناهم الله - عزّ وجلّ - من الصّعق ، الشهداء ، لأنّهم أحياء عند ربّهم يرزقون . والثّنيّة : النخلة المستثناة من المساومة .

٤٤٦٧٠٦

وحلفة غير ذات مثنويّة : أي غير محلّلة . يقال : حلف فلان يمينا ليس فيها ثُنيا ، ولا ثَنوى ، ولا ثَنيّة ، ولا مَثنويّة ، ولا استثناء . كلّه واحد وأصل هذا كلّه من الثّني والكفّ والردّ ، لأن الحالف إذا قال : والله لا أفعل كذا وكذا إلاّ أن يشاء الله غيره ، فقد ردّ ما قال بمشيئة الله غيره .

والثُّنيا المنهي عنها في البيع ، أن يستثنى من المبيع شيء مجهول فيفسد البيع ، وذلك إذا باع شخص جزورا بثمن معلوم ، واستثنى رأسه وأطرافه فإنّ البيع فاسد ، وقد نهى الرسول - صلى الله عليه وسلّم - عن الثُّنيا إلا أن تُعلم وهي أن يُستثنى في عقد البيع شيء مجهول فيفسده ، وقيل : هو أن يباع شيء جزافا ، فلا يجوز أن يُستثنى منه شيء ، قلّ أو كثر . والثُّنيا من الجزور : الرأس والقوائم ، وسمّيت ثُنيا ، لأنّ البائع في الجاهليّة ، كان يستثنيها إذا باع الجزور فسمّيت للاستثناء ، الثُّنيا(٢) .

وممّا ورد في القرآن الكريم ، من هذا اللفظ ، قوله تعالى : " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلا يَسْتَثْنُونَ "(٣) .

---

١. الزمـــر / من الآيـــة (٦٨)
٢. انظر : مادّة (ثني) في لسان العرب : لابن منظور . والقاموس المحيط : للفيروز أبادي . وتاج العروس : للمرتضى الزبيدي .
٣. القلم / الآيتـــان (١٧ ، ١٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يستثنون ، أي : لا يقولون : إن شاء اللّه ، وسُمّي استثناء ، وإنْ كان شرطا صورة ، لأنّه يؤدّي مؤدّى الاستثناء ، من حيث إنّ معنى قولك : لأخرجنّ إن شاء الله ، ولا أخرج إلاّ أن يشاء اللّه ، واحد (١) .

ولذا فيمكن تلخيص معنى الاستثناء والثُّنيا والثَّنوى ، لغويا : بالكفّ والردّ والعطف والانحناء ، والتثنية والمحاشاة والعزل ، والإخراج والرجوع عن الشيء .

أمّا لفظ الاستثناء ، من حيث الصيغة ونوعها ، فهو مصدر الفعل استثنى ولفظ الاستفعال في العربية : لطلب الفهم ، والاستنصار : لطلب النصرة . وقد يردّ للفعل نفسه دون طلبه ، نحو : استقرّ في المكان . واستغرب منه ، واستهتر به .

ومن الملاحظ أنّ لفظ الاستثناء من هذا القبيل ، وليس لطلب الفعل ، أي: ليس لطلب الثني ، بل المقصود منه ، المثنيّ نفسه ، أي أنه مصدر في نفسه ، من استثنى استثناء ، دون أن يُقصد معنى الطلب من هذه الصيغة ، على هذا الوزن الصرفي .

حدّ الاستثناء عند النحويين :
==========

لم يذكر سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان (- ١٨٠ هـ) حدا خاصا بالاستثناء ، في كتابه ، وإنّما أشار إلى حدّ كلّ نوع من الأنواع التي ذكرها لهذا الأسلوب ، فقال : " يكون الاسم بعد (إلاّ) خارجا ممّا دخل فيه ما قبله (٢) .

وقال في موضع آخر : " هذا باب لا يكون المستثنى فيه إلاّ نصبا ، لأنه مخرج ممّا أدخلت فيه غيره " (٣) . وأضاف قائلا في موضع آخر : " هذا باب (غير)

---

١. انظر : تفسير الطبري : المجلّد الثاني عشر ، جـ ٢٩ ، ص ١٩ . وتفسير القرطبي : جـ ١٨ . ص ٢٤١ . وتفسير النسفي : جـ ٤ ، ص ٢٨١ .
٢. كتاب سيبويه : جـ ٢ ، ص ٣١٠
٣. المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ٣٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو الاسم الذي يكون داخلا فيما يخرج منه غيره ، وخارجا ممّا يدخل فيه غيره[١] فعلى الرغم من أن سيبويه لم يضع حدّا متكاملا للاستثناء ، إلاّ أنّه يعدّ أول من وضع حد الإخراج له ، ومن ثمّ جاء النحويون وبنوا عليه .

أما ابن السّراج ، أبو بكر محمد بن سهل (- ٣١٦ هـ) فقد ذكر حدا للاستثناء فقال : " الاستثناء : اخراج بعض من كلّ "[٢]

ولكن ابن جنّي ، عثمان بن جنّي (- ٣٩٢ هـ) كان أكثر تحديدا للاستثناء ، لأنّه نظر إلى سياق الاستثناء من جانبيه المثبت والمنفي ، فقال : " إنّ الاستثناء أن تخرج شيئا ممّا أدخلت فيه غيره ، أو تدخله فيما أخرجت منه غيره "[٣] . لأن الإخراج والإدخال خاضع لنوع الجملة ، فهو من الجملة المثبتة إخراج ، ومن الجملة المنفية إدخال .

وقد ربط ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ) بين المعنى اللغوي ، والمعنى الاصطلاحي ، في حدّ الاستثناء فقال : " وأصل الاستثناء ، أن تستثني شيئا من جملة اشتملت عليه ، في أوّل ما لفظ به ، وهو قولهم : خرج الناس إلاّ زيدا . فقد كان (زيد) في جملة الناس ، ثم أخرج منهم ، ولذلك سُمّي استثناء لأنّه ثُنّي ذكره مرّة في الجملة ، ومرّة في التفصيل ، ولذلك قال بعض النحويين : المستثنى خرج ممّا دخل فيه ، وهذا مأخوذ من الثّنا ، والثّنا : الأمر يثنّى مرّتين ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - : " لا ثِنَى في الصَّدَقَةِ "[٤] يعني : لا تؤخذ في السنة مرّتين . قال أوس بن حَجَر :

أَفِي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعَتْنِي مَلامَةً ... لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلامَتُها ثِنَى[٥]

---

١ . كتاب سيبويه : جـ ٢ ، ص ٣٤٣

٢ . الأصول في النحو : جـ ١ ، ص ٢٠٨ ، ابن السّراج

٣ . اللمع في العربية : ص ١٤٩ ، ابن جنّي

٤ . انظر : الصاحبي في اللغة : ص ١٣٤ ، ابن فارس . والصحاح : مادة (ثني) ، للجوهري .

٥ . لم يرد هذا البيت في ديوان أوس ، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، إلاّ أنّه ورد في ديوان كعب ابن زهير : ص ٩٥ ، في قصيدة مطلعها :

أَلا بَكَرَتْ عِرْسِي نُوَائِمُ مَنْ لَحَى ... وَأَقْرَبُ بِأَحْلامِ النِّسَاءِ مِنَ الرَّدَى

وانظر : الصاحبي في اللغة : ص ١٣٤ . ابن فارس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعلّل ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (-٥٧٧ هـ) حدّ الاستثناء بعد أن ذكره بقوله: "هو الإخراج (بإلاّ) أو إحدى أخواتها لشيء، لولا ذلك الإخراج لكان داخلا فيما قبل الأداة"(١).

ويقول ابن مالك، محمد بن عبد الله (-٦٧٢هـ): "الاستثناء: هو الإخراج تحقيقا أو تقديرا (بإلاّ) أو ما في معناها"(٢). أمّا الأشموني، علي بن محمد (-٩٠٠ هـ)، فقد قال: "الاستثناء: هو الإخراج بإلاّ أو إحدى أخواتها لما كان داخلا، أو منزّلا منزلة الداخل"(٣).

وجملة القول: إنّ النحويين يتّفقون على أنّ الاستثناء: هو إخراج الشيء ممّا دخل فيه غيره، أو إدخاله فيما خرج منه غيره، إذْ إنّ المستثنى في الجملة والسياق، يكون ضدّ المستثنى منه في الحكم. وبيان صحّة هذا الحدّ وسلامته، أنّ الذي يُخرج بعض الجملة منها، بإحدى أدوات الاستثناء.

أمّا الاستثناء المعنوي، الذي يلمح بالعقل، ويفهم من خلال المعنى والقياس، دون وجود أداة الاستثناء، فلا يدخل في أساليب الاستثناء، كقولنا: أكرم طلاب الصف الأوائل. فإنّ المعنى الذي يلمح من خلال السياق، إخراج غير الأوائل من الإكرام، لأننا اذا قلنا: أكرم طلاب الصف، فإنّ الحكم يندرج عليهم جميعا دون استثناء، وعند تذييل الجملة بلفظ الأوائل، أفاد استثناء معنويا، لأنّ الحكم اقتصر على صنف من الطلاب دون صنف. وكقوله تعالى: "فاغْسِلُوا وجُوهَكُم وأَيْدِيكُم إلى المَرافِقِ"(٤)، فانّ المعنى يوحي باستثناء بقيّة الأيدي، ما بعد المرافق، على الرغم من عدم وجود أداة استثناء. إلاّ أنّ النحويين لم يعدّوا الاستثناء بالمعنى من أنواع الاستثناء، وإن أشاروا إليه إشارات عابرة، ورأوا أنّ الاستثناء هو ما وقع بعد أداة دالّة عليه.

---

١. أسرار العربية: ص١٩٤، ابن الأنباري. انظر: التحفة السنية: ص١٧٠، محمد محيي الدين عبد الحميد.
٢. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ص١٠١، ابن مالك.
٣. شرح الأشموني: جـ١، ص٢٢٧.
٤. المائدة / من الآية ٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــدّ الاستثنـــاء عنـــد البلاغييـــن :

يرى البلاغيّون أنّ الاستثناء ، هو أن يُذكر شيء ، ثمّ يُرجع عنه ، أو يُدخل شيء ، ثمّ يُخرج منه بعضه ، شريطة وجود ما يدخله في باب البديع من معان طريفة زائدة على معنى الاستثناء النحوي .

وقد نظر البلاغيون إلى الاستثناء من زاويتين متكاملتين ، إحداهمـــا : الاستثناء ، والثانية : القصر والحصر . إذ يرون أنّ أسلوب النفي والاستثناء (بإلاّ) هي إحدى طرق القصر ، وهو ما يسمّى بالاستثناء المفرّغ عند النحويين .

يقول أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله (- ٣٩٥هـ) : والاستثناء على ضربين : فالضرب الأول: هو أن تأتي بمعنى تريد توكيده ، والزيادة فيه ، فتستثني بغير ، فتكون الزيادة التي قصدتها ، والتوكيد الذي توخيته في استثنائك ، كقول النابغة الجعدي ، قيس بن عبد الله :

فَتىً كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ غَيْرَ أنَّـــــهُ ... جَوادٌ فَما يُبْقي مِنَ المالِ باقِيا
فَتىً كانَ فِيهِ ما يَسُرُّ صَدِيقَـــهُ ... عَلَى أنَّ فِيهِ ما يَسُوءُ الأَعادِيا (١)

وكقول النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية :

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُـــم ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِراعِ الكَتائِـــبِ (٢)

والضرب الآخر : استقصاء المعاني ، والتحرّز من دخول النقصان فيها ، مثل قـــول طرفة بن العبـــــد :

فَسَقَـــى دِيارَكِ - غَيْرَ مُفْسِدِها - ... صَـوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَـــةٌ تَهْمِي (٣)

وقـــول الربيع بن ضبع الفزاري :

فَنَيتُ ولا يَغْنى صَنِيعِـي وَمَنْطِقِي ... وَكُلُّ امْرِئٍ - إلاّ أُحَادِيثُهُ - فانِ (٤)

---

١. ديوان النابغة الجعدي : ص ١٣٧ .
٢. ديوان النابغة الذبياني : ص ٦٠ .
٣. ديوان طرفة بن العبد : ص ٩٥
٤. كتاب الصناعتيـــــن : ص ٤٦٠ ، أبو هلال العسكري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنرى أن الضرب الأوّل ، هو ما يسمّيه علماء البلاغة " تأكيد المدح بما يشبه الذم "[١] في حين يسمّيه الباقلاني ، محمد بن الطيّب (- ٤٠٣ هـ) الاستثناء بقوله : " ومن البديع ضرب من الاستثناء "[٢] ستشهدا بأمثلة العسكري نفسها ، في هـــذا الضرب الذي تحدث عنـــه .

ولعلّ الباقلاني يقصد من مصطلح (البديع) علوم البلاغة ، لأنّهم أطلقوا على البلاغة ، البيان ، أو البديع ، ليدلّ هذا المصطلح على علوم البلاغة الثلاثـة : (المعاني والبيان والبديـــع) .

والضرب الثاني ، ما يسمونه بالاحتراس أو التكميل " وهو أن يؤتى في كـلام يوهم خلاف المقصود ، بما يدفع ذلك الوهم ، وشرط كونه من البديع ، أن يتضمّـن ضربا من المحاسن ، زائدة على ما يدلّ عليه المعنى اللغوي "[٣] فقد أضـاف الاستثناء ، في قول الشاعر : غير مفسدها ، معنى جديدا ، أكثر عمقا ودقة لمعنى الدعاء الوارد في البيت ، ممّا أضفى عليه جمالا ورونقا ، وكذلك الحال في البيت الثاني السابق الذكر .

أمّا ابن أبي الإصبع عبد العظيم بن أبي الإصبع المصري (- ٦٥٤ هـ) فيقول : " الاستثناء كالاستدراك ، كل منهما على قسمين : لغوي وصناعي . فاللغوي قد فرغ النحاة من تقريره . والصناعي : هو المتعلّق بعلم البيان . والفرق بينهمـا أنّ الصناعي لا بدّ وأن يتضمّن ضربا من المحاسن ، زائدا على ما يدلّ عليـــه اللغـــوي "[٤] أي : كلّ استثناء صناعي لغوي ، وليس كلّ استثناء لغوي صناعيـــا

---

١ . انظر : البديع : ص ٦٢ ، لابن المعتز ، كفاية الطالب : ص ١٩٢ ، ابن الاثير التلخيص في علوم البلاغة : ص ٣٨٠ ، القزويني .
٢ . إعجاز القرآن : ص ١٦٠ ، الباقلاني .
٣ . معترك الأقران في إعجاز القرآن : جـ ١ ، ص ٢٧٩ ، السيوطي .
٤ . بديع القرآن : ص ١٢١ ، ابن أبي الإصبـــع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لانتفـــاء الشـــرط اللازم فيـــــه .

ويحدّد الزركشي ، محمد بن بهادر (- ٧٩٤هـ) معنى الاستثناء بقولـه : " وقريب منه تأكيد المدح بما يشبه الذم ،بأن يستثنى من صفة ذمّ منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها "(١) .

ثـمّ أتـى ابن حجّة الحموي ، أبو بكر بن علي (-٨٣٧) فتلقّف تعريف من سبقه من العلماء ، وزاده توضيحا وتفصيلا بقوله : " الاستثناء ، استثناءان : لغوي وصناعي . فاللغوي : إخراج القليل من الكثير ، وقد فرّع النحاة من ذلك فروعـــا كثيرة . والصناعي : وهو الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى يزيد علـى معنى الاستثناء ، ويكسوه بهجة وطلاوة ، ويميّزه بما يستحق به الإثبات في أبـــواب البديـــع "(٢) .

وعلى الرغم من أنّ ابن أبي الإصبع قد ذكر نوعا من الاستثناء ، سمّـــــاه استثناء الحصر ، وهو غير الاستثناء الذي يخرج القليل من الكثير ، ومنه قوله :

إلَيْكَ وإلاّ ما تحثُّ الركائِـــبُ وَعَنْكَ وإلاّ فالمُحَدِّثُ كَـــــاذِبُ(٣)

فإنّ (إلاّ) في البيت قد تخرج عن معنى الاستثناء ، إلى معنى الشّرط ، بمعـــني إنْ لا ، فأدغمتا فأصبحتا إلاّ .

وقـــد ركّز في بيان حدّ الاستثناء ، على المستثنى ، ورأى أنّ المستثنى لا يدخل في أنواع البديع إلاّ بشروط ذكرها فقال : " ومن الاستثناء ، نوع لا يدخل في أبواب البديع ،إلاّ بعد أن يوصف المستثنى بوصف يتضمّن نوعا من المحاســـن ، أو يذيّل بمعنى يرتبط بمعناه ، ويتضمّن معنى من معاني البديع "(٤)

---

١. البرهان في علوم القرآن : ج٣ ،ص ٥١ ، الزركشي .
٢. خزانة الأدب وغاية الأرب : ص ١١٨ ، ابن حجة الحموي .
٣. بديع القرآن : ص ١٢٢ ، ابن أبي الإصبع .
٤. بديع القرآن : ص ١٢٢ ، ابن أبي الإصبع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتّفق ابن معصوم ، علي بن أحمد المدني (- ١١١٩ هـ) مع ابن أبي الإصبع بقوله : " فليس كل استثناء يعدّ من المحسّنات البديعيّة ، بل يشترط فيه اشتماله على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي ، حتّى يستحق به نظمه في سلك أنواع البديع "(١)

بعد هذا التطواف على حدّ الاستثناء ، لدى علماء البلاغة ، في مصنّفاتهم فانّه يتّضح لنا أنّهم نظروا إلى الاستثناء ، من زاويتي رؤية ، تولّد عنهما حدّان : الأول : انّه تأكيد المدح بما يشبه الذم . والثاني : الاستثناء الصناعي الذي يشتمل على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي الذي حدّده النحويون ، فيكسوه بهجة وطلاوة وجمالا ، يدخله في سلك علوم البلاغة وفنونها .

هذان الحدّان يميزان الاستثناء البلاغي الذي ينخرط ضمن فروع علم البلاغة وموضوعاتها ، ولم يتناولا الاستثناء النحوي اللغوي المعروف لدى علماء اللغة والنحو بأنواعه النحويّة .

وإضافة إلى تأكيد المدح بما يشبه الذم وأنواعه ، والاستثناء الصناعي فقد تناول علماء البلاغة أسلوب القصر الذي تعدّ فيه طريقة النفي والاستثناء ، إحدى أنواع الاستثناء البلاغي .

وحدّ القصر عند البلاغيين " تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص "(٢) وهو الاستثناء المفرّغ نفسه عند النحويين . ولذا فإننا نلمس مدى تداخل أنواع الاستثناء عند كلّ من النحويين والبلاغيين ، وأنّ الاختلاف بين الفريقين قائم على اختلاف زاوية الرؤية التي ينظر كلّ فريق منهم إلى أسلوب الاستثناء .

---

١ . أنوار الربيع في أنواع البديع : جـ٣ ، ص١٠٩ ، ابن معصوم المدني .

٢ . شروح التلخيص : ص١٦٦ ، التفتازاني ، السبكي ، المغربي ، الدسوقي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالنحوي ينظر إلى أسلوب الاستثناء من زاوية سلامة بناء النظم في الجملة وفق قواعد العربية وسننها وطرائقها . أمّا البلاغي ، فينظر إلى ما في أسلوب الاستثناء ، من بهجة وطلاوة وروعة وجمال وبهاء ، إضافة إلى سلامة بناء النظم في الجملة .

أمّا عن حدّ الاستثناء عند الأصوليين والفقهاء ، فلا نريد أن نخوض فيه ، لأن ذلك يشتطّ بنا عن صلب موضوعنا ، ولذا فسيقتصر ذلك على ذكر حدّ الاستثناء عند بعض الأصوليين ، فيقول الآمدي ، علي بن محمد (- ٤٦٧ هـ) : " الاستثناء عبارة عن لفظ متّصل بجملة لا يستقلّ بنفسه ، دالّ بحرف (إلاّ) أو إحدى أخواتها على أنّ مدلوله غير مراد ممّا اتصل به ، ليس بشرط ولا صفة ولا غاية "[١] نلاحظ أن حدّ الاستثناء لديه فيه تركيز وتحديد واضحان ، لتكون القضايا الفقهية المقيسة عليه دقيقة .

ويقول القرافي ، أحمد بن إدريس الصنهاجي (- ٦٨٤ هـ) : " الاستثناء إخراج بعض الجملة ، أو ما يعرض لها من الأحوال والأزمنة والبقاع والمحالّ والأسباب والصفات ، بلفظ لا يستعمل مع لفظ المخرج "[٢] كما أورد حدّا آخر للاستثناء ، في موضع آخر من كتابه قائلا : " الاستثناء : اخراج بعض الجملة ، أو ما يعرض لها من الأحوال والأزمنة ، أو البقاع أو المحالّ ، أو الأسباب ، أو ما لا يتعيّن الحكم فيه بالنقيض ، بلفظ لا يستقلّ بنفسه مع لفظ المخرج "[٣] .

فقد مزج القرافي حدّ الاستثناء عند النحويين بحد الاستثناء عند الأصوليين ، جاعلا هذا الحدّ محكما وشاملا ودقيقا .

---

١. الإحكام في أصول الأحكام : جـ ٢ ، ص ١٢٠ ، الآمدي .
٢. الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٩٨ ، القرافي .
٣. المصدر السابق : ص ٩٩ ، القرافي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا الإسنوي ، عبد الرحيم بن الحسن الشافعي (- ٧٧٢ هـ) فعلى الرغم من كونه فقيها وأصوليا ، إلاّ أنّ الاستثناء لديه قريب من حدّه لدى النحويين وبخاصة ابن مالك ، فقال : " الاستثناء : هو الإخراج تحقيقا أو تقديرا (بإلاّ) أو ما في معناها "[١] .

ويرى علاء الدين البخاري (- ٨٣٠ هـ) أنّ الاستثناء : " هو المنع عن دخول بعض ما تناوله صدر الكلام في حكمه "[٢] ولذا فقد عدل البخاري عن الإخراج من متعدّد (بإلاّ) أو إحدى أخواتها ، إلى المنع عن الدخول ، لأنّه ان أريد الإخراج عن الحكم ، فالبعض غير داخل فيه حتى يخرج ، ولذا يرفض أن يكون معنى الاستثناء الإخراج ، وإنّما هو المنع .

وبهذا فإنّ الأصوليين خاضوا في الاستثناء ، وبيّنوا حدوده بكلّ دقّة وتحديد وشمول ، فنوا كثيرا من أحكام الطلاق والميراث والمبايعة والمتاجرة ، على حدّ الاستثناء ، وقد فصّل ذلك جميعه ، شهاب الدين القرافي ، في كتابه (الاستغناء في أحكام الاستثناء).

---

١. الكواكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحويّة من الفروع الفقهية : ص ٣٦٥ ، الإسنوي .

٢. كشف الأسرار : جـ ٣ ، ص ١٢٢ ، علاء الدين البخاري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدوات الاستثناء

إلاّ :

وهي أداة الاستثناء الرئيسية ، في اللغة العربيّة ، أمّا الأدوات الأخرى فقد ألحقت بها ، لاشتمالها على معنى (إلاّ) . فيقول سيبويه : " فحرف الاستثناء (إلاّ) وما جاء من الأسماء فيه معنى (إلاّ)، (غير) و(سوى) وما جاء من الأفعال فيه معنى (إلاّ)، فلا يكون وليس وعدا وخلا . وما فيه ذلك المعنى من حروف الإضافة ، وليس باسم ، فحاشى وخلا في بعض اللغات "(١)

ولذا فإنّ (إلاّ) تعدّ أمّ أدوات الاستثناء ، وأتبع النحويون واللغويون والبلاغيّون الأدوات الأخرى (إلاّ) على المعنى . فقال ابن السّراج : " هذا باب ما جاء من الكلم في معنى (إلاّ) اعلم أنّه قد جاء من الأسماء والأفعال والحروف ما فيه (إلاّ)"(٢) وسرد تلك الأسماء والأفعال والحروف التي تعمل عمل (إلاّ) في الاستثناء معتمدا على ما توفّيه من معنى في السياق يضارع عمل (إلاّ) .

وذكر ابن جنّي أن أداة الاستثناء الوحيدة ، في العربيّة ،هي (إلاّ) وأمّا الأدوات الأخرى ، فقد شُبّهت بها ، فقال : " وحرف الاستثناء المستولى عليه (إلاّ) وتشبّه به أسماء وأفعال وحروف"(٣)

ويقول الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن (- ٤٧١ هـ) :" فهذه الكلمات غير (إلاّ) إنّما استعملت في باب الاستثناء ، بضرب من المناسبة، لا أنها موضوعة للاستثناء ، و (إلاّ) هي أمّ باب الاستثناء لأنّها موضوعة للاستثناء"(٤) فهو يعلن أنّ أدوات الاستثناء عدا (إلاّ) لم توضع أصلا للاستثناء ، وأضاف قائلا :" هذا

---

١. كتاب سيبويه : جـ ٢ ، ص ٣٠٩
٢. الأصول في النحو : جـ ١ ، ص ٢٨٤ ، ابن السّراج .
٣. اللمع في العربية : ص ١٤٩ ، ابن جنّي ،وانظر : مغني اللبيب: جـ ١ ، ص ٧٠ ، ابن هشام ،والجنى الداني :ص ٢١ ،للمرادي .ومعاني الحروف: ص ١٢٦ ، للرماني .
٤. العوامل المائة النحوية : ص ١٩٢ ، عبد القاهر الجرجاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باب ما جاء بمعنى (إلاّ) من الكلام ، قد جاء من الأسماء والأفعال والحروف ، فأما الاسم فنحو (غير) و (سوى) و (لا سيما) ... ! (١) واستمر في سرد هذه الأدوات .

وقال القرافي : " أصل أدوات الاستثناء (إلاّ) وما عداها محمول عليها ، لأنّها حرف ، والأصل في نقل الكلام للحروف (فإلاّ) تنقل الكلام من العموم إلى الخصوص (٢) فقد علّل القرافي حمل أدوات الاستثناء على (إلاّ) لأنّها حرف ومن سمات الحروف نقل الكلام من العموم في الاستعمال اللغوي ، إلى تخصيصه في حدود معيّنة من ذلك الاستعمال .

وممّا يثبت صحّة هذه الآراء ، ورود (إلاّ) في الاستعمال اللغوي قديما وحديثا ، في جميع أنواع الاستثناء بكثرة ، وقلّة ورود الأدوات الأخرى قديما وحديثا في الاستعمال اللغوي في باب الاستثناء . - كما سيوضّح ذلك بالتفصيل في الفصول القادمة - .

وقد اختلف اللغويون ، في أصل (إلاّ) فرأى الكوفيّون ، وعلى رأسهم الفرّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (- ٢٠٧ هـ) أنها مركّبة من (إنّ) و(لا) " فنصبوا بها في الإيجاب ، اعتبارا (بانّ) ، وعطفوا بها في النفي ، اعتبارا (بلا) (٣)

وخالف البصريون رأي الكوفيين في هذه المسألة ، وفصّلوا فيها تفصيلا شاملا (٤) .

كما ذكر النحويون أنّ لها عدّة معان في اللغة ، فقد ترد بمعنى (لا) ورأى البصريون أنها ترد بمعنى (لكن) ، ورأى الكوفيّون أنها ترد بمعنى (الواو) كما رأوا أنها ترد بمعنى (غير) (٥) .

---

١. المقتصد في شرح الإيضاح : ص ٧٠٨ ، عبد القاهر الجرجاني .
٢. الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ١١٥ ، القرافي .
٣. الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص ٢٦١ . ابن الأنباري . وانظر : شرح الكافية : جـ٢ ، ص ٢٤٧ ، الاستراباذي ، وشرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٧٧ ، لابن يعيش .
٤. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص ٢٦٢ ، ابن الأنباري .
٥. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص ٢٦٣ ، وما بعدها : ابن الأنباري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا عن أصل (إلاّ) وتخريجها ، فيقول ابن السّراج " وزعم البغداديون أن قولهم : (إلاّ) في الاستثناء ، إنّما هي (إنّ) و (لا) ، ولكنّهم خفّفوا (إنّ) لكثرة الاستعمال . ويقولون : إذا قلنا : ما جاءني أحد إلاّ زيد ، فانّما رفعنا زيدا (بلا) وان نصبناه (فبإنّ) ، ونحن في ذلك مخيّرون في هذا ، لأنّه قد اجتمع عاملان (إنّ ولا) فنحن نعمل أيّهما شئنا "(١).

أمّا أدوات الاستثناء الأخرى ، فقد اختلف النحويون واللغويون في عددها ، وبالرجوع إلى مصنّفاتهم ، فقد تمّ رصد عدد كبير منها ، اعتمادا على نظريّة الإتباع بالمعنى ، إذ إنّها تشبه (إلاّ) الاستثنائيّة في معناها ، في بعض الاستعمالات اللغوية ، وهي :

غير ، عدا ، سوى ، سُوى ، سَواء ، سِواء ، خلا ، حاشا ، ما عدا ، ما خلا ، إلاّأن يكون ، لا يكون ، ليس ، بيد ، لا سيّما ، لمّا ، ما ، بله ، حتّى ، دون ، أو ، وراء .

غير :

وهي من أكثر أدوات الاستثناء التصاقا (بإلاّ) ، فيقول سيبويه : "اعلم أنّ (غيرا) أبدا سوى المضاف إليه ، ولكنّه يكون فيه معنى (إلاّ) ، فيُجرى مُجرى الاسم الذي بعد (إلاّ) ..... وكلّ موضع جاز فيه الاستثناء (بإلاّ) جاز (بغير) وجرى مجرى الاسم الذي بعد (إلاّ) ، لأنه اسم بمنزلته وفيه معنى (إلاّ)"(٢)

وإلى هذا المعنى أشار المبّرد ، أبو العبّاس محمد بن يزيد (- ٢٨٥هـ) في قوله : "اعلم أنّ كلّ موضع جاز أن تستثني فيه (بإلاّ) جاز الاستثناء فيه (بغير) و (غير) اسم يقع على خلاف الذي يضاف إليه ، ويدخله معنى الاستثناء لمضارعته (إلاّ)"(٣)

---

١. الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٣٠٠ ، ابن السّراج.
٢. كتاب سيبويه : جـ ٢ ، ص ٣٤٣ .
٣. المقتضب : جـ ٤، ص ٤٢٢ ، المبّرد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحمل (غير) على (إلاّ) في المعنى ، هو الذي أدخلها في زمرة أدوات الاستثناء لأن (غير) في أصلها اللغوي صفة ، لا أداة استثناء ، فيقول ابن السّرّاج " وأصل (غير) أن تكون صفة ، والاستثناء عارض فيها . . . كما أن (غير) لا تدخل في الاستثناء إلاّ في الموضع الذي ضارعت فيه (إلاّ)"(١)

وذكر الزّجاجي ، عبد الرحمن بن إسحاق (- ٣٣٧ هـ) أنّ (غير) تأتي نعتا فقال : " وقد تكون (غير) نعتا ، فتتبع ما قبلها "(٢)

وقد بيّن الزمخشري العلاقة التبادليّة ، بين (إلاّ) و (غير) في الاستعمال اللغوي ، فقال : " واعلم أنّ (إلاّ) و (غير) يتقارضان ما لكلّ واحد منهما ، فالذي (لغير) في أصله ، أنّ يكون وصفا يسّه إعراب ما قبله "(٣) .

ثم جاء ابن يعيش ، يعيش بن علي (- ٦٤٣ هـ) ووضّح هذه العلاقة بين (إلاّ) و (غير) فقال : " فأصل (غير) أن يكون وصفا ، والاستثناء فيه عارض ، معار من (إلاّ) ويوضّح ذلك ويؤكّده أنّ كلّ موضع يكون فيه استثناء ، يجوز أن يكون صفة فيه ، وليس كلّ موضع يكون فيه صفة ، يجوز أن يكون استثناء "(٤)

وقد علّل القرافي سبب التشابه بين (إلاّ) و (غير) فقال : " أمّا وجه الشبه بين (إلاّ) و (غير) فلأنّها يلزمها أن يكون ما بعدها ، على خلاف ما قبلها في النفي والاثبات ، ألا ترى أنك إذا قلت : مررت بغير زيد . فالذي يقع به المرور غير زيد ، وزيد لم يقع به المرور . ولو قلت : ما مررت بغير زيد ، لكان الذي نُفي عنه المرور ليس بزيد ، ولم ينتف المرور عن زيد فشابهت (إلاّ) في مخالفة ما قبلها لما بعدها ، فحملت عليها ، وجعلت هي وما أضيفت إليه بمنزلة (إلاّ)"(٥)

---

١. الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٨٥ ، ابن السّرّاج .
٢. الجمل في النحو : ص ٢٣٢ ، الزجّاجي .
٣. المفصّل في علم العربية ، ص ٧٠ ، الزمخشري .
٤. شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٨٨ ، ابن يعيش .
٥. الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ١١٥ ، القرافي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال تلك الأقوال السالفة الذكر جميعها ، فيمكن لنا أن نقول : إنّ النحويين يتّفقون على أنّ (غير) تكون ـ أصلا ـ اسما واصفا ، وقد تأتي استثنائية ويثبت ذلك ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ـ ٧٦١ هـ) بقوله : " وأصل (غير) أن يوصف بها إمّا نكرة ، نحو " صَالِحاً غَيْرَ الذِي كُنَّا نَعْمَلُ "(١) أو معرفة كالنكرة ، نحو " غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم "(٢) فانّ موصوفها (الذين) وهم جنس لا قوم بأعيانهم . وقد تخرج عن الصفة ، وتضمّن معنى (إلاّ) فيستثنى بها اسم مجرور ، باضافتها إليه ، وتعرب هي بما يستحقّه المستثنى (بإلاّ) في ذلك الكلام "(٣) .

ويتّفق الأشموني مع ابن هشام في هذه المسألة فيقول : " أصل (غير) أن يوصف بها ، إمّا نكرة نحو " صَالِحاً غَيْرَ الذي كُنَّا نَعْمَلُ "(٤) أو شبهها نحو : غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم "(٥) فإنّ (الذين) جنس لا قوم بأعيانهم ، وأيضا فهي إذا وقعت بين ضدّين ، ضعف إبهامها ، فلمّا ضمّنت معنى (إلاّ) حملت عليها في الاستثناء وقد تحمل (إلاّ) عليها فيوصف بها "(٦)

وقد تناول ابن الأنباري (غير) دراسة وتخريجا وبحثا، مستقصيا مسائلها بإسهاب وإطناب ، عارضا آراء البصريين والكوفيين فيها (٧) .

وبذلك فإنّ (غير) عند النحويين ، تأتي في الاستعمال اللغوي العربي صفة للنكرة ، أو صفة لمعرفة شبيهة بالنكرة ، كما تأتي استثناء ، فتعرب باعراب الاسم التالي (إلاّ) في الكلام .

---

١. الأعراف / من الآية ٥٣ .
٢. الفاتحة / من الآية ٧ .
٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : جـ ٢ ، ص ٧٠ ، ابن هشام .
٤. الأعراف / من الآية ٥٣ .
٥. الفاتحة / من الآية ٧ .
٦. شرح الأشموني : جـ ١ ، ص ٢٣٣ .
٧. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص ٢٨٧ وما بعدها ، ابن الأنباري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عـــدا ، خـــلا ، مـــا عـــدا ، مـــا خـــلا :

من أدوات الاستثناء التي حُملت على (إلاّ) واختلف فيها النحويون أيّمـــا اختلاف : عدا ، خلا ، وما عدا ، وما خلا ، فيرى سيبويه أن عدا وخـــلا فعلان ، ينصبان المستثنى بعدهما ، على أنّـه مفعول بـه ويكون فاعلهما مضمـــرا فقال " أمّا خلا وعدا فلا يكونان صفة ، ولكن فيهما إضمار ، وذلك قولك : ما أتانـي أحد خلا زيدا ، وأتانـي القوم عدا عمرا ، كأنك قلت : جاوز بعضهم زيدا . إلّا أنّ خـــلا وعـــدا فيهما معـنى الاستثناء "(١).

ومثل ذلك ما ذكره عن ما خلا وما عدا ، فهو يرى أن خلا وعدا ، وما خـــلا وما عدا أفعال ، فيها معنى الاستثناء ، لمضارعتها (إلاّ) في المعنى ، ومـــــا بعدها يكون مفعولا بـــه منصوبـــا "(٢).

أمّا المبّرد فيرى أنّ (عدا) و (خلا) فعلان ، ينتصب ما بعدهمـــا ، وكذلك ما عدا وما خلا ، إلّا أنّـه يرى في (خلا) ، أنها تأتي حرف جـر . فقـال: " وأمّا (عدا) و (خلا) ، فهما فعلان ينتصب ما بعدهما ، وفيهما معنى الاستثناء . . . . وقـد تكون (خلا) حرف خفض ، فاذا قلت : ما خلا وما عدا لم يكـــن إلاّ النصب ، وذاك لأنّ (ما) اسم فلا توصل إلاّ بالفعل "(٣).

ومثل هذا الرأي ما ذكره الزجّاجي بقوله : " فأمّا ما خلا وما عدا ، فانّهما تنصبان في الموجب والمنفي "(٤) أمّا ابن جـنّي فيرى أنّ (عدا) لا تأتـــي إلاّ ناصبة فوافق رأي سيبويه في قوله : " و (عدا) ما بعدها منصوب أبدا "(٥).

---

١. كتاب سيبويه : جـ ٢ ، ص ٣٤٨ .
٢. المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ٣٤٩ .
٣. المقتضب : جـ ٤ ، ص ٤٢٦ ، المبّرد .
٤. الجمل في النحو : ص ٢٣٣ ، الزجّاجي .
٥. اللمع في العربيـة : ص ١٥٣ ، ابن جـنّي .

ويكاد يتّفق جمهور النحويين على أنّ (عدا) و (خلا) تأتيان للجر، وما بعدهما ، يكون مجرورا بهما ، وتأتيان فعلين ، وما بعدهما ، يكون مفعولا به منصوبا (١) .

أمّا ما عدا وما خلا ، فيتّفق الجمهور على أنّهما فعلان ، لدخول (ما) عليهما ، وما بعدهما منصوب على المفعوليّة ، إلا الجرمي ، صالح بن إسحاق (- ٢٢٥ هـ) والزّبعي ، علي بن عيسى (- ٤٢٠ هـ) والكسائي ، علي بن حمزة (- ١٨٩ هـ) والفارسي ، أبا علي الحسن بن أحمد (- ٣٧٧هـ) إذ يجيزون إبقاءهما للجر لأنّ (ما) زائدة لا مصدريّة عندهم (٢) .

وقد ذكر الشيخ خالد الأزهري (- ٩٠٥هـ) أن (ما) هذه ليست مصدريّة ، وإنّما هي زائدة لتوكيد الاستثناء ، لأنّ وجودها وعدمه في السياق في إفادة المعنى سيّان (٣) . وأخذ هذا الرأي نفسه الشيخ مصطفى الغلاييني (- ١٩٤٤ م) (٤) .

ويقول ابن يعيش : " فأمّا (خلا) فانه فعل لازم في أصله ، لا يتعدى إلاّ في الاستثناء خاصة ، وأمّا (عدا فهو متعد في أصله من عداه الأمر يعدوه إذا جاوزه . وإنّما استثني بهما وإن لم يكن لفظهما جحدا لما فيهما من معنى المجاوزة والخروج عن الشيء ، فجريا في هذا المكان مجرى ليس ولا يكون (٥) .

---

١ . انظر: المفصّل : ص ٦٧ ، الزمخشري ، وشرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٩٠ ، ابن يعيش ، وأوضح المسالك : جـ٢ ، ص ٧٢ ، ابن هشام ، ومغني اللبيب: جـ ١ ، ص ١٣٣ ، ابن هشام .

٢ . شرح الأشموني : جـ١ ، ص ٢٣٨ .

٣ . شرح التصريح على التوضيح : جـ ١، ص ٧٦ ، الشيخ خالد الأزهري .

٤ . جامع الدروس العربية : جـ٣ ص ١٤٤ ، الشيخ مصطفى الغلاييني .

٥ . شرح المفصّل : جـ ٢ ، ص ٧٥ ، ابن يعيش .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استنادا إلى ما مضى من آراء ، فإنّ (عدا)و (خلا) تأتيان حرفي جر ، فيكون ما بعدهما مجرورا ، وتأتيان فعلين ، فينصب ما بعدهما على أنه مفعول به .

وأما ما عدا وما خلا ، ففعلان لدخول (ما) المصدريّة المختصة بالأفعال عليهما ، وبذلك يكون ما بعدهما مفعولا به ، وسواء أكانتا جارّتين أم ناصبتين ، فهما تتضمّنان معنى الاستثناء .

سِوى ، سُوى ، سَواء ، سِواء :

يرى الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (- ١٧٠هـ) وسيبويه ، أنّ (سوى) ظرف فيه معنى الاستثناء(١) وأخذ بهذا الرأي المبرّد بقوله : " وممّا لا يكون إلا ظرفا ، وقبح أن يكون اسما (سوى) و (سواء) ممدودة بمعنى (سوى)(٢) .

ولذا فإنّ الخليل وسيبويه والمبرّد ، يرون أنّ (سوى) و(سواء) ظرف ولا تأتي هذه الألفاظ أسماء ،إلاّ للضرورة الشعرية . وممّن أورد هذا الرأي ابن جنّي بقوله : " وأمّا (سوى) فمنصوبة على الظرف ، وما بعدها مجرور بإضافتها إليه(٣) .

وترد (سوى) بمعنى (غير) وهما جميعا بمعنى بدل ، وقد وردت ممدودة مفتوحة الأوّل بمعنى (غير) في قول ذي الرُّمّة ، غيلان بن عقبة (- ١١٧ هـ) :

وَمَاءٍ تَجَافَى الغَيْثُ عَنْهُ فَمَا بِهِ سَواءُ الحَمامِ الحُضَّنِ الخُضْرِ حاضِرُ(٤)

ويذكر ابن هشام أن (سوى) عند سيبويه والجمهور، ظرف مكان ، ملازم للنصب، لا يخرج عن ذلك إلاّ في الضرورة ، وعند الكوفيين وجماعة،ومنهم الرّماني

١. كتاب سيبويه : جـ ٢ ، ص ٣٥٠ .
٢. المقتضب : جـ ٤ ، ص ٣٤٩ ، المبرّد .
٣. اللمع في العربية : ص ١٥٣ ، ابن جنّي .
٤. ديوان ذي الرّمّة : ص ٢٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعكبري ، عبد الله بن الحسين (- ٦١٦ هـ) إنّها ترد على الوجهين [١] ويرى الأشموني أنها ترد ظرفا واسما في الاستعمال اللغوي بجميع أشكالها - سِوى ، سُوى سَواء ، سِواء - وضرب غير مثال نثري وشعري على ذلك [٢]

وقد وافق رأي القرافي الأشموني في (سوى) من حيث ورودها ظرفا أو اسما فقال : " ومن الأدوات المشابهة لـ (إلاّ) (سوى) إذا كانت ظرفا نحو : جاءني الذي سواك . أي يسدّ مسدّك مكانك ، وكذلك إذا كانت اسما نحو مررت برجل سواك . أي : غيرك ، وتختلف عن (غير) أنّ ما بعدها ليس داخلا في لفظ ما قبلها ، ولا في حكمه [٣]

ولعلّ هذا الرأي ، القائل: إنها تأتي ظرفا واسما في الاستعمال اللغوي أقرب إلى الصواب .

وقد بحث ابن الأنباري (سوى) بحثا مستفيضا ، أوضح فيه الخلاف بين البصريين والكوفيين [٤]

حاشا ، حشا ، حاش ، حاشى :

اشتطّ النحويون في خلافاتهم حول (حاشا) وفعليتها ، أو حرفيّتها ، وإعرابها ، فقال سيبويه : " وأمّا حاشا ، فليس باسم ، ولكنّه حرف يجرّ ما بعده ، كما تجرّ (حتّى) ما بعدها ، وفيه معنى الاستثناء [٥] .

وقد خالف المبرّد رأي سيبويه ، إذ عدّ (حاشا) فعلا ، فقال : "وما كان فعلا فحاشا [٦]

---

١. أوضح المسالك : جـ٢ ، ص ٧٠ ، ابن هشام . وانظر : مغني اللبيب : جـ١ ، ص ١٤٠ ، ابن هشام .
٢. شرح الأشموني : جـ١ ، ص ٢٣٥ ، انظر حاشية الصبّان : جـ٢ ، ص ١٤١ .
٣. الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ١١٥ ، القرافي .
٤. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص ٢٩٤ ، ابن الأنباري .
٥. كتاب سيبويه : جـ ٢ ، ص ٣٤٩ .
٦. المقتضب : جـ ٤ ، ص ٣٩١ ، المبرد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا الزجّاجي فيرى أنها تأتي فعلا ،بقوله : " ومن العرب من ينصب (بحاشا) ويجعلها فعلا "[١] ويرى أنها تأتي حرف جرّ بقوله : " وأمّا (حاشا) فإنّها تخفض على كلّ حال "[٢] فمع أنه يذكر أنها قد تكون فعلا ، إلاّ أنه يميل إلى أنّها حرف جر .

وذكر ابن جنّي كذلك أنها تكون حرف جر ، وتكون فعلا تنصب ما بعدها[٣] وقد أوجز الأشموني رأيه في (حاشا) ، ولعلّه أصوب رأي وأدقّه ،لما تضمّنه من إفادة وموضوعيّة فقال : " و(كخلا) في جواز جر المستثنى بها ونصبه (حاشا) تقول : قام القوم حاشا زيدٍ ، وحاشا زيداً . فإذا جرّت، كانت حرف جر وإذا نصبت ، كانت فعلا . والجر بحاشا هو الكثير الراجح ، ولذلك التزم سيبويه وأكثر البصريين حرفيّتها ، ولم يجيزوا النّصب، ولكنّ الصحيح جوازه ، فقد ثبت بنقل أبي زيد ، سعيد بن أوس الأنصاري (- ٢١٥ هـ) وأبي عمرو الشيباني إسحاق بن مرار (- ٢٠٦ هـ) والأخفش ، سعيد بن مسعدة (- ٢١٥) وابن خروف ، علي بن محمد (- ٦٠٤ هـ) وأجازه المازني ، بكر بن محمد (-٢٤٩هـ) والمبرّد والزجّاج ، إبراهيم بن السّري (- ٣١١ هـ)[٤] .

وقد عرض ابن الأنباري (لحاشا) وفصّل فيها القول ، وعرض لآراء النحويين البصريين والكوفيين حولها[٥] .

ولعلّ رأي الأشموني هو أقرب الآراء إلى الصواب ،فهي يمكن أن تكون حرف جرّ أو فعلا ناصبا ، لأنّها استخدمت في اللغة بهذين المعنيين ، وإنْ كان الجرّ هو الغالب في استعمالها ،ولكن هذا لا يمنع من كونها فعلا،كما ذكر الأشموني ،

---

١. الجمل في النحو : ص٢٣٢ ، الزجّاجي .
٢. الجمل في النحو : ص٢٣٢ ، الزجّاجي .
٣. اللمع في العربية : ص١٥٣ ، ابن جني .
٤. شرح الأشموني ، جـ١ ، ص٢٣٩ .
٥. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ، جـ١ ، ص ٢٧٨ ،ابن الأنباري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغيره من النحويين السابق ذكرهم .

أمّا (حاشى) فلم تستخدم استثنائية ، بل استخدمت تنزيهية[١] . وحاشا يحاشي ، تكون فعلا متصّرفا ، يأخذ فاعلا ومفعولا به[٢] . ومنه قول النابغة الذبياني :

ولا أرى فاعِلاً في النّاسِ يُشْبِهُهُ ولا أُحَاشِي مِنَ الأقْوامِ مِنْ أَحَـــدِ[٣]

لا يكـــون ، ليـــس :

وهما فعلان خالصان جامدان ، بشرط وجود (لا) النافية قبل الفعـــل المضارع (يكون) للغائب" ولا يصلح أن يأتي للاستثناء إلاّ إذا كان مضارعا جامدا دالاً على الغائب ، منفيّا بالأداة (لا)[٤] .

وقد عدّهما النحويون استثنائيّتين ، ويكون ما بعدهما منصوبا ، علـــى أنه خبر لهما ، كقول الرسول - صلى الله عليه وسلّم - : " ما أنْهَرَ الدَّمَ وذُكِرَ اسْـــمُ اللّهِ عَلَيه ، فَكُلْ لَيْسَ السِّنَّ والظُّفُرَ[٥] أي : إلاّ السن والظفر . وكقول الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - : " ما مِنْ نَبِيٍّ إلاّ وقَدْ أخْطَأَ أو هَمَّ بِخَطِيئةٍ لَيْسَ يَحْيَى بنَ زَكَرِيّا[٦] أي : إلاّ يحيى بن زكريـــــا .

وقال سيبويه في لا يكون وليس : " وما جاء من الأفعال فيه معنى (إلاّ) فلا يكون وليس ، فإذا جاءتا وفيهما معنى الاستثناء ، فانّ فيهما إضمارا ، على هـــذا وقع فيهما معنى الاستثناء ، وذلك قولك : ما أتاني القوم ليس زيدا ، وأتونـــي لا يكون زيدا ، وما أتاني أحد لا يكون زيدا[٧] .

---

١. أنظر: مغني اللبيب: جـ١ ، ص ١٢١ ، ابن هشام . وشرح الأشموني : جـ١ ، ص ٢٤٠ . وحاشيـــة الصبّان : جـ٢ ، ص ١٥٤ .
٢. انظر: مغني اللبيب : جـ١ ، ص ١٢١ وشرح الأشموني : جـ١، ص ٢٤٠ ، وحاشية الصبان ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ .
٣. ديوان النابغة الذبياني : ص ١٣ ، وانظر: شرح الأشموني : جـ٢، ص ١٦٧ .
٤. انظر حاشية الصبان : جـ٢ ، ص ٧٤
٥. صحيح البخاري : المجلّد الثالث ، جـ٧ ، ص ١١٩ .
٦. النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ٤، ص ٢٨٥ .
٧. كتاب سيبويه : جـ٢، ص ٣٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وافق المبرّد رأي سيبويه في هذه المسألة ، فقال : "اعلم أنّ (ليس) و (لا يكون) لا يكونان استثناء إلاّ وفيهما ضمير ، وذلك قولك : جاءني القوم لا يكون زيدا . وجاءني القوم ليس زيدا . كأنه قال : ليس بعضهم ، ولا يكون بعضهم"(١).

ويرى كلّ من ابن هشام والأشموني والصبّان ، محمد بن علي (- ١٢٠٦هـ) أن المستثنى بليس ولا يكون ، واجب النصب ، لأنّه خبرهما ، واسمها ضمير مستتر فقال الأشموني : "أمّا ليس ولا يكون ، فالمستثنى بهما واجب النصب ، لأنّه خبرهما ، واسمها ضمير مستتر وجوبا ، يعود على البعض المدلول ، فتقديره قاموا ليس زيدا : ليس هو أي بعضهم"(٢).

وممّا ورد من شواهد شعريّة على (ليس) الاستثنائيّة ، قول الأحوص :

فَما تَرَكَ الصُّنعُ الذي قَدْ تَرَكْتُهُ ... وَلا الفَيْظُ مِنّي لَيْسَ جِلْداً وَأَعْظُمَا(٣)

أي ما ترك الصنع شيئا إلاّ جلدا وأعظما .

ويرى الدكتور نهاد الموسى أنّ (ليس ولا يكون) في قولنا : نجح الطلبة ليس خليلا . ونجح الطلبة لا يكون خليلا . أنّ (ليس ولا يكون) هنا انتقلتا من استعمالهما فعلين ناقصين ، يرفعان مبتدأ وينصبان خبرا ، إلى ما آل إليه الاستعمال الجديد في هذا المقام ، وهو وجه الاستثناء ، الناتج عن التطور النحوي في استخدامهما في اللغة ، ويرى أنّ تمسّك النحويين العرب بالأصل القديم لاستعمالهما ، والمتنكّر للواقع الجديد ، في شأن استعمالهما اللغوي ، قد أدّى إلى تكلّف في تقدير الاسم المحذوف بعدهما ، بل إلى خلاف في وجوه ذلك التقدير الذي لا داعي له ، فقال : "وما كان أغناهم عن ذلك التكلّف ، وما ساق إليه من وجوه التقدير ، لو أنهم نظروا إلى (ليس ولا يكون) هنا على أنهما أداتا استثناء ، فاكتفوا بتقدير وظيفتهما النحويّة ، التي انتهى بهما الأمر أن يؤدّياها

---

١. المقتضب : جـ ٤ ، ص ٤٢٨ ، المبرّد .
٢. شرح الأشموني : جـ١ ، ص ٢٣٧ ، وانظر أوضح المسالك : جـ٢ ، ص ٢٧ ، وشرح التصريح على التوضيح : جـ١ ، ص ٣٦٣ ، الأزهري .
٣. ديوان الأحوص : ص ١٩٧ . وخزانة الأدب : جـ٣ ، ص ٣٣٧ ، البغدادي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذا النمط من أنماط التركيب النحوي(١)

ولذا فإنّ (ليس ولا يكون) قد انتقلتا من استعمالهما فعلين ناقصين إلى استعمالهما أداتي استثناء ، فيكون الاسم الواقع بعدهما مستثنى منصوبا ، وليس خبرا لهما ، لأنّ معناهما أصبح يدلّ على معنى (إلاّ) الاستثنائية. وقياسا على ما ذكره استاذنا الدكتور نهاد الموسى في (ليس ولا يكون) يمكن لنا أن نضيف (عدا وخلا وحاشا) إذا وقع الاسم بعدها منصوبا ، كان الأجدر أن يكون مستثنى منصوبا ، وليس مفعولا به ، لأنها تحمل معنى (إلاّ) وما يحمل معناها يعامل معاملتها ، ويقاس عليها . وإذا عددنا الاسم المنصوب ،بعد (عدا و خلا وحاشا) مستثنى منصوبا ، فاننا ننهي خلافات النحويين في فاعلها ، وتكلّفهم في تقديره.

إلاّ أن يكون :
==========

إنّ هذا تركيب استثنائي قائم بذاته ، لوجود (إلاّ) في بدايته ، فقال سيبويه : " وإذا قلت : أتوني إلاّأنّ يكون زيد . فالرفع جيدّ بالغ، وهو كثير في كلام العرب .... وأن يكون : في موضع اسم مستثنى ، كأنّك قلت:يأتونك إلاّ أن يأتيك زيد . ومثل الرفع قول الله - عزّ وجلّ - : " إلاّ أنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ "(٢) وبعضهم ينصب ، على وجه النصب في لا يكون ، والرفع أكثر(٣) كقولك : قام القوم إلاّ أن يكون زيد ، وما خرج القوم إلاّأن يكون بكر . وان شئت نصبت، والرفع أجود. قال الله - عزّ وجلّ - : " إلاّأنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ "(٤) قرئ بالرفع والنصب(٥) .

ولكنّنا نرى أنّ أداة الاستثناء (إلاّ) والمصدر المؤوّل من (أن يكون) واسمها وخبرها ، هو المستثنى ،سواء أكان المضمر اسمها أم خبرها .

---

١. انظر : في تاريخ العربية : ص ٢١٨ وما بعدها . د. نهاد الموسى .
٢. النساء / من الآية ٢٩ .
٣. كتاب سيبويه : جـ ٢ ، ص ٣٤٩ .
٤. البقرة / من الآية ٢٨٢ .
٥. الجمل في النحو : ص ٢٣٣ ، الزجاجي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا سيّما :

ذكر غير واحد من النحويين [١] ، أنّ لا سيّما من أدوات الاستثناء ، فقال الأشموني : " جرت عادة النحويين أن يذكروا (لا سيّما) مع أدوات الاستثناء ، مع أن الذي بعدها ، منبّه على أولويّته بما نسب لما قبلها " [٢] .

وعدّ الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (- ٥٣٨ هـ) (لا سيّما) إحدى أدوات الاستثناء بقوله : " . . . . والرابع جائز فيه الجرّ والرفع وهو ما استثني (بلا سيّما) وقول امرئ القيس ، خُندج بن حجر :

ولا سِيّما يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ [٣] .

يروى مجرورا ومرفوعا ، وقد روي فيه النصب [٤] .

وذكر ابن يعيش أن (سيّ) معناها : المثل وهو منصوب (بلا) وليس بمبني ، لأنّه مضاف لما بعده ، والمضاف لا يبنى . ولا يستثنى (بسيّما) إلاّ ومعه جحد أي : نفي ، فلو قلنا : حضر القوم سيّما زيد ، لم يجز حتى نأتي (بلا) ليصبح التركيب : حضر القوم لا سيّما زيد ، ولا يستثنى بها إلاّ ما يراد تعظيمه [٥] .

ولكننا نرى أن (لا سيّما) ليست من أدوات الاستثناء ، لأنّ استخدامها في اللغة ، لا يفيد إخراج ما بعدها عمّا قبلها ، ولكنّه يفيد تفضيل ما بعدها على ما قبلها ، كقولنا : أحبّ الأدب ولا سيّما الشعر . فالحبّ يشمل الأدب بجميع أنواعه ، بما فيه الشعر ، ولكنني خصصت الشعر بحبّ أكثر . لأن المعنى المستفاد لا نلمس فيه إخراجا واستثناء ، بل تخصيصا .

---

١ . انظر : المفصّل : ص ٦٨ ، الزمخشري . شرح المفصّل : جـ٢ ، ص١٠٩ . ابن يعيش . مغني اللبيب : جـ١ ، ص١٣٩ ، ابن هشام .
٢ . شرح الأشموني : جـ١ ، ص٢٨٤ .
٣ . شرح القصائد العشر ٦٢ ، الخطيب التبريزي .
٤ . المفصّل : ص ٦٨ ، الزمخشري .
٥ . شرح المفصل : جـ٢ ، ص٨٥ ، ابن يعيش .

All rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيـــــــــــــــد :

ذكر بعض النحويين واللغويين [١] ، إنّها إحدى أدوات الاستثناء ، بمعنى (غير) فقال ابن السّراج : " ويضمّون إلى أدوات الاستثناء (بيد) بمعنى (غير)[٢]

وقال ابن هشام : " بيد ويقال : ميد بالميم ، وهو اسم ملازم للإضافة إلى (أنّ) وصلتها ، وله معنيان : أحدهما : (غير) إلاّ أنّه لا يقع مرفوعا ولا مجرورا ، بل منصوبا . ولا يقع صفة ، ولا استثناء متّصلا ، وانّما يستثنى به في الانقطاع خاصة . قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - : "نَحْنُ الآخِرُونَ السابِقُون يَوْمَ القِيامَةِ بَيْدَ أنّهُم أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنا ، وأُوتِيْناهُ مِنْ بَعْدِهِمْ"[٣] . أي : غير أنّهم أوتوا الكتاب . . . . . .

ويقول السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (- ٩١١ هـ) :بيد من أدوات الاستثناء ، ويقال لها (ميد) بإبدال(الباء) (ميما) ، وهي اسم يلازم الإضافة إلى (أنّ) وصلتها : نحو قول الرسول - صلّى الله عليه وسلم - : الحديث الشريف السابق الذكر ،أي : غير أنّهم ، إلاّأنّها لا تقع مرفوعة ولا مجرورة ، بل منصوبة ، ولا تقع صفة ولا استثناء متّصلا ، وانّما يستثنى بها في الانقطاع خاصة قال في الصحاح : بيد بمعنى (غير) ويقال : إنه كثير المال بيد أنّه بخيل.[٤]

وفي لسان العرب والقاموس المحيط : بيد وبايد ،بمعنى (غير) و (على) و (من أجل)[٥] وقال القرافي : (بيد) بمعنى (غير) تقول : لم أكرم زيدا بيد أني أعطيته مالا ، تقديره : غير أنّي أعطيته مالا . ولا يصح الاستثناء (ببيد) بخلاف (غير)[٦] .

---

١. انظر : الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٨٤ ، ابن السّراج . ومغني اللبيب جـ١ ، ص ١١٤ ، ابن هشام .
٢. الأصول في النحو : جـ١ ، ٢٨٤ ، ابن السّراج
٣. صحيح البخاري : المجلّد الأوّل ، جـ ٢ ، ص٢ .
٤. المطالع السعيدة : ص ٣٤٤ ، السيوطي .
٥. انظر : لسان العرب : مادّة (باد) لابن منظور. والقاموس المحيط للفيروزآبادي.
٦. الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ١٢٥ ، القرافي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـــذا فان (بيد) لا تكون استثنائية إلاّإذا كانت بمعنى (غير) ودلّت على الاستثناء ، وإلاّفهي بمعنى (على) و (من أجل) وقد لا تكون بمعـــــنى (لكن) الاستدراكية[١] لأنّ أحدا من اللغويين والنحويين لم يذكر ذلـــــك ولأنّ المعنى لا يستقيم بذلك كما يستقيم بمعنى (غير) أو (على) أو (من أجل) في استعمالاتها اللغوية .

لمّـــــــــا :

قد تأتي (لمّا) في الاستعمالات اللغوية أداة استثناء بمعنى (إلاّ) فتدخل على الجملة الاسميّة ، نحو قوله تعالى : "إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ"[٢] . فيمن قرأ بتشديد الميم ، كما تدخل على الماضي لفظا لا معنى ، نحو قولنـــــا : أنشدُك الله لمّا فعلت ، أي : استحلفك بالله إلاّ فعلت[٣] . وكقول عمر رضي الله عنه- " عزمت عليك لمّا ضربت كاتبك سوطا "[٤]

مـــــــــا :

ذكر ابن مالك وأبو حيّان ، محمد بن يوسف (- ٧٤٥هـ) والإسنـــــوي ، وغيرهم أنّ (ما) ترد أداة استثناء بمعنى (إلاّ) واستدلّوا عليها بقول العرب: كلّ شيء سبه ما النساءَ وذكرهُنّ . أي : كل شيء يسير إلاّ النساءَ وذكرَهُنّ ، أوعدا النساءِ وذكرِهِنّ .[٥] ولذا فقد وردت (ما) في هذا القول المشهور عن العـــرب أداة استثناء بمعنى (إلاّ) أو (عدا) .

ولعلّ استخدامها بمعنى (إلاّ) في هذا القول ، لغة ، لدى بعـــض القبائل العربيّة ، ولذا فإنّ استخدامها يبقى محدودا ، ولم يكتب له الانتشار .

---

١. الأنماط التحويلية في جملة الاستثناء . ص ١٩ ، تيسير محمد عيسى .
٢. الطـــارق / الآيـــة ٤ .
٣. انظر : مغني اللبيب : جـ١ ، ص ٢٨٠ ، ابن هشام . رصف المباني ، ص٢٨٣ المالقي ، الجني الداني : ص٥٩٤ . المرادي ، شرح القواعد المصروية : ص ١٧٧ ، عـــلاء الدين المصروي .
٤. المفصّل في علم العربية : ص ٧٢ ، الزمخشري .
٥. انظر تسهيل الفوائد : ص ١٠٦ ، ابن مالك ، الكوكب الدّري : ص٣٦٦ وحاشيتها . شرح القواعد المصروية : ص ١٦٥ ، علاء الدين المصروي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَلْـــــــــه :

وردت (بله) اسما معربا في الاستعمالات اللغويّة ، بمعنى (غير) ومن ذلك ، ما ورد في الحديث القدسي الشريف ، منسوبا لله - عزّ وجلّ - " أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ ، ذُخْرا مِنْ بَلْهِ ما اطَّلَعْتُمْ عَلَيهِ "(١) أي : مِنْ غَيرِ ما اطَّلَعْتُمْ عَلَيه ، فهيَ اسم معرب بمعنى (غير)(٢) .

وذكر السيوطي أن الكوفيين والبغداديين ، عدّوا (بله) من أدوات الاستثناء(٣) .

حـــــتّى :

تأتي (حتّى) في بعض استعمالاتها اللغوية ، بمعنى (إلاّ) لتضمّنها معنى الاستثناء ، وقد ذكر ذلك سيبويه وابن مالك وابن هشام ، وأبو البقاء ، عبد الله بن الحسين العكبري (- ٦١٦ هـ)(٤) ومن ذلك قول المقنّع الكندي ، محمد بن عمير (- ٧٠ هـ) :

لَيْسَ العَطَاءُ مِنَ الفُضُولِ سَمَاحَةً ... حَتَّى تَجُودَ وَما لَدَيْكَ قَلِيلُ(٥)

أي : إلا أن تجود ، على الاستثناء(٦) .

ومنه قوله - صلى الله عليه وسلّم - : "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ ، حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ هُما اللَّذَانِ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ"(٧)

---

١. صحيح الجامع الصغير : جـ٤ ، ص ١١٣ ، السيوطي .
٢. مغني اللبيب : جـ١ ، ص ١١٥ ، ابن هشام . والصاحبي : ص ١٤٦ ، ابن فارس .
٣. همع الهوامع : جـ٣ ، ص ٢٩٦ ، السيوطي .
٤. انظر : مغني اللبيب : جـ١ ، ص ١٢٥ ، ابن هشام .
٥. شرح الأشموني : جـ٣ ، ٢٩٧ ، همع الهوامع : جـ٢ ، ص٩ ، السيوطي .
٦. همع الهوامع : جـ٢ . ص٩ ، السيوطي ، شرح الأشموني : جـ٣ ، ص٢٩٧ .
٧. صحيح البخاري : جـ٣ ، ص ١٢٦ ، وهو برواية مغايرة بعض الشيء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون :
======

على الرغم من ورودها في فن القول العربي ، ظرفا للمكان ،أو للزمان فإنّها تضمّنت معنى (غير) ،ولذا عدّها بعض اللغويين والنحويين والمفسّرين أداة استثناء بمعنى (غير)[1] فيقول أبو حيّان : " وتقول : اتخذت من دونك صديقا . فالذي يفهم من هذا ، أنّه اتّخذ من شخص غيره صديقا ، وتقول : قام القوم دون زيد . فالمعنى : أنّ زيدا لم يقم ، فدلالتها دلالة (غير) ، غير أن هذا لا يطّرد[2] .

أو :
=========

تأتي (أو) بمعنى (إلاّ) في الاستثناء ، وينتصب المضارع بعدها باضمار (أن) كقولك : لأقتلنّه أو يسلم ،وقال الدسوقي : وترد (أو) للاستثناء وفق الأصل الذي وضعت له ، فمقول القائل : لأقتلنّه أو يسلم . يعني: لأقتلنّه إلاّ أن يسلم . فوردت (أو) بمعنى (إلاّ) في هذا السياق ، ليكون معناه الظاهر ، لأقتلنّه في كل وقت إلاّ وقت إسلامه[3] .

وراء :
========

قد ترد (وراء) دالّة على الاستثناء ، بمعنى (غير) أو (سوى) ويكون ما بعدها مستثنى . كقولنا للرجل المتكلّم بالحسن : ما وراء هذا الكلام شيء . يراد به : ليس عند المتكلّم به سوى ذلك الكلام[4] .

---

١. أنظر : معاني القرآن : جـ١ ، ص ٦٢ ، الفرّاء . تفسير النسفي : جـ١ ، ص ٣٥ . القاموس المحيط : مادة (دون) فصل الدال باب النون ، جـ ٤ ،ص ٢٢٣ . الفيروزابادي .
٢. البحر المحيط : جـ ١ ، ص ٤٦٩ ،أبو حيّان .
٣. انظر : حاشية الدسوقي : جـ١ ،ص ٧٠ .
٤. تفسير الطبري : جـ٢ ،ص ٣٤٨ .

هذه هي أدوات الاستثناء التي استطعت حصرها ، في الاستعمال اللغوي العربي ، ذكرها النحويون واللغويون في مصنفاتهم.

ويكاد يتّفق النحويون والبلاغيون ، على هذه الأدوات إلاّ أن البلاغيين يركّزون اهتمامهم في أسلوب القصر على (إلاّ) لأن إحدى طرق القصر عندهم ، النفي والاستثناء (بإلاّ) .

وبما أن الاستثناء عند البلاغيين ، هو ما اشتمل على معنى يكسوه بهجة وطلاوة وبهاء ، يزيد على معنى الاستثناء النحوي ، حتّى يستحق به نظمه في سلك أنواع البديع ، فإن أدوات الاستثناء التي ذكرها النحويون ، هي نفسها التي أخذ بها البلاغيون ، على أن تكون جملة الاستثناء ذات معنى بهيج طريف ذي طلاوة ، وهو ما يمكن أن نسمّيه معنى المعنى ، أوالمعنى الثاني ، الكامن خلف المعنى الظاهر للسياق اللغوي الاستثنائي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنـــــواع الاستثنـــــــــاء

قسّم النحويون الاستثناء إلى أنواع متعدّدة ، من خلال معالجتهـــم لجملة الاستثناء المتضمّنة أداة الاستثناء الرئيسية (إلاّ) ، ثم قاسوا عليهـــا أدوات الاستثناء الأخرى ، ويمكن أن تُقسّم أنواع الاستثناء ، إلى ما يلي :-

أولا : الاستثناء التـــام : وهو ما كان المستثنى منه مذكورا فيه ، كقولـــه تعالى : " ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ "(١)

ثانيا : الاستثناء الموجـــب : وهو ما لم يتقدّمه ، في جملته نفي ، أو نهـــي أو استفهام ، يفيد النفي ، أو الإنكار ، كقوله تعالى : " فَشَرِبُوا مِنْـــهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ "(٢)

ثالثا : الاستثناء المفرّغ أو الناقص : وهو الاستثناء المسبوق بنفي ، أو نهـــي أو استفهام ، يفيد النفي أو الإنكار ، أو المسبوق بلفظ يفيد النفـــي والخالي من المستثنى منه ، كقوله تعالى : " وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُـــتِمَّ نُورَهُ "(٣) وهذا النوع كثير في القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى : " وَمَـــا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ "(٤) وقوله تعالى : " وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ "(٥)

فاجتمع في الاستثناء أمران : أنّه غير تام ، وغير موجب ، وهو ما يسمّيـــه البلاغيون ، القصر بالنفي و (إلاّ)

رابعا : الاستثناء المتّصل : وهو ما كان فيه المستثنى من جنس المستثنى منـــه وذلك أن يكون المستثنى منه ، والمستثنى من جنس واحد ، أو صنـــف واحـــد ، بحيث إذا لم يذكر المستثنى في الكلام ، كان معناه متضمّنا في المستثنى منه ، كقوله تعالى : " فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُـــم أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ "(٦)

خامسا : الاستثناء المنقطع : وهو ما كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه

---

١. البقرة / من الآيـــة ٨٣
٢. البقرة / من الآيـــة ٢٤٩
٣. التوبـــة / من الآيـــة ٣٢
٤. آل عمران / من الآيـــة ١٤٤
٥. فاطـــر / من الآيـــة ٢٤
٦. هـــود / مـــن الآيـــــه ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي أنّ المستثنى والمستثنى منه ، ليسا من صنف واحد . كقوله تعالى : " لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إلاّ سَلاماً "(١) فاللغو : رديء الكلام ، وهو مستثنى منه والسلام : مستثنى ، ليس من جنس المستثنى منه .

وتؤدّي أداة الاستثناء في هذا النوع ، معنى (لكن) التي تفيد الابتداء والاستدراك معا ، ولذا ففي كلّ استثناء منقطع يصح وقوع الحرف (لكن) موقع أداة الاستثناء فيه ، مع استقامة المعنى والسياق اللغوي فيه ، وقد تؤدّي معنى (الواو) .

وليس معنى انقطاع المستثنى ، أنّه لا صلة له بالمستثنى منه البتّة ، إذ إنّه تبقى العلاقة المعنويّة قائمة بينهما ، فلا يجوز أن يكون الاتّصال منقطع المناسبة ، والعلاقة بينهما منقطعة انقطاعا كلّيا ، لأنّ الكلام يصبح لا معنى له كقولنا : نجح الطلاب إلاّ كتابا ، أو غرّدت العصافير على الأغصان إلاّ حمارا . فليس هذا الكلام مستقيما في معناه ، حتى لو كان من قبيل المجاز ، وإن كان سليما في مبناه ، لأنّه يؤدّي إلى خلط والتواء ، فتعجه الأذهان والاذواق .

أمّا إذا قلنا : حضر المسافرون إلاّ حقائبهم ، فإنّنا نلمس العلاقة القائمة بين المسافرين وحقائبهم ، وإن كانت الحقائب ليست من جنس المسافرين . ومن هذا القبيل ، قول : جِران العَوْد ، عامر بن الحارث النميري :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِها أَنِيسُ ... إلاّ اليَعَافِيرُ وإلاّ العِيسُ (٢)

وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات الكريمة التي تشتمل على الاستثناء المنقطع .

---

١ . مريم / من الآية ٦٢ .

٢ . ديوان جران العود : ص ٥٢ . انظر : الانصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ص ٢٧١ ، ابن الأنباري . شرح شذور الذهب : ص ٢٦٥ ، ابن هشام شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٨٠ ، ابن يعيش . وشرح الأشموني : جـ٢ ، ص ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه هي أنواع الاستثناء ،ذات العلاقة (بإلاّ) أمّا الأنواع الأخرى فتسمّى باسم الأداة التي استخدمت فيها ، ومنها : الاستثناء بغير وسوى ،وسواء، الاستثناء بليس ولا يكون ، وإلاّأن يكون ، والاستثناء بخلا وعدا و حاشا ، وما خلا وما عدا ، إلى آخر ذلك من أدوات الاستثناء المعروفة .

أمّا أنواع الاستثناء عند البلاغيين فهي :

أولا : الاستثناء اللغوي : وهو الاستثناء الذي فصّل فيه النحويون ودقّقوا ، أي : هو الذي عُني به النحويون ، وبسطوا قواعده ، وحدّدوا أنواعه وأدواته .

ثانيا : الاستثناء الصناعي : وهو الاستثناء الذي ألحقه البلاغيّون بعلم البيان ، لأنّه يتضمّن ضربا من المحاسن واللطائف البلاغية ، زائداً على ما يدلّ عليه الاستثناء اللغوي ، فيؤدّي إلى معنى ذي طلاوة وبهجة تدخله في علوم البلاغة والبديع . ولذا فقد أطلقوا عليه الاستثناء البديعي ليكون ضمن موضوعات البلاغة والبديع .

ثالثا : استثناء الحصر والقصر بالنفي و (إلاّ) ، وهو الاستثناء المفرّغ والناقص عند النحويين .

رابعا : تأكيد المدح بما يشبه الذمّ : وهو أن يستثنى من صفة ذمّ منفيّة عن الشيء ، صفة مدح ، بتقدير دخولها فيها ، كقول النابغة الذبياني :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ (١)

فقد أثبت الشاعر شيئا من العيب ، على كون فلول السيوف من العيب، وهذا محال ، لأنّه كناية عن كمال الشجاعة (٢) ويتبع هذا النوع، نوع آخر من هذا الاستثناء عند البلاغيين ، وهو أن يثبت لشيء صفة مدح وتعقّب بأداة استثناء ، يليها صفة مدح أخرى له ، نحو قول الرسول - صلى الله عليه وسلّم - : " أنا أفْصَحُ العَرَبِ بَيْدَ أنّي مِنْ قُرَيْشٍ " (٣) لكونه مدحا على مدح (٤) .

---

١. ديوان النابغة الذبياني : ص ٦٠ .
٢. التلخيص في علوم البلاغة : ص ٣٨٠ . الخطيب القزويني .
٣. النهاية في غريب الحديث والأثر : جـ٣ ،ص ١٣٩ ،وله رواية اخرى " أنا أفصح من نطق بالضاد "
٤. التلخيص في علوم البلاغة : ص ٣٨١ ، الخطيب القزويني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا النوع عند البلاغيين ، ما يسمّى تأكيد الذمّ بما يشبه المدح ، وهو ضربان : أحدهما : أن يستثنى من صفة مدح منفيّة عن الشيء ، صفة ذمّ ، بتقدير دخولها فيها ، كقوله : فلان لا خير فيه إلاّ أنّه يسيء إلى من أحسن إليه . وثانيهما : أن يثبت للشيء صفة ذمّ وتعقّب بأداة استثناء ، تليها صفة ذمّ أخرى له ، كقولك : فلان فاسق إلاّ أنّه جاهل (١)

خامسا : الاستدراك ، إذ إنّ من أنواع الاستثناء عند البلاغيين أن تكون (إلاّ) بمعنى (لكنّ) الاستدراكية ، كما في قول بديع الزمان الهمذاني ، أحمد بن الحسين (- ٣٩٨ هـ) :

هُوَ البَدْرُ إلاّ أنّهُ البَحْرُ زاخِراً ... سِوى أنّهُ الضِّرْغامُ لكنّهُ الوَبْلُ (٢)

فقوله : إلاّ أنّه البحر زاخرا ، استدراك فيه معنى (لكن)

سادسا : وهناك ضرب من الاستثناء يسمّيه البلاغيون ، الاحتراس أو التكميل : وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود ، بما يدفع ذلك الوهم ، كقول طرفة بن العبد البكري :

فَسَقَى دِيارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِها ... صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي (٣)

وقول الشاعر :

فَلا تَبْعِدَنْ إلاّ مِنَ السُّوءِ إنّني ... إلَيْكَ وإنْ شَطَّتْ بِكَ الدّارُ نازِعُ (٤)

فقد ورد (غير مفسدها) و (إلاّ من السوء) دفعا لسوء الفهم الذي قد يؤدي إلى خلاف المقصود . كما أدّى إلى استقصاء المعنى ، والتحرّز من دخول النقصان .

هذه هي أنواع الاستثناء التي أحيط بها ، وتم حصرها ، عند البلاغيين في مصنّفاتهم . وقد أطلقوا عليها جميعا اسم الاستثناء الصناعي ، وهذه الأنواع جميعها انبثقت عنه ، لما اشتملت عليه من معان خاصة ، ميّزت كلّ نوع منها ، فكانت محاكمة المعنى بدقّة ، هي التي ميّزت هذه الأنواع ، وأبرزتها عند البلاغيين .

---

١ . كتاب الصناعتين : ص ٤٠٨ ، أبو هلال العسكري .
٢ . التلخيص في علوم البلاغة : ص ٣٨٢ ، القزويني . انظر : معترك الأقران : جـ١ ، ص ٢٩٦ ، السيوطي .
٣ . ديوان طرفة : ص ٦٢ .
٤ . العمدة في محاسن الشعر ، جـ٢ ، ص ٥٠ ، ابن رشيق القيرواني . وانظر : تحرير التحبير : ص ٣٣٣ ، ابن أبي الإصبع . وكتاب الصناعتين : ص ٤٠٨ ، العسكري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واننا نلمس أن هذه الأنواع نفسها ، موجودة ضمن أنواع الاستثناء اللغوي (النحوي) التي ذكرت إلاّ أنّ هذه الأنواع البلاغية ، بنيت على المعاني الدقيقة لصيغ الاستثناء ، التي لم يلتفت إليها النحويون ، لأنها لا تخدم منهجهم ، فاكتفوا بتركيز اهتمامهم على المعاني النحوية ، التي قسّموا أنواع الاستثناء ، وفق معطياتها معتمدين على الأدوات ، ونوع الجملة إيجابا أو سلبا ، والمعاني الظاهرة للصيغ الاستثنائية والسياق اللغوي فيها ، وطبيعة المستثنى والمستثنى منه .

أمّا البلاغيون فلم يكتفوا بالنظر إلى المعاني الظاهرة المباشرة ، أو إلى طبيعة المستثنى والمستثنى منه في السياق اللغوي لجملة الاستثناء ، وإنّما غاصوا إلى المعاني الثانية ، وما فيها من طرافة وإبداع ، فتمخّض عنها هذه الأنواع من الاستثناء ، التي ألحقها البلاغيون بعلوم البلاغة لاشتمالها على لطائف بلاغية .

هذه الأنواع المذكورة ، إلى جانب أنواع الاستثناء اللغوي (النحوي) التي ميّزها النحويون ، وعرضوها في مصنّفاتهم ، هي الأنواع التي بحثها البلاغيون في كتبهم وشروحهم وحواشيهم ، إلاّ أنهم أشاروا إلى الاستثناء الصناعي (البديعي) إشارات عابرة ، وركّزوا اهتمامهم على الاستثناء المفرّغ ، الذي أطلقوا عليه اسم القصر بالنفي و (إلاّ) إذ بحثوه بحثا مستفيضا وافيا ، كاشفين أنواعه وطرائقه وأقسامه وصفاته ومعانيه وأطرافه ، وأثر المنشئ والمخاطب في تحديد أنواعه ولو أن البلاغيين ، منحوا من اهتمامهم للاستثناء الصناعي (البديعي) ما منحوه للقصر ، لوصلنا منهم فوائد مجزية ، تفتح لنا أبوابا مغلقة في أساليب الاستثناء .

ولذا فاننا سنحاول أن نعوّض ما أهمله البلاغيون في أسلوب الاستثناء ومعانيه البلاغية ، وبخاصة في آي الذكر الحكيم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صلة النحو بالبلاغة

وحدة الأصل والجذور :

على الرغم من أنّ النحو والبلاغة علمان منفصلان ، لكل منهما حدوده وقواعده المعروفة ، وقضاياه الخاصّة به ، التي تميزه عن الآخر ، لأنّ النحو كان يجول في ميدان الجملة المفردة ، التي تتّسم بتمام الفائدة المعنوية ، وسلامة تركيبها اللفوي ، وصحة المباني الصرفيّة للألفاظ ، ودقّة بنائها .

أمّا البلاغة فقد نحا فيها العلماء في بداية نشأتها ، للكشف عن إعجاز القرآن الكريم ، فنسبه بعضهم إلى المعنى ، وبعضهم إلى اللفظ ، أو إليهما معا وبعضهم إلى طرائق النظم ، من خلال أساليب القرآن الكريم .

فبدأت علوم البلاغة لغويّة ذوقية ، تصقل ذوق الناقد ، وانتهت قاعديّة أي إنّها كانت في بدايتها ، أقرب إلى النقد العملي ، وانتهت بوضع قواعد أسلوبيّة .

إنّ القرآن الكريم ، كان السبب المباشر في وضع النحو العربي ، وهو السبب المباشر في نشأة البلاغة العربية كذلك ، ولذا فإنّ هذين العلمين ، قد نبعا من مصدر واحد ، إذ كان القرآن الكريم ، وفن القول العربي ، من شعر ونثر المادّة الأولى التي اعتمدا عليها في نشأتها ، وتأسيس قضاياهما ، فهما لذلك علمان توأمان .

فكانت العوامل الأولى في نشأة النحو العربي ، هي هداية الناس إلى النطق بالعربيّة فصيحة سليمة ، جارية على سنن العرب وطرائقهم اللغويّة ، والحفاظ على السنتهم من اللحن والخطأ في قراءة القرآن وغيره ، ولا سيّما بعد أن دخلت شعوب أعجمية ، في الدين الحنيف ، بعد الفتوحات الاسلاميّة ، وأصبحت تلك الشعوب راغبة في تعلّم العربية .

فأصبحت الحاجة ملحّة ، لوضع قواعد النحو العربي ، فيقول أبو الأسود

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدؤلي ، ظالم بن عمرو (- ٦٩ هـ) " هؤلاء الموالي قد رغبوا في الاسلام ودخلوا فيه ، فصاروا لنا اخوة ، فلو عملنا لهم الكلام "[١] ولهذا فقد وُجِد النحو العربي ، لخدمة العربيّة ، وفن القول العربي ليبقى مصونا من اللحن والخطأ .

فقد كان هناك هدفان أساسيان لنشأة النحو والدراسات النحويّة العربيّة وهما : حفظ القرآن الكريم ، وصونه من الخطأ . ثم تيسير العربيّة ، لمن يريد ذلك من الأعاجم الذين انتشر نور الاسلام بينهم ، " وليلحق من ليس من أهل اللغة العربيّة بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم ، وان شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها "[٢]

فقد ارتبط النحو العربي باللغة بوشائج متينة ، لأنها مادّته وميدانه وأصوله وتربته التي نبتت فيها جذوره وتعمّقت أصوله ، " فغرض الفقيه أن يكون عالما بلسان العرب ، ليفهم كلام الله - عزّ وجلّ - وكلام النبي - صلّى الله عليه وسلّم - ويكون عالما بالنحو ، الذي هو ترتيب العرب لكلامهم الذي نزل به القرآن الكريم ، وبه تفهم معاني الكلام التي يعبّر عنها باختلاف الحركات وبناء الالفاظ "[٣]

فالنحو يرشدنا إلى بناء الكلمات اللغوية وتصريفها ، وبيان علاقتها المعنوية في الجمل والعبارات ، ثم يعيننا كذلك على تكوين التراكيب السليمة والفقر المترابطة الأجزاء ، " وفق كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة ، والنسب والتراكيب ، وغير ذلك "[٤]

وبذلك تنتهي مهمّة النحو ، ما دام قد حقّق لنا صحّة العبارة ، في ذاتها ، وعلى الفن البلاغي بعد ذلك أن يتصرّف في العبارة - مع بقاء صحّتها - تصرّفا يجعلها سلسة ، قوية التأثير ، في السامع والمخاطب ، بعيدة عن التنافر

---

١. الفهرست : ص ٦٦ ، ابن النديم .
٢. الخصائص : جـ١ ، ص ٣٥ ، ابن جنّي .
٣. الإحكام في أصول الأحكام : جـ٢ ، ص ١٩٣ ، ابن حزم .
٤. الخصائص : جـ١ ، ص ٣٥ ، ابن جنّي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سهلة سائغة قريبة الفهم . " لأنّ البلاغة تستلزم أمرين : الصواب النحوي ، ثمّ الجمال والملائمة لأذواق المخاطبين وعقولهم "(١)

وهذا يؤكّد أنّ النحو والبلاغة يكمّل كل منهما الآخر ، ولا غنى لأحدهما عن الآخر ، " ومن هنا كان فضل البلاغة بعد صحّة التركيب النحوي ، ولا غنى عن البلاغة للنحوي ، كما أنّه لا فصل بين النحو والبلاغة في حالات التصوير النفسي والتأثير الاجتماعي ، ومن هنا تكون الحاجة ملحّة إلى إبراز الصّلة بين النحو والبلاغة في حالة التذوّق الأدبي للنص ، وإبراز الإعجاز القرآني في كلام الله - سبحانه وتعالى - وهذا ما جعل بعض البلاغيين يهتم بما يسمّى بالنحو القرآني "(٢)

وقد بيّن العلوي ، يحيى بن حمزة (- ٧٤٥هـ) صلة التكامل بين النحو والبلاغة ، وأنّ النحو أصل البلاغة وجوهرها ، ومتمّم محاسنها بقوله : " وعلم المعاني وهو أخصّ من علم الإعراب ، من جهة أنّ علم الإعراب تحصل فائدته بمطلق التركيب وعلم المعاني له فائدة وراء ما ذكرناه من التركيب ، وهو ما يتعلّق بالأمور الخبريّة من تعريفها وتنكيرها وتقديمها وتأخيرها ، وفصلها ووصلها ، بالأمور الطلبيّة الإنشائية ، كالأوامر والنواهي ، والتمنّي والترجّي والدّعاء والنداء والاستثناء والعرض ، فالنظر فيها أخصّ من النظر في علم الإعراب "(٣) لأنّها كامنة خلف الإعراب وتحتاج إلى إعمال الفكر والعقل والذوق لكشفها والتقاطها واظهارها .

وأشار تمّام حسّان إلى هذه العلاقة التكاملية بين النحو والبلاغة ، فقال " فيبدو أن البلاغيين اعتمدوا إلى حدٍّ كبير ، على المتوارث من قواعد التوجيه النحويّة ، ولا سيّما ما دار منها حول المعنى من الخبر والانشاء ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، والتعريف والتنكير ، والعلاقة

---

١. الأسلوب : ص ٢٦ ، أحمد الشايب .
٢. البلاغة عرض وتوجيه وتفسير : ص ١١٦ ، د . محمد بركات أبو علي .
٣. الطراز : جـ ٣ ، ص ٢٣٥ ، يحيى العلوي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقرينـــة والوجـــه[١].

وكما هو النص القرآني ، وفن القول العربي ، مادّة النحو الأولى ، فـإنّ هذا النص القرآني نفسه ، وفن القول العربي ذاته ، كان مادّة البلاغة العربيّـــة الأولى .

فمن العوامل الأولى في نشأة البلاغة العربيّة ، فهم النص القرآني مـــن خلال بيان إعجازه ، والبحث في ألفاظه وتراكيبه وأساليبه ومعانيه وصوره ومجازاتـــه ونظمـــــه .

فأشار أبو هلال العسكري ، إلى هذا الهدف الديني لوضع علم البلاغـة ونشأتها ، بقوله : " اعلم - علّمك الله الخير - أنّ أحقّ العلوم بالتعليم ، وأولاهـــا بالتحفّظ ، بعد معرفة الله - جلّ ثناؤه - علم البلاغة ، ومعرفة الفصاحة ، الذي بـه يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحقّ ، الهادي إلى سبيل الرشد ... وقد علمنا أنّ الانسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخلّ بمعرفة الفصاحة ، لم يقع علمـه بإعجاز القرآن ، من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب، ومـا شحن به من الإيجاز البديع ،والاختصار اللطيف ، وضمّنه من الحلاوة ، وجلّله مـن رونق الطلاوة ، مع سهولة كلمة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها ، إلى غير ذلك مـن محاسنه التي عجز الخلق عنها ، وتحيّرت عقولهم فيها ، وإنّما إعجازه من جهة عجـز العرب عنه ، وقصورهم عن بلوغ غايته ، في حسنه وبراعته ، وسلاسته ونصاعته ، وكمال معانيه ، وصفاء ألفاظه . وقبح - لعمري - بالفقيه المؤتمّ به ، والقارئ المهتـدي بهديـه ... أن لا يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ... فينبغي أن يقدّم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم ، بعد توحيد الله تعالى ، ومعرفة عدله ، والتصديق بوعده ووعيده على ما ذكرنا ،إذا كانت المعرفة بصحّة النبوّة تتلو المعرفة بالله - جـلّ اسمه - ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ، ومناقب معروفة[٢]

---

١. الأصول : ص ٣٠٧ ، تمّام حسّـان .
٢. كتاب الصناعتين : ص ٩ ، أبو هلال العسكري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستمر العسكري بسرد مناقب البلاغة وفضائلها ، ذاكرا ما يصيب صاحب العربية إذا قصّر في طلبها فقال : " إنّ صاحب العربية إذا أخلّ بطلبه وفرّط في التماسه ، فاتته فضيلته ، عفّى على جميع محاسنه ، وعمى سائر فضائله ، لأنّه إذا لم يفرّق بين كلام جيد وآخر رديء ، ولفظ حسن وآخر قبيح ، وشعر نادر وآخر بارد بان جهله وظهر نقصه "(١) .

إنّ العسكري يرى أنّ علم البلاغة ، من أهم أدوات الناقد ، وأسلحته ، وأن الناقد إذا لم يتسلّح بعلم البلاغة لن يكون ناقدا ناجحا ، حسب مقاييس النقد في عصره .

وهو يرى كذلك أن البلاغة من أدوات المتفنن والمنشئ ، التي يحتاج إليها في فنّه فيقول : " وهو أيضا إذا أراد أن يصنع قصيدة ، أو ينشئ رسالة ، وقد فاته هذا العلم ، مزج الصفو بالكدر ، وخلط الغرر بالعرر (القذر) واستعمل الوحشي العكر ، فجعل نفسه مهزأة للجاهل ، وعبرة للعاقل "(٢) واستشهد من الشعر على ذلك ، لإثبات رأيه وتأكيد حجته في إثبات أهميّة علم البلاغة للمتفنّن والمنشئ(٣) .

ويقول الجاحظ ، عمرو بن بحر (- ٢٢٥ هـ) " وذهبوا أبعد من ذلك في تفضيل البلاغة ، فقال عمرو بن عبيد عن البلاغة : إنّها ما بلغ بك الجنّة وعدل بك عن النار ، وما بصّرك بمواقع رشدك ، وعواقب غيك "(٤) .

ونتيجة لأهمّية علم البلاغة ، فقد اتخذها العلماء مقدّمة لدراسة كتاب الله - عزّ وجلّ - ، وتفسيره ، وإدراك فصاحته وإعجازه " وصار الشيوخ لا يقدمون

---

١ . كتاب الصناعتين : ص ٩ ، أبو هلال العسكري .
٢ . المصدر السابق : ص ١٠ ، أبو هلال العسكري .
٣ . انظر : كتاب الصناعتين : ص ١٠ وما بعدها ، أبو هلال العسكري .
٤ . البيان والتبيّن : جـ١ ، ص ١١٤ ، الجاحظ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على تدريس كتب التفسير ، إلاّ بعد أن يلمّ طلاّبهم من البلاغة وفنونها ، كما فعل يحيى بن حمزة العلوي ، حينما ألّف كتابه (الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) ليكون عونا لمن شرع في قراءة تفسير الكشاف[١]

إنّ اتصال البلاغة بآي الذكر الحكيم ، ودلائل إعجازه ، جعلها من العلوم ذات الصبغة الدينية والأدبيّة والفكريّة . " كانت البلاغة عند العرب، من أشرف العلوم وأنبلها ، لأنها تكشف عن سر إعجاز القرآن الكريم ، مستخدمة في ذلك الشواهد الشعرية ، والقضايا الفكريّة[٢]

ويمكننا أن نقول : "إنّ القرآن الكريم بألفاظه وجمله وعباراته ، وآياته وسوره ، قد فجّر القرائح العربيّة ، فتعلّق به الفكر البلاغي المتفجّر من تلك القرائح " وأن هذا الفكر البلاغي عند العرب ، مرتبط بكتاب سماوي ،على خلاف أيّة بلاغة من بلاغات الأمم الأخرى ، ولهذا فان الفكر البلاغي عند العرب، يؤدّي هدفين في وقت واحد : هدفا قوميا ، وآخر دينيا .

أمّا الهدف القومي : فيبحث عن جماليات فن القول العربي ، وأمّا الهدف الديني : فيكشف عن إعجاز القرآن الكريم في جماله وتأثيره وغايته[٣]"

ولم يقف أثر القرآن الكريم في البلاغة عند نشأتها ، بل كان أحد الركائز والأركان العاملة على تطورها ،عبر القرون " فقد كان التأمّل في أسلوب القرآن الكريم ، وتفهّم أسرار بيانه ، دافعا لظهور الدراسات القرآنية ، ومدعاة للبحوث البلاغية ،التي ألّفت بغزارة ، منذ نهاية القرن الثاني الهجري ، في كتب تناولت القرآن الكريم ، وما فيه من معان ومجاز ونظم وإعجاز[٤] .

---

١. مناهج بلاغية : ص ٥٤ ، د . أحمد مطلوب .
٢. الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي :ص ١٣ ، د . محمد بركات أبو علي .
٣. سر العربيّة وبيانها : ص ٢٤ ، د . محمد بركات أبو علي .
٤. أثر النحاة في البحث البلاغي : ص ٤٢ ، د . عبد القادر حسين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجذور هذين العلمين واحدة ، وميدانهما واحد ، وعوامل وجودهما تكاد أن تكون واحدة ، فهما علمان يكمّل كلّ منهما الآخر ، بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر ، فالنحو بغير المعاني جفاف قاحل ، والمعاني بغير النحو أحلام طافية "(١)

ومع أننا نظنّ ظنا أن غاية النحو لا تلتقي وغاية البلاغة ظاهريا ، فإنّ غايتهما واحدة ، لأنهما يعملان على خدمة فن القول ، واكتشاف أسراره ، "فللبلاغة ولا سيّما المعاني صلة وثيقة بالنحو - كما لا يخفى - ومثلها في ذلك أصول الفقه والنقد ، وإنْ يكن لكلٍّ وجهة وغاية غير وجهة الآخر وغايته "(٢)

فاذا كان هدف النحو انتحاء سمت كلام العرب ، والقصد إلى طريقتهم في تأليف الجمل والتعبير ، وتقويم اللسان ليستقيم به الكلام ، ويبرأ من مجانبة سنن العربية وأساليبها ، فإنّ هدف البلاغة ، يكمّل هدف النحو ، ليكوّن الهدف حلقة واحدة متصّلة ، وهذا الهدف هو إصابة الغرض في نفس المخاطب ، أو المتلقي بحيث يكون مفهوما وواضحا ودقيقا في نقل ما في نفس المتكلّم أو المنشئ ، من معان وأفكار وخواطر ، ومشاعر وأحاسيس ، ومؤثرا في نفس السامع ، أو المخاطب المتلقّي .

فالنحو يرشدنا إلى بناء الألفاظ في جمل سليمة ، وفق معاييره ومعانيه وقواعده ، والبلاغة تحلّق بنا إلى جماليات هذا البناء اللغوي ، ومعانيه وأسراره . وحديث ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) عن النحو واللغة والبيان والأدب ، في أنّها من علوم اللسان العربي ، وجه واضح ، لعدم الفصل بينها ، اذ إنّ البلاغي يتّفق مع النحوي واللغوي في سلامة التركيب ، والإخبار عمّا في النفس ، ويزيد البلاغي على النحوي ، في تفسير سرّ التركيب ، وإذا انتقل النحوي من تقرير القاعدة إلى تفسيرها فهو بلاغي ، ولا يغيب عن بالنا سيبويه في الكتاب ، إذ يكثر من الشواهد بعد القاعدة ، وابن جنّي ، إذ يشرح القاعدة ، وابن فارس ، إذ يبوح بسرّ القاعدة النحويّة ، وهم بهذا العمل قد ضمّوا النظرة النحويّة إلى التأثير

١ . الأصول : ص ٣٤٤ ، د . تمام حسان .

٢ . سيبويه إمام النحاة : ص ١٨٩ ، د . علي النجدي ناصف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاغـــي في التوصيـــل والإفادة[١]

ولهذا فقد كان القرآن الكريم العامل الرئيسي في وجود علمي النحـــو والبلاغة ، ويتّضح لنا كيف أن القرآن الكريم ،كان دافعا لهذه الدراسات النحويـــة وفي الوقت ذاته ،كان مصدرا أساسيا في وضع النحو[٢] .

وهكذا فقد ارتبط النحو العربي بالقرآن الكريم ، كما ارتبطت به كذلـــك البلاغة ،وقد صوّر هذا الارتباط بفوائد جمّة على اللغة العربية ، وربما لا نعـــدو الحقيقة إذا قلنا : إنّ اللغة العربية قد نالت بنحوها وصرفها وبيانها ومعانيهـــا من اهتمام الدارسين ، عبر القرون ،مالم تَنَلْه أيّة لغة في العالم ، وذلك لكونهـــا لغة القرآن الكريم[٣] .

ونستطيع أن نقول - ونحن مطمئنّون - : إنّ البلاغة والنحو علمان توأمـــان تربط بينهما صلة قويّة صحيحة ،لأن جذور هذين العلمين ،المرتبطة بالقرآن الكريـم وفن القول العربي ، واحدة ، وأصولها واحدة ، وأهدافها واحدة ، ومادّة بحثهما واحـــــــــدة .

ولكن مع مرور الأيام وتسارع الزمن ، وتطوّر العلمين ،واختلاف المنهج بينهما ، أصبح لكلّ منهما ، اصطلاحاته واهتماماته وقضاياه ،مع أنّهما بقيا علميـــن يتمّ أحدهما الآخر ، ولا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر ، وبخاصّة علم البلاغة الذي يتّكئ على النحو ،لأنّ الأصل في البلاغة والفصاحة ، سلامة اللغة بصياغتهـــا واشتقاقها ، وتراكيبها ونظمها ومعانيها ، وهذه جميعها من صميم علم النحو وأغراضه وأهدافه وقضاياه ، ومن ثمّ يأتي دور البلاغة ، متمّما وموضحا ومدققا وكاشفا ومحلّلا وحاكما . لتلتقي البلاغة مع النقد في ذلك كلّه ،لأن البلاغة أساس النقد كذلك .

---

١. انظر : دراسات في النقد الأدبي : ص ٨٦ ، د . محمد بركات أبو علي .
٢. تيسير العربيّة بين القديم والحديث : ص ٢٩ ، د . عبد الكريم خليفة .
٣. المصدر السابق : ص ٧ ، الدكتور عبد الكريم خليفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالبلاغيون لم ينطلقوا في تفكيرهم البلاغي من فراغ ، وإنّما بنوا صرح البلاغة على أساس من سبقهم من اللغويين والنحويين ، ولكنّهم تخطّوا علماء اللغة والنحو من الوقوف عند المعاني الوظيفيّة ، إلى تجاوزها لدراسة المعاني الذوقيّة والجماليّة والكشف عنها من خلال بحثهم في المقام الذي ركّز عليه البلاغيّون ، وكان محور دراستهم في علم المعاني ، وإلاّ كان العلمان علما واحدا لا فارق بينهما ، وكذلك الحال بالنسبة للنقد والبلاغة ، فقد كانا علما واحدا ، خرجا من مشكاة واحدة ، ولذا فليس النقد العربي إلاّ صورة وظيفيّة عملية للبلاغة ، فهو صورة متطوّرة لها ، انفصل عنها مع مرور الأيام .

أمّا أكثر الجوانب علاقة بين البلاغة والنحو فتبدو في علم المعاني عامّة ، وفي أسلوب الاستثناء خاصة . فعدّ العلماء موضوعات الانشاء في علم المعاني من أمر ونهي واستفهام ونداء واستثناء ، من الموضوعات المشتركة بين النحو والبلاغة ، فيقول الدكتور تمّام حسّان : " إنّ علم المعاني - وهو فرع من هذه البلاغة - يعد من النحو ولكنّه ليس نحو الجملة المفردة ، بل نحو النص المتّصل "(١)

ولكنّ البلاغيين أغرقوا بدراسة موضوعات علم المعاني من أمر ونهي واستفهام ونداء ، مبرزين المعاني البلاغيّة التي تخرج إليها في السياق اللغوي ، عدا الاستثناء ، الذي لم يعيروه انتباها ، إلاّ الاستثناء السالب المفرّغ (القصر) .

أمّا أنواع الاستثناء الأخرى ، فلم يتعرضوا لها ، إلاّ باشارات قليلة ، مع أن الاستثناء بأنواعه ، يعدّ موضوعا نحويا وبلاغيا في آن واحد ، لاشتماله على معان بلاغيّة كثيرة ، تبدو من خلال النظر بعمق في التراكيب اللغوية الاستثنائية ، كما في قوله تعالى : " فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ "(٢) .

فاذا نظرنا إلى الآيتين الكريمتين ، نجد أنهما تشتملان على صيغة استثنائية ، فهي أحد أنواع الاستثناء ، إذ يوجد فيها مستثنى منه (الملائكة)

---

١. الأصول : ص ٣٠٨ ، د . تمّام حسّان ،
٢. الحجر / الآيتين ٣٠ ، ٣١ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأداة استثناء (إلاّ) ومستثنى (إبليس) . فهو تركيب لغوي استثنائي (نحوي) تـام بجميع عناصره .

وهـذا التركيب نفسه استثناء بلاغي صناعي (بديعي) كذلك ، وهنـا تكمن هذه الصلة الحميمة بين النحو والبلاغة ، فلو نظرنا بإنعام وتعمّق ، لوجدنا أنّ الله - سبحانه وتعالى - قد أورد ما يدلّ على الاحتراس ، في قوله " كلّهم أجمعون " لأنّ المعنى الاستثنائي ، يكون تامّا في قوله : " فَسَجَدَ المَلَائِكَةُ إلاّ إبْلِيسَ " لاشتماله على عناصر الاستثناء من مستثنى منه ومستثنى ، وأداة استثناء . فلم ذكر الله - سبحانه وتعالى - (كلهم أجمعون) ؟ فهل هذه زائدة ، لا فائدة منهـا ؟ حاشا أن يكون في كتاب الله حرف زائد دون فائدة معنويّة ، إذ إنّ كلّ زيادة في آي الذكر الحكيم يراد بها غير وجه ، فهو زائد من جهة التركيب ، لا أنّه مهمل لا يؤدّي معنى (١) . وهنا يكمن المعنى البلاغي في هذا التركيب اللغوي ، ولو لم يذكره الله - سبحانه وتعالى - لاحتمل أن يكون من الملائكة من لم يسجد لآدم فيتأسّى به إبليس ، ولا يكون متفرّدا بهذه الكبيرة ، لاحتمال أن تكون (أل) التعريف في (الملائكة) للعهد ، لا للجنس ، ممّا يدعو إلى إيراد الاحتراس والإتيان به ، حتّى يدفع احتمال أن يكون من الملائكة ، من لم يسجد كإبليس ، فجاء هذا الاحتراس توكيدا لـ (أل) التعريف أن تكون للجنس الشاملة لجميع جنس الملائكة ، فيرتفع بذلك هذا الإشكال ، فتعظم كبيرة إبليس ، في معصية الله - سبحانه وتعالى - لكونه قد فارق جميع الملأ الأعلى بمعصيته ، وخرق إجماع الملائكة في طاعة الله ، فاستحق أن يُفرد بما جرى عليه من اللعن إلى آخر الأبد (٢) . في قوله تعالى : " قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ " (٣) .

إنّ هذا المعنى البلاغي الطريف الكامن وراء الألفاظ في السياق ، ما كان ليكون لولا اعتماده على معطيات النحو وقواعده ، وبذلك تتعاون البلاغة والنحو تعاونا تكامليّا ، لخدمة النص القرآني خاصة ، وفن القول العربي عامة .

---

١. انظر : البرهان في علوم القرآن : جـ١ ، ص ٣٠٥ ، الزركشي .
٢. بديع القرآن : ص ١٢٢ ، ابن أبي الإصبع .
٣. الحجر / الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك قوله تعالى : "لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِم أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ"(١)

فإنّ الإخبار عن هذه المدّة ،بهذه الصيغة القائمة على أسلوب الاستثناء يمهّد عذرا مبرّرا لسيّدنا نوح - عليه السلام - في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم ، في قوله تعالى على لسان نوح : "وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاّ فاجِراً كَفّاراً"(٢)

إذ لوقيل : فلبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة ، لكان الإخبار عاديا ،ولما كان لهذه العبارة من المبالغة والتهويل ،ما للصيغة الاستثنائية الأصلية الواردة في الآية الكريمة ،لأنّ لفظة (الألف) الواردة في الصيغة الأصلية ، أوّل ما تطرق السمع ، فيشتغل بها عن سماع بقيّة الكلام من الاستثناء ، لأنّ العدد (ألف) أكثر ما عرف العرب ، وإذا رجع الاستماع لم يبق للاستثناء بعد ما تقدّمه ، وقع يزيل ما حصل عند السامع ، من ذكر (الألف) ، فتعظم كبيرة قوم نوح ، في إصرارهم على المعاصي ، واقتراف الذنوب ، مع طول مدّة الدعوة.(٣)

فقد ورد الاستثناء في هذه الآية الكريمة ، لغرض متعلّق بالمخاطب لأنّ تقديم (الألف) وتأخير الخمسين بعد أداة الاستثناء ، خدم الموقف والغرض الذي رمت إليه الآية ، وبذلك فقد تعاون النحو والبلاغة على إبراز هذا الجانب في الآية الكريمة .

ولذا فإن الاستثناء ، قد يستخدم في العربيّة للتهويل والتعظيم ، بذكر المستثنى منه بلفظ دالّ على ذلك ، للتأثير في المخاطب وخدمة المقام ،ثم يأتي بعد ذلك المستثنى ، فلا يلتفت إليه المخاطب ، لأن المستثنى منه الدال على التفخيم والتعظيم ، كان قد أثّر في المخاطب وما زال مفعوله ساريا في نفسه

---

١. العنكبوت / الآية ١٤ .
٢. نوح / الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .
٣. بديع القرآن : ص ١٢٢ ، ابن أبي الإصبع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانطلاقا من نظرية المقام والمقال ومقتضى الحال ، " وأنّ لكلّ كلمة مع صاحبتها مقاما ، ولكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقاما "[1] فقد تعاون النحو والبلاغة على تحقيق هذه النظرية ، من خلال أساليب الاستثناء الواردة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى : " فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ "[2]

فقد علم الله - سبحانه وتعالى - أنّ أهل الشقاوة الذين تناولهم هذا الوعيد صنفان : عصاة المؤمنين ، وكفّار الأمم . وكفّار الأمم مخلّدون في نار جهنّم ، أما عصاة المؤمنين - كما ترى مذاهب أهل السنّة - فغير مخلّدين في النار ، فتطلّب المقام ومقتضى الحال ، توضيحا ، بعد الاستثناء ، حتّى لا يشمل الاستثناء الصنفين فيُظن أنّ الحكم عليهما سواء ، فذُيّل الاستثناء بقوله تعالى : " إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ " وهي جملة خبريّة مؤكّدة بـ (إنّ) وصيغة المبالغة (فعّال) ليشعر بانقطاع الخلود لعصاة المؤمنين ، وربط هذا الانقطاع بإرادته - سبحانه وتعالى - لأنّه فعّال لما يريد .

أمّا الاستثناء الثاني الذي ورد في الآية الكريمة ، بعد الذين سُعدوا بخلودهم في الجنّة ، فقد ذُيّل بقوله تعالى : " عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ " أي إنّ خلودهم في الجنّة دائم غير منقطع . وهذا ما يؤكد أنّ لكل كلمة مع صاحبتها مقاما ، ولكل حدّ ينتهي إليه الكلام مقاما . فكان التذييل في الآية الكريمة ، بعد الاستثناء الثاني مختلفا عن التذييل بعد الاستثناء الأوّل ، لأن المقام ومقتضى الحال يتطلّب ذلك .

ولذلك فان أسلوب الاستثناء يعدّ إحدى الركائز الثابتة التي وثّقت الصلة بين النحو والبلاغة ، ولو تتبّعنا أساليب الاستثناء اللغوية وأنواعه النحويّة جميعها

---

١. مفتاح العلوم : ص ١٦٨ ، السكاكي .

٢. هود / الآيات ١٠٦ - ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لوجدنا أنّ هناك صلة بينهما وبين اللطائف البلاغية الموجودة فيها ،لا بل إنّ كلّ نوع من أنواع الاستثناء ، ما بني إلاّ ليخدم جانبا بلاغيا ، ولا يحتاج منا التعرّف على هذا الجانب إلاّ التعمّق في النظر فيه ، لنستشفّ الغاية البلاغية من نظمه وسياقه اللغوي .

ولعلّ أكثر أنواع الاستثناء توحيدا لعلوم البلاغة والنحو ، هو الاستثناء السالب المفرّغ ، الذي أطلق عليه علماء البلاغة مصطلح القصر بالنفي والاستثناء بـ (إلاّ) ، إذ إنّ قضاياه وأحكامه وقواعده تتداخل تداخلا بيّنا بين النحو والبلاغة ، ولكنّ البلاغيين زادوا اهتمامهم به ، وتعمّقوا في دراسته ، فتفقّوا معانيه ، من خلال بحثهم في العلاقة التي تربط المنشئ بالمتلقي ،أو المتكلّم بالمخاطب .

ولهذا لم يخاطب الله - سبحانه وتعالى - المسلمين الذين استعظموا موت الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - حتّى أنكره بعضهم في معركة أحد ، فهالهم ما سمعوه حينما أشيع أنّ النبي - صلّى الله عليه وسلّم - قد قتل ، وهم يعلمون أنّه بشر مثلهم ، ومن شأن البشر الموت ، إلاّأنّ هول ما سمعوه جعلهم ينكرون موته ، فلم يخاطبهم - سبحانه - إلاّ بقوله : "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ"(١) ولم يقل لهم : محمد رسول ،أو ما الرسول إلاّ محمد ، لأن المقام وموقف الإنكار تطلّب هذا الأسلوب الاستثنائي القصري بقوله - عزّ وجلّ - : "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ" وهو أسلوب يفيد حصر الموصوف في الصفة ، أي إنّه - صلى الله عليه وسلّم - مقصور على الرسالة ، وليس مبرأ من الموت ، لأنّه من طبيعة البشر وهنا تأتي روعة الاستثناء والقصر في التعبير عن المواقف المختلفة ،التي قد تؤثّر في سلوك الانسان وحياته وعقيدته ومفاهيمه ، ليعالجها ، ويعيدها إلى جادّة الصواب ويجنبها الانزلاق في مهاوي الأخطاء والتمادي فيها .

ولو تتبعنا أساليب الاستثناء والقصر في القرآن الكريم ، لوجدنا أنها تختلف وتتنوع وفقا لاختلاف المخاطب وتنوعه ، ووفقا لتنوّع المقام ، فكان لكلّ مقام

---

١. آل عمران / من الآية ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوبه ، ومنها قوله تعالى : "إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُم"(١) ، ردّا به على من قال من الكافرين في قوله تعالى : "إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا"(٢)

لأنّ الكفّار جعلوا الرسل كأنّهم قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم ، فخاطبهم الله - سبحانه وتعالى - بالاسلوب نفسه القائم على الاستثناء السالب المفرّغ ، مغيّرا الضمير من صيغة المخاطبين ، إلى صيغة المتكلّمين ، "لأنّ من حكم من أدعى عليه خصمه الخلاف في أمر ، وهو لا يخالف فيه ، أن يعيد كلام الخصم على وجهه ، ويجيء به على هيئته ، ويحكيه كما هو ، فالرسل - عليهم السّلام - كأنهم قالوا : إنّ ما قلتم أيّها الكافرون ، من أنّنا بشر مثلكم ، كما قلتم ، لسنا ننكر ذلك ، ولا نجهله ، ولكنّ ذلك لا يمنعنا من أن يكون الله عزّ وجلّ - قد منّ علينا ، وأكرمنا بالرسالة"(٣) .

وبهذا فقد لمسنا كيف تتكاتف المعاني البلاغيّة ، والتراكيب النحويّة ، في خدمة الموقف الذي يريد أن يعبّر عنه المتكلّم ، ويوصله للمخاطب ، وخدمة المقام الذي قيل فيه الكلام ، فلو خاطبت زميلا لي بقولي له : ما خالد إلاّ أخوك وخالد أخوه حقيقة ، وهو يعلم ذلك ولا ينكره ، فإنّ كلامي في الموقف العادي يكون سخيفا لا معنى له .

ولكنّ هذا الكلام بهذا الأسلوب الاستثنائي القصري ، يصبح ذا معنى عميق ، إذا خاطبت به شخصا لا يراعي حرمة صلة الرحم ، ولا قداسة الأخوّة ، ويقف من أخيه موقفا سلبيا معاديا ، فيكون فيه تنبيه لهذا الشخص ، وتذكير له بصلة الرحم التي يجب أن تُراعى ولذا فقد يصل المعنى في هذا الأسلوب إلى درجة التأنيب ، وليس التذكير فحسب .

ويعدّ أسلوب الاستثناء من الموضوعات البلاغية النحوية التي عالجها سيبويه في كتابه ، فقال : " فأمّا الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل أن تلحق

---

١. إبراهيم / من الآية ١١ .
٢. إبراهيم / من الآية ١٢ .
٣. التلخيص في علوم البلاغة : ص ١٤٥ ، الخطيب القزويني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(إلاّ) فهو أن تدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه ، وذلك قوله : ما أتاني إلاّ زيد ، وما لقيت إلاّ زيدا ، وما مررت إلاّ بزيد ، تُجري الاسم مجراه ، إذا قلت : ما أتاني زيد ، وما لقيت زيدا ، وما مررت بزيد ، ولكنك أدخلت (إلاّ) لتوجب الأفعال لهذه الأسماء ، ولتنفي ما سواها ، فصارت هذه الأسماء مستثناة[1] فقوله : لتوجب الأفعال لهذه الأسماء ، ولتنفي ما سواها ، هو القصر الذي عينه ، وإن كان لم يسمّه قصرا ، أو استثناء مفرّغا سالما .

وعلى الرغم من أنّ سيبويه لم يذكر مصطلح (القصر) ، إلاّ أن كلامه عن (ما) و (إلاّ) في إفادة القصر ، لا تشوبه شائبة ، لأنه أوضح القصر ايضاحا لا يختلف عن تعريف البلاغيين لهذا المصطلح " وهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص[2] إذ خصّص سيبويه ما قبل (إلاّ) بما بعدها ، ونفى غير ذلك . وهذا هو معنى القصر ، الذي أفاد منه البلاغيون ، فيما بعد ، وبنوا عليه آراءهم ودراساتهم في القصر والحصر .

أمّا نوع الاستثناء الذي سمّاه سيبويه " باب ما لا يكون إلاّ على معنى (لكن) فقد مزج فيه بين معطيات النحو ، ومعاني البلاغة ولطائفها ، فقال : " في قوله تعالى : " لا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللّهِ إلاّ مَنْ رَحِمَ[3] " أي : ولكن من رحم . وقوله - عزّ وجلّ - : " فَلولا كَانَتْ قَريةٌ آمنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا[4] " أي ولكن قوم يونس لمّا آمنوا . . . . . وهذا الضرب في القرآن الكريم كثير . . . ومثل ذلك من الشعر قول النابغة :

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنّ سُيُوفَهُم بِهِنّ فُلُولٌ مِنْ قِراعِ الكَتائِبِ

أي : ولكنّ سيوفهم بهن فلول . وقال النابغة الجعدي :

فتًى كَمُلَتْ أخْلاقُهُ غَيْرَ أنّهُ جَوادٌ فَلا يُبْقِي مِنَ المالِ باقِيا

كأنّه قال : ولكنّه مع ذلك جواد[5] .

---

١ . كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٢٦٠ .
٢ . شروح التلخيص : ص ١٦٦ ، التفتازاني ، المغربي ، السبكي .
٣ . هود / من الآية ٤٣ .
٤ . يونس / من الآية ٩٨ .
٥ . كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بقي هذان البيتان اللذان أوردهما سيبويه ، المثال الذي اتكأ عليه البلاغيون ، عبر القرون والعصور ، عند حديثهم على أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، في الاستثناء والقصر ، وهو توضيح لقول سيبويه : كأنّه قال : ولكنّه مع ذلك جواد . فقد فهم سيبويه معنى البيت ، أنّ النابغة الجعدي يؤكّد للممدوح صفة مدح إلى جانب صفة مدح أخرى لديه ، ولا ينزعها عنه ، مع أنّه للوهلة الأولى ، يخيّل إلى السامع أن أسلوب الاستثناء والقصر هذا ذمّ وليس مدحا .

ولكنّ هذا الاسلوب يزداد بلاغة ، عندما يتمّ المعنى فتتّضح مراميه ومقاصده ودلالاته .

وقد أورد ابن السّيد البَطَلْيَوْسي ، عبد الله بن محمد (- ٥٢١هـ) تعليلا اجتماعيا ونفسيا ، لاستعمال العرب لهذا الأسلوب في كلامهم فقال : " والوجه في استعمال العرب هذا الاستثناء ، أن اللئيم الطبع من الناس ، لمّا كان مضادّ الكريم الطبع ، صار يعتقد في المحاسن أنها قبائح ، وفي القبائح أنها محاسن فيعتقد في السخاء أنه تبذير ، وفي الشجاعة أنها هوج ، وفي الحلم أنه ذلّ ، ويرى الصواب والسداد في اضدادها "(١)

أي إنّ هذا الأسلوب ، يلجأ إليه المتكلّم لهدف اجتماعيّ ونفسيّ يُرضي به نوازع النفس البشريّة ويقنع به تلك الجماعات التي تغيّرت لديها القيم ، عن طريق المفاجأة والتأثير فيهم ، بما يطرق أسماعهم بغتة ، بعد (إلاّ) إذ يوحي المتكلّم بمعنى ، وسرعان ما يأتي بضدّه ليثبته ويزيده يقينا وتأكيدا .

وجملة القول : إنّ أسلوب الاستثناء بأنواعه ، قد تنازعه علما النحو والبلاغة ، لأنّ للنحو فيه نصيبا ، وللبلاغة منه نصيبا كذلك .

ومع أنّه موضوع رَبَطَ النحو بالبلاغة ، ومزج بينهما ، فاننا ننظر باستغراب إلى البلاغيين الذين قصروا بحثهم ، في القصر وأنواعه وطرائقه ، حتى

١ . الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، القسم الثاني ، ص ٢٩ . ابن السّيد المطليوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشبعوه بحثا ، قديما وحديثا ، ولم يتناولوا أنواع الاستثناء الأخرى ، بالبحث والدراسة - إلّا باشارات قليلة - مع أنّها تشتمل على لطائف بلاغية ، لا حصر لها تزيد على ما بيّنوه في أساليب الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني وغيرها .

أثر المعنى في النحو والبلاغة من خلال الاستثناء :

يرى بعض الباحثين المحدثين ، أنّ الدراسات النحوية العربيّة القديمة قد انكبّت على المبنى ، واتّخذته أساسا ومحورا في بناء الدرس النحوي العربي دون أن تلتفت تلك الدراسات إلى المعنى والمضمون ، فيقول الدكتور تمّام حسّان : " فقد اتّسمت الدراسات اللغويّة العربية بسمة الاتّجاه إلى المبنى أساسا "(١)

وأضاف بعض هؤلاء المحدثين أن النحو العربي القديم ، صبّ عصارة جهده واهتمامه بالجانب الإعرابي ، وتعليل حركة أواخر الكلم وكان اهتمام البحث النحوي - على مرّ العصور واختلاف الباحثين - بالجانب الإعرابي ، أكثر من الاهتمام بمكونات المعنى النحوي الأخرى التي تشارك الإعراب في بيان المعنى وإزالة الغموض(٢) إلى ما هنالك من أقوال عدّة حول الدرس النحوي العربي القديم .(٣)

ولكنّنا إذا ما اطّلعنا على مناهج الدرس النحوي عند العرب ، منذ أقدم نصّ نحوي مكتوب وصلنا ، وهو كتاب سيبويه ، الذي يعدّه النحاة قرآن النحو وأبا الكتب النحوية في معظمها ، وسرنا مع الزّمن ، عبر القرون ، حتى كتب ابن هشام ، وبخاصّة كتابه (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) نلمس أن هذه الأحكام والأقوال الصادرة تجاه النحو العربي من بعض المحدثين ، فيها شيء من التجنّي وعدم الدقّة والموضوعيّة ، لأنّها أحكام قائمة على تعميم الجزء على الكل ، والفرع على الأصل ، ولأنّ هناك أمثلة لا حصر لها ، في الدرس النحوي العربي ، تثبت عكس ما ذهبوا إليه .

---

١ . اللغة العربيّة معناها ومبناها : ص ١٢ ، د . تمّام حسّان

٢ . النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم : جـ١ ، ص ٧٠ ، د . محمد صلاح الدين بكر .

٣ . انظر : في النحو العربي ، نقد وتوجيه : ص ٣٤ ، د . مهدي المخزومي . انظر : بناء الجملة في لهجة نابلس المعاصرة ، ص ٣٢٧ ، رسالة ماجستير إعداد : محمد جواد النوري . جامعة عين شمس / ١٩٨٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـذا فإنّ تلك الأحكام العامة افتقرت إلى الدقّة ، لأنها تأثّرت بمعطيات الدرس اللغوي الحديث في أوروبا وأمريكا ، التي نتج عنها نظريات عدّة متلاحقـــه مختلفة ، منذ دي سوسير وبلومفيلد وبيلر وهاريس ، إلى تشومسكي ومن جاء بعدهـــم دون أن يراعوا طبيعة العربيّة وخصوصياتها النحوية والصرفيّة واللغوية ، ونظـــــام تركيب الجملة فيها .

وقـــد ذهب غير باحث منصف إلى أنّ كثيرا ممّا توصّل إليه علماء اللغـــة في الغرب ، في هذا العصر ، قد ورد في طيّات قضايا النحو العربي منذ القدم"..... ذلك أننّا إذا تجاوزنا عن خصوصيات السياق التاريخي والثقافي لكلّ منهما ، وجدنا البحث اللغوي الحديث يضارع البحث اللغوي عند العرب"(١)

إنّ كلّ من يدّعي أن النّحاة العرب ، قد جانبهم الصواب ، في الدرس اللغوي والنحوي ، لأنّهم لم يتّخذوا من المعنى أساسا . قد جانبه الصواب ، لأنـــه ادّعاء لا يقوم على دراسة متعمّقة لهذا التراث النحوي " لأنّ النحو والمعانـــــي يشكّلان علما متكاملا ، نستطيع أن نسمّيه علم التراكيب"(٢) كتركيب الاستثنـــــاء أو أسلوب الاستثناء .

وممّا يؤكّد اعتماد النحويين على المعنى في أسلوب الاستثناء وأنواعـــه ما ورد في صفحات كتبهم من قضايا نحوية ، ذات علاقة بهذا الأسلوب ، ومنها مـــا ذكره سيبويه بقوله : " وتقول : أقل رجل يقول ذاك إلاّ زيد . لأنّه صار في معـــنى : ما أحد فيها إلاّ زيـــد"(٣)

فهو يرى أنّ معنى (أقلّ) : النفي ، فيكون الاستثناء منفيا بالمعنى.

وتناول المبّرد هذه المسألة بقوله : " وتقول : أقلّ رجل رأيته إلاّ زيـــــد إذا أردت النفي بأقلّ كأنك قلت : ما رجل رأيته إلاّ زيد . والتقدير : ما رجـــــل

١. نظرية النحو العربي : ص٢٢ ، د. نهاد الموسى .
٢. دراسات في علم اللغة : القسم الثاني ، ص٣٦ ، د. كمال بشر .
٣. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرئيّ إلاّ زيد . وإن أردت أنّك قد رأيت قوما رؤية قليلة ، نصبت زيدا ، لأنّه مستثنى من موجب[١] .

وقد اختلف النحويون في إعراب : أقل رجل يقول ذاك إلاّ زيد . وكلّ دافع عن رأيه ، معتمدا على المعنى المفهوم من السياق[٢] .

ويعدّ الحذف في أسلوب الاستثناء من القواعد التي بنيت على المعنى فيقول سيبويه : " يحذف المستثنى استخفافا ، وذلك قولك : ليس غير ، وليس إلاّ كأنّه قال : ليس إلاّ ذاك ، وليس غير ذاك ، ولكنّهم حذفوا ذلك تخفيف واكتفاء بعلم المخاطب ما يعني[٣] .

ومن القواعد الاستثنائية التي بنيت على المعنى قول المبّرد : " تقول : ما جاءني إلاّ زيد إلاّ عمرا . وان شئت قلت : إلاّ زيدا إلاّ عمرو . فالمعنى فيهما جميعا واحد ، وإن اختلف الإعراب[٤] .

ولعلّ من أكثر التعليلات والقواعد التي اختلف فيها النحويون لاعتمادهم على المعنى ومعطياته ، نصب المستثنى بعد (إلاّ) في الاستثناء التام الموجب ، إذ اختلفوا في عامل هذا النصب ، لاعتمادهم على معنى السياق ، عند التعليل ، فكان خلافهم فيه ، لاختلافهم في فهم المعنى ، والنظر إليه ، كلّ من زاويته ، فذهب الفراء ومن تبعه من الكوفيين إلى أنّ (إلاّ) مركّبة من (إنّ) و(لا) ثمّ خفّفت (إنّ) وأدغمت في (لا) فنصبوا بها في الإيجاب اعتبارا بـ(إنّ) وأخذ بهذا الرأي المبّرد والزجّاج من البصريين ، في حين يرى بعض الكوفيين أنّ (لا) هي العامل ، لأنّها قامت مقام الفعل أستثني . أمّا البصريون فقد قالوا العامل هو الفعل ، فينتصب المستثنى لأنّه مشبّه بالمفعول[٥] .

---

١. المقتضب : جـ٤ ، ص٤٠٤ ، المبّرد .
٢. انظر : الخصائص : جـ٢ ، ص١٢٤ ، ابن جنّي ، الأشباه والنظائر : جـ٢ ، ص٤٥ السيوطي . شرح الكافية : جـ١ ، ص٧٧ ، ص٢١٢ ، الرضي الاستراباذي .
٣. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣٤٤ ، وانظر : المقتضب : جـ٤ ، ص٤٢٩ ، المبّرد .
٤. المقتضب : جـ٤ ، ص٤٢٤ ، المبّرد .
٥. الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص٢٦٠ ، ابن الأنباري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن قواعد الاستثناء القائمة على المعنى ، قولهم : هل تكون (إلاّ) بمعنى (الواو) ؟ " فقال البصريون : إنّما قلنا : إنّ (إلاّ) لا تكون بمعنى (الواو) لأنّ (إلاّ) للاستثناء ، والاستثناء يقتضي إخراج الثاني من حكم الأوّل ، و(الواو) للجمع ، والجمع يقتضي إدخال الثاني في حكم الأوّل ، فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر "(١)

ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا : إنّ تقسيم النحويين العرب الاستثناء ، إلى أنواعه التي ذكرت من قبل ، كانت قائمة على معطيات المعنى ، من خلال نظم أساليب الاستثناء في جمل مفيدة ، وعلاقات الألفاظ في سياق هذا النظم .

ولذا فإنّ النحو العربي في درسه وأحكامه وقواعده ، لم تكن مهمّته مقصورة على الإعراب ، وتعليل حركات أواخر الكلم في السياق اللغوي ، بل زاده النحاة اتساعا وشمولا ، ليبحث في الجملة من حيث نظمها وتأليفها ، وعلاقة ألفاظها بعضها ببعض ، ووسائل التعبير عن هذه العلاقات ، والمعاني الناتجة عنها ، وعلاقة المعنى بمواقع الألفاظ ووظائفها ، وقد بدا ذلك واضحا من خلال أسلوب الاستثناء وأنواعه وأدواته . ويقول المبرّد في ذلك : " وهذا باب إنّما يصلحه ويفسده معناه ، فكل ما صلح به المعنى فهو جيّد ، وكل ما فسد به المعنى فمردود "(٢)

وجملة القول : إنّ النحويين العرب ، لم يهملوا المعنى ، ولم يهملوا وظائف الألفاظ المعنويّة والنحويّة ، في السياق اللغوي ، " إذ إنّ أداء الكلمات لوظيفتها النحويّة ، يفهم من شيئين ، أحدهما : يختص بالكلمة وصيغتها ، والآخر يختص بوجودها في الجملة ، وهو موقعها "(٣)

ومن الجوانب ذات العلاقة بالمعنى في بناء الدرس النحوي العربي عامة وفي الاستثناء خاصة ، ما يسمّى بالحمل على المعنى ، إذ بُنيت بعض قواعد باب الاستثناء على معطياته .

---

١. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ، جـ١ ، ص ٢٦٩ ، ابن الأنباري .
٢. المقتضب : جـ٤ ، ص ٣١١ ، المبرّد .
٣. أصول النحو العربي : ص ٢٦٨ ، د . محمد عيد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحمـــل على المعـــنى في أسلوب الاستثناء :

ممّا يؤكّد اهتمام النحويين العرب بالمعنى ، واعتمادهم عليه في تحليلاتهم وتخريجاتهم ، وجود ظاهرة الحمل على المعنى ، في الدرس النحوي لديهم ، فهذه الظاهرة تكشف لنا عن العلاقة الحميمة بين النحو والمعنى ، سواء أكان المعنى المعجمي ، أم المعنى الاجتماعي ، أم معنى المقام ، لأن هذه المعاني جميعها تصبّ في مجرى المعنى الوظيفي في السياق اللغوي .

أمّا في أسلوب الاستثناء ، فإنّ للمعنى دورا رئيسيا في بناء قواعد هذا الباب ، وتخريج أساليبه ، وتوضيح قضاياه ، ومن ذلك أنهم رأوا أنّ (إلاّ) هي أداة الاستثناء الرئيسية ، لا بل الوحيدة في هذا الأسلوب ، أمّا الأدوات الأخرى فقد أدرجوها في باب الاستثناء ، حملاً على المعنى الذي تؤدّيه (إلاّ) فيقول سيبويه : " فحرف الاستثناء (إلاّ) ، وما جاء من الاسماء فيه معنى (إلاّ) فغير وسوى . وما جاء من الأفعال فيه معنى (إلاّ) فلا يكون وليس وعدا وخلا ، وما فيه ذلك المعنى من حروف الاضافة ، وليس باسم ، فحاشى وخلا في بعض اللغات "(١)

إنّ سيبويه لم يهتد إلى أدوات الاستثناء الأخرى إلاّ عن طريق الحمل على المعنى والقياس عليه ، فكان المعنى عيارا دقيقا لجأ إليه النحويّون في أسلوب الاستثناء ، لتمييز أدواته ، وتعيين المواضع التي تأتي فيها استثنائية ، والمواضع التي تخرج فيها عن الاستثناء إلى معان أخرى فيقول : " اعلم أنّ (غير) أبدا سوى المضاف اليه ، ولكنه يكون فيه معنى (إلاّ) فيجري مجرى الاسم الذي بعد (إلاّ) وهو الاسم الذي يكون داخلا فيما يخرج منه غيره ، وخارجا ممّا يدخل فيه غيره ، فأمّا دخوله فيما يخرج منه غيره ، فأتاني القوم غير زيد ، ففيهم الذين جاءوا ، ولكن فيه معنى (إلاّ) فصار بمنزلة الاسم الذي بعد (إلاّ) . . . وكلّ موضع جاز فيه الاستثناء (بإلاّ) جاز (بغير) ، وجرى مجرى الاسم الذي بعد (إلاّ) لأنّه اسم بمنزلته وفيه معنى (إلاّ)"(٢)

---

١ . كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٠٩ .
٢ . المصدر السابق : جـ٢ ، ص ٣٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا أدوات الاستثناء الأخرى فقد حملها سيبويه على معنى (إلاّ) اذا كان فيها معنى الاستثناء ، وقد سار النحويون العرب على نهج سيبويه في هذا الموضوع ، فيقول المبرّد : " وأمّا (إلاّ) فهي حرف الاستثناء الأصلي . . . . و(غير) اسم يقع على خلاف الذي يضاف إليه ، ويدخله معنى الاستثناء ، لمضارعته (إلاّ)"(١) وقد أفرد المبرد باباً في هذا المجال ، سمّاه : الجمع بين (إلاّ) و (غير) والحمل على المعنى إن شئت"(٢) إذ بيّن أن (إلاّ) و (غير) تتبادلان المواضع ، لأنّ كلّ موضع جاز أن يُستثنى فيه بـ(إلاّ) جاز الاستثناء فيه بـ (غير) .

كما عدّ ابن جنّي أداة الاستثناء (إلاّ) أمّ أدوات الاستثناء ، وحمل الأدوات الأخرى عليها ، تشبّهاً بها ، فقال " وحرف الاستثناء المستولي عليه (إلاّ) وتشبّه به أسماء وأفعال وحروف"(٣) وذكر هذه الأسماء والأفعال والحروف الاستثنائية ، التي حُملت على (إلاّ) تشبّهاً بها في المعنى .

ولم يستطع ابن هشام - عند حديثه على هذه الأدوات - أن يجعلها للاستثناء إلاّ بحملها على معنى (إلاّ) في استعمالاتها في السياق اللغوي"(٤)

وتبع ابن هشام في هذا التعليل ، بحمل أدوات الاستثناء على (إلاّ) في المعنى ، المرادي ، الحسن بن القاسم"(٥) (- ٧٤٩ هـ) والمالقي ، محمد بن الحسن"(٦) (- ٧٧١ هـ) وغيرهما ممّن تناول معاني الحروف والأدوات في اللغة العربية .

ويعوّل النحويّون العرب على المعنى معوّلا كبيرا في الدرس النحوي عامة ، وفي باب الاستثناء وأساليبه خاصة ، " ويمثّل التفاتهم إلى المعنى عامة والمستوى الدلالي خاصة ملحظا ثابتا يعزون إليه ، ويصدرون عنه في التفسير النحوي وخاصّة إذا تخلّف التفسير على المستوى النحوي الخالص ، واستيعاب أمثلة ذلك

---

١. المقتضب : جـ٤ ، ص٤٢٢ ، المبرّد . ٢. المصدر السابق : جـ٤ ، ص٤٢٦ .
٣. اللمع في العربية : ص١٤٩ ، ابن جنّي .
٤. انظر : مغني اللبيب : جـ١ ، ص٧١ ، ص١٢٢ ، ص١٣٣ ، ص١٣٩ ، ص١٤٢ ، ص١٥٨ ، ابن هشام .
٥. الجنى الداني في حروف المعاني : ص٤٦ ، وما بعدها ، المرادي .
٦. رصف المباني في شرح حروف المعاني : ص٦٣ ، وما بعدها ، المالقي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- في كتبهم - متعذّر كثرة واستفاضة . فهم يقيمون حدودهم على هذا الملحظ ، إذْ يعرّفون الاستثناء بأنه (إخراج بعض من كل) ويعرّفون الاستثناء المنقطع بأنه ما كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، بل يردّون تركيب الاستثناء إلى جملة اثباتيه عادية وفقا لتأويل دلالي ، إذ يذهب ابن السّراج منهم إلى أنّ (الاسم) المستثنى مع ما تستثنيه منه بمنزلة اسم مضاف) (اذا قلت : جاءني قومك إلاّ قليلا منهم ، فهم بمنزلة قولك : جاءني أكثر قومك) . ويجعلون المعنى حكما فيما يجوز وما لا يجوز ، فمن ذلك أن ابن السّراج يذهب إلى أنه (لا يجوز ان تستثني النكرة من النكرات في الموجب ، لا تقول : جاءني قوم إلاّ رجلا ، لأنّ هذا لا فائدة في استثنائه) وواضح أنه يعوّل على الإفادة من جهة المعنى وفقا لما يجده أبناء اللغة في سلائقهم (١) .

ولذا فان الاهتمام بالمعنى والحمل عليه في الدرس النحوي العربي لدى النحويين العرب ، كان من الأسس التي بنوا عليها قواعد النحو ، وممّا ذكروه في هذا المجال في باب الاستثناء وأساليبه وأنواعه ما ذكره سيبويه بقوله : " ولا يجوز أن يكون (غير) بمنزلة الاسم الذي يبتدأ بعد (إلاّ) وذلك أنهم لم يجعلوا فيه معنى (إلاّ) مبتدأ ، وإنّما أدخلوا فيه معنى الاستثناء في كلّ موضع يكون فيه بمنزلة مثل ويجزئ من الاستثناء (٢) .

إنّ سيبويه في هذه الحالة يرى أنّ (غير) ليست استثنائية ، لأنّ معنى الاستثناء غير حاصل فيها كقولنا : أتاني غير زيد . فغير هنا ليست استثنائية لعدم تضمّنها معنى (إلاّ) فلا تأخذ إعراب ما بعد (إلاّ) .

وعدّ ابن السّراج الحمل على المعنى عيار صحة الصياغة اللغوية ، فقال : " لا يجوز أن يعمل ما بعد (إلاّ) فيما قبلها ، فلا يجوز ما أنا زيدا إلاّ ضارب تريد ما أنا إلاّ ضارب زيدا . . . . ولا يجوز أن تستثني النكرة من النكرات في الموجب لا تقول : جاءني قوم إلاّ رجلا ، لانّ هذا لا فائدة في استثنائه " (٣) .

١ . نظرية النحو العربي : ص ٧٣ ، د . نهاد الموسى .
٢ . كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٤٣ .
٣ . الأصول في النحو . جـ١ ، ص ٢٨٤ ، ابن السّراج .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحملوا (إلاّ) على معنى (غير) كما في قوله تعالى : "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا" (١) المعنى - والله أعلم - : لو كان فيهما آلهة غير الله "(٢)

وقد أورد المبرّد ثلاثة شواهد شعرية ،بيّن فيها حمل (إلاّ) على معنى (غير) (٣)

وقد أورد النحويّون غير شاهد ،بيّنوا فيها هذا النوع ،من الحمل على المعنى في أساليب الاستثناء ،ولذا فإنّهم اتخذوا من نظرية الحمل على المعنى منفذا للتأويل والتخريج في القواعد التي اختلفوا فيها " لأن الحمل على المعنى وسيلة دلاليّة بارعة ، ربطت بين بناء الجملة وبنيتها ، أو بين سطحها وعمقها ،في منهج النحاة العرب ، وكشفت عن دور المعنى ، أو الدلالة في التقصير النحوي ،أيا كان اتساع هذا المعنى الذي يحمل عليه الكلام أو ضيقه ، وبذلك يعدّ الحمل على المعنى وسيلة أكثر شمولا من كلّ ما لجأ إليه النحاة في منهجهم "(٤)

ولهذا فقد كانت قواعد الاستثناء وقضاياه وأنواعه التي أوجدها النحويون ، قائمة على المعنى والحمل على المعنى ، وإنّ نظرة واحدة إلى أنواع الاستثناء وحدودها واصطلاحاتها لدى النحويين ، تجعلنا نتأكّد من أنهم قد عوّلوا على المعنى والحمل عليه تعويلا تاما في بناء تلك القواعد والقضايا والأنواع ، وقد ضرب الدكتور نهاد الموسى أمثلة عدّة على ذلك .(٥)

وإضافة إلى ما ذكر من أمثلة لتوضيح أثر المعنى في الدرس النحوي في الاستثناء لدى النحويين ، واتخاذهم قاعدة الحمل على المعنى ملجأ للتقعيد النحوي وتبريره ، سنعرض مثالا دقيقا واضحا ، يثبت ميل النحويين العرب إلى نظرية الحمل على المعنى ، في الاستثناء المنقطع ، فيقول ابن السّراج :" (إلاّ) في تأويل (لكن) اذا كان الاستثناء منقطعا عند البصريين . ومعنى (سوى) عند الكوفيين ، والاختيار فيه النصب في كلّ وجه ، وربّما ارتفع ما قبل (إلاّ) وهي لغة بني تميم ، وإنّما ضارعت (إلاّ) (لكن) للاستدراك بعد النفي "(٦)

---

١. الأنبياء / الآية ٢٢ .
٢. المقتضب: جـ٤ ،ص ٤٠٨ ،المبرد .
٣. المصدر السابق : جـ٤ ،ص ٤٠٩ ،المبرّد .
٤. ظاهرة الحمل على المعنى في الدراسات النحوية : ص ٥٩ ،رسالة ماجستير إعداد محمد اشرف ، كلية دار العلوم / القاهرة ١٩٨٩م .
٥. انظر: نظرية النحو العربي : ص ٤٢٧ وما بعدها ،د. نهاد الموسى .
٦. الأصول في النحو : جـ١ ،ص ٢٩٠ ،ابن السراج .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد اعتمد ابن السّراج في رأيه هذا على ما أورده سيبويه والمبرّد ، ولكنه توسع فيه موضحا آراء البصريين والكوفيين فيه ، فذكر سيبويه هذا الكلام من قبل بقوله : " هذا باب يختار فيه النصب ، لأن الأخير ليس من نوع الأوّل ، وهو لغة أهل الحجاز وذلك قولك : ما فيها أحد إلاّ حمارا . جاءوا به على معنى ولكنّ حمارا وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول ، فيصير كأنّه من نوعه ، فحمل على معنى لكنّ "(١) وقد وضع بابا آخر في كتابه سمّاه " باب ما لا يكون إلاّ على معنى ولكن "(٢) ومن ذلك قوله تعالى : " لا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ إلاّ مَنْ رَحِمَ "(٣) أي : ولكن من رحم . وقوله عزّوجلّ - : "فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا "(٤) . أي : ولكنّ قومَ يونس لمّا آمنوا . وقوله - عزّ وجلّ - : " وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلاّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى "(٥)

فقد ذكر العكبري وابن يعيش وأبو حيان وابن هشام ، أن الاستثناء في الآية الكريمة منقطع ، حُملت فيه (إلاّ) على معنى (لكن)(٦)

وأفرد المبرّد بابا في الاستثناء المنقطع ، حمل فيه (إلاّ) على معنى (لكن) وأسهب فيه بشواهد قرآنية وشعريّة كثيرة .(٧)

ولكنّ هذا المعنى الذي عوّل عليه النحويون في بناء أسس درسهم النحوي وأركانه ، لم يكن إلاّ المعنى الظاهر ، أو ما نسمّيه المعنى الأوّلي الدلالي ، ولم يغوصوا إلى المعاني الثانية ، ومعنى المعنى ، ممّا فسح المجال للبلاغيين أن يستكملوا ما تركه النحويون في هذا الجانب ، فنتج عنه علم المعاني الذي يعدّ رديفا ومكمّلا لعلم النحو ، ومنه الاستثناء والحصر ، إلاّ أن البلاغيين أنفسهم حصروا

---

١. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣١٩ .
٢. المصدر السابق : جـ٢ ، ص ٣٢٥ .
٣. هود / الآية ٤٣ .
٤. يونس / من الآية ٩٨ .
٥. الليل / الآيتان ١٩ ، ٢٠ .
٦. إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ٢٨٨ ، العكبري . شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٨٠ ابن يعيش . البحر المحيط : جـ٨ ، ص ٤١٤ ، أبو حيّان .
٧. المقتضب : جـ٤ ، ص ٤١٢ ، المبرّد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهتمامهم في مجال القصر ، الذي يعدّ نوعا من أنواع الاستثناء تجوّزا ، وأغمضوا أعينهم عن أنواع الاستثناء الأخرى ،التي لا تقلّ أهميّة عن الحصر في مجال البلاغة لما اشتملت عليه من لطائف بلاغية ، وعناصر فنيّه جمالية .

ولذا فقد أنعم البلاغيون النظر في السياق اللغوي ،ولم يكتفوا بالنظرة العجلى إلى ظاهر المعنى ،كما فعل النحويّون " لأن ما يراه البلاغيون أنّ اللفظ لا يتّصف بالبلاغة باعتبار إفادته المعنى الأوّل ، لأنّ هذا المعنى - كما يرون - مطروح في الطريق ، يتناوله الأعرابي والنبطي ... فلا ينظر إليه البليغ ، وإنّما باعتبار إفادته المعنى الثاني الذي يتحقّق به الغرض المصوغ له الكلام ، فهذا المعنى الثاني هو معنى الخصوصية التي تناسب المقام ، ويتعلق بها الغرض لاقتضاء المقام إيّاها "(١)

ومن الجدير بالذكر أنّ الاستثناء أحد الأساليب العربية التي صاغها الأدباء والشعراء ، وحملت كثيرا من المعاني الثانية الكامنة خلف المعاني الأولى ،والمنبثقة من خلالها ،هذه المعاني الثانية ،هي التي عوّل عليها النقاد للتمييز بين شاعر وشاعر ، وبين أديب وآخر ، لأنّها ذات صلة ملازمة لنفسيّة الأديب ، وتكشف عن أهدافه وأغراضه ومراميه ومقاصده ولذلك قالوا : لا نعرف حدّ المعاني حتى نعرف تراكيب البلغاء ، ولا نعرف تراكيب البلغاء حتى نعرف البلاغة "(٢)

ولهذا ، فاذا قال أحد الأدباء : الصهاينة مجرمون ، فإنّ قوله هذا إخبار عادي ، أمّا إذا قال : ما الصهاينة إلاّ مجرمون . أو ما المجرمون إلاّ الصهاينة . أو هل من مجرمين إلاّ الصهاينة ؟ فإنّ هذه الأساليب الاستثنائية تحمل من المعاني الثانية الشيء الكثير ، ومنها ابراز الوصف أو تأكيده وإثباته أو تخصيص الموصوف بهذه الصفة والزامه بها دون غيرها من الصفات .

---

١. مشكلة المعنى بين النحو والبلاغة : ص ٤ ، ر.ج . إعداد محمد فؤاد . إشراف د . كمال بشر ،كلية دار العلوم / القاهرة / ١٩٨٦ م

٢. مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة : ص ٦٨ ، د . محمد بركات أبو علي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصبح هذا الاسلوب الاستثنائي ذا معنى آخر إذا خوطب به يهودي لا يتّخذ الصهيونية مذهبا وانتماء . وهذا ملحظ دقيق وعميق ناتج عن الصياغة اللغوية لأساليب الاستثناء ، والمقام الذي قيلت فيه ، وحال المخاطب .

وقد فطن المفسّرون والفقهاء إلى هذه المعاني الثانية الكامنة في أساليب الاستثناء الواردة في آي الذكر الحكيم ، ولعلّنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا: إنّ من أسباب اختلاف المفسّرين والفقهاء في التفسير والأحكام ، طبيعة نظرتهم إلى النص ، فمنهم من اكتفى بالنظر إلى ظاهر النص ، ومنهم من غاص يبحث عن الأصداف الكامنة في المعاني الثانية ، ليغجّرها ويستخرج لآلئها ، ومنهم من اشتطّ في ذلك ، وخرج عن المألوف ، وتأوّل تأويلات بعيدة ، كما فعل الصوفيون.

" وبذلك فان المفسّرين قد فطنوا منذ زمن إلى الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه فكان فهمهم لهذا الفرق ، تفريقا منهم بين المعنى المقالي والمعنى المقامي "(١)

وأشار الرافعي ، مصطفى صادق بن عبد الرزاق (- ١٩٣٧ م) إلى ما تحمله الألفاظ من معان في السياق اللغوي القرآني ، فقال :" وليست الكلمة في القرآن كما تكون في غيره ، بل السمو فيها على الكلام ، أنها تحمل معنى ، وتومئ إلى معنى ، وتستتبع معنى ، وهذا ما ليس في الطاقة البشرية ، وهو الدليل على أنّه كتاب أحكمت آياته ، ثمّ فُصّلت "(٢) ففي قوله تعالى :" وما الحياة الدنيا الاّ متاع الغرور "(٣)

هذا أسلوب استثنائي قصري ، يفهم من ظاهره أنّ هذه الحياة الدنيا مقصورة على أنّها متاع الغرور فحسب ، إذ وقف البلاغيّون في هذا على قولهم : إنّه أسلوب ، فيه قصر موصوف على صفة ، أي قصر الحياة الدنيا على متاع الغرور ، ولكنّ هذا الاسلوب الاستثنائي ، فيه معان ثانية عدّة ، إذ إنّ هذه الدنيا لو كانت تافهة ، لاتساوي شيئا كما فهم من ظاهر النص ، لما جعلها الله - عزّ وجلّ -

١. مفهوم المعنى بين الادب والبلاغة : ص ٦٨ ، د . محمد بركات أبو علي .
٢. وحي القلم : جـ١ ، ص ٢٧٢ ، الرافعي .
٣. الحديد / من الآية ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امتحانا ، من فاز فيه أمن ودخل الجنّة ، ومن فشل فيه لاقى ثبورا ، فكيف يكون هذا الامتحان الفاصل نافها لا معنى لوجوده ولا فائدة ترجى منه ، وهو يقرّر مصير الفرد في آخرته ، إنْ خيرا فخير ، وإنْ شرا فشرّ ؟ ولو طبّق المسلمون هذا المعنى الظاهر على حياتهم ، لجلسوا زاهدين زهد الضعفاء القاعدين عن العمل والكسب والجدّ والاجتهاد فلا يقدّمون للانسانيّة والبشريّة نفعا في هذه الحياة ، لأنهم يقبعون في ثيابهم الرثّة قانعين بالكفاف من شظف العيش ، لأنّ الدنيا عندهم متاع الغرور ، ورحم الله عمر بن الخطّاب عندما دخل على رجال في المسجد مظهرين الزهد ، وترك الحياة الدنيا ، والجدّ والعمل فيها ، فضربهم - رضي الله عنه - بالدّرة ، حاثّهم على العمل والجدّ والمثابرة والانتاج ، للمساهمة في خدمة أنفسهم وخدمة مجتمعهم لأنّ الزهد والخشوع لا يزيد عمّا في القلب .

ولذا فإنّ من المعاني الثانية في هذا الأسلوب الاستثنائي ، أن هذه الحياة الدنيا متاع الغرور ، إذا تمسّك بها الفرد ، غارقا فيها ، مغرقا نفسه في لذائذها ، حتّى تلهيه عن كلّ ما له علاقة بالآخرة ، فتبعده عن الله - تبارك وتعالى - وعن أوامره ونواهيه وطاعته ، وتلهيه عن القيام بالواجبات الدينية المفروضة ، عند ذلك تكون متاع الغرور . أمّا إذا عمل فيها بالكسب الحلال بجدّ وعمل دؤوب ، طالبا رضا الله - سبحانه وتعالى - نافعا نفسه ومجتمعه ، وعاملا لدنياه كأنّما يعيش أبدا ولآخرته كأنّما يموت غدا ، فستكون الحياة الدنيا خير متاع ، وأنجح امتحان ، يؤدّي إلى الفوز ، ولذلك تكون الحياة الدنيا رائعة عظيمة ، لأنّها أوصلت إلى أمر عظيم ، وهل أعظم من وصول الانسان إلى جنّات الله ونعيمه الدائم ؟

ولذلك فان هذه الحياة الدنيا لم تخلق للعبث والمهاترة ، لأنّ وراء خلقها معاني كثيرة ، وأهدافا عدّة ، وغايات تترى ، وتلك المعاني تحتاج إلى فكر ونظر وتأمّل ، في سرّ هذا الوجود وما يقتضيه .(١)

وبهذا فان المعنى يشكّل الأساس الذي بني عليه الدرس النحوي العربي منذ نشأته ، وهذا المعنى نفسه ، هو الذي انبثقت من خلاله النظريات البلاغية بأسسها وقواعدها ونكاتها وفنونها ، ويمكن لنا أن نطلق على البلاغة اسم علم المعنى والجمال .

---

١ . المعاني الثانية في الأسلوب القرآني : ص ٣٠٧ ، د . فتحي عامر .

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" الفصـــــــل الثانـــــــــي "

خروج الاستثناء على مقتضى الظاهر وخلافه في القرآن الكريم ، وارتباط ذلك بالمقام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترتبط مرامي الكلام ومقاصده بالمقام ارتباطاً ملازما ، وتتعدّد مقاماته بتعدّد المواقف والأحوال التي يستخدم فيها .

فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذمّ ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الكلام ابتداء يغاير الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار أو التعجّب ، وكذلك مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ، ومقام الكلام مع المتعلّم والمثقّف يغاير مقام الكلام مع غير المتعلّم ، وضحل الثقافة .

وهناك مقامات عديدة مختلفة ، تفرض على المنشئ أن يراعيها في أثناء عملية التوصيل والاتّصال اللغوي ، لأنّه لا يخاطب نفسه وإنّما يخاطب متلقّيا ، يعدّ عنصرا أساسيا في عملية التوصيل اللغوي .

ولذلك فلكل مقام مقتضى حال خاص به ، يختلف عن غيره من المقامات ، يجب على المتكلم مراعاتها ، ليكون كلامه بليغا .

وفي نظم الكلام ، يراعي المتكلّم فيه أن يكون لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام ولكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام ، وهذا ما يجعل الكلام وفن القول ذا معنى ، بما يحمل من معان مختزنة في نفس المنشئ ، فيخرجها بألفاظ مشحونة بتلك المعاني بجمل وعبارات وفقرات مرتّبة ، وفق معاني النحو ، وأساليب العربيّة ، وسننها ، ووفق مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وبذلك يقاس حسن الكلام وروعته باعتبارات المقام ومقتضى الحال ، والمعاني المعبّرة فيهما .

وقد راعى الأسلوب القرآني جانب المقام ومقتضى الحال مراعاة دقيقة ، إلاّ أنّه كان يخرج كثيرا في أسلوبه على مقتضى الظاهر ، مراعاة للمقام ، وحال المخاطب " فهذه هي طريقة القرآن في الخطاب ، إنّها تعتمد على تنويع الأساليب ، وتلوين الوسائل للسيطرة على النفوس المتباينة في طبائعها المختلفة ، في تكوينها النفسي والثقافي . . . . وإنّ القرآن حريص بالدرجة الأولى على اختيار الأسلوب الصالح لجميع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الناس على اختلاف بيئاتهم وثقافاتهم وأزمانهم ، وحريص كذلك على مجيء أسلوبه على قدر الطاقة الادراكيّة لدى كل طائفة من الناس ، دون أن يتسبب على ذلك أي خلل في الإفهام ، ولا أي تضارب بين المفاهيم "(١) .

ولعلّ هذا ما جعل الاستثناء في القرآن الكريم ، يندرج تحت عدّة أنواع ولكلّ نوع أسلوبه الذي يخدم المقام الذي قيل فيه ، فقد يستخدم الاستثناء التام في مقام ، ثمّ يستخدم الاستثناء الناقص أو المفرّغ في مقام آخر لا يسد غيره مسدّه ، وقد يستخدم في مقام استثناء متصل ، وفي مقام آخر استثناء منفصل ، فتتعدّد الأساليب بتعدّد المقامات والمواقف والظروف والأحوال ، لأنّ لكل أسلوب معنى خاصا ، يختلف عن معنى الأسلوب الآخر ، فلا يقوم مقامه ولا يفي بمطلوبه .

ولم تتعدّد هذه الأساليب الاستثنائية ، في آي الذكر الحكيم ، إلاّ لمراعاة حال المخاطب ، ومن هنا ، فقد كان الاستثناء المفرّغ أكثر أنواع الاستثناء استخداما في القرآن الكريم ، لأنّ القضايا التي يقرّرها رب العزّة في كتابه العزيز ، تقوم على الإثبات والقطع والتخصيص والتوكيد ، لا على الإرسال المجرّد والحمل المطلق وبخاصة في قضايا التوحيد والإيمان والعبادات والأحكام ، ولا يعجزنا إثبات ذلك لكثرة الآيات الكريمة الموجودة في كتاب الله تعالى ، ومنها قوله تعالى : " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ "(٢) وقوله تعالى : " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ "(٣) وقوله تعالى : " وما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحِداً لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ "(٤) وقوله تعالى : " يَا أَيُّها الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ "(٥) وقوله تعالى : " وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آبَاؤكُم مِنَ النِّسَاءِ إِلاّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً "(٦) وقوله تعالى : " وَما كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ إِلاّ أَنْ يَصَّدَّقُوا "(٧) وقوله

---

١. أساليب الإقناع في القرآن الكريم : ص ٢٢ ، ابن عيسى عبد القادر . (رسالة) إشراف الدكتور محمد بركات أبو علي ، الجامعة الاردنية / ١٩٩٠م .
٢. محمد / من الآية ١٩ .
٣. آل عمران / من الآية ١٨ .
٤. التوبة / من الآية ٣١ .
٥. آل عمران / من الآية ١٠٢ .
٦. النساء / من الآية ٢٢ .
٧. النساء / من الآية ٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى : " إنِ الحُكْمُ إلاّ لِلّهِ "(١) وهناك آياتٌ كريمة كثيرة تثبت ذلك .

وعلى الرغم من أنّ الله - سبحانه وتعالى - قد أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وفق أساليب العرب وسننهم اللغوية ، إلاّ أن الأسلوب القرآني ، يختلف عن أساليب البشر التي تراعي حال المنشئ والمخاطب ، أمّا في النص القرآني فالأمر على خلاف ذلك " لأنّ البلاغة العربيّة تراعي حال المخاطب والمتكلّم ، ويجري هذا في الأساليب البشريّة ، بين الناس في نشاطاتهم اللغويّة ، أمّا في أسلوب القرآن الكريم ، فالحال يختلف ، إذ المراعاة تكون في بناء حياة الفرد والجماعة في غير تحويل من المتكلّم - وهو الله تعالى - على فائدة خاصة له ، أو نفع مادّي ، أو كسب معنوي ، لأن الله - عزّ وجلّ - في غنى عن رضا البشر والناس أجمعين "(٢)

فالبشر تتغيّر أساليبهم ، بتغيّر حالاتهم النفسية والاجتماعية والثقافية ولاختلاف أمزجتهم وأفكارهم ، واختلاف نظرتهم إلى واقع الأمور ، أمّا ربّ العزّة فثابت لا يتغيّر ، ولا يتبدّل .

ولهذا فللقرآن خصيصة مميّزة عن فن القول العربي ، في هذا المجال البلاغي ، لأنّه ليس كلام بشر ، وإنّما هو كلام الله - سبحانه وتعالى - فيتغيّر مفهوم الصدق في كلام الناس ، وإنّما مفهوم الصدق ثابت لا يتغير في كلام الله - عزّ وجلّ - في كل زمان ومكان . " وإذا نظرنا إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، في القرآن الكريم ، فانه لا يتبادر إلى الذهن غير نظرة واحدة ، وهي أنّ كلام الله صدق ، والمتكلّم هو الله - تعالى - لا يرقى إليه الشكّ في أي شيء ومن هنا كان الإخبار من الله - تعالى - لعباده ، هو فائدة ، لأن الله - تعالى - يعلم ما في النفوس ، ويعلم ما يدور في الصدور . . . . وأنّ الله يعلم كلّ الاخبار قبل اعلامها ، ولكنّه لا يهمّه رضا الناس أو سخطهم ، بخلاف المتكلّم من البشر الذي يطلب ودّ الناس أو غضبهم في حديثه "(٣)

---

١ . الأنعام / من الآية ٥٧ .
٢ . دراسات في البلاغة : ص ١٣ ، د . محمد بركات أبو علي .
٣ . لغات ومواقف : ص ٦٨ ، د . محمد بركات أبو علي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يعترض معترض على هذا الرأي في الأسلوب القرآني ، ويسأل ، فما بال الناسخ والمنسوخ في آيات القرآن الكريم ؟ أليس فيها تغيير لحكم وُجد ثمّ نسخ ؟ إنّ قضية الناسخ والمنسوخ في آيات القرآن الكريم ، ذات علاقة بالبشر - وهم المخاطبون - لتسيير حياتهم وتيسيرها ، وفق قاعدة المصالح المرسلة ، فهي تراعي حال المخاطب ولم تغيّر حال المنشئ - سبحانه وتعالى - .

ولهذا فإن تغيّر الأساليب في القرآن الكريم وتعدّدها ، لم تأت عبثا ، وإنّما وراء كل أسلوب منها سرّ من أسرار نظمه المعجز ، فقد يأتي الاستثناء تاما في موقف ، ثم يأتي ناقصا في موقف ثان ، ثم يأتي مفرّغا في موقف آخر ، كلّ ذلك مراعاة للمقام ، ومقتضى حال المخاطب .

إذ إنّ هناك كثيرا من الآيات القرآنية الكريمة التي لا نستطيع فهمها ، أو التعرّف إلى الحكمة منها ، إلاّ إذا رجعنا إلى جانب المقام ، وسبب النزول ، فانه قد يرشدنا إلى غرضنا في الآية الكريمة ، سواء أكان حكما أم معنى أم إعرابا ، لأنّ سبب النزول والظروف المحيطة به ، هو المقام ومقتضى الحال .

ولعلّ وضع القواعد النحويّة في ضوء فن القول العربي ، في عصور الاستشهاد ، دون الاعتماد الكلّي في وضع تلك القواعد على النص القرآني ، أو القياس على أساليبه ، كان السبب المباشر في خلافات النحويين وتأويلاتهم وتخريجاتهم ، عندما اصطدمت قواعدهم بالنص القرآني ، فلم يخضعوا قواعدهم لهذا النص ، وفق معانيه وتراكيبه ، وإنّما عملوا على إخضاع تلك الأساليب والتراكيب والآيات القرآنية لقواعدهم ، وتناسوا أنّ لكل عبارة معنى خاصا ، يختلف عن الآخر ، وأنّ اللفظ يختلف معناه الدلالي والنحوي باختلاف موقعه من الجملة ، إذ إنّ لكل تركيب معنى خاصا ، لا يسدّ مكانه تركيب آخر .

وقد وجدنا في اسلوب الاستثناء وأنواعه في القرآن الكريم ، خير دليل على ذلك ، ممّا تسبّب في إيجاد الخلاف بين النحويين والمفسّرين الذين كان يهمّهم المعنى وإيضاحه ، وابراز خفاياه ، لا القاعدة النحويّة وحدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خـــــروج حـدّ الاستثناء عند النحويين على مقتضى الظاهر :

تمسّك النحويون بحدّ الاستثناء ،الذي وضعوه ،وهو إخراج بعض من كلّ أو الإخراج (بإلاّ) أو إحدى أخواتها لشيء ،لولا ذلك الإخراج ،لكان داخـــلا فيما قبل الأداة ،أو أن تخرج شيئا ممّا أدخلت فيه غيره ، أو تدخله فيما أخرجت منه غيره ،أي أنّ معنى الاستثناء ،هو الإخراج (١) .

وقد كان لتمسكهم بهذا الحد ، في معالجاتهم النحويّة في باب الاستثناء وتطبيق هذا على آيات الذكر الحكيم خروج على مقتضى الظاهر ، ممّا جعلهم يخالفون آراء المفسّرين والفقهاء ، وأشهر القراءات ، أو يلجأون إلى التأويلات والتقديـرات والتخريجات ،كي لا يخرجوا على المعنى الذي يتطلّبه المقام ومقتضى الحال .

وكي لا يُخالفوا الأحكام الشرعية والفقهية وبخاصة في الآيات التي تشتمـل على الاستثناء ، عملوا على إخضاع المعنى ليتّسق وقواعدهم النحويّة ، فكانت تلـك الآيات الكريمة مجالا للخلاف بين النحويين أنفسهم ، وبينهم وبين المفسرين والفقهاء.

لأننا باخضاع تلك الآيات الكريمة لقواعدهم النحويّة ، نخرج على الملّـــة أو نوضع في مجال الشكّ الذي يبعدنا عن اليقين ، ويدخلنا في دائرة المحرّمـات وبخاصّة في آيات الاستثناء بأنواعه ،من تام ومفرّغ ومنقطع ومتّصل .

ولو أن النحويين تجاوزوا المعنى الظاهر ، لآيات الاستثناء ، في درسهم النحوي ، إلى المعاني الأخرى التي تنبّه لها المفسّرون والبلاغيون والفقهاء ، لمـــا وقعوا في تلك المشكلات المتشعّبة التي أقحموا أنفسهم في خضمّها ، فغدت قواعـــد الاستثناء عندهم من أكثر قواعد أبواب النحو العربي تشعّبا وتعدّدا وتموضا ، مبثوثة في مصنّفاتهم ، إلى أن بلغت تلك القواعد في باب الاستثناء ، ما يزيد على أربعمائـة وسبعين قاعدة رئيسيّة وفرعيـــة (٢)

---

١. انظر : أسرار العربيّة: ص١٩٤ ،ابن الأنباري . اللمع في العربية :ص١٤٩ ابن جنّي ، وشرح الأشموني : جـ١ ، ص٢٢٧ .

٢. النحو العربي بين النظريّة والاستعمال ،مثل من باب الاستثناء ،ص٩١ ،د . نهاد الموسى . مجلة دراسات الجامعة الاردنية : المجلد السادس،العدد الثاني ، كانون الأول / ١٩٧٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ هذه الخلافات ، وهذا التفرّع والتّعدّد في قواعد الاستثناء ، عائد إلى أنّ النحويين لم ينظروا إلى الاستثناء ، بأنواعه المتعدّدة على أنّها أساليب تتفاوت استعمالاتها كمّا وكيفا ، وفقا لمطالب المقام ، ومقتضى الحال .

ولهذا فقد تشعّبت قواعدهم في باب الاستثناء هذا التشعّب ، وتفرعت هذا التفرع .

فإنّهم لو نظروا إلى استعمالات (إلاّ) في السياق اللغوي ، على أنّها قد تخرج عن معنى (الإخراج) الذي وضعوه لها أساسا ، وأنّها لا تبقى ملتزمة به في الأساليب التي تستخدم بها ، وأنّها تكتسب معاني أخرى في تلك الأساليب الاستثنائية ، لما اشتطّوا في الخلاف ، ولمّا تأوّلوا تلك التأويلات ، التي لها أوّل وليس لها آخر ، عملت على تعقيد النحو العربي عامّة ، وأسلوب الاستثناء خاصّة .

وقد وضعوا قواعد في الاستثناء ، لا وجود لها في الاستعمال اللغوي ، واستعمالات لغوية ، لم يضعوا لها قواعد (١) . وتصوروا صيغا لغوية في باب الاستثناء لتخدم آراءهم ، لم ينطق بها العرب ، ولم تعرفها الأساليب الاستثنائية لأنّها لا تخضع لا لعقل ، ولا لمنطق وليس من قبيل التندر الاستشهاد بهذا المثال الذي لا يكاد يخلو منه كتاب نحوي قديم (٢) ، وهو : ما حضر القوم إلاّ حمارا . على الاستثناء المنقطع ، وغير ذلك من الأمثلة المصنوعة التي أوردوها في باب الاستثناء وأنواعه

---

١. انظر : النحو العربي بين النظرية والاستعمال ، مثل من باب الاستثناء ، ص ٣٤ ، د. نهاد الموسى ، مجلة دراسات الجامعة الاردنية ، المجلّد السادس ، العدد الثاني ، كانون الأول / ١٩٧٩م

٢. انظر : كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣١٩ ، المقتضب : جـ٤ ، ص ٤١٢ ، المبرد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتخدم آراءهم وتؤيّدها، لا أساس لها من الوجود ، والاستعمال ، ومنها قولهم : لعندي عشرة دراهم إلاّ عشرة ، وقولهم في استثناء العدد : له عليّ عشرة ،إلاّ تسعة إلاّ ثمانية ،إلاّ سبعة ،إلاّ ستّة ، إلاّ خمسة ،إلاّ أربعة ، إلاّ ثلاثة، إلاّ اثنين إلاّ واحدا . فالحكم في ذلك ،أن عليه خمسة ،وذلك بأن نستثني آخر استثناء ،وهو الواحد ، ممّا قبله ، وهو الاثنين ، فيكون الناتج واحدا ،ثمّ نستثنيه من الثلاثة فيكون الناتج اثنين . ثمّ نستثني الاثنين من أربعة ، فيكون الناتج اثنين ،ثمّ نستثني الاثنين من الخمسة ،فيكون الناتج ثلاثة . ثمّ نستثني الثلاثة من الستة ،فيكون الناتج ثلاثة . ثمّ نستثني الثلاثة من السبعة ، فيكون الناتج أربعة . ثمّ نستثني الأربعة من الثمانية ،فيكون الناتج أربعة ثمّ نستثني الأربعة من التسعة فيكون الناتج خمسة. ثمّ نستثني أخيرا الخمسة من العشرة ، فيبقى الناتج خمسة . وبذلك يكون الناتج النهائي من الاستثناء خمسة.

وكان يمكن أن نستغني عن هذه العمليّة المعقّدة ، بقولنا : له عليّ عشرة دراهم إلاّ خمسة . أو بقولنا له علي خمسة دراهم.

وغير ذلك من الأمثلة المصنوعة التي وضعوها لتخدم قاعدة نحويّة تخيلوها لا تستند على استعمال لغوي وظيفي ،ممّا زاد في قواعد النحو العربي دون فائدة وجعلت قواعده ،لا يخضع كثير منها للاستعمال اللغوي ، قديما وحديثا ." ويتبيّن من المقابلة بين صورة الباب في كتب النحو وصورته في نصوص الاستعمال ،أنّ النظريّة النحويّة قد نفخت في مادّة النحو إلى تسعة أمثال حجمها في متن اللغة المستعمل"(١)

وبهذا يتّضح لنا أنّ اللغة العربية تسير في نظام متناسق مترابط ، في أداء وظائفها التي تخدم محاور الاتصال اللغوي ، ونموها حتى هُيئت لحمل معاني آيات القرآن الكريم القريبة والبعيدة ، والظاهرة والباطنة ، والسّطحيّة والعميقة ، غير أنّ بعض القواعد النحويّة التي وضعها النحاة ،لهذه اللغة ، قد تتعارض مع بعض المعاني البعيدة والعميقة في السياق اللغوي للآيات ، أي إنّ هناك عدم اتساق وانسجام ما بين القاعدة النحويّة الموضوعة ، وما بين المعنى في سياق الآية

١- النحو العربي بين النظرية والاستعمال ،مثل من باب الاستثناء ،ص ٤٤ د. نهاد الموسى ، مجلة دراسات الجامعة الأردنية ، المجلد السادس ،العدد الثاني ، كانون الاول / ١٩٧٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبخاصة في أسلوب الاستثناء ، وذلك قوله تعالى : "وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (١)

إنّ معنى السياق في هذه الآية الكريمة ، يجعلنا نقف حائرين ، أمام الاستثناء فيها ، إذ كيف يكون للظالمين حُجّة على المسلمين في التوجّه إلى المسجد الحرام في الصلاة ، بعد أن كانوا يتّجهون إلى بيت المقدس ؟ لأنّ اليهود في المدينة المنوّرة قالوا : ما تحوّل إلى الكعبة إلاّ ميْلاً لدين قومه ، وحباً لبلده . وقال المشركون : رجع محمد إلى قبلة آبائه وأجداده ، ويوشك أن يرجع إلى دينهم فكيف نطلق على هذه الأقوال المفرضة الكاذبة حُجّة ؟ وكيف يصح الاستثناء في هذه الآية الكريمة ، مع أنّ الحجّة مختصّة بالحقيقة ، وأنّه أثبت به ما نفي عن المستثنى منه ، للمستثنى ، بناء على أنّ الاستثناء من النفي إثبات إلاّ إذا حملنا معنى الحجّة على المنازعة ، فيكون الاستثناء حينئذ واضحا ، إلا أنّ السياق يرفض هذا المعنى للحجّة .

ويقول الآلوسي ، أبو الفضل شهاب الدين محمود (- ١٢٧٠ هـ) : "ولك أن تحمل الحجّة على الاحتجاج والمنازعة كما في قوله تعالى : "لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ" (٢) فأمر الاستثناء حينئذ واضح إلاّ أن صوغ الكلام بعيد عن الاستعمال عند إرادة هذا المعنى ، وقيل : الاستثناء منقطع ، وهو من تأكيد الشيء بضدّه وإثباته بنفيه ، والمعنى أن يكون لهم حجة فهي الظلم ، والظلم لا يمكن أن يكون حجّة ، فحجّتهم غير ممكنة أصلاً ، فهو إثبات بطريق البرهان على حدّ قوله :

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ نَزِيلَهُمْ ... يُسَلامُ بِنِسْيَانِ الأَحِبَّةِ وَالْوَطَنِ (٣)

أي إنّ الاستثناء في الآية على غرار تأكيد المدح بما يشبه الذمّ .

ولكنّنا نرى أنّ لا استثناء في هذه الآية الكريمة ، لأن وجود الاستثناء

---

١. البقرة / الآية ١٥٠ . ٢. الشورى / من الآية ١٥ .
٣. روح المعاني : المجلد الأوّل ، جـ ٢ ، ص ١٧ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها يؤدّي إلى خروج المعنى عن هدفه المقصود ، ولذلك تكون (إلاّ) بمعنى (الواو) ويصبح المعنى : لئلاّ يكون للناس عليكم حجّة ولا الذين ظلموا ، وهو ذكر الخاصّ بعد العام ، أي : والذين ظلموا لا يكون لهم أيضا حجّة عليكم .

وقد يصح أن تكون(إلاّ) بمعنى(لكن) ، ويصبح المعنى : لكن الذين ظلموا يحتجّون بغير حجّة ، ويكون الاستثناء لذلك منقطعا .(١)

وقوله تعالى : " لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا "(٢)

إنّ المعنى في هذه الآية الكريمة ،لا يستقيم ولا يصح مع الاستثناء فيها إذْ كيف يجوز أن نستثني من يعمل مِمّا لا يعقل ؟ أي استثناء (مَن) التي هي للعاقل من النجوى ،وهي لا تدلّ على عاقل . هذا لا يجوز في كلام الناس ،ولكنّه يجوز في كلام ربّ الناس ،لأن الله تعالى - قادرٌ على أن يقول للشيء كُنْ فيكون ،وهذا موطن إعجاز ،إذْ إنّ كثيرا من قضايا الكلام الانساني ، لا يتحقّق فيها الحكم النحوي ، وهذا يبطل التأويل والحذف ،ومع ذلك فقد تأوّل النحويّون ،تأويلات كثيرة في هذه الآية ليجيزوا الاستثناء فيها ، ومنها :إنّ نجواهم بمعنى المتناجين ، ويصبح معنى الاستثناء ،الأخير في المتناجين إلاّ من أمر بصدقه ،وبذلك نستثني من يعقل ممّن يعقل ،على المعنى ،أو لا خير في كثير من نجواهم إلاّ نجوى من أمر ، فالاستثناء على حذف المضاف ، وهو نجوى من ، فنستثني من نجوى ، ليستقيم معنى الاستثناء ويصح .

ويجوز أن يكون الاستثناء في الآية الكريمة منقطعا على معنى (لكن) من أمر بصدقة وإنْ قلّت ، ففي نجواه الخير .(٣)

---

١. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف :جـ١ ،ص ٢٦٦ ،ابن الانباري .
مغني اللبيب : جـ١ ،ص ٧٣ ، ابن هشام. حاشية الصبّان على الأشموني :جـ٢ ، ص ١٢٧ . شرح الكافية : جـ١ ، ص٢١٣ ، الرضي الاستراباذي. التصريح على التوضيح : جـ١ ،ص ٤٢٢ ، الأزهري

٢. النساء / الآية ١١٤ .

٣. انظر : روح المعاني : المجلّد الثالث ،جـه ،ص ١٤٤ ، الآلوسي ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكننا نرى أن الاستثناء قائم في الآية الكريمة، على الفاظها كما هي ،وذلك لا خير في كثير من أحاديثهم إلاّ بأمرهم بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، فيقع الاستثناء بهذه الألفاظ، وهو يدل على القليل المتبقي من الكثير في أحاديثهم ،لأننا بقولنا : لا خير في كثير من أحاديثهم ، دلالة على أن هناك قولا قليلا فيه خير، فذكر بعد (إلاّ) كما هو واضح في السياق .

وقوله تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً"(١)

إنّ الاستثناء في هذه الآية الكريمة ، يدعو إلى إنعام النظر في معنى الآية إذْ كيف تكون الهداية إلى جهنّم ؟ في حين إنّ الله - سبحانه وتعالى - أطلق الهداية للهدى والرشاد ، والسير في الطريق القويم ، الذي يؤدّي إلى موافقة أوامره واجتناب نواهيه .

ولكنّ النحويين ذكروا أنّ التعبير بالهداية تهكّم ،لم يرد به مطلق الدلالة أو أن يكون لفظ الهداية مجازا لا حقيقة ،لأنّ ما خلقه الله - سبحانه وتعالى - في قلب الكافر، وغرسه فيه ،ويسّره له من أسباب الضلال ، هداية لطريق جهنّم(٢) .

فقد خرجت أداة الاستثناء (إلاّ) عن معنى الاستثناء ، ليستقيم المعنى وتصبح بمعنى (الواو) أو (لكن) . وبذلك يكون المعنى ، لم يكن الله ليغفر لهم ، ولا يهديهم طريقا ، لكن طريق جهنّم خالدين فيها أبدا ، أو وطريق جهنّم خالدين فيها أبدا ،دون أن نلجأ إلى تأويل . وقد عدّ أبو البقاء العكبري الاستثناء متصلا في هذه الآية الكريمة(٣) ولكن الأولى أن يكون منقطعا ليتسق المعنى والسياق فيها .

---

١. النساء / الآيتان ١٦٨ ، ١٦٩ .
٢. انظر : روح المعاني المجلد الثالث ، جـ٦ ،ص٢٢ ،الآلوسي .
٣. انظر : املاء ما من به الرحمن : جـ١ ،ص٢٠٤ ،العكبري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : " فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ "(١)

لقد خرج الاستثناء في هذه الآية الكريمة على مقتضى الظاهر ، فشغل النحويين والمفسّرين والفقهاء ، واختلفوا في تخريجه أيّما اختلاف ، لأنّ معنى الاستثناء غامض ، لوجود (لولا) في بداية الآية ، إذ اختلفوا في معناها وإعرابها وهل هي للتخصيص بمعنى (هلّا) ؟ أو للتوبيخ ؟ أو للنّفي ؟ أو لا متناع أمر لأجل وجود غيره ، أو للتهديد .

وقد ذكر المفسّرون أنّ قوم يونس - عليه السلام - لمّا كفروا ، أوحى الله - سبحانه وتعالى - إليه أن أنذرهم ، فأبوا عليه وكذّبوه ، فأخبرهم أنّ العذاب مصبّحهم إلى ثلاث ، فلما كانت الليلة الثالثة ،ذهب يونس - عليه السلام - عنهم في جوف الليل ، فلما أصبحوا تغشّاهم العذاب، فكان فوق رؤوسهم ، فلمّا أيقنوا بالهلاك ، طلبوا نبيّهم يونس ،فلم يجدوه ، فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ، ودوابهم ، ولبسوا المسوح ، وأظهروا الإيمان والتوبة ،وتضرّعوا إلى الله تعالى ، وأخلصوا النيّة ،فرحمهم ربّهم ، واستجاب لهم ،وكشف عنهم ما تنزل بهم من العقاب والعذاب .(٢)

فنفعهم إيمانهم ، ونجّاهم من العذاب ،بعد أنْ شاهدوه بأمّ أعينهم عن عيان ، وهذه كرامة وخصوصيّة لهم من دون الكفّار قبلهم ،لأنّ إيمان الكفار بعد مشاهدة ما وُعدوا به من عذاب ،غير نافع لهم ، فكان الله - سبحانه وتعالى - يهلكهم من غير إمهال ،كما أهلك فرعون وغيره من الأقوام الكافرة ، أمّا قوم يونس فقد نجّاهم إيمانهم في اللحظات الأخيرة ، قبيل نزول العذاب بهم .

ولذلك استثنوا الأقوام الذين لم ينفعهم إيمانهم ، قبيل نزول العذاب الذي حُذروا منه . فيكون معنى (لولا) في بداية الآية الكريمة يفيد امتناع الأمر لأجل وجود غيره ،أي امتناع عذاب قوم يونس ،لأجل حصوله ووجوده في غيرهم ،وإلى هذا المعنى أشار الطبري بقوله : " وقوم يونس خُصوا من بين الأمم بالتوبة بعد نزول العذاب "(٣) .

---

١. يونس / الآية ٩٨ . ٢. روح المعاني : جـ١١ ،ص١٩٢ ،الآلوسي :
٣. تفسير الطبري : جـ١١ ، ص ١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيصبح معنى الآية الكريمة ، ما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها ، ونجّاها من العذاب قبيل وقوعه إلاّ قوم يونس ، لمّا آمنوا نجّاهم إيمانهم من العذاب في الحياة الدنيا ، أو أنْ يكون معناها " غير قوم يونس ، أو لكن قوم يونس لمّا آمنوا نجّاهم إيمانهم من العذاب "(١)

أمّا ما ذُكِرَ من أنّ (لولا) بمعنى (هَلاّ) الدالّة على التحضيض ، أو التوبيخ ، ليكون الاستثناء غير مسبوق بنفي ، ويكون معنى الآية الكريمة ، كلّ القرى والأقوام الماضية ، لم يصدر منهم إيمان ينفعهم ، قبيل نزول العذاب بهم إلاّ قوم يونس . أو كلّ الأقوام موبّخة على عدم الإيمان النافع لها ، إلاّ قوم يونس .(٢)

ولعلّ هذه التأويلات والتخريجات ، قد أخرجت الاستثناء عن غايته التي يقصد منها اخراج قوم يونس الذين نفعهم إيمانهم في اللحظات الأخيرة ، من الأمم والأقوام الغابرة التي حاق بهم العذاب ، ولم ينفعهم إيمانهم في اللحظات الأخيرة قبيل وقوعه .

أمّا عن مصير قوم يونس في الدار الآخرة ، وقد آمنوا ، وكان هذا الإيمان قد اقترن بالخوف ، وحصل متأخرا في اللحظات الأخيرة ، فقد اختلف العلماء فيه وقالت كلّ فرقة من موجئة وقدريّة وجبرية وأشعرية ومعتزلة وغيرها ما يؤيّد رأيها في هذه المسألة ، ومع وجود هذه الخلافات فيجب أن لا ننسى قول الله عزّ وجلّ "إنّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشاءُ"(٣) فربُّ العزّة أدرى بهم وأعلم ، وهو رؤوف بعباده ورحيم بالعالمين .

وقال تعالى : " واصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إلاّ باللّهِ ولا تحزَنْ عَلَيْهِم ولا تَكُ في ضِيقٍ مِمّا يَمْكُرونَ"(٤)

---

١. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٢٥ .
٢. انظر : روح المعاني في المجلد السادس ، جـ١١ ، ص ١٩٢ ، الآلوسي .
٣. النساء / من الآية ٤٨ .
٤. النحل / الآية ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَقَدْ تحوّل معنى الاستثناء في هذه الآية الكريمة من الإخراج إلى الإثبات ، بقوله تعالى : "وَمَا صَبْرُكَ إِلاّ بِاللّهِ" وبذلك خرجت (إلاّ) عن معنى الاستثناء ، ولكن هذا المعنى الجديد الذي خرجت إليه يبقى ناقصا ، لأنّ هناك شيئا محذوفا ، فيصبح معنى الاستثناء في الآية الكريمة ، وما صبرك ملابسا ، ومصحوبا بشيء من الأشياء إلا بذكر الله تعالى ، والاستغراق بمراقبة شؤونه ، والتوسّل إليه - سبحانه وتعالى - وفيه من تسلية النّبي - صلّى الله عليه وسلّم - وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه . أو أن يكون المعنى ، إلاّ بتوفيقه تعالى ومعونته .

وقال تعالى : "سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَابِعُهُم كَلْبُهُم وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُم كَلْبُهُم رَجْماً بِالغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُم قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَا يَعْلَمُهُم إِلاّ قَلِيلٌ" (١)

ورد الاستثناء في هذه الآية الكريمة بعد جواب لسؤال ، بقوله تعالى : "قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم" استكمالاً لهذا الجواب بقوله تعالى "مَا يَعْلَمُهُم إِلاّ قَلِيلٌ" فجاءت (قليل) نكرة وليست معرفة ، لأنّها قد تدلّ على بشر أو ملائكة ، أو غير ذلك إذ لا يعلم عدّتهم بعد الله - عزّ وجلّ - إلاّ قليل ، وقد جاء هذا اللفظ بصيغة التنكير ، ليبقوا مجهولين للسائلين من يهود . وورد هذا التنكير بأسلوب استثنائي اثباتا لهذه الحقيقة وتكذيبا للسائلين الذين كانوا يزعمون أنهم على معرفة بعددهم .

وقال تعالى : "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاّ اللّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ" (٢)

إنّ معنى الاستثناء في هذه الآية الكريمة محيّر ، ولذا فقد خرج على مقتضى الظاهر ، لأنّنا إذا طبّقنا حدّ الاستثناء عند النحويين على المستثنى وهو لفظ الجلالة في الآية الكريمة ، لخرجنا عن الملّة ، وعقيدة التوحيد ، والإيمان بالله - عزّ وجلّ - .

---

١. الكهف / من الآية ٢٢ .
٢. الأنبياء / الآية ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا كان لفظ الجلالة ، في الآية الكريمة ، منصوبا بعد إيجاب ، لأنّ (لو) لا تفيد النفي ، فإنّه يدلّ على الإخراج ، لأنّ مذهب علماء النّحو واللغة في الاستثناء أنّه من الإثبات نفي ، ومن النفي إثبات.(١)

فيكون معنى الآية الكريمة ، لو كان فيهما آلهة ليس الله تعالى معهم ، ولا موجودا فيهما لفسدتا . أي أنّ الله تعالى ، لو كان مع الآلهة ، لم يحصل الفساد ، وهذا هو الشرك بعينه .

ولذا فلا بدّ أن تكون (إلاّ) بمعنى (غير) كي يستقيم المعنى المقصود من الاستثناء في الآية الكريمة ، ويصبح معناها : لو كان فيهما آلهة غير الله تعالى لفسدتا ، فقال الشلوبين ، عمر بن محمد الأزدي (- ٦٤٥ هـ) : " لا يصحّ المعنى حتّى تكون (إلاّ) بمعنى (غير) التي يراد بها البدل والعوض ، ليصير المعنى حينئذ : لو كان فيهما عدد من الآلهة بدل وعوض من الله تعالى لفسدتا "(٢)

ولكن ورود (إلاّ) واستخدامها في الأسلوب القرآني ، في هذه الآية الكريمة ، ولم تستخدم (غير) ، ليثبت الله - سبحانه وتعالى - استحالة وجود أكثر من إله واحد في الكون جميعه ، لأنّ الفساد ، إنّما يقترن بالشرك ، وتعدّد الآلهة ، وإلاّ فلا فساد ، ولهذا فإن السماء والأرض غير فاسدتين ، لأنّ المدبّر فيهما إله واحدٌ أحد ، ولو كان غير ذلك لفسدتا ، أي لبطلتا دائما ، ولم يوجد شيء منهما في زمن من الأزمان البتّة ، لأنّه هو الذي أوجدهما ، ونظمهما وفق قانون دقيق لا يعلمه إلاّ هو - سبحانه وتعالى - .

وقد أجاز المبرّد أن يكون الاسم الجليل (الله) مرفوعا على البدليّة معتمدا على أنّ (لو) الشرطية في الآية الكريمة ، تفيد النفي ، لأنّها تدلّ على الامتناع ، وامتناع الشيء انتفاؤه ، فيقول الرضي الاستراباذي : "

---

١. الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٥٤٩ ، القرافي .

٢. مغني اللبيب : جـ ١ ، ص ٧١ ، ابن هشام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزعم المبرّد أنّ (إلاّ) في هذه الآية للاستثناء ، وأنّ ما بعدها بدل ، محتجّا بأنّ (لو) تدلّ على الامتناع ، وامتناع الشيء انتفاؤه[١] .

على أنّه كما لا يجوز أن يكون لفظ الجلالة بعد (إلاّ) في هذه الآية الكريمة منصوبا على الاستثناء ، من جهة المعنى ، فلا يجوز أن يكون مرفوعا على البدل من الآلهة كذلك ، لأنّ هذا الحكم الإعرابي يؤدّي إلى فساد المعنى ، ولذا فإنّ البدل والاستثناء في هذه الآية الكريمة ممتنعان معنى ، لأنّه إذ ذاك ، لا يفيد ما سيق له الكلام من انتفاء التعدّد .

ويرى ابن الأنباري[٢] ، والعكبري[٣] ، وابن هشام[٤] ، وابن يعيش[٥] ، والرضي الاستراباذي[٦] ، والآلوسي[٧] ، أنّ (لو) في هذه الآية الكريمة استعملت في مقام الاستدلال ، فيفهم منها ارتباط وجود التالي بوجود المقدّم ، مع انتفاء التالي ، فيعلم منه انتفاء المقدّم ، كأن نقول : لو كان زيد في البلد لجاءنا ليعلم منه أنه ليس موجودا في البلد ومنه قوله تعالى : "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا"[٨] ويرون أنّ (لو) أداة للتلازم ، دالّة على لزوم الجزاء للشرط ، من غير قصد إلى القطع بانتفائها .

ولهذا صحّ عندهم استثناء المقدّم ، فهم يستعملونها للدلالة على أنّ العلم بانتفاء الثاني ، علّة للعلم بانتفاء الأوّل ، ويصبح معنى الآية الكريمة ، انتفاء وجود الآلهة وانتفاء الفساد ، فهما لم يفسدا إذن ، ليعلم منه أنّه ليس فيهما آلهة

---

١ . المقتضب : جـ ٤ ، ص ٤٠٨ ، المبرّد .
٢ . انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ ١ ، ص ٢٧ ، ابن الانباري .
٣ . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ ٢ ، ص ١٣١ ، العكبري .
٤ . مغني اللبيب : جـ ١ ، ص ٢٧ ، ابن هشام .
٥ . شرح الكافية : جـ ١ ، ص ٢٢٧ ، الرضي الاستراباذي .
٦ . شرح المفصّل : جـ ٢ ، ص ٨٩ ، ابن يعيش .
٧ . روح المعاني : المجلّد التاسع ، ص ٢٣ ، الآلوسي .
٨ . الأنبياء / من الآية ٢٢ .

All rights reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متعددة، وإنّما هو إله واحد لا إله إلاّ هو - سبحانه وتعالى - ولا إله غيره في الكـــون والوجود .

وقال تعالى : " الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلاّزَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَـــا إلاّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤمِنِينَ "(١)

إنّ أسلوب الاستثناء في هذه الآية الكريمة ، يقرّر حكما شرعيا قائما على حصر نكاح الزّانية في الزاني أو المشرك .

إنّ هذا الحكم القائم في أسلوب الاستثناء في هذه الآية الكريمة ، حـــيّر المفسرين ، فتأوّلوا تأويلات قريبة وبعيدة ، وتساءلوا : هل يجوز أن ينكح المشرك مسلمة زانية ؟ فقالوا : إنّ الزانية لا تكون إلا مشركة ، وغير ذلك من الأقوال المختلفة غير المقنعة التي عقّدت المسألة ، ولم تعمل على تفسيرها وإيضاحها .(٢)

ولكنّهم لو نظروا إلى المقام ومقتضى الحال الذي قيل فيه هذا النص ، وهذه الآية الكريمة ، لما وصلت خلافاتهم إلى هذا الحدّ البعيد ، لأنّ هذا الحكم الشرعي الوارد في هذا الأسلوب الاستثنائي ، كان في بداية عهد الدعوة الاسلامية ، عندما كان المشركون موجودين مع المسلمين .

ولذا فقد نزلت الآية الكريمة في قوم مخصوصين ، كانوا يزنون في الجاهلية ببغايا معروفات ، يُعرفن بذوات الرايات ، فلمّا جاء الإسلام وأسلموا ، أرادوا أن يتزوّجوا منهنّ ، لما يملكن من ثروة ومال وجمال ، فنزلت الآية الكريمة نهيا لهم عن زواجهـــنّ .(٣)

ولذا فقد نُسخت هذه الآية الكريمة بقوله تعالى : " وأَنْكِحُوا الأَيامَى مِنْكُم "(٤)

---

١ . النـــور / من الآيـــة ٣ .

٢ . انظر : تفصيل هذه المسألة : روح المعاني : المجلّد التاسع ، جـ١٨ ، ص ٨٤ ، الآلوسي .

٣ . انظر : أسباب النزول : ص ١٧٩ ، أبو الحسن الواحدي النيسابوري . لباب النقول في أسباب النزول : ص ١٥٢ ، جلال الدين السيوطي .

٤ . النـــور / من الآيـــة ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : "وَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ"(١) .

وقد روى القول بالنسخ الإمام الشافعي ، محمد بن إدريس (- ٢٠٤هـ) - رحمه الله - بقوله : "اختلف أهل التفسير في قوله تعالى : "الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلاّ زَانِيَةً" اختلافا متباينا ، قيل هي عامة . ولكنّها نُسخت ، فهي منسوخة نسخها قوله تعالى : "وانْكِحُوا الأيَامَى مِنْكُم"(٢)

ولذا فإنّنا نلمس مدى أثر المقام ومقتضى الحال ، ليس في المعنى فحسب بل في صلاحيّة الأحكام الشّرعية المفروضة . ولذلك نُسخ هذا الحكم الشرعي لتغيّر المقام ومقتضى الحال .

وقال تعالى : "وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا"(٣)

إنّ ما يسترعي النظر في أسلوب الاستثناء الوارد في هذه الآية الكريمة دلالة (ما) الواقعة بعد (إلاّ) لأنّ هذه الدلالة محيّرة ، تُؤدّي إلى خلاف واختلاف لبعدها عن التحديد الدقيق .

ولذا فقد اختلف الفقهاء والمفسّرون في دلالة (ما) المستثناه ، في الآية الكريمة ، إذ اختلفوا فيما يُباح اظهاره من زينة المرأة لكلّ أحد ، فقيل : الثياب وقيل الوجه والثياب ، وقيل : الوجه والكفّان والثياب ، وقيل : الكحل والخضاب في الكفّين إلى نصف الذراع ، وقيل : القرط والخاتم ، ونحو ذلك مباح أن تبديه المرأة لكلّ من دخل عليها من الناس .(٤)

على الرغم من أنّ نوع الاستثناء في الآية الكريمة ، يفيد الحصر والتعيين إلاّ أنّه قد خرج على مقتضى الظاهر ، بوجود (ما) التي تدلّ على ترك الأمر

---

١. النساء / من الاية ٣ .
١. ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه : ص ٤٢ ، ابن البارزي .
٢. الأم : المجلد الثالث ، جـ٦ ، ص١١ ، الإمام الشافعي .
٣. النور / من الآية ٣١ .
٤. انظر : تفسير الطبري : جـ١٨ ، ص ١١٨ ، تفسير النسفي : جـ٣ ، ص ١٤٠ . وانظر : روح المعاني ، المجلد التاسع ، جـ ١٨ ، ص ١٤٠ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجتهاديّا ، لأنّ أحوال حياة المرأة مختلفة ،والظروف المحيطة بها متغيّرة ، فهي في بيتها ليست كما هي في خارجه ،وبما أنّ الإسلام قد سمح للمرأة بالعمل والتجارة والكسب الحلال ،وطلب العلم ،ومشاركة الرجال في الحروب ،والأمثلة من القرآن الكريم والسنّة النبويّة كثيرة ، على ذلك ، فترك الله - سبحانه وتعالى - الأمر للاجتهاد ،ولم يخصّص الاستثناء في الآية بالتعيين ، ليترك للمسلمين تحديده ، وفقا للأحوال التي توجد فيها المرأة ، ولما جرت العادة والجبلّة على ظهوره ، ولذلك فقد كانت حكمة الله - سبحانه وتعالى - بالغة ،بعدم تحديد هذا الاستثناء وتعيينه بدقة كالميراث مثلا ،أو غيره من الأحكام الشرعية الدقيقة ، رحمة وتيسيرا على العباد .

ولذا وجدنا اختلاف الفقهاء والمجتهدين ،في هذه المسألة ، ولعلّ هذا الخلاف أن يكون من جوانب الرحمة على العباد ،التي قصدها ربّ العزّة في عدم تعيين المستثنى وتحديده في هذا المقام .

وقال تعالى : "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا"(١)

إنّ هذا الأسلوب الاستثنائي الوارد في هذه الآية الكريمة ، بعيد كلّ البعد عن معنى الاستثناء ، على الرغم من وجود (إلاّ) فيه .

ولذلك يكون قد خرج هذا الاستثناء على مقتضى الظاهر ،لأنّنا لو بحثنا عن المستثنى منه والمستثنى ،لوجدناه نفسه ، فانّ المرسلين بجملتهم ذُكروا بعد (إلاّ) فلم يخرج من المرسلين أحد ، ولم يخرج من الحكم المتقدّم حكم ،وبذلك لم يتحقّق حدّ الاستثناء الذي وضعه النحويون ، واتفقوا عليه ، لعدم توافر معنى الإخراج الذي يميّز حدّ الاستثناء في اللغة والنحو .

ولكن النحويين تأوّلوا هذا الأسلوب وقالوا : إنّ المستثنى منه هنا هو الأحوال ، والمستثنى حالة منها ، ومعنى الكلام : ما أرسلنا المرسلين في حالة الاستغناء عن الطعام ،ولا في جميع الأحوال المنافية للبشريّة ،بل في هذه الحالة

---

١. الفرقان / الآية ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البشرية ، وهي أكل الطعام وتوابعه ، فالاستثناء من أعمّ الأحوال ، وهذا ما يستوجبه الاستثناء من أعمّ العام . والتقدير : ما أرسلنا قبلك من المرسلين ، إلاّ وأنّهم ليأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق . وقيل : هذا تسلية للرسول - صلّى الله عليه وسلم والجملة التي بعد (إلاّ) صفة ثانية لموصوف مقدّر قبل (من المرسلين) والمعنى : ما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلاّ آكلين وماشين (١) .

وقال ابن هشام : إنّ الجملة بعد (إلاّ) بدل ممّا حُذف (قبل) وأقيمت صفته مقامه ، والمعنى : ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلاّ رجالا أو رسُلا ، إنّهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق (٢) .

وقدّر العكبري (٣) ، وابن هشام (٤) ونقل عنهما الآلوسي (٥) (من) الموصولة أو النكرة الموصوفة ، بعد (إلاّ) وجعلوا الجملة في محلّ نصب، بقول محذوف، وجملة القول : صفة ، أي إلاّ رجالا أو رسُلا ، قيل إنّهم ليأكلون الطعام .

وقال تعالى : " وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦)

إنّ أسلوب الاستثناء في هذه الآية الكريمة ، خارج على مقتضى الظاهر، في أنّ الأنبياء - عليهم السلام - معصومون من الصغائر والكبائر ، في حين أنّ معنى الاستثناء بقوله تعالى "إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ" يدلّ على عكس ذلك ، أي : إنّهم - عليهم السلام - غير معصومين .

وعلى الرغم من أنّ جمهور العلماء يؤكّدون عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر ، إلاّ أنّ بعضهم يرى أنه لم يعر أحد من البشر من ذنب إلاّ ما رُوي عن يحيى بن زكريا - عليه السلام - في قول الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - : " ما مِنْ

---

١. الاستغناء في أحوال الاستثناء : ص ٣٠٣ ، القرافي . وانظر روح المعاني المجلّد التاسع ، جـ١٨ ، ص ٢٥٤ ، الآلوسي .
٢. مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٦٢٧ ، ابن هشام .
٣. إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ١٦١ ، العكبري .
٤. مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٦٢٧ ، ابن هشام .
٥. روح المعاني : المجلّد التاسع ، جـ١٨ ، ص ٢٥٤ ، الآلوسي .
٦. النمل / الآيتان ١٠ ، ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الناسِ أَحَدٌ إلاّ قَدْ أَخْطَأَ أَوْهَمَّ بِخَطِيئَةٍ لَيْسَ يَحْيَى بنَ زَكَرِيّا (١)

وقد تكون (إلاّ) في الآية الكريمة بمعنى (لكن) فيصبح المعنى :لكن ما صدر من الرسل ما هو في صورة الظلم ،ثمّ تاب ، فإني أغفر له ، فلا ينبغي أنْ يخاف ،وهو شامل على ما قيل لمن فعل منهم شيئا من ذلك قبل رسالته ، وخصّه بعضهم بمن صدر منه شيء من ذلك قبل النبوة ،ولعلّ الظاهر كونه خاصاً بمن صدر منه بعد الرسالة .(٢)

ويرى الفرّاء أنّ المُراد بمن ظلم ،من أذنب من غير الأنبياء ، كأنّه قال : لكن من ظلم من غير المرسلين ،ثمّ تاب فإني غفور رحيم . والمعنى : لا يخاف لَدَيّ المرسلون ، إنّما الخوف على غيرهم من العباد .(٣)

وأيّد هذا الرأي الآلوسي بقوله : إنّ الأنبياء معصومون ، ومعنى الاستثناء في الآية الكريمة ،إنّي لا يخاف لَدَيّ المرسلون ،لكن من ظلم من سائر العباد ،ثمّ تاب فإنّي أغفر له .(٤)

ولكنّنا نرى أنّ العصمة لله وحده ـ عزّ وجل ـ أمّا الأنبياء فهم من البشر وليسوا من ماهيّة تخالف طبيعة البشر ،ولذا فهم معرضون لما يتعرّض له بنو البشر فهم ليسوا معصومين قبل الرسالة والنبوّة ،أمّا عصمتهم بعد الرسالة والنبوّة فهي لطف من ربّ العزّة وكرامة منه على أنبيائه . ولنا من القرآن والأثر ما يؤيّد هذا القول ، وقصّة سيّدنا موسى ، وسيّدنا يوسف ـ عليهما السلام ـ وغيرهما ليست غريبة عنّا . وهذا العتاب اللطيف من الله ـ عزّ وجلّ ـ لسيّدنا محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم في قوله تعالى :"عَبَسَ وَتَوَلّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى (٥) ليس بعيدا عنّا . وغير ذلك كما في موقف الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ من أسرى بدر ، وما نزل بهم من آيات في قوله

١ . مسند الإمام أحمد : جـ١ ،ص ٢٩٥ .
٢ . روح المعاني : المجلّد العاشر ،جـ١٩ ،ص ١٦٤ ،الآلوسي .
٣ . معاني القرآن : جـ٢ ، ص ٢٨٧ ، الفراء .
٤ . روح المعاني :-المجلد العاشر، جـ ١٩ ،ص ١٦٥ ،الآلوسي .
٥ . عبس / الآيتان ١ ، ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى : "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"(١)

وقال تعالى : "قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ"(٢)

إنّ معنى الاستثناء في هذه الآية الكريمة يفيد أنّ الغيب الذي استأثر الله تعالى به ، واختصّ نفسه به، هو علم الغيب بغير سبب ، يوجب ذلك العلم على أنّه لا غيب بالنسبة إليه - سبحانه وتعالى - ولذلك يصبح معنى الاستثناء: لا يعلم مَنْ في السموات والارض كلّ غيب إلّا الله ، فإنّه - سبحانه وتعالى - يعلم كلّ غيب .

ولكن هل علم الغيب مقتصر عليه - سبحانه وتعالى - أو أنّ هناك من في السماوات والأرض يعلم بعض الغيوب ؟

اختلف العلماء في هذه القضية ، فمنهم من نفى أن يكون لمخلوق أي علم بالغيب ، أو ببعض الغيب نفيا قاطعا ، لأنّ الله قد خص نفسه بالغيب جميعه .

ومنهم من جوّز أن يكون من يعلم بعض الغيوب من البشر ، مع أنّه لم يرد في القرآن الكريم ما ينسب علم الغيب إلى غير الله - سبحانه وتعالى - وقال بعضهم : إنّما هم قد أعلموا الغيب ، أي إنّ الله تعالى قد أعلمهم الغيب، وهم الأنبياء ، والأولياء الصالحون ، أصحاب الكرامات ، وأنّ قصة سيّدنا موسى - عليه السلام - مع الرجل الصالح الواردة في سورة الكهف ، ليست بغريبة عنّا(٣) .

وبالجملة ، فإنّ علم الغيب بلا وسيلة - كلّا أو بعضا - مخصوص بالله جلّ وعلا - لا يشاركه فيه أحد من الخلق ، كما ورد في الاستثناء ، في هذه الآية الكريمة إذ قصر علم الغيب فيها على الله وحده - عزّ وجلّ - قصرا حقيقيا ، ممّا يؤكّد هذه الخصوصيّة له - سبحانه وتعالى - .

---

١. الأنفال / الآية ٦٧ . ٢. النمل / الآية ٦٥ .

٣. انظر : سورة الكهف / الآيات ٦٥ - ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" (١)

لقد خرج معنى الاستثناء في هذه الآية الكريمة على مقتضى الحال والظاهر ، فأدّى معنى الاستثناء النحوي إلى غير المقصود من الآية الكريمة لأنّ معنى الاستثناء المستفاد : لا يعزب ولا يغيب عن علمه - سبحانه وتعالى - مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين ، فانّه يعزب عنه ، لأنّ معنى الاستثناء نحويا ، إخراج ما بعد (إلاّ) عمّا قبلها عند النحويين .

ونلاحظ أنّ هذا المعنى فيه من الفساد والبعد عن الحقيقة ما لا يخفى على أحد ، لأنّ علم الله - سبحانه وتعالى - شامل كلّ شيء ، ممّا كبر أو صغر ، ولو كان أصغر من الذّرة .

فعلم الله عامّ شامل ، ولا يستثنى من علمه شيء ، ولكنّ هذا الاستثناء في الآية الكريمة ، أوقع النحويين والمفسّرين في خلافاتهم ، ألجأهم إلى تأويلات كثيرة للخروج من هذا المأزق .

ولعلّ أقرب هذه التأويلات إلى الحقيقة قولهم : إنّ الاستثناء في الآية يدلّ على أنّ كلّ ما في الأرض ، وما في السماء من أمور غيبيّة إلاّ معلومة لدى الله - سبحانه وتعالى - لأنّها محفوظة لديه في كتاب مبين ، فلا يعزب عنه . لأنّه لا يُعقل أنْ يخرج الاستثناء الوارد في الآية الكريمة ، ما في الكتاب المبين عن علم الله تعالى (٢)

---

١. سبأ / الآية ٣ .

٢. انظر : روح المعاني : المجلّد الحادي عشر ، جـ٢٢ ، ص١٠٦ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر أبو البركات الأنباري ،أنّ المعنى في هذه الآية الكريمة يستقيم إذا الغينا معنى الاستثناء في (إلاّ) لتصبح بمعنى (الواو)وبذلك يصبح المعنى لا يعزب عن علم الله - سبحانه وتعالى - مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، ولا في كتاب مبين . وهذا مذهب الكوفيين ، وبخاصّة الفرّاء منهم والأخفش من البصريين .(١)

وقال تعالى : "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ"(٢)

إنّ المعنى في هذه الآيات الكريمة يكشف لنا عن أنّ الأسلوب فيها ، قد خرج عن الأسلوب الاستثنائي ،وأصبح قريبا من أسلوب الشرط، لأنّ الكلام تامّ المعنى قبل (إلاّ) ثمّ جاءت (إلاّ) وما بعدها في قوله تعالى : "إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ" منفصلة في معناها عمّا قبلها ، وإنّ هذا المعنى يبعد (إلاّ) عن معنى الاستثناء ، ويقربها من معنى الشرط، وممّا يثبت هذا القول ، وجود (الفاء) الواقعة في جواب الشرط بعدها .

ولذلك فقد خرج الاستثناء في هذه الآيات الكريمة على مقتضى الظاهر وأصبح شرطا لا استثناء ،ولم يعد لما بعد (إلاّ) صلة لما قبلها ،ممّا يوضح خروجها عن معنى الاستثناء ودخولها في أسلوب الشرط .

ويرى جمهور النحويين البصريين أن (إلاّ) أصبحت بمعنى (لكن) وبذلك يصبح معنى الاستثناء في الآية الكريمة : فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ لكن من تولّى وكفر فيعذّبه الله العذاب الأكبر .(٣)

---

١. الإنصاف في مسائل الخلاف ، جـ١ ،ص ٢٦٦ ،ابن الأنباري .

٢. الغاشية / الآيات ٢١ - ٢٤ .

٣. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص ٢٦٩ ، ابن الأنباري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى هذا الرأي كذلك يكون أسلوب الاستثناء في الآية الكريمة ، قد خرج على مقتضى الظاهر وأصبح استدراكا ، وليس يحمل معنى الاستثناء الدالّ على إخراج ما بعد (إلاّ) عمّا قبلها .

وقال تعالى : " والتّين والزّيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثمّ رددناه أسفل سافلين إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات فلهم أجر غير ممنون "(١)

اختلف فهم النحويين والمفسّرين في معنى الاستثناء في هذه الآيات الكريمة وغايته وهدفه ، وخرّجوا هذا المعنى على تخريجات متعدّدة مؤتلفة أحيانا ومختلفة أحيانا أخرى ، وقد أورد الآلوسي هذه التخريجات وفصّل الحديث فيها(٢) .

إنّ معنى السياق في الآيات الكريمة ، قد أخرج الاستثناء من معناه الحقيقي ، إذ ليس من العقل في شيء أن يخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات ممّن يردّون إلى أرذل العمر ، وينكّسون في الخلق بعد أن يعمّروا طويلا .

وعلى ذلك فإنّ (إلاّ) تصبح بمعنى (الواو) أو (لكن) أي الاستئناف من جديد ، أو الاستدراك ، فيصبح معنى الآية الكريمة : لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثمّ رددناه أسفل سافلين ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون ، وقد تضمّن هذا السياق معنى الشرط ، لوجود (الفاء) في جوابه بقوله تعالى : " فلهم أجر غير ممنون " ممّا يؤكّد خروجه عن معنى الاستثناء إلى معنى الشرط .

أو أن تصبح (إلاّ) بمعنى (لكن) فيصبح المعنى : لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون .

---

١. التين / الآيات ١ - ٦ .

٢. انظر روح المعاني : المجلّد الخامس عشر ، جـ ٣٠ ، ص ٢٢٥ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا فإنّ معنى الاستثناء قد يخرج على مقتضى الظاهر ، ليستقيم المعنى المقصود في الآيات الكريمة ، وينسجم مع المقام ومقتضى الحال .

تحوّل معنى الاستثناء من الإخراج إلى التضاد :

من القضايا المهمّة ، والمسائل الدقيقة التي تسترعي النظر في أسلوب الاستثناء ، أنّه ليس مقصورا في استخدامه على إخراج ما بعد (إلاّ) عمّا قبلها ، أو إدخاله فيما أخرج قبلها فحسب ، بل يفيد التضادّ بين ما قبلها وما بعدها في المعنى والحكم ، فيكون ما بعدها ضدّا لما قبلها .

وقد ورد في القرآن الكريم من ذلك آيات كثيرة ، ومنها قوله تعالى : " وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ، إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ "(١)

إنّ هذه الآيات الكريمة تنمّ عن موقفين متضادّين ، الموقف الأوّل : موقف أولئك الذين كفروا بنعم الله - عزّ وجلّ - ويصيبهم الغرور والبطر ، وإنْ أذاقهم نعماء بعد ضرّاء مسّتهم ، وبين موقف المؤمنين الصابرين في قوله تعالى : " إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ " فمع أنّ الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير " فمع أنّ الذين صبروا وعملوا الصالحات قد أخرجوا في الحكم عن اليؤوسين الكفورين الفرحين الفخورين ، إلاّ أنّ هذا الإخراج فيه معنى التضادّ بين الفريقين ، وهو أنّ الذين صبروا وعملوا الصالحات ليسوا يؤوسين ، ولا كفورين ، ولا فرحين ، ولا فخورين ، بل هم صابرون شاكرون ، يعملون الصالحات ، ولهذا فلهم مغفرة وأجر كبير .

وعلى ذلك فالمضادّة حاصلة بينهما لهم ، وحال الكافرين ، في موقف الفريقين من نعماء الله عليهم .

---

١. هود / الآيات ٩ - ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولو اقتصر معنى الاستثناء في الآيات الكريمة على الإخراج ، لكان ناقصا ولذا فهم على حال مخالفة لحال الكافرين الجاحدين ، فغفر الله - سبحانه وتعالى - للصابرين الشاكرين ، لأنّ المغفرة مقترنة بالتضادّ في الموقف ، لا في الإخراج ، لأنّ الإخراج لا يدلّ على أنّ حالهم ضدّ حال الكافرين .

وهذا تجديد في فهم معنى الاستثناء ، الذي لا يقتصر على معنى الإخراج فحسب بل يؤدّي إلى ما يمكن لنا أن نسمّيه الاقتران التضادّي في علوم البلاغة .

وقال تعالى : " فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ "(١)

يرى النحويون - من خلال حدّ الاستثناء عندهم - أن (قليلا) الواردة في أسلوب الاستثناء في الآية الكريمة ، تدلّ على الذين قد أخرجوا من الأقوام الذين لا ينهون عن الفساد في الأرض .

ولكنّ هذا المعنى الذي أشار إليه النحويون ، الدالّ على الإخراج ، يبقى ناقصا ، لأنّ هؤلاء القلّة الناجين ليسوا مخرجين من الأقوام الذين لا ينهون عن الفساد فحسب ، بل هم داخلون بما هو ضدّهم ، لأنّهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والفساد ، ويدعون إلى الخير .

فحال هؤلاء الناجين الذين يأمرون بالمعروف ، ويدعون إلى الخير ، وينهون عن الفساد والمنكر ، مضادّة لحال الأقوام الذين لا ينهون عن المنكر والفساد في الارض .

ولذا كان حكم الله - عزّ وجلّ - في الفريقين مختلفا ، لاختلاف الحال التي هم عليها ، كما أنّ في هذا الأسلوب الاستثنائي دعوة لنا بالأمر بالمعروف والخير والنهي عن المنكر والفساد .

---

١ . هود / من الآية ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : " قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ "(١)

إنّ المستثنى (عبادك) في هذه الآية الكريمة ، ليسوا مخرجين من الإغواء فحسب ، كما ذكر النحويون ، وإنّما خرج الاستثناء إلى معنى التضادّ ، فهم كذلك مهتدون ، لا سلطان لإبليس عليهم ، ولن يستطيع إغواءهم ، لأنّ الله - سبحانه وتعالى - أخلصهم لطاعته ، وطهّرهم من كلّ ما ينافي ذلك ، أو الذين أخلصوا الطاعة لله - عزّ وجلّ - إذا قرئت (مخلصين) بكسر اللام .

ولذا فحال هؤلاء المخلَصين أو المخلِصين ، مضادّة لحال من يغويهم ابليس في الحياة الدنيا ؛ لأنّ هؤلاء المخلصين لم ينجرفوا وراء إغوائه ، ولأنّ مصيرهم في الآخرة مضادّ لمصير الذين أغواهم ابليس ، وأوقعهم حبائله ، وعصيان الله - عزّ وجلّ - فالموقفان متضادّان في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، بين الفريقين لاختلاف المقام ومقتضى الحال بينهم .

وقال تعالى : " فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا "(٢)

إنّ المستثنى (الذين تابوا) في هذه الآية الكريمة ، ليسوا مخرجين فحسب من الذين أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات - كما يرى النحويون - وإنّما هم في حالة مضادّة لحالهم ، فخرج معنى الاستثناء من الإخراج إلى التضادّ ، لأن هؤلاء التائبين آمنوا وعملوا الصالحات ، وهذا معنى مضاد لمعنى أضاعوا الصلاة ، لأن معنى أضاعوا الصلاة : تركوا الصلاة ولم يُصلّوا .

ويبدو هذا التضادّ في حكم الله - سبحانه وتعالى - في الفريقين ، فالذين أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشهوات سيلقون غيّا ، أمّا المستثنون وهم من تاب وآمن وعمل صالحا ، فسيدخلون الجنّة .

---

١. الحجر / الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .
٢. مريم / الآيتان ٥٩ ، ٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : "قَالَ أَفَرَأَيْتُم ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُم عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ الذي خَلَقَني فَهُوَ يَهْدِينِ والذي هُوَ يُطْعِمُني وَيَسْقِينِ وإذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ والذي يُمِيتُني ثُمَّ يُحْيِينِ والذي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ"(١)

انّنا إن طبّقنا معنى الاستثناء على هذه الآيات الكريمة في قوله تعالى : "قَالَ أَفَرَأَيْتُم ما كُنْتُم تَعْبُدونَ أَنْتُمْ وَآباؤُكُم الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُم عَدُوٌّ لي إِلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ" على أنه إخراج المستثنى (رب العالمين) من (ما كنتم تعبدون) وهو المستثنى منه، لكان هذا المعنى مبتورا ناقصا ،لأنّه يدلّ على أنّ (ربّه) ليس عدوا له كتلك الآلهة .

ولذا فقد خرج معنى الاستثناء الى التضاد ،بين (رب العالمين) والآلهة التي كانوا يعبدون ، والتي هي عدوّ له ، وممّا يثبت هذا التضادّ قوله : الذي خلقني فهو يهدين ، والذي يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثمّ يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدّين فالله - سبحانه وتعالى - ليس خارجا من عداوته فحسب ، وإنّما هو الذي يسيّر أموره في الدنيا والآخرة ، والمتفضّل عليه في جميع المنافع العاجلة والآجلة ،وبيده ملكوت كلّ شيء ،إنّه على كلّ شيء قدير .

إنّ هذه الصفات والأعمال الربّانية الواردة في الآيات الكريمة تؤكّد أنّ معنى الإخراج في الاستثناء مبتور ،لأنّها سمات وخصائص وأعمال تناقض ما لتلك الآلهة التافهة التي لا تجلب نفعا ولا ضرا ، ولذلك فليس الأمر إخراجا ، وإنّما هو تضادّ كبير بين (الله) - سبحانه وتعالى - وبين تلك الآلهة التافهة ، لا بل معنى الإخراج الذي يزعمه النحويون في هذا الاستثناء يقرّبنا من دائرة الحرام بإخراج (الله) - عزّ وجلّ - العظيم القدير ، الذي خلق كلّ شيء ،من تلك الآلهة التافهة ، لأنّ الأصل أن لا يكون الله - سبحانه وتعالى - داخلا في تلك الآلهة ، تنزيها لجلال عظمته وتعظيما ، فنخرجه منهم - تعالى شأنه -

فحاله - سبحانه وتعالى - تضاد حال تلك الآلهة التي لا تنفع ولا تضر ،

---

١. الشعراء / الآيات ٧٥ - ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعاجزة عن فعل أيّ شيء ، لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه ، فهي أحقر من أن تخرج ربّ العزّة منها لأنه - سبحانه وتعالى - ضدّ هذه الآلهة ، والضدّان لا يجتمعان البتّة ، حتى نخرج أحدهما من الآخر .

وقال تعالى "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا"(١)

إنّ معنى الاستثناء القائم على إخراج الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الشعراء المشركين الذين هم في كلّ واد يهيمون ، وأنّهم يقولون مالا يفعلون ، معنى ناقض للاستثناء في هذه الآية الكريمة قد خرج من التضادّ بين موقف الشعراء المؤمنين ، والشعراء المشركين من الدعوة الإسلاميّة ، وفي صفات كلّ فريق منهم .

فحال الشعراء المؤمنين في الآيات الكريمة ، وموقفهم من الإسلام والثبات فيها ، ضدّ حال الشعراء المشركين في مواقفهم من الاسلام والرسول - صلّى الله عليه وسلّم - إذ كان حسّان بن ثابت (- ٥٤ هـ) يمدح الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - ويدافع عن الدعوة الاسلامية ، ويهجو المشركين وزعماءهم وشعراءهم . في حين كان الشعراء المشركون ومنهم عبد الله بن الزّبعرى (- ٥ هـ) وكعب بن زهير (- ٢٦ هـ) قبل أن يسلما يهجوان المسلمين والرسول - صلّى الله عليه وسلّم - وشتّان بين موقف الفريقين ، فهما موقفان متضادّان .

وقال تعالى : "قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ"(٢)

ليس معنى الاستثناء في هذه الآية الكريمة قائماً على إخراج الذين آمنوا من الخلطاء الباغين المعتدين ، ولكنّ الاستثناء خرج إلى معنى التضادّ بين حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وحال الخلطاء الباغين المعتدين ، لأنّ معنى الإخراج

---

١. الشعراء / الآيات ٢٢٤ - ٢٢٧ .

٢. سورة ص/ الآية ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يؤدّي إلاّ إلى أنّ الذين آمنوا ، لا يبغي بعضهم على بعض ، في حين أنّ المعنى الحقيقي للاستثناء في الآيـة الكريمـة : أنّهم إضافة إلى ذلك المعنى ، فإنهم يعملون الصالحات ، وهي أعمال كثيرة ، يصعب حصرها ، لأنّ كل عمل غير محرّم يكون مـن الصالحات ، وهذه الأعمال الصالحة ، تجعلهم في موقف مضادّ لأولئك الباغين المعتدين وفرق كبير بين حال الفريقين في الآيـة الكريمـة .

وقال تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ "(١)

إنّ معنى الإخراج الذي ذهب إليه النحويون في حدّ الاستثناء ، لا يستقيـم في هذه الآية الكريمة ، لأنّ فيه الجمع بين الله - سبحانه وتعالى - وغيره من الآلهـة والأصنام ، الذي يجب اجتنابه ، لما فيه من إيهام التسوية بين الله - سبحانه وتعالى - وبين غيره - جـلّ وعـلا -

ولذا فليس معنى الاستثناء في هذه الآية الكريمة ، الإخراج ، وإنّما يدل على معنى التضاد بين الله - عزّ وجلّ - وبين ما يعبدون من آلهة وأصنام وأوثان تافهـة وهي التي تبرأ منها سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لأنه لم يقتنع بها ، لما هي فيه مـن الضعة وعدم الفائدة ، لأنها أصنام جامدة هامدة ، لا حياة فيها ولا حراك ، فحطّـمها اهانة وتحقيرا لمن يعبدها ، وعبد الله وحده ، الذي بيده ملكوت كلّ شيء ، وهو على كلّ شيء قديـر .

وقال تعالى : " الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ "(٢)

إنّ المتّقين في هذه الآية الكريمة ليسوا مخرجين من أخلاء السوء الذين هـم بعضهم عدوّ لبعض ، وإنّما هم على حال من المحبّة والألفة والتقوى ، تناقض حال أخِلاّء السّوء المتعادين الذين يمكر بعضهم لبعض .

وبذلك فقد خرج معنى الاستثناء إلى معنى التضادّ بين حال كلّ من الفريقين لما بين الحالين من اختلاف وتناقض .

---

١ . الزخرف / الآيتان ٢٦ - ٢٧ ٢ . الزخرف / الآية ٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : " إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً إِلاَّ المُصَلِّينَ الذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِم دَائِمُونَ "(١)

على الرغم من أنّ المستثنى (المصلين) من جنس المستثنى منه (الانسان) وأنّه يدلّ على إخراج هذا المستثنى من المستثنى منه ، في الآية الكريمة إلاّ أنّ الاستثناء ، يتجاوز معنى الإخراج الذي فرضه النحويون ، إلى معنى التضادّ ، بين حال المصلّين ، الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم ، والذين يصدّقون بيوم الدّين ، ويؤمنون بالحساب والعذاب ، ولهذا فهم من عذاب ربّهم مشفقون . . . . إلى آخر ما وصفهم الله - تعالى - من تلك الصفات الصالحة ، وحال الانسان الذي وصفه الله - تعالى - بالخوف والهلع والبخل والإمساك .

وعلى ذلك فإنّ ما تحمل الآيات من معان متضادّة بين الفريقين ، يبرز هذا التضادّ بين حال المصلين وحال غيرهم ، ممّا يؤكّد فضل الصلاة وأهمّيتها .

وقال تعالى : " والعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ "(٢)

يرى النحويون أن المستثنى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أخرجوا من الخسر ، تطبيقا لرأيهم ، بأن الاستثناء هو الإخراج ، وإلى هنا ينتهي معنى الاستثناء عندهم ، وتقف مهمّته ، ولكنّ هذا المعنى يبقى ناقصا ، لأنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ليسوا مخرجين من الخسر فحسب ، بل إنّهم داخلون بما هو ضدّ الخسر ، وهو الربح ، وإلى هذا المعنى أشار الإمام الرازي ، زين الدين محمد بن أبي بكر (- ٦٦٦ هـ) بقوله : " فإنّ قيل الاستثناء الذي في السورة (العصر) إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لا يدلّ على أنّ المؤمنين الموصوفين في الربح ، مع أنّ الاستثناء ، إنّما سيق لمدحهم بمضادّة حالهم لمن لم يتناوله الاستثناء قلنا : الاستثناء وإن لم يدلّ بصريحه على أنهم في أعظم ربح ، ولكنّ اتصافهم بتلك الصفات الأربعة الشريفة وهي : الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر يدلّ على أنهم في أعظم ربح ، مع أنّا لو قدرنا أنهم ليسوا في ربح ، فالمضادّة حاصلة

١ . المعارج / الآيتان ١٩ ، ٢٣ . ٢ . العصر / الآيات جميعها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنّهم ليسوا في خسر بمقتضى خروج الاستثناء إلى معنى التضاد[١]

ويوجد في القرآن الكريم عدد غير قليل من آيات الاستثناء ، التي يخرج فيها الاستثناء من معنى الإخراج الذي حدّده النحويون إلى معنى التضاد ، وبخاصّة في الآيات التي تشتمل على استثناء يرمي إلى المقارنة بين المستثنى والمستثنى منه . ممّا يجعل المعنى في هذه الآيات الكريمة يتطلّب هذا التضاد .

---

١. الأنموذج الجليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل : ص ٥٤٧ ، الأمام زين الدين الرازي ، عن مجلّة الأزهر / وجب / ١٤١٠ هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خـــروج الاستثنـــاء المفرّغ (القصـــر) على مقتضـــى الظاهر :

يمتاز القرآن الكريم بنحو خاص بـه ، على نسق في الأداء ، تُراعى فيه حال المخاطب ، فزادت تراكيبه جمالاً وروعة ، وجعلت أساليبه متميّزة على أساليب البلغـاء لما امتازت بـه من قوّة الإقناع وروعة الامتاع .

لم تكتف هذه الأساليب بعرض أصل المعنى أو ظاهره ، وإنّما أملت على القارئ ، أن يهتم بما يلي هذا الأصل والظاهر من عناصر جمالية .

فكانت أساليب الاستثناء في القرآن الكريم مجالا رحبا لهذه العناصر الجمالية في آياتـــه ، لم تكتمل عند النحويين ، عندما وضعوا قواعدهم النحوية لقلّة تأثيرها في إقامة تلك القواعد .

" فقد اعتمدوا في وضع قواعد النحو العربي على ما بلغهم من كلام العرب ، شعره ورجزه ونثره ، أو آثروا جانب المنطق ، فتصوروا القاعدة قبل استقراء المادة اللغوية ، وركبوا مركب الشطط ، فحكموا على مواضع من آي القرآن الكريم ، بخروجها على النحو وقواعده وركنوا إلى التأويل والتخريج ، لتنسجم تلك المواضع بأساليبهـــا الرائعة وتراكيبها الدقيقة مع ما افترضوا من قواعد ، وما رسموا للنحو من حـــدود . وأحسب أنّ دراسة النحو القرآني قمينة أن تقيم قواعد النقد على أصولها التاريخيـــة الصحيحة ، وتبنيها على أسسها الفنية السليمة "(١)

وبذلك فقد فرط النحويون في استقراء أساليب القرآن الكريم ، ممّا جعلهـــم يهملون كثيرا من تلك الأساليب ، وبخاصّة أساليب الاستثناء ، كلّ ذلك لأنّهم بنـــوا قواعد النحو على غير أساليب القرآن الكريم ، ممّا جعلهم يعزلون قواعد النحو عمّا هـو موجود في بعض تراكيب آي الذكر الحكيم وأساليبها .

فيرى النحويون أنّ الاستثناء المفرّغ (القصر) هو ما فرّغ فيه ما قبل (إلاّ) لما بعدها ، فيقول ابن السّراج : " فإن فرّغت الفعل لما بعد (إلاّ) فإنّه يعمل فيمـــا بعدها لأنّك إنّما تنصب المستثنى إذا كان اسما من الأسماء ، وهو بعضها ، فأمّا

---

١. نحـــو القرآن : ص ٧ . أحمد الجواري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا فرغت الفعل لما بعد (إلاّ) عمل فيما بعدها ، وزال ما كنت تستثني منه ،وذلك نحو قولك ما قام إلاّ زيد . فزيد مرتفع بقام . وكذلك : ما ضربت إلاّ زيدا . وما مررت إلاّ بعمرو . ولمّا فرغت الفعل لما بعد (إلاّ) عمل فيه (١) .

فزيد في الجملة الأولى : فاعل . وفي الجملة الثانية . مفعول به . وعمرو في الجملة الثالثة : اسم مجرور بحرف الجر والجار والمجرور : متعلّق بالفعل مرّ ، وبذلك تلغى (إلاّ) الاستثنائية ،وتصبح أداة حصر .

ويرى النحويون كذلك ،أن الاستثناء المفرّغ ،يجب أن يكون مسبوقا بنفي أو شبهه وهو ما يدلّ على معنى النفي ،لأنّهم يرون أنّ المعنى لا يستقيم بالإيجاب ، ويصبح كذبا أو محالا .

ويكاد يتّفق النحويون جميعهم على هذا الرأي ، وهذه القاعدة ،إلاّ ابن الحاجب ،عثمان بن عمر (- ٦٤٦ هـ) الذي يرى صحّة مجيء الاستثناء المفرّغ بعد الإيجاب ، وجوّزه دون أن يسبقه نفي ، أو ما يدلّ على معنى النفي (٢) .

لقد كان سيبويه ، من أوائل من أشاروا إلى وجوب سبق الاستثناء المفرّغ بنفي ، أو ما يدلّ على نفي بقوله : " فأمّا الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل أن تلحق (إلاّ) فهو أن تدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه ،وذلك قوله : ما أتاني إلاّ زيد . وما لقيت إلاّ زيدا وما مررت إلاّ بزيد . تجري الاسم مجراه إذا قلت ما أتاني زيد . وما لقيت زيدا . وما مررت بزيد .ولكنك أدخلت (إلاّ) لتوجب الأفعال لهذه الأسماء ، ولتنفي ما سواها (٣) .

ثم جاء المبرّد وأخذ أمثلة سيبويه نفسها وقال : " والاستثناء على وجهين أحدهما أن يكون الكلام محمولا على ما كان عليه قبل دخوله الاستثناء ، وذلك قولك ما جاءني إلاّ زيد . وما ضربت إلاّ زيدا . وما مررت إلاّ بزيد . فإنّما يجري هذا على

---

١. الأصول في النحو : جـ١ ،ص ٢٨٢ ،ابن السّراج . وانظر:كتاب سيبويه جـ٢ ، ص ٣١٠ .
٢. الكافية في النحو : ص ٤٦ ، ابن الحاجب .
٣. كتاب سيبويه : جـ٢ ،ص ٣١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قولك : جاءني زيد ،ورأيت زيدا ، ومررت بزيد ، وتكون الاسماء محمولة على أفعالها وانّما احتجت إلى النفي والاستثناء ،لأنّك إذا قلت : جاء زيد ، فقد يجوز أن يكون معه غيره ، فإذا قلت : ما جاءني إلاّ زيد ، نفيت إلاّ مجيئه ، وذلك جميع ما ذكرناه"(١)

كما أنّ الفرّاء الكوفي وافق سيبويه والمبرّد في ذلك ، بقوله : " ولولا الجحد (النفي) لم تجز دخول (إلاّ) كما أنّك لا تقول : ضربت إلاّ أخاك ، ولا ذهب إلاّ أخوك"(٢)

وقال ابن مالك " . . . . وله بعد (إلاّ) من الإعراب أن ترك المستثنى منه وفرّغ العامل له ،ماله مع عدمها . ولا يفعل ذلك دون نهي أو نفي صريح أو مؤوّل"(٣)

كما أشار إلى هذا الرأي الأشموني ، مؤيدا رأي ابن مالك في هذه المسألة.(٤)

وذكر هذا الرأي الزمخشري ،وفصّل فيه ابن يعيش ، بقوله :" . . .والذي يؤيّد ذلك عندك ،أنك تقول : ما زيد إلاّ قائم . نفيت عنه القعود والاضطجاع،وأثبتّ له القيام . ولا تقول:إلاّ قائما"(٥)

وقد بيّن الرضي الاستراباذي ،محمد بن الحسن (- ٦٨٦ هـ) هذا الجانب وهذه المسألة في الاستثناء بقوله :" لو قلت : قام إلاّزيد . لكان المعنى : قام جميع الناس إلاّ زيد . وهو بعيد ، وقرينة تخصيص جماعة من الناس من جملتهم زيد منتفية في الأغلب . فامتنع الاستثناء المفرّغ في الإيجاب الموجب"(٦)

وقد أخذ السيوطي برأي الجمهور في هذه المسألة ،فقال :" في قولك : قام إلاّ زيد . وضربت إلاّزيدا ، ومررت إلاّ بزيد ، فالجمهور على منعه ، لأنه يلزم منه

---

١. المقتضب : جـ٤ ، المبرّد .
٢. معاني القرآن : جـ ١ ، ص ٤٣٣ . الفرّاء .
٣. تسهيل الفوائد : ص ١٠١ ،ابن مالك .
٤. شرح الأشموني : جـ١ ،ص ٢٣٠ .
٥. المفصّل: ص ٦٩ ، الزمخشري ، شرح المفصّل : جـ٢ ،ص ٨٢ ،ابن يعيش .
٦. شرح الكافية : جـ١ ،ص ٢١٥ ،ص ٢١٧ ، الرضي الاستراباذي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكذب ، اذ تقديره ثبوت القيام والضرب والمرور بجميع الناس إلاّ زيدا ، وهو غير جائز بخلاف النفي فإنه جائز"(١)

كما ذكر هذا الرأي الشيخ العطّار ، حسن بن محمد (- ١٢٥٠هـ) في حاشيته على الأزهرية(٢) .

ولكنّ ابن الحاجب انفرد بقوله بجواز مجيء الاستثناء المفرّغ بعد الإيجاب بشرط الإفادة المعنوية ، كما في قولك : قرأت إلاّ يوم كذا ، لأنّه يجوز أن يقرأ الأيام كلّها إلاّ يوما(٣)

ومع أن الاستثناء المفرّغ في القرآن الكريم ، قد ورد في آيات كريمة كثيرة ، تربو على أربعمائة مرّة ، وكان في معظمها مسبوقا بالنفي ، أو ما في معناه ، إلاّ أنّه قد وردت مجموعة من الآيات الكريمة جاء فيها الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب ، ولم يكن مسبوقا بنفي أو شبه نفي ، لا بل ورد في بعض هذه الآيات الكريمة الإثبات مؤكّدا مما يستبعد تأويله بالنفي .

وهنا يمكن خروج الاستثناء المفرغ على مقتضى الظاهر في تلك الآيات الكريمة معنى ومبنى ، وهذه الآيات الكريمة هي :

قوله تعالى : " واسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلَاةِ وإنّها لَكَبِيرَةٌ إلاّ عَلَى الخَاشِعِينَ "(٤)

نجد أنّ الاستثناء المفرغ في هذه الآية الكريمة ليس مسبوقا بنفي أو شبه نفي ، وإنّما هو مسبوق بإثبات مؤكّد بإنّ وا للام ، مما يجعله بعيدا عن إمكانية تأويله بالنفي ، كما فعل ابن هشام بقوله : " والمعنى: أنّها لا تسهل إلاّ على الخاشِعِينَ "(٥) وكتأويل ابن هشام ، عَمِلَ الزركشي في البرهان(٦) .

---

١. همع الهوامع : جـ١ ، ص ٢٢٣ ، السيوطي .
٢. انظر : حاشية الشيخ حسن العطّار على الأزهرية : ص ١١٩ .
٣. الكافية في النحو : ص ٤٦ ، ابن الحاجب .
٤. البقرة / الآية ٤٥ .
٥. مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٦٧٦ ، ابن هشام .
٦. البرهان في علوم القرآن : جـ٤ ، ص ٢٨٧ ، الزركشي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في حين إنّنا نجد المفسرين ، لم يتأوّلوامعنى النفي ، ولم يخرجوا على الظاهر ، ورأوا أنّ الاستثناء المفرّغ في هذه الآية الكريمة ، لم يسبقه نفي ، أو شبه نفي ، فقال أبو حيّان : " . . . والتأويل بالنفي ليس بشيء ، لأنّ كلّ موجب إذا أخذت في نفي نقيضه أو ضدّه ، كان كذلك فليجز : قام القوم إلاّ زيدا ، لأنّه يؤوّل بقولك : لم يجلسوا إلاّ زيد . ومع ذلك لم تعتبر العرب هذا التأويل فبني عليه كلامها "(١)

كما عدّ الآلوسي الاستثناء في الآية الكريمة مفرغا ، دون أن يسبقه نفي أو ما يدل على نفي ، ودون أن يلجأ إلى تأويل الإيجاب الوارد في الآية الكريمة إلى نفي ، فقال : " الاستثناء في الآية مفرّغ ، أي: إنّها كبيرة ، (الصلاة) على كلّ أحد إلاّ على الخاشعين ، وهم المتواضعون المستكينون "(٢)

وقال تعالى : "وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ "(٣)

ففي قوله تعالى : " وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ على الذينَ هَدَى اللَّهُ " (إِنْ) هي المخفّفة من (إنّ) الثقيلة التي تفيد التأكيد ، وألغيت عن العمل فيما بعدها بتوسط (كان) و (اللام) . وهذه (اللام) هي الفاصلة بين المخفّفة والنافية(٤) . فلو كانت (إنْ) نافية لما وجدت اللام في (الكبيرة) . وهذا ما يؤكّد أنّها مخفّفة من (إنّ) .

كما أنّ المقام ومقتضى الحال يتطلّبان هذا التأكيد الذي ورد في الآية الكريمة ، لأنّه لمّا وجّه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى القبلة قالوا : يا رسول الله ، فكيف بالذين ماتوا وهم يصلّون إلى بيت المقدس ؟ فنزلت " وان كانت لكبيرة على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم " أي صلاتكم إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس .

---

١ . البحر المحيط : جـ١ ، ص ٢٨٧ ، أبو حيان .
٢ . روح المعاني : المجلّد الأوّل ، جـ١ ، ص ٢٤٩ ، الآلوسي .
٣ . البقرة / من الآية ١٤٣ .
٤ . روح المعاني : المجلّد الأوّل ، جـ٢ ، ص ٧ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بما أنّ (إنْ) هذه مخفّفة من (إنّ) وليست نافية ، فإنّ الاستثناء المفرّغ في هذه الآية ، لم يسبق بنفي ، بل سبق بإيجاب مؤكّد ، مما يستحيل تأويله بنفي كما فعل النحويون ، ليخضعوا النصّ لقواعدهم . وإن هذا التأويل بالنفي ، يخرج الآيـة الكريمـة عن معناها ومقصدها وغايتها ، وبهذا خروج على مقتضى الظاهـر فيهـا .

وقال تعالى : " قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُم حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ "(١) .

إنّ جملة (لتأتنني بـه) جواب قسم مضمر ،إذ المعنى : حتى تحلفـوا بالله وتقولوا : والله لتأتينك بـه ، فالاستثناء مفرّغ ، ولم يسبق بنفـي ، بل سبق بقسم والقسم يتضمّن تأكيد الإثبات .

ولكنّ النحويين ،وبعض من تبعهم من المفسّرين ، ومنهم الإمام الزمخشري ، أصروا على تأويل القسم بالنفي ، فقال الزمخشري : (لتأتينني بـه) أي : " لا تمتنعون من الإتيان بـه "(٢)

وقد اشبع الآلوسي مسألة الاستثناء في الآية الكريمة ، بحثا واستقصـاء واستشهادا ،ومما قاله : " والاستثناء قيل : مفرّغ من أعم الأحوال ، والتقدير : لتأتنني بـه على كل حال إلّا حال الإحاطة بكم . وقيل الاستثناء مفرّغ من أعم العلل ، علـى تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق إليه ،أي : لتأتنني ولا تمتنعن من الإتيان بـه إلّا للاحاطة بكم ، كقولهم : أقسمت عليك إلا فعلت ،أي : ما أطلب إلا فعلك "(٣)

ولكنّه يرى جواز أنْ يكون الاستثناء بالآية الكريمة استثناء مفرّغا ، دون أن يؤوّل بالنفي ، كقولنا : " لألزمنّك إلا أن تقضيني حقي ، وكقولنا : صلِّ إلّا أنْ تكون محدثا ، أو قولنا : لأحجّنّ العامَ إلّا أنْ أُحصر وذلك لا يستلزم الاحتياج إلـى

١. يوسف / من الآيـة ٦٦
٢. انظر : الكشاف : جـ٢ ،ص٢٦٦ ، الزمخشري .
٣. روح المعاني : المجلّد السابع ، جـ١٣ ،ص١٤ ،الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التأويل بالنفي (١)

ومما يوضح عدم حاجة النص والسياق إلى النفي ، أو تأويله ، إجابة ابناء يعقوب - عليه السّلام - إلى ما أراد ، بقوله تعالى مباشرة : " فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ (٢) وهذا تنفيذ لقسمهم في أوّل الآية الكريمة .

إنّ الخروج في النص والسياق على مقتضى الظاهر ، واخضاعه ليوافق قاعدة نحوية ، وضعها النحويون ، دون ان يستقرئوا آيات كتاب الله العزيز ، أمر مستهجن وغريب ، ويدلّ على تقصير لدى النحويين ، فلو انّهم انطلقوا في قواعدهم النحوية من النص القرآني ، لما تجشّموا ، ولما جشموا أنفسهم ، هذه التأويلات التي لا تجوز بحق آيات كتاب الله العزيز ، وهذا ملمس واضح لكتابة هذا الفصل في آيات كتاب الله العزيز ، وهذا ملمس واضح لكتابة هذا الفصل في هذه الدراسة .

ولو انّنا سلكنا طريق النحويين في تأويل كلّ آية أو سياق ورد فيه الاستثناء المفرّغ ، بعد الإيجاب ، لما وجدنا في لغتنا إثباتا يصعب تأويله بالنفي ، أو يستحيل عكس معناه إلى النفي .

وقد ذكر اللغويون وأرباب اللغة والنحويون أنّ هناك الفاظا في اللغة العربية ، يوسى معناها بالنفي ، مما يسهل تأويلها ، وقد أشار إليها رضي الدين الاستراباذي في شرح الكافية بقوله : " وتأويل النفي في غير الالفاظ المذكورة (أبى قلّ ، أقلّ) نادر ولا يجوز : مات الناس إلاّ زيد ، أي : لم يعش إلاّ زيد (٣)

وقد ورد الاستثناء مصدّرا بأبى ويأبى ، في قوله تعالى : " يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٤) "

---

١ . روح المعاني : المجلد السابع ، جـ١٣ ، صـ١٥ ، الآلوسي .
٢ . يوسف / من الآية ٦٦ .
٣ . شرح الكافية : جـ١ ، ص ٢١٣ ، رضي الدين الاستراباذي .
٤ . التوبة / الآية ١٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : "وَلَقَدْ صَرَّفْناه بَيْنَهُم ليذّكّروا فَأَبَى أكثرُ النّاسِ إلاّ كُفُوراً"(١)

وقوله تعالى : "وَلَقَدْ صَرّفْنا للنّاسِ في هَذا القُرآنِ مِنْ كُلّ مَثَلٍ فَأَبَى أكْثَرُ الناسِ إلاّ كُفُوراً"(٢)

وقوله تعالى : "أَوَلَمْ يَرَوْا أنّ اللّهَ الذي خَلَقَ السّماواتِ والأرْضَ قادرٌ عَلَى أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم وَجَعَلَ لَهُم أجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظّالِمُونَ إلاّ كُفُوراً"(٣)

فقد أوّل النحويون الفعل يأبى وأبى في الآيات الكريمة السابقة بفعل منفيّ ليخضِعُوا المعنى فيها لآرائهم النحوية ، في وجوب تصدير الاستثناء المفرّغ بالنفي أو بما يفيد معنى النفي .

ومن المسائل الغريبة التي خرج فيها النحويون في قواعدهم على مقتضى الظاهر في النص القرآني الكريم ، ولم يأخذوا لجانب المقام ومقتضى الحال أي أهمّية وتأثير في السياق والمعنى ، في باب الاستثناء المفرغ ، فأدى هذا الاهمال لجانب المقام ومقتضى الحال ، الى أنهم منعوا أن يجيء الاستثناء المفرغ في الاستعمال اللغوي ، وفي القول العربي ، بعد (ما زال) و (ما انفك) و (ما برح) و (ما دام) و(ما فتئ) لأنّ نفي هذه الصيغ إيجاب في المعنى ، إذ إنّ معنى ما زال : ثبت وبقي وكل ذلك القول عندهم ، كي لا يسبق الاستثناء المفرغ إيجاب ، وإصرارهم أنْ يكون مصدّرا بالنفي.

وعلى الرغم من أنّ ابن الحاجب قد خالف آراء النحاة في هذه المسألة ولم ير وجوب تصدر جملة الاستثناء في الاستثناء المفرغ بالنفي ، إلا أنه قد تراجع عن رأيه ، أو يبدو ذلك لنا ، فهاد يقول : " ومن ثم لم يجز ما زال زيد إلا عالما . لأنّ معنى ما زال : ثبت ، فصار الاستثناء مفرغا في الواجب ، فلا يستقيم المعنى فيه"(٤)

---

١. الفرقان / الآية ٥٠ . ٢. الاسراء / الآية ٨٩
٣. الإسراء / الآية ٩٩ .
٤. الكافية في النحو: ص، ٤٦ ، ابن الحاجب .

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبع رضي الدين الاستراباذي ابن الحاجب في هذا الرأي بقوله : " ومن جهة أنّ المفرّغ إنّما يجيء في غير الموجب ، امتنع قولنا : ما زال زيد إلا عالما لأنّ ما زال موجب ، إذ النفي إذا دخل على النفي ، أفاد الإيجاب الدائم ، فيكون المعنى : دام زيد على جميع الصفات إلا على صفة العلم ، وهو محال "(١)

فكيف رفض الرضي الاستراباذي هذا المعنى ، وقبل قولنا : ما المتنبي إلاّ شاعر وما الشاعر إلاّ المتنبي ؟ مع أنّ الدلالة العامة للمعنى فيما رفض ، وفيما أقرّ متشابه .

وان هذا المجال في نظر النحويين ، قد ورد في الأسلوب القرآني ، في غير موضع ، دون أن يُشكل في نظمه أو يُلبس في معناه ، ومن ذلك قوله تعالى : " لا يَزَالُ بُنْيَانُهُم الذي بَنَوا رِيبَةً في قُلُوبِهِم إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهم واللّهُ عَليمٌ حَكِيمٌ "(٢)

إنّ النحويين لم يتعرّضوا للبحث في اسلوب الاستثناء في هذه الآية الكريمة كما أنّ المفسرين لم يتعرّضوا له إلاّ القليل منهم ، فقال الآلوسي : " الاستثناء في قوله تعالى : " إلا أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهم " من أعم الأوقات ، أو أعم الأحوال ، وما بعد (إلا) في محل نصب على الظرفية ، أي لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت ، إلا وقت تقطع قلوبهم ، أو في كلّ حال ، إلا حال تقطعها ، أي تفريقها "(٣)

فالاستثناء في هذه الآية الكريمة مفرّغ ، وقد جاء بعد (لا يزال) التي تفيد الإثبات والإيجاب ، وهذا يخالف رأي النحويين الذين يَرَوْن أنّ وقوع (إلا) بعد ما زال وأخواتها محال . مما يؤكّد خروج الاستثناء على مقتضى الظاهر الذي وضعه النحويون ، وبنوا عليه قواعدهم النحوية ، دون الرجوع إلى آي الذكر الحكيم للتأكّد من صحّة قواعدهم وآرائهم ، وسلامتها وموافقتها للنظم القرآني المعجز قبل تعميمها .

وقوله تعالى : " وَإنْ طَلّقْتُمُوهُنّ مِنْ قَبْلِ أنْ تَمَسّوهُنّ وَقَدْ فَرَضْتُم لَهُنّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُم إلاّ أنْ يَعْفُونَ "(٤)

---

١. شرح الكافية : جـ١ ، ص ٢١٧ ، رضي الدين الاستراباذي .
٢. التوبة / الآية ١١٠
٣. روح المعاني : المجلّد السادس ، جـ ١١ ، ص ٢٤ ، الآلوسي .
٤. البقرة / من الآية ٢٣٧

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد ورد الاستثناء المفرّغ "إلا أنّ يعفون" في هذه الآيـــة الكريمـــة دون أن يكون مسبوقا بنفي أو شبه نفي ، وإنّ المقام في هذه الآية الكريمة يتطلـــب هذا الإيجاب في الحكم ، لأنّه تشريع من الله - سبحانه وتعالى - بيّن فيه حكم مهـــر المطلّقات وصداقاتهن ، قبل المسيس بهـــن ، فلهن نصف هذا المهر إلّا أنّ يعفون . " فهو استثناء مفرّغ من أعم الأحوال ، أي : " فلهن نصف المفروض ، معيّنا في كـــلّ حال إلّا حال عفوهنّ ، أي : المطلقات المذكورات ، فإنّه يسقط ذلك حينئذ بعـــد وجوبـــه "(١) .

ولكي يتخلّص النحويون من تأويل النفي في هذه الآية الكريمة ، التي تشتمل على حكم ثابت ، لأنّهم لا يستطيعون نفي هذا الحكم والتشريع الرّباني ، قالـــوا : إنّه استثناء منقطع ، لأنّ المستثنى ليس من جنس المستثنى منه ، أي أن عفوهنّ عن النصف ليس من جنس أخذ هِنّ .

في حين يرى أبو حيّان أنّ الاستثناء هنا في هذه الآية الكريمة متّصل ، لكنّه من الأحوال ، لأنّ قوله تعالى : " فنصف ما فرضتم " معناه : عليكم نصف ما فرضـــتم في كلّ حال إلّا في حال عفوهنّ عنكم "(٢) .

ولكنّ النحويين يرون أنّه لا يجوز أن يأتي الحال من المصدر المؤوّل من أن والفعل ، ولذا فهو استثناء مفرّغ ، جاء بعد كلام موجب مثبت ، لا يمكن تأويله بالنفي

وقال تعالى : " ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ "(٣) .

ورد الاستثناء في هذه الآية الكريمة مفرّغا ، وهو استثناء من أعمّ الأحـــوال والمعنى : ضُرب عليهم الذلّة في عامّة الأحوال إلّا في حال اعتصامهم بحبل من الله

١. روح المعاني : المجلّد الأوّل ، جـ٢ ، ص ١٥٤ ، الآلوسي .
٢. البحر المحيط : جـ٢ ، ص ٢٣٥ ، أبو حيّان .
٣. آل عمران / الآيـــة ١١٢ .

وحبل من الناس ، وبذلك جاء الاستثناء في الآية الكريمة مفرّغا موجبا ، ولم يسبق بنفي كما قال النحويون واشترطوا لإقامة هذا النوع من الاستثناء ، فجاء خارجا على مقتضى الظاهر لديهم .

ويقول الفراء في هذه الآية الكريمة : "إنّ في هذا الاستثناء إضمارا ،أي : "إلاّ أنْ يَعْتَصِمُوا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ"(١) . ولكنّنا نرى أنّ لا مبرّر لهذا التقدير في الآية الكريمة ، واحتماله بعيد ، لوجود العطف بعده بقوله تعالى : "وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ" لأنّ الاعتصام لا يكون إلاّ بحبل من الله ،وليس بحبل من الناس .

كما نفى أبو حيّان أن يكون الاستثناء في الآية مفرّغا ، ورأى أنه استثناء منقطع ، كي لا يلجأ إلى التقدير وتأويل النفي(٢) .

وقال تعالى : "وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إلى أَهْلِهِ إلاّ أنْ يَصَّدَّقُوا"(٣)

ففي قوله تعالى :"إلاّ أنْ يَصَّدَّقُوا" استثناء مفرّغ ، ورد بعد حكم شرعي قرره الله -سبحانه وتعالى- في كفّارة من يقتل مؤمنا بطريق الخطأ .

ولكن هذا الاستثناء المفرّغ ، قد ورد بعد إيجاب ، ولا نستطيع أن نؤوّله بنفي ،أو شبه نفي ،لأنّ المقام ومقتضى الحال في الآية الكريمة ، يأبى هذا التأويل ويرفضه ،إذ لا يجوز لنا أن ننفي الأحكام الشرعية ، ونعكس معناها ،لما في ذلك من مخالفة لمقتضى الظاهر في معنى الآية والسياق .

ولهذا قال العكبري :" قيل:هو استثناء منقطع ، وقيل:هو استثناء متصل والمعنى : فعليه دية في كل حال إلاّ في حال التصدق عليه بها"(٤) .

---

١. معاني القرآن : جـ١ ، ص ٢٣٠ ،الفرّاء .
٢. البحر المحيط : جـ ٢ ، ص ٣١ ، ابو حيّان .
٣. النساء / الآية ٩٢ .
٤. إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص ١٩٠ ،العكبري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو لم يذكر أنّ الاستثناء مفرّغ تحاشيا من أن يقر بوقوعه بعد إيجاب .

ويرى أبو حيّان الذي خطّأ رأي الزمخشري في تخريج هذا الاستثناء ، أنّ الاستثناء منقطع في هذه الآية الكريمة[1] ولذلك فلا حاجة إلى تأويله بالنفي .

وقال تعالى : "وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"[2]

فقد ورد الاستثناء في هذه الآية الكريمة استثناء مفرّغا ، يخدم موقفا ومقاما حرجا في ساحة القتال ، فأوضح هذا الاستثناء فنون القتال ، والكرّ والفرّ ودواعيهما ، لأنّه ليس كلّ نكوص عن الأعداء هزيمة ، فجاء أسلوب الاستثناء معبّرا تعبيرا دقيقا عن هذا الحكم ، ولا يصلح أسلوب آخر أن يسدّ مكانه في هذا المقام الدقيق الذي يكون فيه الفرق بين التولّي وخِداع العدو دقيقاً جدّا .

على الرغم مِنْ أنّ الآية الكريمة لا نفي فيها ولم يسبق الاستثناء بنفي ، أو شبه نفي فيها ، فقد ورد هذا الاستثناء مفرّغا ، ولكنّ النحويين أوّلوه بالنفي ، فقالوا : إنّ معنى يولّي : لا يقبل على القتال ، كي يثبتوا صحّة رأيهم في جواز استخدام الاستثناء المفرّغ المسبوق بالنفي فحسب .

وهذا مخالف للمعنى الدقيق الوارد في الآية الكريمة ، لأنّ معنى يولّي : "ليس (لم يقبل) إذ إنّ لم يقبل : أحجم ، وليس (ولّى) و (هرب) . وفرق شاسع بين التولّي ، وعدم الإقبال . والهروب والإحجام .

فكان هذا التأويل من قبل النحويين ، لمعنى الآية الكريمة ، مخالفا المعنى الذي قصده ربّ العزّة ، وبهذا يكون تأويلهم مخالفا للمقام الذي تصوره الآية الكريمة وتخدمه .

---

١. البحر المحيط : جـ٣ ، ص٣٢٣ ، أبو حيّان .

٢. الأنفال / الآية ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : " والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير "(١)

وهكذا فإن الإسلام دين قويم ومستقيم ، يحافظ على العهود والمواثيق ، فعبر الله - سبحانه وتعالى - عن هذه المحافظة بأسلوب الاستثناء المفرغ ، الذي يحصر الحكم ويحدده ، فمناصرة هؤلاء الباقين من المسلمين في مكة ، واجبة في جميع الحالات والظروف ، إذا طلبوا النصرة والمساعدة ، إلا إذا كان في هذه النصرة نقض لعهد أو ميثاق .

وقد ورد الاستثناء المفرغ في هذه الآية الكريمة بعد الإيجاب ، مقرونا بالشرط الذي يفيد التأكيد ، الذي لا يقبل التأويل بالنفي ، فخرج على مقتضى الظاهر ، الذي تمسك به النحويون ، وبنوا عليه قواعدهم .

وقال تعالى : " ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم "(٢)

إن مراعاة القرآن الكريم للمقام ومقتضى الحال ، يتجلى بأروع صورة في هذا الأسلوب الاستثنائي ، عندما استعمل الفعل المضارع (يمسك) ولم يستعمل الفعل الماضي ، لأن الفعل المضارع يفيد الاستمرار التجددي إلى يوم الدين .

ويرى الآلوسي أن الاستثناء مفرغ في هذه الآية ، من أعم الأسباب ، وصحح ذلك في الموجب(٣) . مما يثبت عدم وصول النحويين في هذه المسألة إلى الرأي السديد لعدم تطابقه مع طرائق نظم العربية في الاستثناء المفرغ فخرجوا برأيهم هذا الذي اشترطوا فيه نفي جملة الاستثناء المفرغ ، على مقتضى الظاهر في هذه الآية الكريمة .

---

١. الأنفال / الآية ٧٢ .
٢. الحج / من الآية ٦٥ .
٣. روح المعاني : المجلد التاسع ، جـ ١٧ ، ص ١٩٤ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكنّ الآلوسي أضاف قائلا : " وقيل الاستثناء في الآية الكريمة ، من أعمّ الأحوال ، فيكون المعنى : لا يتركها تقع في حال من الأحوال ، إلاّ في كونها ملتبسة بمشيئته تعالى "(١) .

ومع ذلك فإنّ الاستثناء في هذه الآية الكريمة ، يبقى استثناء مفرغا ، لأنّه - سبحانه وتعالى - قرن وقوع السماء بإذنه ومشيئته ، دلالة على تفرّده وحده بهذا العمل ، لأنّه بيده ملكوت كلّ شيء ، وهو على كلّ شيء قدير ، فحصر العمل في الآية الكريمة بنفسه تعالى - لأنّه هو الذي خلق السماء ، وبإذنه يتم تشققها ووقوعها ، وبقدرته ومشيئته يمسكها أن تقع على الأرض .

وقال تعالى : " والذين هُم لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ إلاّ عَلَى أَزْوَاجِهِم أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم فَإِنَّهُم غيرُ ملومينَ "(٢)

فقد ورد الاستثناء مفرّغا من أعمّ الأحوال ، ومعنى ذلك : أنّهم حافظون لفروجهم في جميع الأحوال إلاّ حال كونهم والين وقوامين على أزواجهم ، أو حال تزوجهم أو تسرّيهم ، وكأنّه قيل : يُلامون إلاّ على أزواجهم ، أي يلامون على كلّ مباشرة وجماع ، إلاّ على ما أُطلق لهم وسمح ، فانّهم غير ملومين عليه "(٣) .

إنّ الاستثناء في هذه الآية الكريمة ، قد ورد استثناء مفرّغا مسبوقا بإيجاب وإثبات ، ولم يسبق بنفي ، وهو قوله تعالى : " والذين هُم لِفُرُوجِهِم حافِظُونَ " إنّ صيغة اسم الفاعل في لفظ (حافظون) الوارد قبل الاستثناء جاء معبّرا عن المقام بدقّة ووضوح في الحال والإستقبال ، لما للعلاقة المتينة بين صيغة الفعل المضارع وصيغة اسم الفاعل .

كما أن ورود لفظة (على) في جملة الاستثناء زاده تخصيصا والتزاما وتحديدا ، بقوله تعالى : " إلاّ على أزواجهم " لأنّه الأكثر إيحاء ، والأدقّ تعبيراً

---

١. روح المعاني : المجلّد التاسع ، جـ ١٧ ، ص ١٩٤ ، الآلوسي .
٢. المؤمنون / الآيتان ٥ ، ٦ .
٣. روح المعاني : المجلّد التاسع ، جـ ١٨ ، ص ١٤ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قولنا : إلاّ أزواجهم ، فكان ذلك الأسلوب تأكيداً على تأكيد ، لأنّ الاستثناء نفسه تأكيد ، وبخاصّة المغزى منـــــه .

وقـــــد ورد هذا الاستثناء نفسه في موضع آخر من القرآن الكريم ، بقولـــه تعالى : " والذينَ هُمْ لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ إلاّ عَلَى أزْوَاجِهِم أوْ مَا مَلَكَتْ أيمانُهم فإنّهُـــم غَيْرُ مَلُومِينَ "(١) .

فقـــد ورد أسلوب الاستثناء في هذه الآية الكريمة كذلك غير مسبوق بنفـــي أو شبه نفي ، كسابقتها ، وبذلك فقد خرج هذا الاستثناء على مقتضى الظاهر .

وقال تعالى : " وَأُولُو الأرْحَامِ بَعْضُهُم أوْلَى بِبَعْضٍ في كتاب اللّهِ مِـــــنَ المُؤمِنِينَ والمُهَاجِرِينَ إلاّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوليائِكُم مَعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ في الكِتَابِ مَسْطُوراً "(٢) .

ورد في كتب أسباب النزول(٣) ، أن الاستثناء في هذه الآية الكريمة ، بعـــد نسخ التوارث في المدينة المنورة ، هذا التوارث الذي كان معمولاً به ، بُعيد الهجرة النبوية ، لأخوّة الاسلام ، ولظروف خاصّة كانت سائدة ، في بداية نشأة الاسلام فـــي المدينة المنوّرة ، مما ساعد على التكافل الاجتماعي ، في بناء المجتمع الاسلامي .

ثـــم رُدّت المواريث للأنساب ، وذوي القرابات الشاملين للعصبات ، وفـــق ما أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومعنى الآية الكريمة : إنّ ذوي القرابات بعضهم أولى بحال بعض ، ومنافعه في الميراث ، إلا ما صدر في الحياة من صدقة ووصية ، فإنّهـــم ليسوا أولى فيه ، لأنّه استثني من الحكم .

وقـــد ورد هذا الحكم الشرعي بالإيجاب والإثبات ، قبل الاستثناء ، لأنّ المقام ومقتضى الحال والظاهر ، لا بُدّ أن يكون فيه الحكم الشرعي في الإيجاب والإثبات

---

١. المعارج / الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .
٢. الأحـــزاب / من الآيـــة ٦ .
٣. انظر : أسباب النزول : ص ٢٠٩ ، أبو الحسن النيسابوري . لباب النقول في أسباب النزول : ص ١٧٩ ، جلال الدين السيوطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا في النفي ، لأنّ الأحكام الشرعية المفروضة ملزمة ، فلا تكون إلاّ في الإثبات .

وبما أن هذا الاستثناء ورد خارجا على آراء النحويين وقواعدهم ، فقد رأى العكبري أنّه استثناء ناقص من غير الجنس ، وتقديره : وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في الإرث والانتفاع به ، ولكن إذا فعلتم مع غيرهم من أوليائكم خيرا من معروف أو صدقة أو وصية ، كان لكم ذلك ،أو أن يكون المعنى : وأولي الأرحام أولى من المؤمنين والمهاجرين الاجانب ، فيكون الاستثناء من غير الجنس[١] .

وقال تعالى : " وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ "[٢] .

إنّ الاستثناء في هذه الآية الكريمة مفرّغ ، و (ما) الواقعة بعد (إلاّ) ظرفية زمانية " أي إنّ النفس أمّارة بالسوء في كلّ وقت من الأوقات إلاّ في وقت رحمة ربّي وعصمته ،وبذلك يكون النصب على الظرفية ،لا على الاستثناء[٣] لأنّ (ما) يغلب أن لا تكون في محل نصب مستثنى ، لدلالتها على غير العاقل ، ممّا يؤكد أنها ظرفية زمانية ، وليست موصولة .

وقد ورد هذا الاستثناء في الآية الكريمة استثناء مفرّغا بعد إيجاب، فخرج على مقتضى الظاهر ، ولكن جمهور النحويين يرون أنّ الاستثناء في الآية الكريمة منقطع ، وجعلوا (ما) للعاقل ،وهذا خلاف لما وضعوه لاستعمال (ما) لغير العاقل ، و(من) للعاقل ، وعلى ذلك ،فليس الاستثناء منقطعا أو متّصلا ، وإنّما هو استثناء مفرّغ ، ورد ليبين أثر النفس الأمّارة بالسوء في أعمال الإنسان ، وليس لها رادع إلاّ رحمة الله وفضله على عباده ، فتقيهم هذه الرحمة من نوازع هذه النفس الأمّارة بالسوء ، وأعمال الشر ، فتستقيم حياة البشر .

---

١. انظر : إعراب ما من به الرحمن : جـ٢ ،ص ١٩١ ، العكبري .
٢. يوسف / الآية ٥٣ .
٣. روح المعاني : المجلّد السابع ، جـ ١٣ ،ص ٢ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ورد هذا الاستثناء المفرّغ بعد جملتين متتاليتين ، احتوت الأولى منها على نفي ، ولازم الثانية توكيد بأداتين ، كل ذلك لبيان أثر رحمة الله تعالى في عباده ، لتنظيم سير حياتهم ، وتيسيرها ، ودرء المعاصي والمفاسد عنهم .

وقال تعالى : " قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ، فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ "(١)

لقد ورد هذا الاستثناء في الآية الكريمة على لسان العزيز ، في ردّه على أخوة يوسف ـ عليه السلام ـ بقوله تعالى : " معاذ الله أنْ نأخذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ " استثناء مفرّغا لم يسبق بنفي أو شبه نفي ، فجاء ردّ العزيز بهذا الأسلوب الاستثنائي المفرّغ على إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ موافقا للمقام ومقتضى الحال ، ومخالفا لمقتضى الظاهر الذي زعمه النحويون ، لأنّ العزيز بردّه هذا ، أراد أن يقضي على أملهم بموافقته على أخذ أحدهم مكان أخيهم .

وقد جاء هذا الموقف الرافض منه ـ إضافة إلى اسلوب الاستثناء المفرّغ قوله : معاذ الله ، وقوله : إنا إذا لظالمون ، وجميعها أساليب تفيد تأكيد الرفض لما طلب إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ وتبرر هذا الرفض أحسن تبرير .

هذه هي الآيات الكريمة التي وردت في الاستثناء المفرّغ بعد الإيجاب، ممّا يؤكد خروجه على مقتضى الظاهر ، الذي زعمه النحاة ، وبنوا عليه قواعدهم ، ممّا يتطلّب إعادة النظر في تلك القواعد ، وبناءها وفق ما ورد في القرآن الكريم وفصيح القول العربي شعره ونثره من أساليب .

ولم يقتصر ورود الاستثناء المفرّغ بعد الإيجاب ، في أساليب القرآن الكريم فحسب ، بل إلى جانب ما ورد في القرآن الكريم منه ، فقد ورد أسلوب الاستثناء المفرّغ بعد الإيجاب ، في فن القول العربي ، في عصور الاستشهاد ، ومنها :

---

١. يوسف / الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : ما رُوي عن النبي - صلّى الله عليه وسلّم - حين جعل أبو دُجانة يتبختر بين الصفّين في معركة أحد ، قوله - صلّى الله عليه وسلّم - "إنّها لَمِشْيَةٌ يَبْغُضُها اللّهُ وَرَسُولُه إلّا في هذا المَوطِنِ" (١)

إنّ مراعاة المقام ومقتضى الحال تجاوز الكلم والاقوال ، إلى الهيئة في هذا الحديث النبوي الشريف ، وقد ورد الاستثناء المفرغ في هذا الحديث النبوي الشريف ، بعد إيجاب مؤكّد بإنّ ، دون أن يُسبق بنفي أو ما يدل على معنى النفي كما اشترط النحويون .

ثانيا : قول جميل بثينة ، جميل بن عبد الله بن معمر (- ٨٢ هـ) :

أَلاَ قَدْ أَرَى إلّا بُثَيْنَةَ هَا هُنا لَنا بَعْدَ ذا المُصْطَافِ والمُتَرَبَّعِ (٢)

فورد الاستثناء المفرغ في البيت بعد إيجاب مؤكّد (بقد) ، وليس مسبوقا بنفي أو شبه نفي ، كما قرر النحويون في قواعدهم .

ثالثا : قول النميري ، محمد بن عبد الله (- ٩٠ هـ)

فَلو كانَتِ العَنْقاءُ مِنْكَ تَطِيرُ بِي لَخِلْتُكَ إلّا أنْ تَصُدَّ تَرانِي (٣)

فقد ورد الاستثناء المفرّغ في البيت المذكور ، بعد الإيجاب ، وليس مسبوقا بنفي .

رابعا : وقول الأخطل ، غياث بن غوث (- ٩٠ هـ)

صَحَا القَلْبُ إلّا من ظَعائِنَ غادَتي بِهِنَّ أميرٌ مُستَبِدٌّ فأصْعَدا (٤)

اذ ورد الاستثناء المفرغ ، في هذا البيت ، بعد ايجاب ، وغير مسبوق بنفي

إنّنا لو تتبعنا ما وصلنا من فن القول العربي ، في عصور الاستشهاد واستقرأناه ، لوجدنا عددا لا بأس به من الشواهد الشعرية والنثرية ، قد جاءت على هذا الاسلوب الاستثنائي ، الذي ورد فيه الاستثناء مفرّغا بعد الإيجاب .

---

١ . نهاية الأرب : ج١٧ ، ص ٨٧ ، النويري .
٢ . ديوان جميل بثينة : ص ٦٩
٣ . الأغاني : ج٦ ، ص ٢٠٠ ، أبو الفرج الاصفهاني .
٤ . ديوان الأخطل : ص ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد ذلك كلّه ، فان الاستثناء المفرّغ يأتي في الاستعمال اللغوي غالبا مسبوقا بالنفي ، أو ما يدل على النفي ، أو ما يمكن تأويله بالنفي ، ويأتي كذلك مسبوقا بالايجاب ، دون الحاجة إلى أن يكون مسبوقا بالنفي ، كما قرر النحويون . ممّا يوضح عدم الدقّة في هذه القاعدة ، لعدم استقرائهم النص القرآني وفن القول العربي ، في هذه المسألة .

ولعلّ مسألة النفي والإيجاب في اسلوب الاستثناء المفرّغ ، تعود إلى جوانب لها علاقة مباشرة بالأسلوب ، وطريقة العرض ، وهي اختلاف القائل أو المنشئ ، واختلاف المخاطبين ، واختلاف حال المخاطبين ، وتغيير المقامات ومقتضيات الاحوال ونوع الموضوع وطبيعته ، إلى غير ذلك من المؤثّرات التي تستدعي النفي أو الايجاب في هذا الاسلوب .

لأن تلك المؤثرات المذكورة حلقات متصلة ، تتطلّب أساليب متنوّعة ذات خصائص تركيبية ونحوية مختلفة .

ولكنّ هذه المؤثرات في تنوّع الأساليب التركيبية والنحوية ، لم تلفت انتباه النحويين في بعض القواعد التي وضعوها وبنوا عليها الدرس النحوي العربي ، ومنها قواعد الاستثناء المفرّغ في هذه المسألة .

إذ إنّهم لو تنبهوا إلى أثر المنشئ والمخاطب والمقام ومقتضى الحال ، ونوع الموضوع ، في تنوع الأساليب ، لما الحوا على وجوب النفي ، أو ما في معنى النفي قبل الاستثناء المفرغ ، ولأقروا بجواز مجيء هذا الأسلوب الاستثنائي بعد الايجاب لأنّ المنشئ والمخاطب والمقام ومقتضى الحال ، ونوع الموضوع وطبيعته ، يتطلّب هذا التنوع بين النفي والايجاب .

كما خرج الاستثناء المفرغ على مقتضى الظاهر ، فيما وضع النحويون من قواعد ، في قولهم : ان الفعل الماضي لا يقع بعد (إلاّ) في الاستثناء المفرّغ ، إذ يقول ابن السّراج : " ولا يجوز أن تقول : ما زيد إلاّ قام . فان قلت : ما زيد إلاّ يقوم . كان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جيدا ، لمضارعة (يفعل) الاسماء ..... فلا يجوز أن يقع بعد (إلّا) إلّا اسم أو مضارع له "(١)

وقد أيّد هذا الرأي أبو البركات بن الأنباري بقوله : " إنّ (إلّا) حرف يدخل على الاسم والفعل المضارع ، نحو : ما زيد إلّا يقوم ، وما عمرو إلّا يذهب ، ولم يجز دخوله على الفعل الماضي ، نحو : ما زيد إلّا قام ، وما عمرو إلّا ذهب "(٢)

ولكنّ المستقرئ للنص القرآني ، وفنّ القول العربي ، يلمس ، عدم دقّة هذه القاعدة ، ولذا فيبدو أنّ النحويين - أمام عدد من النصوص التي خالفت رأيهم - قد تراجعوا بعض الشيء ، عن رأيهم ، فقبلوا بوقوع الفعل الماضي بعد (إلّا) لكنّهم اشترطوا لذلك أنْ يقترن الفعل الماضي بعد (إلّا) بـ (قد) ، وأن يتقدّم (إلّا) فعل ماضي منفي ، وضرب ابن السّراج مثالين على ذلك بقوله : " فإن قلت ما زيد إلا قد قام ، فعلى وجه أنّ (قد) لمّا زادت ، ضارع الفعل بالزيادة التي قبله الأفعال المضارعة والاسماء ..... ألا ترى أنّ (قد) إذا لحقت الفعل الماضي ، صلح أن يكون حالا ، ثمّ ضرب مثالا آخر بقوله : وتقول : ما جاءني زيد إلّا تكلّم بجميل ليبيّن وجوب تقديم الفعل الماضي المنفي على (إلا) إذا جاء بعدها فعل ماض "(٣)

كما اشترط ابن مالك ما اشترطه ابن السّراج ، لوقوع الماضي بعد (إلّا)(٤)

وتبعهم في إيراد هذا الشرط ، رضي الدين الاستراباذي بقوله : " وأمّا الماضي فجوّزوا أن يليها في المفرّغ بأحد قيدين : وذلك إمّا اقترانه (بقد) نحو : ما الناس إلّا قد عبروا وذلك لتقريبها له من الحال المشبه للاسم وإمّا تقدّم ماض منفي نحو قولك : ما أنعمت عليه إلا شكر "(٥)

---

١. الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٩٩ ، ابن السّراج .
٢. الإنصاف في مسائل الخلاف ، جـ١ ، ص ٢٦٢ ، ابن الانباري .
٣. الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٩٩ ، ابن السّراج .
٤. انظر تسهيل الفوائد : ص ١٠٥ ، ابن مالك
٥. شرح الكافية : جـ١ ، ص ٢٢٩ ، رضي الدين الاستراباذي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم جاء جلال الدين السيوطي وأخذ بآراء من قبله من النحويين ، في هذين الشرطين (١) .

ومن النحويين الذين اشترطوا هذين الشرطين ، ابن يعيش (٢) .

ولكنّ الزمخشري لم يشترط هذين الشرطين ، إذ قال : " وقد أوقع الفعل موقع الاسم المستثنى في قولهم : نشدتك الله إلاّ فعلت ، وكذلك أقسمت عليك إلاّ فعلت (٣) "

أمّا إذا استقرأنا آيات القرآن الكريم ، فإنّنا نجد أنّ الاستثناء المفرّغ في آي الذكر الحكيم ، قد خرج على مقتضى الظاهر الذي وضع النحويون قواعدهم - في هذه المسألة - وفقه ، ولم يرد خاضعا لتلك الآراء التي وضعها النحويون ، لأنّ الفعل الماضي قد وقع بعد (إلاّ) في عشرين آية كريمة ، ليس فيها هذان الشرطان مما يؤكّد خروج الاستثناء على مقتضى الظاهر عند النحويين ، في قوله تعالى : "وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِم إِلاّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤)"

وقوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُم يَضَّرَّعُونَ (٥) "

وقوله تعالى : " وَمَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِم عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُم لا يُصِيبُهُم ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٦) "

---

١ . انظر : همع الهوامع : جـ١ ، ص ٢٣٠ ، السيوطي .
٢ . انظر : شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٩٢ ، ابن يعيش .
٣ . المفصّل : ص ٧٢ ، الزمخشري .
٤ . الأنعام / الآية ٤ .
٥ . الأعراف / الآية ٩٤ .
٦ . التوبة / الآية ١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "(١)

وقوله تعالى : " وما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ "(٢) وغيرهـــا (٣)

---

٠١ التوبـــة / الآيـــة ١٢١

٠٢ يونـــس / من الآية ٦١ .
يوسف / الآية ٣٧
الكهـــف / الآية ٤٩
الفرقان / الآيـــة ٣٣
سبأ / الايـــة ٣٤
يـــس / الآيـــة ٣٠
سورة ص/ الايـــة ١٤
الزخرف / الآيـــة ٧
البقـــرة / الآيـــة ٢٨٦

٠٣ هـــود / الآيتان ٥٣ ، ٥٤
الحجـــر / الآيـــة ١١
الانبيـــاء / الآيـــة ٢
الشعراء / الآيـــة ٥
فاطـــر / الآيـــة ٢٤
يـــس / الآيـــة ٤٦
الذاريات / الآيتـــان ٤١ ، ٤٢
الذاريـــات / الآيـــة ٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثـــــر حال المخاطب في خروج الاستثناء المفرّغ على مقتضى الظاهر :

إنّ لحال المخاطب وظيفة أساسية في خروج الاستثناء المفرّغ على مقتضـــى الظاهر ، لأنّ المنشئ أو المتكلّم يخاطب شخصا آخر ،أو فريقا آخر ، تربطه بـــــه علاقـــة مـــا .

وتقدير حال المخاطب ،يملي على المتكلّم أسلوبا معيّنا لمخاطبته ، وما وضع العرب أسلوب الاستثناء المفرّغ في تراكيبهم اللغوية ، ونظم الكلام لديهم ،إلاّ مراعـــاة لحال هذا المخاطب ،الذي ظنّوه مخطِئا ،ولديه إصرارٌ على خطئه " لأنّ أصل النفـي والاستثناء ،أن يكون الذي استعمل هو فيه من الأحكام التي يجهلها المخاطـــب وينكرها ، كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحا من بعيد : ما هو إلا زيد ، إذا اعتقد أنّ الشبح غـير زيـد ، مصرّاً على ذلك "(١)

وبناء على ذلك ،فقد يرى زميلان يسيران في الطريق ،شخصا مقبلا عليهمـــا من بعيد ،فيقول أحدهما للآخر : ذاك خالد . ولكنّ الزميل الآخر ينكر ذلك ،ويصـرّ على أنّه ليس خالدا . عندئذ يقول له زميله : ما ذاك إلاّ خالد ، إثباتا لرأيه وتأكيدا .

ويقول عبد القاهر الجرجاني :" وأمّا الخبر بالنفي والاثبات ، نحو : مـــا هذا إلاّ كذا ،وإن هو إلاّ كذا . فيكون للأمر ينكره المخاطب ، ويشكّ فيه ،فإذا قلت ما هو إلاّ مصيب . أو ما هو إلاّ مخطئ . قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته "(٢)

كما أوضح المبرّد الهدف من جمع النفي والاستثناء ،في هذا الاسلوب بقولـــه : " وإنّما احتجت إلى النفي والاستثناء ،لأنّك إذا قلت : جاءني زيد . فقد يجوز أن يكون معه غيره ،فإذا قلت : ما جاءني إلاّ زيد . نفيت المجيء كلّه إلاّ مجيئه "(٣)

فيبدو لنا من خلال هذا الكلام الذي ذكره المبرّد ، دلالة الاستثناء المفرّغ على معنى التأكيد والحصر ، لإقناع المخاطب بالأمر المختلف فيه ، وردّه عن خطئـــه

١. شرح التلخيص في علوم البلاغة : ص ٧٨ ، القزويني .
٢. دلائل الاعجاز : ص ٢١٧ ، عبد القاهر الجرجاني .
٣. المقتضـــب : جـ٤ ، ص ٣٨٩ ،المبرّد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواقع فيه ، وإبراز الحقيقة له وإثباتها .

ولهذا ، فما من موضع يأتي فيه أسلوب الاستثناء المفرّغ ، إلاّ والمخاطب عند المتكلّم ، مرتكب للخطأ ، ومصرّ عليه ، ومنكر لما يسمع .

ولكنّ هذا الاستثناء المفرّغ ، قد يخرج على مقتضى الظاهر ، ويخاطب به من ليس مخطئا ، أو مصرّا على الخطأ ، أو منكرا لما يسمع ، ومن ذلك قوله تعالى مخاطبا سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - : " وما يَسْتَوِي الأَحْياءُ والأَمواتُ إنّ اللّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ إنْ أَنْتَ إلاّ نَذِيرٌ "(١)

فقد خرج الاستثناء المفرّغ على مقتضى الظاهر في هذه الآية الكريمة ، لأنّ المخاطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهل يعقل أن يكون رضوان الله عليه - منكرا لرسالته التي أرسله الله من أجلها ؟ وهي هداية الناس وإنذارهم ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الايمان .

فخاطبه ربّ العزّة بهذا الأسلوب الاستثنائي " إنْ أَنْتَ إلاّ نَذِيرٌ " فخرج الاستثناء هنا على مقتضى الظاهر الذي ظنّه البلاغيون والنحويون ، ومما يثبت ذلك قوله تعالى في مكان آخر : " قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إلاّ ما شَاءَ اللّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وما مَسّني السُّوءُ إنْ أنا إلاّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "(٢)

في هذه الآية الكريمة إيضاح على لسان الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - بأنه رسول أرسله الله تعالى - بشيرا ونذيرا .

ومثل هذه الآية الكريمة ، قوله تعالى : " وبالحَقّ أَنْزَلْناهُ وَبالحَقّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْناكَ إلاّ مُبَشّراً وَنَذِيراً "(٣)

---

١. فاطر / الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
٢. الأعراف / الآية ١٨٨ .
٣. الإسراء / الآية ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : " قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ "(١)

ورد الاستثناء المفرّغ في هذه الآية الكريمة " إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا " خارجا على مقتضى الظاهر ، لأنّ الأنبياء - عليهم السلام - لا يمكن أن ينكروا كونهم بشرا ، أو يدّعوا أنّهم ملائكة ، أو آلهة ، أو غير ذلك .

ومع ذلك فقد خاطبهم الكافرون بهذا الاسلوب الاستثنائي الذي خرج على مقتضى الظاهر ، في معرفة حال المخاطب .

ومثل هذه الآية الكريمة قوله تعالى : " قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ "(٢)

ومثلها كذلك قوله تعالى : " وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ "(٣)

ومن الآيات الكريمة التي خرج فيها الاستثناء المفرّغ على مقتضى الظاهر ، بصورة جليّة واضحة ، لا تحتاج إلى تأويل ، قوله تعالى على لسان سيّدنا عيسى - عليه السلام - : " مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ "(٤)

فقد ورد الاستثناء المفرّغ على لسان سيدنا عيسى - عليه السلام - مخاطبا ربّ العزّة بقوله : " مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ " خارجا على مقتضى الظاهر لأنّه لا يعقل أن يكون الله - عالم الغيب والشّهادة ، وعالم سرّنا ونجوانا ، وعلّام الغيوب - جاهلا لما قاله سيّدنا عيسى - عليه السلام - لقومه .

---

١. إبراهيم / من الآية ١٠
٢. يس / الآية ١٥
٣. الشعراء / الآيتان ١١٤ ، ١١٥ .
٤. المائدة / الآية ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أجاب - عليه السلام - في هذا القول ، على ما طلبه الله - سبحانه وتعالى - في الآية السابقة لقوله تعالى : " وإذْ قَالَ اللّهُ يا عِيسى بنُ مَرْيَمَ أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُوني وأُمّي إلهينِ مِنْ دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَك ما يَكُونُ لِي أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لي بِحَقّ إنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما في نَفْسِي ولا أعْلَمُ ما في نَفْسِكَ إنّكَ أنْتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ "(١)

إنّ ما ورد على لسان سيدنا عيسى - عليه السلام - في هذه الآيات بقوله : " إنّكَ أنْتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ " لدليل وإثبات واضح على خروج الاستثناء في الآية الأولى بقوله : " ما قُلْتُ لَهُم إلاّ ما أمَرْتَني بِهِ " على مقتضى الظاهر ، لما فيه إثبات علم الله - سبحانه وتعالى - في هذا القول الذي يؤكّد أنّ الله علاّمُ الغيوب ، ولا تخفى عليه - سبحانه وتعالى - خافية ، لا في السماوات ، ولا في الأرض .

وقال تعالى : " يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحَاجّونَ في إبْراهِيمَ وما أُنْزِلَتِ التّوْراةُ والإنْجِيلُ إلاّ مِنْ بَعْدِهِ أفَلا تَعْقِلُون "(٢)

وقد خاطب الله - سبحانه وتعالى - أهل الكتاب من يهود ونصارى ، بأسلوب الاستثناء ، وقد خرج هذا الاسلوب على مقتضى الظاهر ، لأنّ المخاطبين لا ينكرون أن يكون سيّدنا إبراهيم - عليه السلام - سابقا بزمن طويل سيدنا موسى - عليه السلام - وسيدنا عيسى - عليه السلام - وهم لا يرفضون ذلك ، ولا يخطّئونه ، ولا يستطيعون ذلك ، لأنّ ما ورد في الآية الكريمة حقيقة دينية وتاريخية ثابتة ومعروفة ، ولا جدال فيها ، ومع ذلك فقد ورد الخطاب بصيغة الاستثناء وأسلوبه ، بقوله تعالى : " وَمَا أُنْزِلَتِ التّوْراةُ والإنجيلُ إلاّ مِنْ بَعْدِهِ أفَلا تَعْقِلُونَ " ، ولكنّ هذا الاستثناء الوارد في الآية الكريمة يفيد معنى آخر وهو أنّ سيّدنا إبراهيم - عليه السلام - ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما . وقد ذكر الآلوسي كلاما مفصّلا جميلا في هذه الآية الكريمة(٣)

---

١. المائدة / الآية ١١٦ .
٢. آل عمران / الآية ٦٥ .
٣. انظر : روح المعاني : المجلّد الثاني ، جـ٣ ، ص١٩٤ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما خرج الاستثناء المفرّغ على مقتضى الظاهر ، في شكوى سيّدنا موسى ـ عليه السلام ـ من قومه الذين خذلوه ، بقوله تعالى على لسان قومه : " قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ "(١)

فقد خاطب سيّدنا موسى ـ عليه السلام ـ ربّ العزّة ، بقوله : " إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نفسي وأخي " وفي هذا الأسلوب الاستثنائي خروج على مقتضى الظاهر، لأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يعلم ذلك الموقف المتخاذل من قوم موسى ، ولا يخفى عليه شيء ، ولا تخفى عليه صغيرة ولا كبيرة ، وانّه ـ سبحانه وتعالى ـ لا يشكّ في قول موسى ، ولا يرفضه ، لأنّه علّام الغيوب ، ومطّلع على ما جرى بين موسى وقومه الفاسقين الخارجين على طاعته ، ولهذا حكم الله عليهم بالتيه أربعين سنة.

وقال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ : " اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ "(٢)

إنّ ورود الاستثناء في هذه الآية الكريمة بقوله تعالى : " لا إله إلّا هو " خارجا على مقتضى الظاهر ، لأنّ المخاطب رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وهو لا ينكر أن الله لا إله إلّا هو ، ولا يحتاج إلى تأكيد وإثبات لذلك الحكم ، لأنّه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أكثر الناس إيمانا به ، ومما زاده خروجا على مقتضى الظاهر وقوعه بين فعلي أمر من ربّ العزّة للرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ تثبيتا وتمكينا .

ومن الآيات الكريمة التي تحتوي على أسلوب استثنائي خارج على مقتضى الظاهر ، قوله تعالى : " وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ، يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ "(٣)

---

١. المائدة / الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .
٢. الأنعام / الآية ١٠٦ .
٣. الأنعام / الآية ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي قوله تعالى : " فلا كاشف له إلا هو " حكم يؤمن به الرسول - صلى الله عليه وسلم - إيمانا مطلقا ، لأن من أركان الإيمان : الإيمان بالقدر ، خيره وشره من الله عز - عز وجل - .

وجملة القول ، فقد راعى القرآن الكريم ، بأساليبه ، قواعد نفسية وانفعالية ، وجوانب الاطمئنان لدى النفس البشرية في الخطاب، فيراعي حالات المخاطب كلها ولكن النحويين لم يلتفتوا ، لا بل لم ينتبهوا إلى هذه الجوانب التي ركز عليها القرآن الكريم في أساليبه ، عندما وضعوا قواعدهم وبخاصة في الاستثناء .

ولهذا جاءت بعض قواعدهم في مواطن كثيرة ، مخالفة لروح النص ومعناه ، لأن بعض تلك القواعد لم تراع حال المخاطب ، وما يحيط به من ظروف ، ولذلك خرج الاستثناء المفرغ على مقتضى الظاهر ، بسبب بعض تلك القواعد التي وضعوها ، دون أن يراعوا ما يترتب عليها من خروج على معنى السياق الظاهر والخفي .

والسر في ذلك ، أن النحويين نظروا إلى الاستثناء نظرة تجريدية قاعدية - غالبا - من غير ربطها بالشعور والحياة ، وبناء الفرد والمجتمع ، وهذا مناط الإعجاز القرآني ، في أننا نرى المطلح في كلام الناس وهو بحدوده في كلام رب الناس، لكن المضمون القرآني من غير نهاية ، إنما المضمون الانساني يتصل بحدود العقل البشري.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

أدوات الاستثناء وأنواعه في القرآن الكريم نحوياً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدوات الاستثناء في القرآن الكريم

ذُكرت أدوات الاستثناء الواردة في أساليب اللغة العربية ، وتم حصر ما يزيد على عشرين أداة للاستثناء ، استخدمها العرب في لغتهم وأساليبهم وقد أشار النحويون في مصنّفاتهم المختلفة إلى هذه الأدوات التي تستخدم أساليب الاستثناء ، وهذه الأدوات في اللغة العربية هي :
إلاّ ، غير ، خلا ، عدا ، ما خلا ، ما عدا ، سِوى ، سُوى ، سَواء ، سِواء ، حاشا حشا ، حاشَ ، حشى ، لايكون ، ليس ، إلاّ أن يكون ، لاسيّما ، بيد ، لمّا ، ما ، بَلْه ، حتّى ، دون ، أو ، وراء .

ولكن هل وردت هذه الأدوات الاستثنائية التي اشتمل عليها فنّ القول العربي ، في القرآن الكريم ؟ وهل دلّت على الاستثناء أو معناه ؟ وأية هذه الادوات أكثر استخداما في آي الذكر الحكيم ؟

إلاّ :

وهي أكثر أدوات الاستثناء استعمالا في القرآن الكريم ،إذ وردت في آي الذكر الحكيم ، في (ستمائة موضع وتسعة وخمسين موضع) في جميع أنواع الاستثناء ، وهي الاصل في أدوات الاستثناء ، لأنّ غيرها من الأدوات يقدّر بها ويُقاس عليها ، ويكتسب معنى الاستثناء من خلالها .

غير :

على الرغم من ورود (غير) في القرآن الكريم في (سبعة وأربعين موضعا ومائة موضع) فإنّها لم ترد استثنائية إلا في (سبعة عشر موضعا مختلفا فيها بين النحويين ، لأنّها قُرئت في تلك المواضع قراءات مختلفة ، رفعا ونصبا وجرا ، وفق مفهوم المعنى في السياق ، ومن هنا يتلازم الحديث عن الاستثناء نحويا ،ثم بلاغيا .

وهذه المواضع التي وردت فيها (غير) استثنائية مختلفا فيها هي :
قوله تعالى :" اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عَلَيْهِـــم ولا الضّالّينَ(١)

فقد قُرئت (غير) في هذه الآية الكريمة ، بالجرّ والنصب . أما الجـــرّ فلأنّها بدل من الذين ـ بدل كلّ من كلّ ـ أو بدل من ضمير (عليهم) ، ولا يخلـو من الركاكة بحسب المعنى . أو أنّها صفة ، ولكن (غير) نكرة ، وهي من الاسماء الموغلة في الإبهام ، فلا تتعرف بالإضافة ، ولذا فلا توصف بها المعرفة ، ولكنّ قلّـة من العلماء ، رأوا أنّها تتعرّف بالاضافة ، ويوصف بها المعرفة .

وقرأ سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ (غـــير) بالنصب ، وروى ذلك ابن كثير ، عبد الله بن كثير (ـ ١٢٠ هـ) فتكون غير في قراءة النصب حالا من ضمير (عليهم) . وجوّز الأخفش أنْ يكون النصب في (غير) علـــى الاستثناء . ويرى الخليل ابن أحمد أنّ (غير) منصوبة بفعل محذوف تقديره (أعني) ورأى بعض النحويين أن في الآية حذف ، والتقدير : غير صراط المغضوب عليهم (٢) "

ولعلّ أقرب هذه الآراء إلى الصواب (غيرِ) المجرورة،أن تكون بدلا مـــن (الذين) أو صفة ، وإن كانت (غير) نكرة ، لأنّ المعنى في الآية الكريمة يؤيّـد هذين الرأيين . أمّا (غيرَ) المنصوبة ، فأقرب الآراء إلى الصواب ، بعد تحكيـم المعنى بدقّة وحرص ،هو أن تكون (حالا) منصوبة ، ولذا فهي ليست استثنائية كما ذكر الأخفش ، لأنّها لا تحمل معنى الاستثناء إلا بعد تأويل المحـــذوف ولعلّه لا حذف في الآية الكريمة ولا ضرورة لتقديره .

وقوله تعالى : " لا يَسْتَوي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنينَ غَيْرُ أُولي الضّررِ والمُجَاهِدونَ في سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوالِهِم وأَنْفُسِهِم فَضّلَ اللّهُ المُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِم وأَنْفُسِهِم علـــى

---

١. الفاتحـــة / الآيتـــان ٦ ، ٧ .

٢. انظر : كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣٣٣ . معاني القرآن : جـ١ ، ص٣٩ ، الفرّاء . المقتضب : جـ٤ ، ص٤٢٣ ، المبرّد ، الكشّاف : جـ١ ، ص١٩ ، الزمخشري . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص٨ ، العكبري ، البحـــر المحيط : جـ١ ،ص٢٩ ، أبو حيّان ، مُغني اللبيب : جـ١ ،ص١٥٨ ،ابن هشام . روح المعاني : المجلّد الأوّل ، جـ١ ، ص٩٥ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١)

قُرئت (غير) في الآية الكريمة بالرّفع والنّصب والجرّ ، فتكون على الرفع صفة ، كما ذكر سيبويه والزمخشري . أمّا أبو حيّان فيرى أنّها بدل من (القاعدون) ورفض ابن يعيش الرفع فيها على البدليّة لعدم جواز المعنى .

وقرأ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (- ١٦٩ هـ) وعبد الله بن عامر ابن يزيد (- ١١٨ هـ) والكسائي ، علي بن حمزه (- ١٨٩هـ) وخلف بن هشام البزار الأسدي (- ٢٢٩ هـ) بنصب (غير) على الاستثناء ، أو على الحال . وقرأ الأعمش سليمان بن مهران (- ١٤٨ هـ) وأبو حيوة ، شريح بن صفوان (- ١٥٨هـ) (غير) بكسر الراء ، صفة للمؤمنين أو بدلا منهم (٢) .

ولعلّ قراءة الرفع أشهر القراءات ، فتكون بذلك صفة (القاعدون) أو بدلا منهم . لأنّ المعنى يتّسق وهذه القراءة ، وهذا الإعراب .

وقوله تعالى : " يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ " (٣)

فقد قرئت (غير) في الآية الكريمة بالنصب على الحال ، أو الاستثناء ، وأمّا قراءة الرفع ، فعلى أنّ (غير) صفة لبهيمة ، وصفة المرفوع مرفوعة (٤) .

---

١ . النساء / الآية ٩٥

٢ . أنظر : كتاب سيبويه : جـ٢ ، صفحة ٣٣٢ ، الكشّاف : جـ١ ، ص ٢٩١ ، الزمخشري . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ١٩١ ، العكبري . النشر في القراءات العشر : جـ٢ ، ص ٢٥١ ، ابن الجزري . البحر المحيط : جـ٣ ، ص ٣٣١ ، أبو حيّان . مغني اللبيب : جـ١ ، ص ١٥٨ ، ابن هشام . شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٨٩ ، ابن يعيش . روح المعاني : المجلّد الثالث ، جـ٥ ، ص ١٢١ ، الآلوسي .

٣ . المائدة / الآية ١

٤ . انظر : إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص ٢٠٥ ، العكبري . البحر المحيط : جـ٣ ، ص ٤١٨ ، أبو حيّان . روح المعاني : المجلّد الثالث ، جـ٦ ، ص ١٥٢ الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلّ نصبها على الحال أقرب الآراء دقّةً ،لأنّها تبيّن هيئتهم بعد معرفة وقد تكون منصوبة على الاستثناء ،لأنّ معنى الآية لا يتعارض مع هذا الإعراب

وقوله تعالى :" لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلـهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ "(١)

وفي قوله تعالى :" وإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ "(٢)

وقوله تعالى :" وإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ "(٣)

وقوله تعالى :" وإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيزانَ وَلا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ "(٤)

وقوله تعالى :" وإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ مُفْتَرُونَ "(٥)

وقوله تعالى :" وإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيها "(٦)

وقوله تعالى :" وإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ ولا تَنْقُصُوا المِكْيالَ والمِيزانَ "(٧)

وقوله تعالى :" ولَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ "(٨)

---

١. الأعراف / الآية ٥٩
٢. الأعراف / الآية ٦٥
٣. الأعراف / من الآية ٧٣
٤. الأعراف / الآية ٨٥
٥. هود / من الآية ٥٠
٦. هود / من الآية ٦١
٧. هود / الآية ٨٤
٨. المؤمنون / الآية ٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد قُرئت (غير) في هذه الآيات الكريمة جميعها برفع (الراء) وكسرها ونصبها .

أمّا الرفع وهي قراءة الجمهور ، فتكون (غير) صفة (إله) أو بدلا منه باعتبار محلّه ، الذي هو الرفع على الابتداء أو الفاعلية . أو أن تكون (غير) في موضع (إلا) فتقول : ما لكم إله إلاّ الله ، وما لكم إله غير الله فعلى هذا الوجه لا يجوز الخفض ، أي الجر .

وقرأ الكسائي (غير) بالجر ، باعتبار الصفة أو البدل على اللفظ ، لأنّ لفظ (إله) مجرور بحرف الجرّ الزائد (من) .

أمّا قراءة (غير) بالنصب ، فتكون استثناء منصوبا ، وذكر الكسائي والفرّاء أنّه يجوز نصب (غير) في كلّ موضع يحسن فيه (إلا) في موضعها تمّ الكلام أو لم يتم ، وقال الفرّاء : هي لغة بعض بني أسد وقضاعة . وذكر ابن يعيش أنّ حكمها حكم الاسم الواقع بعد (إلاّ) . ولكن أبا حيّان يفضّل قراءة الرفع والجر على قراءة النصب ، لأنها أفصح .(١)

ولكنّ القراءة السليمة هي الرفع ، على أنّها صفة أو بدل ، وأما قراءة النصب والجر فلعلّهما لغة لبعض القبائل ، كما ذكر الفراء .

وقوله تعالى : " قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ "(٢)

اختلف النحويون في نصب (غير) في الآية الكريمة ، فقيل : إنّها منصوبة على الاستثناء ، وقيل : إنّها منصوبة ، لأنّها مفعول به ثان (لتزيدونني) ومع أن

---

١ . انظر : معاني القرآن : جـ١ ، ص ٣٨٢ ، الفراء . إعراب القرآن : جـ٢ ، ص ١٣٤ ، النحّاس . النشر في القراءات العشر : جـ٢ ، ص ٢٧٠ ، ابن الجزري ، الحجّة في القراءات السبع : ص ٤٤ ، أبو علي الفارسي . الكشّاف : جـ٢ ، ص ٦٧ ، الزمخشري إعراب ما منّ به القرآن : جـ١ ، ص ٢٧٧ ، العكبري . مغني اللبيب : جـ١ ، ص ١٥٨ ابن هشام ، البحر المحيط : جـ٤ ، ص ٣٢٠ ، أبو حيّان . شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٩١ ، ابن يعيش . روح المعاني : المجلّد التاسع ، جـ١٨ ، ص ١٤٥ ، الآلوسي .

٢ . هود / الآية ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن عبّاس ،عبد الله بن عباس (- ٦٨ هـ) رضي الله عنهما - يرى أن المعنى : فما تزيد ونني شيئا غسير مضارة في خسرانكم ، فالكلام على حذف مضاف ، ولكنّ النحويين يرفضون أن تكون (غير) في الآية الكريمة صفة لمحذوف ،بتقدير فما تزيد ونني شيئا غير تخسير .(١)

وقال تعالى : "وَمَا ظَلَمْنَاهُم وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ"(٢)

ينطبق على (غير) في هذه الآية الكريمة ،ما ينطبق عليها في الآية الكريمة السابقة ،من حيث إعرابها ،نصبا على الاستثناء ،أو المفعولية ،أو الصفة .

وقال تعالى : "وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ ،أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ"(٣)

قرأ الجمهور (غير) في هذه الآية الكريمة بالجرّ ، على أنها صفة أو بدل على أنّ الصفة مرجوحة ،والبدل راجح ،لأنّ (غير) نكرة ، ولا تكون النكرة صفة لمعرفة .

وقرأ ابن عامر وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث(- ٩٤هـ) (غيرَ) بالنصب على الحال أو الاستثناء .(٤)

---

١. إملاء ما من به الرحمن : جـ٢ ،ص ٤١ ، العكبري . روح المعاني : المجلّد السادس ،جـ ١٢ ،ص ٩٠ ، الآلوسي .
٢. هود / الآية ١٠١ .
٣. النور / من الآية ٣١ .
٤. انظر : إعراب القرآن : جـ٣ ،ص ١٣٤ ،النحّاس . الكشّاف : جـ٣ ،ص ٧٢ ، للزمخشري . إعراب ما منّ به الرحمن : جـ٢ ،ص ٥٥ ، العكبري . البحر المحيط : جـ ٦ ،ص ٤٤٩ ، أبو حيّان . روح المعاني : المجلّد التاسع جـ ١٨ ، ص ١٤٥ ،الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : " يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبيِّ إلاّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُم إلى طَعَامٍ غيْرَ ناظِرينَ إناهُ ولكنْ إذا دُعِيتُم فادْخُلُوا فإذا طَعِمْتُم فانْتَشِرُوا "(١)

اختلف النحويون اختلافا بيّنا في إعراب (غير) في هذه الآية الكريمة ففي قراءة النصب ، يرى جمهور النحويين أنّها حال منصوبة من فاعل (تدخلوا) أو من مجرور (لكم) . ويقول النحّاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد (- ٣٣٨هـ) : نصب على الحال ، أي لا تدخلوا في هذه الحال ، ولا يجوز في (غير) الخفض على النعت للطعام . ويرى الزمخشري : أنّها مستثنى منصوب ، ورفض ذلك أبو حيّان ، معتمدا على رأي الجمهور ، مبيّنا أنها حال منصوبة وليست مستثنى .

وقُرئت (غير) بالكسر على أنّها صفة (لطعام) وهذا عند البصريين خطأ لأنّه على غير ما هو له ، وقبله الكوفيّون .(٢)

على أنّ إعرابها هو الحال ، وليس الاستثناء ، لأنّ معنى (غير ناظرين إناه) : غير منتظرين نضجه وبلوغه ، فتكون (غير) بهذا المعنى حالا ، وليست استثناء .

وقال تعالى : " يا أيُّها النّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّهِ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّماءِ والأرْضِ "(٣)

فقد قُرئت (غير) في الآية الكريمة مثلّثة ، بالرفع والجر والنصب ، فعلى الرفع يكون إعرابها صفة (لخالق) على الأصل ، أو بدلا من (خالق) وقيل : إن إعرابها فاعل (بخالق) - اسم الفاعل المسبوق بالاستفهام - سد مسدّ الخبر ولكن أبا حيّان رفض هذا الإعراب ، بسبب دخول (من) على اسم الفاعل (خالق)

---

١. الاحزاب / من الآية ٥٣ .

٢. انظر : إعراب القرآن : جـ٣ ، ص ٣٢٢ ، النحّاس ، الكشّاف : جـ٣ ، ص ٢٤٤ ، إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ١٩٤ ، العكبري ، البحر المحيط : جـ٧ ، ص ٢٤٦ أبو حيّان . روح المعاني : المجلّد الحادي عشر ، جـ٢٢ ، ص ٦٨ ، الآلوسي

٣. فاطر / الآية ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع أنّ النحويين يجيزون إعمال اسم الفاعل عمل الفعل ، بدخول (من) عليه .

ويرى الزمخشري في (غير) أن تكون خبرا ، ولكن المعنى لا يتسق بهذا الإعراب .

وقرأ حمزة بن حبيب (- ١٥٦هـ) والكسائي (غير) في الآية الكريمة بالكسر صفة (لخالق) على اللفظ ، وقرأ الفضل بن إبراهيم النحوي (- ٢١٩ هـ) (غير) بالنصب على الاستثناء[١] .

هذه هي الآيات الكريمة التي وردت فيها (غير) منصوبة على الاستثناء ، وقد لاحظنا من خلال المعالجات السابقة لها ، أنها مختلف فيها بين النحويين ، وفقا لقراءات القرّاء .

وعلى ذلك فيمكن القول : إنّ (غير) لم ترد في القرآن الكريم استثناء محضا خالصا متّفقا عليه من جمهور النحويين ، وإنّما وردت في مواقع إعرابية كثيرة متعدّدة ، تعدّد اللغات والقراءات ، مما يجعلنا أن نقول : إن (غير) أُقحمت على الاستثناء لدى النحويين إقحاما ، وإنّ الذي أملى عليهم ذلك ، معنى (غير) في السياق اللغوي . إذ إنّها تحمل معنى (إلاّ) وتسد سدّها ، وتتبادل معها المواضع ممّا جعلهم يعدّونها أداة استثناء .

ولهذا كان إعرابهم (غير) عندما تحمل معنى (إلاّ) إعرابا مرجوحا ، لأنّها قد تعرب إعرابا آخر ، راجحا .

فقد قالوا: إنّها قد تعرب إعراب الاسم الواقع بعد (إلا) إذا وضعنا (إلا) موضعها ، فلو قلنا : حضر المدعوون غير زيد . فان (غير) تكون منصوبة ، لأننا إذا وضعنا (إلاّ) مكانها ، لكان ما بعد (إلاّ) منصوبا على الاستثناء هكذا : حضر

١ . انظر : إعراب القرآن : جـ٣ ، ص ٣٦٠ ، أبو جعفر النحّاس . الحجّة في القراءات السبع : ص ١٢٢ ، أبو علي الفارسي . الكشّاف : جـ٣ ، ص ٢٦٧ ، الزمخشري إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ١٩٩ ، العكبري . البحر المحيط : جـ٧ ، ص ٣٠١ ، أبو حيّان . روح المعاني : المجلّد الحادي عشر ، جـ٢٢ ، ص ١٦٥ الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدعوون إلاّ زيدا . وإذا قلنا : ما حضر المدعوون غير زيد . فإنّ (غير) يجوز فيها النصب على الاستثناء ، والرفع على البدلية ،لأنّنا إذا وضعنا (إلاّ) مكانها ، فإنّ ما بعدها ، يجوز أن يكون منصوبا على الاستثناء أو مرفوعا على البدلية ، هكذا ما حضر المدعوون إلا زيدا أو زيدٌ ، (فغير) إن دلّت على الاستثناء تصلح أن تسدّ مسدّ (إلا) وأن كلّ موضع جاز أن نستثني فيه بـ(إلاّ) جاز الاستثناء فيه بغير)(١).

ولذلك فإن المواضع التي وردت فيها (غير) استثنائية ، في القرآن الكريم نادرة ، ووردت غير استثنائية في المواضع الأخرى الكثيرة ، التي سنعرض لها في الموضوع اللاحق .

---

١. المقتضب : جـ٤ ، ص٤٢٢ ، المبرّد . الجمل في النحو : ص٢٣١ . الزجّاجي . الأصول في النحو :جـ١ ، ص٢٨٦ ، ابن السرّاج . المفصّل :ص٧ ،الزمخشري الإنصاف في مسائل الخلاف ، جـ١ ،ص٢٩٠ ،ابن الأنباري. مغني اللبيب، جـ١ ،ص١٥٨ ، ابن هشام . أوضح المسالك الى الفية ابن مالك: جـ٢ ص٧٠ ، ابن هشام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إعـــــراب (غير) في القرآن الكريـــــم :

ليس من السهل الخوض في خلافات النحويين ، وقراءات القرّاء ، في إعراب (غير) الواردة في آي الذكر الحكيم ، لكثرتها وتعدّدها وضعف بعضها .

ولذا سيُأخذ في ذلك برأي جمهور النحويين ، وكتب إعراب القرآن المتوفّرة وما أورده المفسّرون في إعرابها .

وبعد رصد (غير) في آي الذكر الحكيم ، فقد تمّ حصر إعرابها فـــي القرآن الكريم ، فيما يلي :

ورودها في القرآن الكريم ، خبراً لمبتدأ :

وردت (غير) خبر المبتدأ في القرآن الكريم ، في الآيتين التاليتين :

أولا : في قوله تعالى : " وَفي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخيـــلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ يُسقى بِماءٍ واحدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ في الأُكُلِ "(١)

ثانيا : في قوله تعالى : " أَوَمَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْيَةِ وَهُوَ في الخِصامِ غَيْرُ مُبينٍ "(٢)

إعـــــراب (غـــير) خـــبرا لكان :

وردت (غير) مرّة واحدة في القرآن الكريم خبراً لكان ، في قوله تعالـــى : فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدينينَ تَرْجِعُونَها إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ "(٣)

إعـــــراب (غـــير) اســـما لإنّ :

وردت (غير) اسم (إنّ) في القرآن الكريم مرّة واحدة في قوله تعالى : " وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ "(٤)

---

١. الرّعـــد / من الآيـــة ٤
٢. الزخـــرف / الآيـــة ١٨
٣. الواقعـــة / الآيتـــان ٨٦، ٨٧
٤. الأنفـــال / الآيـــة ٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعـــراب (غير) خـــبراً لإنّ :

وردت (غير) خبرا لـ (إنّ) في القرآن الكريم في قوله تعالى : " فَسِيحُوا في الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ واعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الكَافِرِينَ "(١)

وقوله تعالى : " فإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُم وإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِـــزِي اللّهِ وبَشِّرِ الذينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "(٢)

وقوله تعالى : " والَّذينَ هُم لِفُروجِهِم حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِم أَو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم فَإِنَّهُم غَيْرُ مَلُومِينَ "(٣)

وقوله تعالى : " والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ عَلَى أزواجِهِم أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم فإِنَّهُم غَيْرُ مَلُومِينَ "(٤)

وبذلك فقد وردت (غير) خبر (إنّ) في القرآن الكريم في أربعة مواضع .

اعـــــراب (غـير) مفعولاً بـــه :

وردت (غير) مفعولا به في آي الذكر الحكيم في أربعة عشر موضعا ، وذلك في قوله تعالى : " أَفَغَيْرَ اللّهِ يَبْغُونَ ولَهُ أَسْلَمَ مَنْ في السَّمَاواتِ والأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهـــاً وإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ "(٥) .

وقوله تعالى : " ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِن بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُم وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُم أَنفُسُهُم يَظُنُّونَ باللهِ غيرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ "(٦)

وقوله تعالى : " وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُم غَيْرَ الَّذي تَقُولُ واللّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُم وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وكَفَى باللّهِ وَكِيلاً "(٧)

---

١. التوبـــة / من الآيـــة ٢
٢. التوبـــة / الآية ٣
٣. المؤمنون / الآيـــة ٦
٤. المعارج / الآيتان ٢٩ ، ٣٠
٥. آل عمـــران / الآيـــة ٨٣
٦. آل عمران / الآية ١٥٤
٧. النســـاء / الآيـــة ٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا "(١)

وقوله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "(٢)

وقوله تعالى : " قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ "(٣)

وقوله تعالى : " أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا "(٤)

وقوله تعالى : " قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ "(٥)

وقوله تعالى : " يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ "(٦)

وقوله تعالى : " قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ "(٧)

وقوله تعالى : " وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ "(٨)

وقوله تعالى : " وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا "(٩)

وقوله تعالى : " قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ "(١٠)

وقوله تعالى : " فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ "(١١)

---

١. النساء / الآية ١١٥
٢. الأنعام / الآية ١٤
٣. الأنعام / الآية ٤٠
٤. الأنعام / من الآية ١١٤
٥. الأنعام / من الآية ١٦٤
٦. الأعراف / من الآية ٥٣
٧. الأعراف / الآية ١٤٠
٨. النحل / الآية ٥٢
٩. الإسراء / الآية ٧٣
١٠. الزمر / الآية ٦٤
١١. الذاريات / الآية ٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعـــراب (غير) مفعولاً بـــه ثانيـا :

وردت (غير) مفعولا بـه ثانيا في القرآن الكريم في موضعين ، وهما فـــي قوله تعالى : " يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّماواتُ وَبَرَزُوا لِلّهِ الواحِدِ القَهّارِ "(١)

وقوله تعالى : " قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إلهاً غَيري لأَجْعَلَنَّكَ من المَسْجُونينَ "(٢)

اعـــراب (غير) حالا :

وردت (غير) حالا في القرآن الكريم ، في سبعة عشر موضعا ، في قولـه تعالى : " إنّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ والدَّمَ ولَحْمَ الخِنْزيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ ولا عادٍ فَلا إثمَ عَلَيْهِ إنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ "(٣)

وقوله تعالى : " والذينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُم وَيَذَرُونَ أَزْواجاً وصيَّةً لأَزْواجِهِم مَتاعاً إلى الحَوْلِ غَيْرَ إخْراجٍ فإنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَيْكُم في ما فَعَلْنَ في أنفُسِهِنَّ من مَعْروفٍ واللّهُ عَزيزٌ حَكيمٌ "(٤)

وقوله تعالى : " ومن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرينَ "(٥) وتأتي (غير) هنا مفعولاً بـه .

وقوله تعالى : " فإنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ فَهُمْ شُرَكاءُ في الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِها أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللّهِ واللّهُ عَليمٌ حَليمٌ "(٦)

وقوله تعالى : " وأُحِلَّ لَكُم ما وَراءَ ذلِكُم أنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُم مُحْصِنينَ غَيْرَ مُسافِحينَ "(٧)

وقوله تعالى : " فانْكِحُوهُنَّ بِإذْنِ أَهْلِهِنَّ وآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بالمَعْروفِ مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ ولا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ "(٨)

---

١. إبراهيم / الآية ٤٨
٢. الشعراء / الآية ٢٩
٣. البقرة / الآية ١٧٣
٤. البقرة / الآية ٢٤٠
٥. آل عمران / الآية ٨٥
٦. النساء / من الآية ١٢
٧. النساء / من الآية ٢٤
٨. النساء / من الآية ٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " وَيَقُولُونَ سَمِعْنا وَعَصَيْنا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِم وَطَعْنًا فِي الدِّينِ "(١)

وقوله تعالى : " فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "(٢)

وقوله تعالى : " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ "(٣)

وقوله تعالى : " وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ "(٤)

وقوله تعالى : " وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ "(٥)

وقوله تعالى : " فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "(٦)

وقوله تعالى : " أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ "(٧)

وقوله تعالى : " وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ "(٨)

وقوله تعالى : " فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "(٩)

وقوله تعالى : " وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ "(١٠)

وقوله تعالى : " وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ "(١١)

---

١. النساء / من الآية ٤٦
٢. المائدة / من الآية ٣
٣. المائدة / من الآية ٤
٤. الانعام / من الآية ٩٩
٥. الانعام / الآية ١٤١
٦. الانعام / من الآية ١٤٥
٧. الاعراف / الآية ١٤٠
٨. هود / الآية ١٠٩
٩. النحل / من الآية ١١٥
١٠. الحج / من الآية ٣١
١١. النور / من الآية ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعـــراب (غـــير) اسمـــاً مجروراً بحرف الجرّ ،متعلّقاً بـ:

وردت (غير) اسما مجرورا بحرف الجرّ في آي الذكر الحكيم ، في خمسين موضـــعاً(١)

اعـــراب (غير) مضافاً إليـــه مجـــروراً :

وردت (غير) في القرآن الكريم،مضافا إليه مجرورا في موضع واحد ، فـــي قوله تعالى : "أَفَـلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ وَلَو كَانَ مِنَ عِندِ غَيرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافـاً كَثِيـــراً"(٢)

اعـــراب (غير) تابعـــا ـ نعتا أو بـــدلا ـ:

اختلف النحويون في اعراب (غير) بين كونها نعتا أو بدلا ، في هـــذه الآيـــات الكريمة ، ولعلّ سبب الخلاف بينهم ، في كونها نعتا أوبدلا ، عائد إلـى أنّ فريقا منهـم يرى أنّ (غير) نكرة ، وهي من الاسماء الموغلة في الابهام والتنكير فلا تتعرّف ، ولهذا فلا توصف بها المعرفة ،ويرى فريق منهم أنها تتعرف بالاضافـة

---

١. البقـرة / الآيـات ٦١ ، ١٧٣ ، ٢١٢ .
آل عمـــران / الآيـات ٢١ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ١١٢ ، ١١٨
النســـاء / الآيـــة ١٥٥
الأنعام / الآيات ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥
الاعـــراف / الآيتان ٣٣ ، ١٤٦
الرعـــد / الآيـــة ٢
الكهـف / الآية ٧٤
الحـج / الآيات ٣ ، ٨ ، ٤٠
النمـــل / الآيـــة ١٢
الروم / الآية ٢٩
الاحـــزاب / الآيـــة ٥٨
الزمـــر / الآيـــة ١٠
فصلـــت/الآية ١٥
الاحقـاف / الآية ٢٠
الطـــور /الآية ٣٥

٢. النســـاء / الآيـــة ٨٢
المائـــدة / الآيات ٣ ، ٣٢ ، ١٠٦
يونـــس / الآيـــة ٢٣
النحـــل / الآيتان ٢٥ ، ١١٥
طـــه / الآية ٢٢
النـــور / الآيـــة ٣٨
القصص/الآيات ٣٢ ، ٣٩ ، ٥٠
لقمان/الآيات ٦ ، ١٠ ، ٢٠
ســـورة ص/ الآية ٣٩
غافـــر/الآيات ٣٥ ، ٤٠ ، ٥٦ ، ٧٥
الشـــورى / الآية ٤٢
الفتح / الآية ٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتُوصف بها المعرفة.(١)

ونظرا لأنّ النعت والبدل من التوابع ، والفرق بينهما يسير ، فإن إعرابها في هذه الآيات ،سواء أكان نعتا أم بدلا ، فهو جائز ، دون الخوض في خلافات النحويين .

وقد وردت في القرآن الكريم تابعا - نعتا أو بدلا - في أربعة وثلاثين موضعا.(٢)

إنّ الذي يسترعي النظر في اعراب (غير) لدى النحويين ، أنهم اختلفوا في اعرابها في القرآن الكريم ، كما لاحظنا ذلك في الآيات السبع عشرة التي اشتملت على (غير) الاستثنائية ، وإلى جانب تلك الآيات التي مرّ ذكرها ، فهنا خمس آيات أخرى ،وردت فيها (غير) قد اختلفوا في اعرابها اختلافا ظاهرا ، وهذه الآيات هي :

---

١. انظر : كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣٣٣. معاني القرآن : جـ١ ،ص٣٩ ، الفراء . المقتضب : جـ٤ ، ص٤٢٣ ، المبرّد ، إعراب القرآن :جـ١ ،ص ١٧٦ ، النحّاس . مغني اللبيب : جـ١ ،ص١٥٨ ، ابن هشام .

٢. البقرة / الآيتان ٥٩ ، ٢٣٠
النساء / الآيتان ٥٦ ، ١٤٠
الانعام / الآيتان ٤٦ ، ٦٨
الاعراف / الآية ١٦٢
التوبة / الآية ٣٩
يونس / الآية ١٥
هود / الآيات ٤٦ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ١٠٨
ابراهيم / الآية ٣٧
النحل / الآية ٢١
الحج / الآية ٥
النور / الآيتان ٢٧ ، ٢٩
الشعراء / الآية ٢٩
القصص / الآيات ٣٨ ، ٧١ ، ٧٢
فاطر / الآيتان ٣ ، ٣٧
الزمر / الآية ٢٨
فصلت / الآية ٨
محمد / الآيتان ١٥ ، ٣٨
الطور / الآية ٤٣
القلم / الآية ٣
القلم / الآية ٣
المدثر / الآيتان ٩ ، ١٠
الانشقاق / الآية ٢٥
التين / الآية ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله تعالى : " قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُم غَيْرَ الحَقِّ ولا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا "(١)

فقد نُصبت (غير) على أنّها صفة لمصدر محذوف ، أو أن تكون مفعولا مطلقا منصوبا ، أو على أنها حال منصوبة من ضمير الفاعل في (تغلوا) وهناك رأي ضعيف ،على أنّها منصوبة على الاستثناء "(٢)

وقوله تعالى : " أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ "(٣)

فقد أُعربت (غير) في الآية الكريمة مفعولا به منصوبا ، وأُعربت صفة لمصدر محذوف ، أو مفعولا مطلقا منصوبا(٤)

وقوله تعالى : " فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ "(٥)

يجوز في (غير) الواردة في هذه الآية الكريمة أن تكون منصوبة على الحال ،أو أن تكون منصوبة على الظرفية المكانية أو الزمانية ، أو أن تكون منصوبة على أنّها مفعول مطلق .(٦)

---

١. المائدة / الآية ٧٧ .

٢. انظر : الكشاف : جـ١ ، ص ٣١٤ ، الزمخشري . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص ٢٢٣ ، العكبري . روح المعاني / المجلد الثالث، جـ٦ ،ص ٢١٠ الآلوسي .

٣. الانعام / من الآية ٩٣ .

٤. انظر : إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ،ص ٢٥٣ ، العكبري . البحر المحيط : جـ ٣ ، ص ٢١٤ ، أبو حيّان . روح المعاني : المجلد الرابع: جـ٧ ،ص ٢٢٤ ،

٥. النمل / الآية ٢٢ .

٦. انظر : إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ،ص ١٧٢ ، العكبري . مغني اللبيب: جـ٢ ، ص ٥٦١ ، ابن هشام . روح المعاني : المجلد العاشر جـ١٩ ، ص ١٨٦ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ "(١)

لَقَدْ أُعربت (غير) في الآية الكريمة إعرابات عدّة ، فقيل : إنّها صفة لمصدر محذوف ، أو مفعول مطلق ، وقيل إنّها ظرف زمان منصوب ، وهناك رأي ضعيف يرى أنّها حال أو مفعول به .(٢)

وقوله تعالى : " وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ "(٣)

إنّ (غير) في هذه الآية الكريمة ، من المواضع التي تعددت آراء النحويين في اعرابها تعدّدا كبيرا ، فقيل : إنّها صفة لظرف محذوف متعلّق (بأزلفت) وقيل: إنّها مفعول مطلق منصوب . وقيل : إنّها حال منصوبة من (الجنة) قصد بها التوكيد . وقيل : انها ظرف منصوب . وقد ذكر ابن هشام إنّها تحتمل النصب على المصدرية ـ المفعول المطلق ـ والظرفية والحالية .(٤)

إنّ (غير) في هذه الآيات الكريمة جميعها ، وردت منصوبة ، ولم تقرأ بغير النصب في هذه الآيات الكريمة .

وعلى الرغم من أنّها قُرئت جميعها بالنصب ، إلّا أنّ النحويين اختلفوا في إعرابها ولعلّ هذا الاختلاف قد جاء نتيجة لفهم المعنى الوارد في السياق فكان هذا الاختلاف في الإعراب ناتجا عن الزاوية التي نظر النحوي من خلالها إلى المعنى ، فكان تعدد وجهات النظر في الاعراب ناتجا عن تعدّد المعاني التي

---

١. الروم / الآية ٥٥
٢. انظر : إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ٢١٤ ، العكبري . البحر المحيط : جـ ٦ ، ص ٢٨٤ ، أبو حيّان . روح المعاني : المجلد الحادي عشر ، جـ ٢١ ص ٢١٤ ، الآلوسي .
٣. سورة ق / الآية ٣١
٤. انظر : الكشّاف : جـ٣ ، ص ٢٧٤ ، الزمخشري . إعراب ما منّ به الرحمن : جـ ٢ ، ص ٢٤٢ ، العكبري . مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٥٦١ ، ابن هشام البحر المحيط : جـ٨ ، ص ٢٧٤ ، أبو حيّان . روح المعاني : المجلّد الثالث عشر ، جـ ٢٦ ، ص ١٨٨ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمكن أن تُؤوّل (غير) إليها .

وهذا يوضح لنا أثر المعنى في الإعراب ،وقد بنى ابن هشام فصلا في كتابه مغني اللبيب عن أثر المعنى في الإعراب.(١)

وبهذا فقد تمّ توضيح إعراب (غير) الواردة في آي الذكر الحكيم ، في جميع مواضعها ، وقد لاحظنا أنّها أكثر ما وردت (غير) في القرآن الكريم اسما مجرورا بحرف الجرّ . ثم اسما تابعاً - نعتا أو بدلا - ثم حالا ، ثم مفعولا به ثم خبرا(لإنّ). ولم ترد إلاّ مرّة واحدة اسما(لإنّ)، ومرّة واحدة خبرا لكان ،ومرّة واحدة مضافا إليه مجرورا ، ومرة واحدة خبرا لمبتدأ .

كما وردت (غير) في سبعة عشر موضعا مختلفا فيها ، بين الاستثناء وغيره وفقا لقراءتها ، نصباً أو رفعاً أو جرّاً .

ووردت في خمسة مواضع فيها بين المفعول المطلق وغيره ، كالظرف والصفة والحال .

عدا ، ما عدا :
==========

لم ترد (عدا) و (ما عدا) في القرآن الكريم استثنائية ،أو غير ذلك وهذا ما يؤكّد حملها على (إلاّ) وإقحامها على أدوات الاستثناء ،إذ عدّها النحويون إحدى أدوات الاستثناء ، لتضمّنها معنى (إلا) الاستثنائية في السياق اللغوي .

خلا ، ما خلا :
==========

لم ترد (خلا) و (ما خلا) في القرآن الكريم استثنائية ، وإنّما وردت فيه (فعلا) لمعان غير استثنائية ،وهي : بمعنى :انفرد بعضهم إلى بعض واجتمعوا في خلوة.(٢) في قوله تعالى :" وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلا بعضهم إلى بعضٍ قالوا أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم "(٣).

---

١. انظر : مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٥٢٧ ،ابن هشام .
٢. تفسير النسفي :جـ١ ،ص٢١ ،روح المعاني :المجلّد الأول ،جـ١ ،ص ١٥٦ ،الآلوسي.
٣. البقرة / من الآية ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وورد (خلا) بمعنى انفردوا أو اجتمعوا في خلوة ، في قوله تعالى : " وإذا خَلَوا إلى شَياطِينِهِم قالُوا إنّا مَعَكُم إنّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ "(١)

وقوله تعالى : " وإذا خَلَوا عَضُّوا عَلَيكُم الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ "(٢)

وورد (خلا) : بمعنى : مضى وسلف وأرسل(٣) في قوله تعالى : " إنّا أرْسَلْناكَ بالحَقِّ بَشِيراً ونَذِيراً وإنْ مِنْ أُمّةٍ إلاّ خَلا فِيها نَذِيرٌ "(٤)

وفي قوله تعالى : " تِلْكَ أُمّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ ولَكُم ما كَسَبْتُم "(٥)

وقوله تعالى : " قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُم سُنَنٌ فَسِيرُوا في الأرْضِ فانْظُرُوا كَيف كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ "(٦) وغير ذلك من الآيات الكريمة(٧).

وبهذا فإنّ (خلا) لم ترد في القرآن الكريم للاستثناء ، وإنّما وردت فعلا ماضيا بمعنى : انفرد واجتمع في خلوة ،أو بمعنى : مضى وسلف وأرسل ، كما هو واضح في الآيات الكريمة السالفة الذكر .

---

١. البقرة / من الآية ١٤
٢. آل عمران / من الآية ١١٩
٣. انظر: تفسير النسفي : جـ٣ ،ص٣٣٩. روح المعاني : المجلد الحادي عشر،جـ٢٢ ص ١٨٨ ،الآلوسي
٤. فاطر / الآية ٢٤
٥. البقرة/ من الآيتين ١٣٤، ١٤١
٦. آل عمران / الآية ١٣٧
٧. آل عمران / الآية ١٤٤
المائدة / الآية ٧٥
الاعراف / الآية ٣٨
الرعد / الآية ٦
الرعد / الآية ٣٠
الحجر / الآية ١٣
فصلت / الآية ٨٥
الأحقاف / الآية ١٧
الاحقاف / الآية ١٨
الاحقاف / الآية ٢١
الفتح / الآية ٢٣
البقرة /الآيتان ١٤، ٢١٤
يونس / الآية ١٠٢
النور / الآية ٣٤
الاحزاب / الآية ٣٨
الاحزاب / الآية ٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سِـــوى ، سُـــوى ، سَـــواء ، سِـــواء :

لـــم ترد ســـوى وأشكالها الأخرى في القرآن الكريم استثنائية ، ولكنّهـا وردت مرّة واحدة في قوله تعالى : " فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِـدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى (١) . أي منصفا بيننا وبينك ، أو محلّا واقعا علـى نصف المسافة بيننا سواء بسواء . وقيل : إنّه مكان مستو من الأرض لا وعر فيـــه ولا جبـــل .

وقيل (سوى) بمعنى (غير) أي : مكان غير هذا المكان . وقد رفضه المفسّرون رفضا تاما لمخالفته للمعنى المقصود في الآية الكريمة (٢) .

وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بن العلاء (- ١٥٤هـ) (سِوًى) بكســـر السين والتنوين ، وقرأ باقي السبعة بالضم (سُوًى) والتنوين كذلك قرأ غيرهـم (سِـوى) بكســـر السين دون تنوين وقفاً ووصـــلا (٣) .

ويرى الزمخشـــري أن أعلى اللغات في (سِوى) تكون بكســـر السين ، وتعرب (سِوى) في الآيـــة الكريمـــة صفة ، كقولنـا : قـــوم عِـــدى (٤) .

أمّـــا (سَواء) فقـــد وردت في القرآن الكريـــم " فـــي سبعـــة وعشرين

---

١ . طـــه / الآيـــة ٥٨ .

٢ . انظر : الكشّاف : جـ٣ ، ص١٠٩ ، الزمخشري ، تفسير النسفي : جـ٣ ، ص٥٦ . تأويل مشكل القرآن : ص٥٩٧ ، ابن قتيبة . روح المعانـــي المجلّد الثامن جـ١٦ ، ص٢١٧ ، الآلوسي .

٣ . انظر : الحجّة في القراءات السبع: ص٢٨٧ ،أبو علي الفارسي . النشر في القراءات العشر : جـ٢ ،ص١٠٩ ،ابن الجزري . التيسير في القراءات السبع: ص٣٤٦ ،أبو عمرو الدانـــي .

٤ . الكشّـــاف : جـ٣ ، ص١١٠ ، الزمخشـــري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موضعاً [١] بمعان مختلفة كالمساواة والاستقامة والوسط ، ولم ترد استثنائية البتّة .

وعلى ذلك فإنّ (سوى) وأشكالها الأخرى ، لم ترد في الاسلوب القرآني على الوجه الذي قرّره النحويون لها ، لأنّ ما قرّره النحويون يخالف المعنى اللغوي لهذا اللفظ ، والاحساس به .

وهكذا فإنّ الأسلوب القرآني المحكم في نظمه ، يرفض كلّ ما جانب الدقّة في استعمال الألفاظ ، ولهذا لم ترد (سوى) وأشكالها الأخرى في الاسلوب القرآني استثنائية . ولعلّ ما جعل النحويين يعدّونها من أدوات الاستثناء ، أنها وردت استثنائية في شاهد شعري ، وهو قول الفند الزماني :

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى العُدْوَانِ دِنّاهُم كَمَا دَانُوا [٢]

على أن (سوى) في هذا الشاهد الشعري ، يمكن أن تخرج من الاستثناء إلى الفاعلية ، فنعربها فاعلا مرفوعا لـ (يبق) .

---

١ . البقرة / الآيتان ٦ ، ١٠٨ ، آل عمران / الآيتان ٦٤ ، ١١٣ ، النساء / الآية ٨٩ ، المائدة / الآيات ١٢ ، ٦٠ ، ٧٧ ، الأعراف / الآية ١٩٣ ، الأنفال / الآية ٥٨ ، الرعد / الآية ١٠ ، إبراهيم / الآية ٢١ ، النحل / الآية ٧١ ، الانبياء / الآية ١٠٩ ، الحج / الآية ٢٥ ، الشعراء / الآية ١٣٦ ، القصص / الآية ٢٢ ، الروم / الآية ٢٨ ، يس / الآية ١٠ ، الصافات / الآية ٥٥ ، سورة ص / الآية ٢٢ ، فصّلت / الآية ١٠ ، الدخان / الآية ٤٧ ، الجاثية / الآية ٢١ ، الطور / الآية ١٦ ، الممتحنة / الآية ١ ، المنافقون / الآية ٦

٢ . انظر : حماسة البحتري : ص ٥٦ . شرح المفصّل ، جـ٢ ، ص ٢٣٤ ، ابن يعيش شرح الأشموني : جـ٢ ، ص ١٥٩ . شرح ابن عقيل : جـ٢ ، ص ٥٩ . همع الهوامع : جـ١ ، ص ٢٠٨ ، السيوطي . خزانة الأدب : جـ٢ ، ص ٥٧ البغدادي . حاشية الصبّان : جـ٢ ، ص ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاشـــا ، حشـــا ، حاشـى ، حاش :

لم ترد (حاشا) في القرآن الكريم استثنائية ، وإنّما وردت تنزيهية فـــي آيتين كريمتين ، ذُكرتا في سورة يوسف ، في قوله تعالى : " فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِـــنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِـــنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَـــهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـذَا بَشَرًا إِنْ هَـذَا إِلَّا مَلَـــكٌ كَرِيـــمٌ "(١).

وقوله تعالى : " قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُـــنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّـهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُـــوءٍ "(٢).

فقد وردت (حاشا) في الآيتين الكريمتين بقراءات عدّة هي :

حاشَ لِلّهِ : بحذف الألف من آخرها ، وهي قراءة الجمهور .
حاشا لله : باثبات الألف في آخرها ، وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء .
حاشا اللّهِ : وهي قراءة أُبي بن كعب (- ٢١ هـ) .
حاشاً لِلّهِ : بتنوين (حاشا) ، وهي قراءة أبي السّمال .
حاشْ لِلّهِ : بتسكين الشين - وصلا ووقفا - وهي قراءة الحسن بن محمد (- ١٠٠ هـ)
حاشَ الإله : وهي قراءة الحســـن .
حشا لِلّهِ : بحذف الألف بعد (الحاء) ، وهي قراءة الأعمش ، سليمان بـــن مهران (- ١٤٨ هـ) (٣)

إنّ أصل (حاشَ لله) حاشا لله ، بالألف ، كما قرأ أبو عمرو بن العلاء ، فحذفت ألفه الأخيرة تخفيفا ، وبذلك تكون (حاشا) حرفا وضع للاستثناء والتنزيـــه

---

١ . يوســـف / الآيـــة ٣١ ٢ . يوســـف / من الآية ٥١
٢ . انظر : النشر في القراءات العشر ، جـ٢ ، ص ٢٩٥ ، ابن الجزري . الحجّـة في القراءات السبع : ص ٢٧٤ ، أبو علي الفارسي . المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات : ص ٣٠٩ ، ابن جـــنّي . التيسير في القراءات السبـــع ص ٢٥٧ ، أبو عمرو الدانـــي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معا ، ثم نُقِل وجُعل اسما بمعنى التنزيه ، وتجرّد عنه معنى الاستثناء ،ولم ينوّن مراعاة لأصله المنقول عنه ، كقولهم : جلست من عن يمينه . فجعلت (عَن) اسما ولم تعرب ،بل بقيت مبنية كما كانت في الأصل .

ولكن القاعدة النحوية لا تفرق بين قولنا : قام القوم إلّا زيدا ، وحاشا زيدا لأن التنزيه في الاستثناء غير معروف ، في قواعد الاستثناء .

ويرى ابن الحاجب أنّ حاش : اسم فعل بمعنى برئ اللّهُ تعالى من السُّوء

وذهب المبرّد وأبو علي الفارسي ،الحسن بن أحمد (- ٣٧٧ هـ) وابن مالك وابن هشام إلى أنّ (حاش) اسم مرادف للبراءة ، لأنّ أبا السّمال قرأ " حاشاً لله " بتنوين (حاشا) ،كقولنا : براءة لله من كذا ، وسقياً لك . وقيل إنّ (حاشا) اسم فعل ، والتنوين فيه كالتنوين في (صه) .

وأمّا بقراءة أُبَي وعبد الله " حاشا اللهِ " بجرّ لفظ الجلالة بالاضافة إلى (حاشا) فكقولنا : (سبحان الله) و (معاذ الله) .

ولكن أبا علي الفارسي يرى أن (حاشا) هنا بحرف جر ، يُراد به الاستثناء ، ولفظ الجلالة اسم مجرور بـ (حاشا) .

أمّا إعراب (حاشَ لِلّهِ) على قراءة الجمهور ،وهي القراءة العامة المشهورة فقد رأى سيبويه والمبرّد وابن جنّي وأبو علي الفارسي ،وابن مالك وابن هشام ، والكوفيون ، أنّها فعل ، لدخولها على الحرف . إذ لا يجوز أن تكون في قوله تعالى : " حاشَ لِلّهِ " حرف جر ،لأنّ أساليب العربيّة وسننها في نظم الكلام ،ترفض دخول الحرف في السياق اللغوي على الحرف "(١) .

---

١ . انظر في هذه المسألة : كتاب سيبويه :جـ٢ ،ص ٣٤٩ ،المقتضب:جـ٤ ،ص ٣٩١ ، المبرّد . الكشّاف : جـ٢ ،ص ٢٥٣ ،الزمخشري . الإنصاف في مسائل الخلاف :جـ١ ص ٢٧٨ ، ابن الانباري . اعراب القرآن : جـ٢ ،ص ٣٢٦ ،النحاس . املاء ما من به الرحمن :جـ٢ ،ص ٥٢ ،العكبري. البرهان :جـ٤ ،ص ٢٧١ ،الزركشي . مغني اللبيب :جـ١ ،ص ١٢١ ،ابن هشام . البحر المحيط:جـ٥ ،ص ٣٠ ،ابو حيان . شرح المفصّل :جـ٢ ،ص ٨٤ ،ابن يعيش. الكافية:ص ١١٢ ،ابن الحاجب. شرح الكافية: جـ١ ، ص ٤٢٥ ، الرضي الاستراباذي .

All Rights Reserved. Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا فإنّ (حاشا) الاستثنائية لم ترد في القرآن الكريم ، وإنّما وردت (حاش) التنزيهية ،سواء أكانت اسماً أم فعلاً أم حرفا .

لا يكـــون :
==========

لم ترد (لا يكون) في القرآن الكريم استثنائية ، وإنّما وردت ناقصة فأخذت اسما وخبرا ، أو تامّة فاكتفت بالفاعل .

ليـــس :
==========

لم ترد (ليس) استثنائية في القرآن الكريم ، وإنّما وردت فعلاً ناقصا للنفي ، لا للاستثناء .

إلاّ أنْ يكـــون
==========

وردت هذه الصيغة الاستثنائية في غير موضع في القرآن الكريم ،وذلك في قوله تعالى : " ولا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إذا ما دُعُوا ولا تَسْأَمُوا أن تَكْتُبُوه صَغِيراً أوْ كَبِيراً إلَى أجَلِهِ ذَلِكُم أقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ وأقْوَمُ للشَّهادَةِ وأدْنَى ألاّ تَرْتَابُوا إلاّ أنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُم فَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ ألاّ تَكْتُبُوها (١) "

وقوله تعالى : " يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَأكُلُوا أمْوَالَكُم بَيْنَكُم بالبَاطِلِ إلاّ أنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُم (٢) "

وقوله تعالى : " قُلْ لا أجِدُ في ما أُوْحِيَ إليّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إلاّ أنْ يَكُونَ مَيْتَةً أوْ دَماً مَسْفُوحاً أوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فإنّهُ رِجْسٌ (٣) "

وقوله تعالى : " فَلَمّا أرَادَ أنْ يَبْطُشَ بالذي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قَالَ يا مُوسَى أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَني كَما قَتَلْتَ نَفْساً بالأمْسِ إنْ تُرِيدُ إلاّ أنْ تَكُونَ جَبّاراً في الأرْضِ وَمَا تُرِيدُ أنْ تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ (٤) "

---

١ . البقـــرة / من الآيـــة ٢٨٢
٢ . النســـاء / من الآيـــة ٢٩
٣ . الأنعـــام / من الآيـــة ١٤٥
٤ . القصص / الآيـــة ١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ هذه الصيغة الاستثنائية في هذه الآيات الكريمة المذكورة ، قيل فيهـــا: إنّ (أنْ يكون) في موضع اسم مستثنى ، وما بعد يكون ، يجوز فيه الرفع والنصب فيقول الزجّاجي في باب الاستثناء : " وأمّا (إلاّ أنْ يكون) فإنْ شئت رفعت بمكون وإن شئت نصبت ، والرفع أجود ، قال الله تعالى : " إلاّ أنْ تَكُونَ تِجَارَةً حاضرةً " (١) قُرئ بالرفع والنصب ، وما بعد (إلاّ) في موضع اسم مستثنى " (٢)

لا سيّمـــــــا :

لم ترد (لا سيّما) في الأسلوب القرآني استثنائية ، أو غير استثنائية البتّة وعدم ورودها استثنائية في النص القرآني ، يؤكّد الرأي القائل بإخراجها مِنْ أدوات الاستثناء ، لأنّها تفيد التفضيل ، ولا تفيد الإخراج الاستثنائي .

بَيْـــــــدَ :

لـــم تـــرد (بَيْدَ) في آي الذكر الحكيم استثنائية ، أو غير استثنائيـــة .

لَمّـــــا :

وردت (لَمّا) أداة استثناء بمعنى (إلاّ) في القرآن الكريم ، في قولـــه تعالى : " إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حَافِظٌ " (٣) - في قراءة من شدّد (الميم) في (لَمّا) وهي قراءة الجمهور (٣) . ومجيئها بمعنى (إلاّ) الاستثنائية لغة مشهورة كما نقـــل أبو حيّان عن الأخفش في (هُذيل) وغيرهم (٤) .

وقال الرضي الاستراباذي : " لا تجيء (لَمّا) بمعنى (إلاّ) إلاّ بعد نفي ظاهر أو مقدّر ، ولا تكون إلا في الاستثناء المفرّغ " (٥) وبذلك يكون معنى الآية : مـــا كل نفس كائنة في حال من الأحوال إلاّ في حال أن يكون عليها حافظ ، أي مُهيمن ورقيب ، وهو الله - عـــزّ وجـــلّ - (٦) .

---

١ . البقرة / من الآيـــة ٢٨٢ ٢ . الجمل في النحو : ص٢٣٣ ، الزجّاجي ،
٣ . الطارق / الآيـــة ٤
٤ . انظر : التيسير في القراءات السبع : ص ٣٠٧ ، أبو عمرو الداني . الحجة في القراءات السبع : ص٣١٩ . الفارسي
٥ . البحر المحيط : جـ٩ ، ص٢٢٤ ، أبو حيّان .
٦ . شرح الكافيـــة : جـ٢ ، ص١١٢ ، الرضي الاستراباذي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند الكوفيين (إنْ) في الآية الكريمة ،نافية و (اللام) بمعنى (إلاّ) و(ما) زائدة . وعند البصريين (إنْ) مخففة من (إنّ) الثقيلة ،و (كلّ) مبتدأ و(ما)-زائدة ، و (اللام) هي لام التوكيد الداخلة على خبر (إنّ) المخفّفة ، وهي التي تفرق بين (إنْ) النافية و (إنْ) المخففة، لأنّها لا تدخل إلاّ في خبر (إنّ) في هذا الموضع ،و(حافظ) خبر المبتدأ[١]

كما وردت لهذه الآية الكريمة قراءة شاذّة بتشديد (إنّ) ونصب (كل) وتخفيف (لما) ،ومثل ذلك قوله تعالى :"إِنْ كُلُّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ"[٢] إذْ قُرئت :"إِنْ كُلَّهُم لَمَا كَذَّبَ الرُّسُلَ"[٣]

مـــــــا :

لم ترد (ما) في القرآن الكريم استثنائية ،وإنّما وردت بمعان أخرى كثيرة متعدّدة ، لا علاقة لها بالاستثناء .

بَلْـــــــه :

على الرغم من أنّ النحويين الكوفيين والبغداديين عدّوا (بَلْه) من أدوات الاستثناء[٤] فإنّها لم ترد في القرآن الكريم استثنائية أو غير استثنائية .

حـــــــتّى :

وردت (حتّى) أداة استثناء في فَنّ القول العربي بصورة نادرة[٥]. كما وردت في آي الذكر الحكيم بمعنى (إلا أن) الاستثنائية ،في قوله تعالى :"يُعَلِّمَانِ

---

١. انظر : مغني اللبيب : جـ١، ص ٢٨٠ ،ابن هشام . شرح الكافية : جـ٢ ،ص١١٢ الرضي الاستراباذي . رصف المباني : ص ٢٨٣ ،المالقي . الجنى الداني :ص٥٩٤ المرادي شرح المفصّل :جـ٢ ،ص١٦٣ ، ابن يعيش . البحر المحيط :جـ٩ ،ص٢٢٤ أبو حيّان. شرح القواعد البُصروية : ص ١٧٧ ،البُصروي. روح المعاني : المجلّد الخامس عشر ،جـ ٣٠ ،ص١٢٢ ،الآلوسي .

٢. سورة ص / الآية ١٤ .

٣. المحتسب في وجوه شواذ القراءات :ص٣٤٢ ،ابن جنّي . تهذيب اللغة :جـ١٥ ،ص ٢٢٦ ، الأزهري .

٤. همع الهوامع : جـ٣ ،ص٢٩٦ ،السيوطي .

٥. مغني اللبيب :جـ١ ،ص١٢٥ ، ابن هشام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النَّاسَ السِّحْرَ وما أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هارُوتَ وَماروتَ وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ (١) أي : إلّا أنْ يقولا، على الاستثناء (٢) .

وقوله تعالى : "إِنَّ الذينَ كَذَّبُوا بآياتِنا واستَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُم أبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ وكَذَلِكَ نَجْزِي المُجرِمينَ" (٣)

أي : إنّ المكذّبين لا يدخلون الجنة مطلقا إلّا في حالة أن يلج الجمل في ثقب الابرة ، وبذلك تكون (حتّى) استثنائية بمعنى (إلّا) . وقد أنكر الكوفيون أن تكون (حتّى) استثنائية بمعنى (إلّا) (٤) .

دون :
=====

وردت (دون) في القرآن الكريم ، في أربعة وأربعين موضعا و مائة موضع منها ثلاثة وسبعون موضعا بلفظ (دون الله) وثمانية وثلاثون موضعا بلفظ (دونه) والضمير فيها عائد إلى لفظ الجلالة . وثمانية مواضع بلفظ (دون ذلك) ، وأربعة مواضع ، بلفظ (دونهم) . وأربعة أخرى ، بلفظ (دون المؤمنين) . وثلاثة مواضع بلفظ (دوني) . وموضعان بلفظ (دون الناس) ، وآخران بلفظ (دونك) . وآخران بلفظ (دونهما) . وأربعة مواضع ، أحدهما بلفظ (دون الجهر) والثاني ، بلفظ (دونها) . والثالث ، بلفظ (دونكم) . والرابع، بلفظ (دوننا) .

إذ وردت (دون) فيها جميعا ظرفية بمعنى (غير) الاستثنائية ، وما بعدها مجرور بالاضافة . وسيقتصر على الاستشهاد بآية كريمة واحدة لكل صورة وردت فيها (دون) دفعا للتكرار .

---

١ . البقرة / من الآية ١٠٢ .

٢ . الكشّاف : جـ١ ، ص١٢٩ ، الزمخشري . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص٥٥ العكبري . روح المعاني : المجلد الأول ، جـ١ ، ص٣٤٣ ، الآلوسي .

٣ . الاعراف / الآية ٤٠ .

٤ . الانصاف في مسائل الخلاف : جـ٢ ، ص ٦٠١ ، ابن الأنباري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي قوله تعالى : " وإنْ كُنْتُم في رَيْبٍ مِمّا نَزّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَداءَكم مِنْ دُونِ اللّهِ إنْ كُنْتُم صادِقِينَ "(١) أي : من غير الله .(٢)

وقال تعالى : " لا يَتّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ في شَيْءٍ "(٣) أي : من غير المؤمنين أو متجاوزين المؤمنين .(٤)

وقوله تعالى : " إنّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرى إثْماً عَظِيماً "(٥) أي : ما غير ذلك لمن يشاء من عباده إذا لم يشركوا به .(٦)

وقوله تعالى : " إنّكُم لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ مُسْرِفُونَ "(٧) أي : من غير النساء .(٨)

وقوله تعالى : " واذْكُرْ رَبَّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفَةً ودُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ والآصالِ ولا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ "(٩) أي : وغير الجهر من القول .(١٠)

وقوله تعالى : " اتّبِعُوا ما أُنْزِلَ إلَيْكُم مِنْ رَبِّكُم ولا تَتّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ "(١١) أي : ولا تتبعوا غيره أولياء .(١٢)

---

١. البقرة / الآية ٢٣
٢. انظر البحر المحيط : جـ١ ، ص ١٧٢ ، أبو حيان . تفسير النسفي : جـ١ ، ص ٩٧ ، روح المعاني : المجلد الأول ، جـ١ ، ص ٣٨٩ ، الآلوسي .
٣. آل عمران / من الآية ٢٨ .
٤. روح المعاني : المجلد الثاني ، جـ٣ ، ص ١٢٠ ، الآلوسي .
٥. النساء / الآية ٤٨ .
٦. روح المعاني : المجلد الثالث ، جـ٥ ، ص ٥٢ ، الآلوسي .
٧. الأعراف / الآية ٨١ .
٨. انظر : تفسير النسفي : جـ١ ، ص ٣٢٤ ، روح المعاني : المجلد الرابع ، جـ٨ ص ١٧٠ ، الآلوسي .
٩. الاعراف / الآية ٢٥ .
١٠. انظر تفسير الكشاف : جـ٢ ، ص ١٤٢ ، الزمخشري .
١١. الاعراف / الآية ٣ .
١٢. انظر : روح المعاني : المجلد الرابع ، جـ٨ ، ص ٧٧ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الرغم من أنّ (دون) تتضمّن معنى (غير) الاستثنائية في هذه الآيات الكريمة وغيرها ، فإنّها تبقى ظرفية للزمان أو للمكان " لأنّ العادة في (دون) أن تكون ظرفا "(١)

أو :

==========

وردت (أو) استثنائية بمعنى (إلّا) في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : " لا جُنَاحَ عَلَيْكُم إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أوتَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ومَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُه متاعاً بالمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى المُحْسِنِينَ "(٢)

فقد أُعربت (تفرضوا) فعلا مضارعا منصوبا بـ (أن) مضمرة ، لا فعلا مجزوما بالعطف على (تمسوهن) لئلا يصير المعنى ، لا جناح عليكم بما يتعلّق بمهور النساء إن طلّقتموهن في مدّة انتفاء أحد هذين الأمرين ، مع أنه إذا انتفى الفرض دون المسيس لزم مهر المثل ، وإذا انتفى المسيس دون الفرض لزم نصف المسمّى ، فكيف يصح نفي الجناح عند انتفاء أحد الامرين ؟ ولأن المطلّقات ، المفروض لهنّ ، قد ذكرن ثانيا بقوله تعالى : " وإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ فَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ "(٣) وترك ذكر الممسوسات لما تقدّم من المفهوم ، ولو كان (تفرضوا) مجزوما بالعطف لكانت الممسوسات والمفروض لهنّ مستويين في الذكر ، وإذا قدّرنا (أو) بمعنى (إلّا) خرجت المفروض لهنّ عن مشاركة الممسوسات في الذكر .(٤)

وهذا ممّا يثبت أنّ (أو) هنا في هذه الآية بمعنى (إلّا) ليستقيم المعنى الفقهي المفروض من الله - سبحانه وتعالى - في الآية الكريمة اللاحقه ، وبذلك لا يجوز ان تكون (أو) للعطف .

---

١. كتاب سيبويه : جـ ٤ ، ص ٢٣٤ ، لسان العرب : فصل الدال ، باب النون ، ابن منظور .
٢. البقرة / الآية ٢٣٦ .
٣. البقرة / من الآية ٢٣٧ .
٤. انظر : الكشّاف : جـ١ ، ص ٣٨٤ ، الزمخشري . البحر المحيط : جـ١ ، ص ٤١٦ ، أبو حيّان . مغني اللبيب : جـ١ ، ص ٦٦ ، ابن هشام . تفسير النسفي جـ١ ، ص ١٢٠ ، روح المعاني : المجلّد الأول ، جـ٢ ، ص ١٥٢ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وراء :

وردت (وراء) في آي الذكر الحكيم استثنائية بمعنى (غير) أو (سوى) في قوله تعالى : " وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم "(١) أي : يكفرون بما سوى ذلك وغيره .(٢)

وقوله تعالى : "وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين "(٣)
أي : أحل لكم ما سوى ذلكم وغيرهن من النساء .(٤)

وقوله تعالى : " فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون "(٥)
أي : فمن ابتغى غير ذلك أو سواه ، وقد اختلف النحويون في اعراب (وراء) في الآية الكريمة ، وذهب أبو حيان إلى أن (وراء) مفعول به منصوب للفعل (ابتغى) ولكن الزمخشري رأى أن (وراء) ظرف يتعلق بمفعول به محذوف ، أي فمن أحدث ابتغاء وراء ذلك .(٦)

وقد وردت (وراء) في آي الذكر الحكيم في غير هذين الموضعين ، ظرفا بمعنى ، بعد ، أو خلف أو أمام ، وتكون (أمام) بمعنى أمام أو خلف ، شريطة أن يكون ما هو أمامنا مخفيا عنا ، في أربعة وعشرين موضعا ، دون أن تعني معنى (غير) أو (سوى) .

---

١ . البقرة / الآية ٩١ .
٢ . انظر : تفسير الطبري : جـ٢ ، ص ٣٤٨ ، إعراب القرآن : جـ١ ، ص ٢٤٨ ، النحاس .
٣ . النساء / الآية ٢٤ .
٤ . تفسير النسفي : جـ١ ، ص ٢١٩ .
٥ . المؤمنون / الآية ٧ . والمعارج / الآية ٣١ .
٦ . انظر : الكشاف : جـ٣ ، ص ٨٦ . الزمخشري . البحر المحيط : جـ٦ ، ص ٣٢٤ أبو حيان . روح المعاني : المجلد التاسع ، جـ١٨ ، ص ٧ . الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنـــواع الاستثنـــاء في القرآن الكريـــم

تعدّدت أساليب الاستثناء في القرآن الكريم تعدّدا واضحا ، لأنّ تنـــوع الأساليب في النظم القرآني ذات علاقة مباشرة بالمقام الذي اتسعت دائرته فـــي القرآن ليشمل المسرح الذي يدور فيه الكلام باطاره الاجتماعي ذي العناصر المتكاملة من متكلّم هو الله - سبحانه وتعالى - وسامع أو متلق ، وظروف محيطة ،ومقتضى أحوال طارئـــة وعلاقات اجتماعية ،وأحداث واردة في الماضي لدى الأمم والقرون السالفة ، وحاضر تكتنفه عادات وتقاليد وقيم ومعتقدات ، بعضها مرفوض ،وبعضها مقبول ، وبعضها محبّب ومرغوب فيـــه .

فتعدّدت أساليب الاستثناء في القرآن الكريم ،لملء كلّ فراغ نفسي وزمانـــي ومكاني ، للحال التي يقتضيها الكلام . فلا يكون هناك خلخلة بين نفس السامع وزمانه ومكانه ، وبين الصورة التي يحملها القرآن الكريم إليه .

ولهذا فإنّ القرآن الكريم في هذا المجال قد جاء على نظم ، أخذ كلّ حـــرف فيه مقتضى الحال ، أو مقتضيات الأحوال الداعية له ، من هنا نعرف كيف أنّ القـــرآن الكريم يكلّم الناس على قدر عقولهم وأفهامهم ، ويردّ جوابهم بحسب مقولهم ، يحـــاور تارة ، بأوضح عبارة ،ويلوح أخرى بألطف إشارة ، ويلين حتى يكون السلسبيل ،ويشتد حتى يُري الكافرين نار جهنم ،وأهوال يوم القيامة ، فلنقرأ هذا الأسلوب الاستثنائي في قوله تعالى : " وإنْ مِنْكُم إلاّ وَارِدُها كانَ على ربّكَ حتماً مقضيًا "(١) وغيرها من الآيـــات الكريمة ، فذهن المتلقي وطبيعته ومشاعره وأحاسيسه واردة في تعدّد أساليب الاستثنـــاء في القـــرآن الكريـــم .

ولهذا ففي تنوّع أساليب القرآن الكريم ،وبخاصّة في الاستثناء ،يمسك بأحوال النفس الانسانية كلّها ، ويجيء إليها بما يناسب كلّ حال منها في مواجهتها للأحـــداث وفي تصوره لها وإحساسها بها ، ومّما يؤكّد هذا ويثبته " أن الاستثناء المتصـــل أو المنقطع في أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، ما ورد إلاّ لإبراز القيمة النفسيـــة والاجتماعية ، وتوضيح السر النفسي ، ولعلّ السر الاجتماعي والنفسي لذلك ،فيما يظهر

---

١. مريـــم / من الآيـــة ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو ما في هذا الأسلوب من معنى المباغته والمفاجأة لدى المتلقي أو السامع[١]

ومما يؤكّد تباين الاساليب في القرآن الكريم وتعدّدها ، لتباين مقتضيات الاحوال " أن الانسان ليقرأ القرآن الكريم فيعجب لهذه المواقف والمشاعر المتباينه ، التي يسر أو تمر عليه ، ينشرح صدره تارة ، ويرتعد قلبه تارة أخرى تفيض عينه بالدمع وترتعد فرائصه من الرعب[٢]

ولهذا فلكل مقام أسلوبه الخاص به الذي لا يفارقه ، ويتعدّد المقامات تتعدّد الأساليب ، ومن هنا نعرف كيف أنّ القرآن الكريم يكلّم الناس على قدر عقولهم وأفهامهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم ، يحاور تارة بأوضح عبارة ويلوح أخرى بألطف أشارة ، ويلين حتى يكون السلسبيل الجاري برفق وانسياب لطيف ، ويشتدّ حتى يُري الكافرين لظى نار جهنّم ، وأهوال يوم القارعة ولنا من القرآن الكريم فيض من الامثلة على ذلك ، ومنها قوله تعالى : " وإِنْ مِنْكُم إِلاّ وارِدُها كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً[٣] " ، فكانت لفظة (واردها) الواقعة بعد (إلاّ) في هذا الاسلوب الاستثنائي كالصاعقة ووقعها على رؤوس البشر ولنقرأ هذا الاسلوب الاستثنائي ، في قوله تعالى : " فذكّرْ إِنّما أَنْتَ مُذَكّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيطِرٍ إِلاّ مَنْ تَولّى وكَفَرَ فَيُعَذّبُهُ اللّهُ العَذابَ الأَكْبَرَ[٤]

إنّ ورود قوله تعالى : " فَيُعَذّبُهُ اللّهُ العَذابَ الأَكْبَرَ " بعد أسلوب الاستثناء زلزل موقف الكافرين . أما في قوله تعالى : " فَبَشّرْهُم بِعَذابٍ أَلِيمٍ إِلاّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ[٥] فقد ورد أسلوب الاستثناء في هذه الآية الكريمة مطمئنا للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، باثا السكينة في نفوسهم .

ومثل ذلك قوله تعالى : " والعَصْرِ إِنّ الإِنْسانَ لَفي خُسْرٍ إِلاّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وتَواصَوْا بِالحَقّ وَتَواصَوْا بِالصّبْرِ[٦]

---

١ . انظر : مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير : ص ٢٢٨ ، د . أمين الخولي .
٢ . التطوّر الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : ص ٨٠ ، د . عودة أبو عودة .
٣ . مريم / الآية ٧
٤ . الغاشية / الآيات ٢١ - ٢٤ .
٥ . الانشقاق / الآيتان ٢٤ ، ٢٥
٦ . العصر / السورة جميعها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلّ هذا ما استرعى انتباه أبي عبيدة ،معمر بن المثنى (- ٢٠٩هـ) في كتابه (مجاز القرآن) والجاحظ في كتابه (نظم القرآن) ، وابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (- ٢٧٦ هـ) في كتابه (مشكل القرآن) والفراء في كتابه (معاني القرآن) ،وعبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الاعجاز) وغيرهم ممن تناولوا القرآن الكريم وأساليبه في دراساتهم .

ولذلك فإنّ تعدّد أساليب الاستثناء في القرآن الكريم ، ارتبطت بمقتضى الحال فجاءت معبّرة ومصورة لمواقف وأحوال استدعت نمطها ونوعها وهذه الأنواع هي :

الاستثناء التّام الموجب :

ورد هذا النوع من الاستثناء في آي الذكر الحكيم ،ويجب نصب المستثنى في هذا النوع ،ولا يجوز فيه إتباع المستثنى للمستثنى منه ، فقال سيبويه : " هذا باب لا يكون المستثنى ، فيه إلا نصبا ، لأنّه مخرج ممّا أدخلت فيه غيره فعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم ، حين قلت : له عشرون درهما . وقولك : أتاني القوم إلاّ أباك ، ومررت بالقوم إلا أباك ، وانتصب الأب إذا لم يكن داخلا فيما دخل فيه ما قبله ، ولم يكن صفة ... وإنّما منع الأب أن يكون بدلا من القوم ، أنّك لو قلت أتاني إلاّ أبوك كان محالا "(١)

وقد وافق المبرّد رأي أستاذه سيبويه في هذه المسألة،ورأى وجوب نصب المستثنى في الاستثناء التام الموجب ،فقال :" ولو قلت : جاءني اخوتك إلاّ زيدا . لم يجز إلاّ النصب ، لأنّك لو حذفت الاخوة بطل الكلام . وذلك أنه كان يكون :جاءني إلاّ زيد . فلا يقع الاستثناء على شيء ، فمن ثم بطل لفظ (إلا) من النصب لفساد البدل "(٢)

وذكر المبرّد هذا الرأي في مكان آخر من كتابه المقتضب بقوله :" هذا باب ما لا يكون المستثنى ، فيه إلا نصبا ،وذلك قولك : جاءني اخوتك إلاّ زيدا ومررت بأخوتك إلاّ زيدا . ولا يكون البدل ها هنا . ألا ترى أنك لو طرحت الاخوة من الكلام لتبدل

---

١. كتاب سيبويه : جـ٢ ،ص ٣٣٠ .

٢. المقتضب : جـ٤ ،ص ٣٩٥ ،المبرّد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زيدا منهم لفسد . لو قلت جاءني إلّا زيدا . كان محالا ، وكذلك ، مررت إلّا بزيد محال (١)

وقد أخذ النحويون بعد ذلك ، هذا الرأي نفسه في وجوب نصب المستثنى في الاستثناء التام الموجب ، وذكروا التعليل نفسه الذي ذكره سيبويه والمبرّد ، ومنهم ابن السّراج (٢) ، والزجّاجي (٣) ، والزمخشري (٤) ، وابن الانباري (٥) ، والرضي الاستراباذي (٦) وابن يعيش (٧) ، وابن مالك (٨) ، وابن هشام (٩) ، والأشموني (١٠) ، وغيرهم من النحاة المتأخّرين .

ولعلّ الاستثناء التام الموجب ، هو الاستثناء المحض الحقيقي ، وأن الانواع الأخرى محمولة عليه ، فهو الأصل في أساليب الاستثناء ، والأنواع الأخرى فرع ، لأنّ المستثنى في هذا النوع ، ذكر مرّة في الجملة ومرّة أخرى في التفصيل لأنّنا إذا قلنا : حضر الناس . ففي الناس زيد وعمرو. فإذا قلنا : إلا زيدا ، فقد ذكرنا به زيدا مرّة أخرى ذكرا ظاهرا (١١)

وممّا يجعل هذا النوع من الاستثناء ، هو الاستثناء المحض الحقيقي في أساليب الاستثناء المعروفة ، أنّ (إلّا) فيه دلّت على الاستثناء المحض الحقيقي .

أمّا في أنواع الاستثناء الاخرى ، فإنّ (إلا) تصير بمعنى (غير) أو (سوى) أو (لكن) أو (لمّا) أو (الواو) .

وقد ورد هذا الاستثناء التام الموجب في آي الذكر الحكيم ، في تسعة وستين

---

١. المقتضب : جـ٤ ، ص ٤٠١ ، المبرّد .
٢. الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٨١ ، ابن السراج .
٣. الجمل : ص ٢٣٠ ، الزجّاجي ٤. المفصّل : ص ٦٧ ، الزمخشري .
٥. أسرار العربية : ص ٢٠٦ ، ابن الانباري .
٦. شرح الكافية : جـ١ ، ص ٢٦٨ ، الرضي .
٧. شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٩٢ ، ابن يعيش .
٨. تسهيل الفوائد : ص ٢٩٤ ، ابن مالك .
٩. أوضح المسالك : جـ٢ ، ص ٦١ ، ابن هشام ١٠. شرح الأشموني : جـ١ ، ص ٢٢٩ .
١١. معجم مقاييس اللغة : جـ١ ، ص ٣٩١ ، أحمد بن فارس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موضعها (١) :

على الرغم من أنّ الاستثناء في هذه الآيات الكريمة تامّ موجب ، ويتّفق جمهور النحويين على وجوب نصب المستثنى فيها إلّا أنّ عددا من هذه الآيات قرئ المستثنى الواجب النصب فيها مرفوعا ، ومن هذه الآيات الكريمة ، قوله تعالى : " وإذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلّا إبْلِيسَ أبَى واسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكافِرِينَ (٢)

فقد قرأ جناح بن حبيش (إلا ابليسُ) بالرفع ، في الآية الكريمة (٣) . وقوله تعالى : " وإذْ أخَذْنا مِيثاقَ بَني إسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إلّا اللّهَ وبِالْوالِدَيْنِ إحساناً وذِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً وَأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إلّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٤)

فقد قرأ ابن مسعود ، وأبو عمرو بن العلاء (إلّا قليلٌ) بالرفع الشاذّ (٥) .

---

١ . البقرة / الآيات ٣٤ ، ٨٣ ، ١٣٠ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ . آل عمران / الآية ٩٣
النساء / الآيات ٢٤ ، ٨٣ ، ٩٨ . المائدة / الآيات ١ ، ٣ ، ٣٤ .
الانعام / الآيتان ١١٩ ، ١٤٦ ، الاعراف / الآيتان ١١ ، ٨٣ .
التوبة / الآية ٤ يونس / الآية ٩٨ . هود / الآيتان ٤٠ ، ١١٦
يوسف / الآيتان ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٣ . الحجر / الآيات ١٨ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠
الإسراء / الآيات ٦١ ، ٦٢ ، ٧٦ . الكهف / الآية ٥٠
مريم / الآيتان ٥٩ ، ٦٠ طه / الآية ١١٦
الانبياء / الآية ٥٨ الحج / الآية ٣٠
المؤمنون / الآية ٢٧ النور / الآية ٥ . النحل / الآيتان ٥٧ ، ٨٧
القصص / الآية ٨٨ العنكبوت / الآيات ١٤ ، ٣٢ ، ٣٣ .
سبأ / الآية ٢٠ الصافات / الآيات ١٠ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ١٢٨ ، ١٦٠
سورة ص / الآيات ٢٤ ، ٧٤ ، ٨٣ الزخرف / الآيتان ٢٧ ، ٦٧
النجم / الآية ٣٢ القمر / الآية ٣٤ . الممتحنة / الآية ٤
المعارج / الآيات ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٣ المزمّل / الآية ٢ . المدثر / الآية ٣٩
الانشقاق / الآية ٢٥ التين / الآية ٦ . العصر / الآية ٣
٢ . البقرة / الآية ٣٤
٣ . انظر : الحجّة في القراءات السبع : ص ٣٤ ، أبو علي الفارسي .
٤ . البقرة / الآية ٨٣ .
٥ . انظر : المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات : ص ٨٦ ، ابن جنّي . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص ٤٧ ، العكبري . الحجّة في القراءات السبع : ص ٣٧ ، الفارسي . البحر المحيط : جـ١ ، ص ٢٨٧ ، أبو حيّان . روح المعاني : المجلّد الأوّل ، جـ١ ، ص ٣١٠ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ "(١)

فقد قرأ أُبَيّ والأعمش (إلا قليلٌ) بالرفع(٢)

وقوله تعالى : " فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ "(٣) فقد قرأ الكسائي : (إلا قومُ) بالرفع(٤) .

وقوله تعالى : " فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ "(٥)

فقد قرأ زيد بن علي (-١٢٢هـ) (إلّا قليلٌ) بالرفع ، كما ذكر أبو حيّان(٦) .

لقد وقف النحويون حيارى أمام قراءات الرفع في هذه الآية الكريمة ، لأنّ الأصل في الاستثناء التام الموجب النصب ، فكيف جاء مرفوعا في هذه القراءة ؟

ذكر سيبويه ، تحت عنوان ما يكون فيه (إلا) وما بعده وصفا ، مجيء المستثنى من التام الموجب مرفوعا ، وذلك قولنا : لو كان معنا رجل إلّا زيد لغلبنا(٧) .

ونظير ذلك من الشعر العربي قول ذي الرُّمّة :

أنِيخَتْ فَأَلْقَتْ بَلْدَةً فَوْقَ بَلْدَةٍ ... قَلِيلٌ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بُغَامُهَا(٨)

---

١. البقرة / الآية ٢٤٩ .
٢. انظر : الحجّة في القراءات السبع : ص٥٣ ، الفارسي . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ص١٠٤ ، العكبري . البحر المحيط : جـ٢ ، ص٤٦٦ ، ابو حيّان . شواهد التوضيح ص٤٣ ، ابن مالك .
٣. يونس / الآية ٩٨ .
٤. انظر : إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص٣٣ . العكبري . المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ص٢٥٤ ، ابن جنّي . البحر المحيط : جـ٥ ، ص١٩٢ ، ابو حيان .
٥. هود / الآية ١١٦ .
٦. البحر المحيط : جـ٥ ، ص٢٧٣ ، أبو حيّان .
٧. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣٣١ .
٨. ديوان ذي الرُّمة : ص٦٣٨ . وورد شاهداً في كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣٣٢ . المقتضب : جـ٤ ، ص٤٠٩ ، المبرّد . شرح الاشموني : جـ٢ ، ص١٥٤ ، همع الهوامع : جـ١ ، ص١٩٩ ، السيوطي . خزانة الأدب : جـ٢ ، ص٥١ ، البغدادي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برفع (بغامها) . وقول عمرو بن معدي كـرب (-٢١ هـ)

وَكُـلُّ أخٍ مُفَارِقُـهُ أخُـوهُ ـ لَعَمْرُ أبِيكَ ـ إلاّ الفَرقَـدَانِ[١]

من الملاحظ أنّ سيبويه لم يستشهد بتلك الآيات التي ورد فيها المستثنى في بعض قراءاتها مرفوعا بعد (إلاّ) في الاستثناء التام الموجب ،كما أنّه خلط في أمثلته بين الاستثناء التام الموجب ،والاستثناء التام المنفي ،بقوله :" وإذا قال : ما أتاني أحد إلاّ زيد . فأنت بالخيار إنْ شئت جعلت (إلاّ زيد) بدلا ،وإنْ شئت جعلته صفة"[٢]

على الرغم من استشهاده بالشواهد الشعرية السالفة الذكر على ورود المستثنى مرفوعا بعد (إلا) في الاستثناء التام الموجب ، فقد رفض أنْ يكون المستثنى مرفوعا بعد الاستثناء التام الموجب فيقول ، :" هذا باب لا يكون المستثنى فيه إلاّ منصوبا ،وذلك قولك: أتاني القوم إلاّ أباك . ومررت بالقوم إلاّ أباك"[٣] إلاّ أنّ المبرّد كان أكثر قبولا لمجيء المستثنى مرفوعاً في الاستثناء التام الموجب . فقال : ما تقع فيه (إلاّ) وما بعدها نعتا وذلك قولك : لو كان معنا رجل إلاّ زيد لهلكنا . . . .وتقول على هذا جاءني القوم إلاّ زيد[٤]

ولكنّ ابن الحاجب[٥] والرضي الاستراباذي[٦] ، وابن يعيش[٧] ، وابن هشام[٨] يُنكرون ورود المستثنى مرفوعا في الاستثناء التام الموجب ، ويرون أن أمثلة سيبويه وشواهده التي أوردها في هذا الموضوع ،والامثلة والشواهد التي أوردها المبرّد هي نفسها أمثلة سيبويه وشواهده ، كانت من الاستثناء المفرغ أو من الاستثناء التام المنفي أو من الاستثناء التام الموجب ، وليست مقصورة على الاستثناء التام الموجب مما تسبّب عنه خلط في المسألة لديهما ، بين أنواع الاستثناء وأحكامها وقواعدها .

---

١. ديوان عمرو بن معدي كرب : ص ١٨١ ،ولا يكاد يخلو منه كتاب نحوي قديم ،من كتاب سيبويه : جـ٢ ،ص ٣٣٤ ،إلى همع الهوامع : جـ١ ،ص ٢٢٩ ،السيوطي .
٢. كتاب سيبويه : جـ٢ ،ص ٣٣٤ ، ٣. المصدر السابق : جـ٢ ،ص ٣٣٠
٤. المقتضب : جـ٤ ، ص ٤١١ ،المبرّد .
٥. الكافية : ص ٤٧ ،ابن الحاجب .
٦. شرح الكافية : جـ١ ،ص ٢٢٧ ،الرضي الاستراباذي .
٧. شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٨٩ ،ابن يعيش .
٨. مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٤٨٧ ،ابن هشام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا رأوا أن قراءة الرفع في هذه الآيات من القراءات الشاذة ، وإنْ كانوا قد حاولوا تأويلها بالنفي ، ليصبح الاستثناء تاما منفيا ، فيقول الرضي الاستراباذي : "وتأويل النفي في غير الالفاظ المذكورة نادر ، كما جاء في الشواذ " فشربوا إلاّ قليلٌ " أي لم يطيعوه إلاّ قليل "(١)

وقد ذكر هذا التخريج في الآية الكريمة الزمخشري ، إذ عمل على تأويل المعنى فيها بالنفي .(٢)

ولكنّ أبا حيّان أخذ برأي سيبويه والمبرّد ، فخرّج قراءة الرفع في هذه الآيات الكريمة ، على أنّ (إلاّ) صفة ، ورفض تأويل النفي في الآيات ، ليصبح الاستثناء تاما منفيا ، ولهذا رفض أن يكون ما بعد (إلاّ) بدلا ، لأنّ البدل لا يكون في الاستثناء التام الموجب ، كقولنا : قام القوم إلاّ زيد . على البدل ، لم يجز ، لأن البدل يحلّ محلّ المبدل منه ، فلو قلت : قام إلاّ زيد . لم يجز ، لأنّ (إلاّ) لا تدخل في الموجب وأمّا ما اعتلّ به من تسويغ ذلك لأنّ معنى (تولّيتم) في قوله تعالى " ثُمّ تولّيْتُمْ إلاّ قَليلٌ " النفي . كأنّه قيل : لم يفوا إلاّ قليل . فليس بشيء ، لأنّ كلّ موجب إذا أخذت في نفي نقيضه أو ضدّه كان كذلك .

كما رفض أبو حيّان أنْ يكون الرفع في هذه الآيات الكريمة ، على أنّ ما بعد (إلاّ) فيها فاعل مرفوع بفعل محذوف ، أو مبتدأ مرفوع لخبر محذوف . وقال فيها : " وهذه أعاريب من لم يمعن في النحو "(٣)

أمّا أبو البقاء العكبري فقد خرّج قراءات الرفع في الاستثناء التام الموجب على عدّة تخريجات وإعرابات ، فقال في إعراب قوله تعالى : "إلاّ قَلِيلاً مِنْكُم" النصب على الاستثناء ، وهو الوجه . وقرئ بالرفع شاذا ، ووجهه أن يكون فاعلا بفعل محذوف ، كأنّه قال : امتنع قليل . ولا يجوز أن يكون بدلا لأنّ المعنى يصير ، ثم تولى قليلٌ ، ويجوز أن يكون توكيدا للضمير المرفوع المستثنى منه ، وسيبويه

١ . شرح الكافية : جـ١ ، ص ٢١٣ ، الرضي الاستراباذي .
٢ . الكشّاف : جـ١ ، ص ١٨٦ ، الزمخشري .
٣ . البحر المحيط : جـ١ ، ص ٢٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصحابه من البصريين يسمّونه نعتا ووصفا[١].

على أنّ العكبري نفسه ،الذي رفض البدل في هذا الموضع ، فقد أقرّه في مواضع أخرى ،ورد فيها المستثنى ،من التام الموجب ، مرفوعا بعد (إلاّ) ، وذكر أنّه يأتي بدلا مرفوعا ،أو مبتدأ لخبر محذوف[٢] كما في قوله تعالى : " وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ[٣] " فقال العكبري في قوله تعالى : "إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ" في موضعه ثلاثة أوجه : النصب على الاستثناء ،وهو الأصل ، والمتفق عليه عند الجمهور . والثاني : الجرّ على البدل ، أي : إلاّ مِمّن استرق السمع . والثالث : الرفع على الابتداء[٤].

ولكنّ أبا حيّان يرفض هذه الآراء جميعها ويفنّدها[٥].

وخرّج ابن هشام قراءات الرفع بعد (إلا) في الاستثناء التام الموجب، بتأويل الايجاب بالنفي ، أو بموافقة رأي سيبويه والمبرّد ، في أنّ (إلاّ) فيها صفة ، أو أن الاسم المرفوع بعد (إلا) في هذه القراءات مبتدأ مرفوع ، حذف خبره[٦].

وقد أقرّ ابن مالك مجيء المستثنى مرفوعا ، بعد (إلاّ) في الاستثناء التام الموجب ، ممّا جعله يبني بابا ، عنوانه : البحث الثامن في رفع المستثنى بعد (إلا) ، في كتابه (شواهد التوضيح والتصريح لمشكلات الجامع الصحيح) .

فقال : وممّا ورد في رفع المستثنى بعد (إلاّ) قول عبد الله بن أبي قتادة - رضي الله عنهما - : " أَحْرَمُوا كُلُّهُمْ إِلاَّ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ[٧]

وقول أبي هريرة ، عبد الرحمن بن صخر (- ٥٩ هـ) - رضي الله عنه - : سمعت رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - يقول : "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافى إِلاَّ المُجَاهِرِينَ[٨]

---

١. إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ،ص ٤٧ ، العكبري .
٢. إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ،ص ٤٧ ،العكبري .
٣. الحجر / الآيتان ١٧ ، ١٨ .
٤. إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ٧٢ ، العكبري .
٥. انظر : البحر المحيط : جـ٢ ، ص ٢٦٧ ،أبو حيّان .
٦. انظر : مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٥٥١ ،ابن هشام .
٧. صحيح البخاري / كتاب الحج / : جـ٣ ،ص ١٦ .
٨. صحيح البخاري / كتاب الأدب / : جـ٨ ، ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ورد هذا الحديث النّبوي الشريف في صحيح البخاري ، ينصب (المجاهرين) ونصّه قوله - صلّى الله عليه وسلّم - : كلّ أمّتي مُعَافَى إلاّ المُجاهِرين ، وإنّ من المُجَانَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللّيلِ عَمَلاً ثُمّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللّهُ ، فَيَقُول : يا فُلانُ عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّه ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللّهِ عَنْهُ (١)

وقول الرسول محمد - صلّى الله عليه وسلّم - : " ما لِلشّياطِينِ مِنْ سِلاحٍ أبلَغُ في الصّالِحينَ مِنَ النّساءِ إلاّ المتزوّجونَ ، أولئِكَ المُطَهّرونَ المُبَرّؤونَ مِنَ الخَنا " (٢)

ويقول ابن مالك : " ومن الابتداء بعد (إلاّ) محذوف الخبر ، قوله - صلّى الله عليه وسلم - : " ولا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أرْضٍ تَمُوتُ إلاّ اللّهُ " (٣)

ولكن ابن مالك يقول بعد أن ذكر هذه الأحاديث النبوية الشريفة : " ولا يعرف أكثر المتأخرين من البصريين ، في هذا النوع إلاّ النصب ، وقد أغفلوا وروده مرفوعا بالابتداء ، ثابت الخبر ومحذوفه " (٤)

إنّ ورود المستثنى مرفوعا ، بعد (إلاّ) في الاستثناء التام الموجب ، في آي الذكر الحكيم ، وفي الأحاديث النبويّة الشريفة ، وفي فنّ القول العربي ، في عصور الاستشهاد ، يوضح لنا أنّ هذا الاستثناء الذي ورد فيه المستثنى مرفوعا ، وإن كان شاذا وخارجا على الأصل في نظم اللغة ، فإنّ له وجودا في فنّ القول العربي ، ممّا جعل النحويين يتصدّون له بحثا ودراسة وتأويلا وإعرابا .

أمّا عن إعراب ما بعد (إلاّ) في هذه الأحاديث الشريفة ، (فأبو) في الحديث الشريف " أحْرَمُوا كُلّهُمْ إلاّ أبو قَتادَةَ لَمْ يُحْرِمْ " مبتدأ مرفوع ، وخبره الجملة الفعلية (لم يحرم) . و(المجاهرون) في قوله - صلى الله عليه وسلم - : كلّ أمّتي معافى إلاّ المُجَاهِرونَ " مبتدأ مرفوع ، خبره محذوف . وكذلك الحال في إعراب (المتزوجون) في الحديث الثالث .

---

١ . صحيح البخاري / كتاب الأدب : جـ٨ ، ص ٢٤ .
٢ . شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح : ص ٤٢ ، ابن مالك .
٣ . صحيح البخاري / كتاب التوحيد / جـ٩ ، ص ١٢٢ .
وشواهد التوضيح : ص ٤٣ ، ابن مالك .
٤ . شواهد التوضيح : ص ٤٢ ، ابن مالك . وانظر : الحدائق الندية في شرح الفوائد الصمدية في علم العربية / مخطوط ورقة رقم (١١٥) ، ابن معصوم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى ذلك فابن مالك يخرّج الرفع بعد (إلاّ) في الاستثناء التام الموجب على أنه مبتدأ مرفوع ،وقد أخذ في هذا التخريج برأي الفرّاء الكوفي الذي رأى أنّ (قليل) في قوله تعالى : " فَشَرِبُوا مِنْه إلاّ قَلِيلٌ مِنْهُم "(١) مبتدأ وخبره محذوف تقديره إلا قليل منهم لم يشربوا (٢).

وبهذا فإنّ رفع المستثنى بعد (إلاّ) في الاستثناء التام الموجب ، في بعض القراءات الشاذّة ، شغل النحويين والمفسّرين ، وخرّجوه تخريجات متعدّدة. على أنّ هذه القراءات الشاذّة ، لعلّها كانت إحدى لغات القبائل العربية التي رفعت الاسم بعد (إلاّ) في جميع مواضعها ، كما أعربت بعض اللغات المثنى بالألف كالاسم المقصور في جميع مواضعه ،ومثل ذلك نصب المستثنى المتصل عند بعض القبائل في الاستثناء التام المنفي .

على أنّ هذه القراءات الشاذّة ،برفع المستثنى في الاستثناء التام الموجب،تعرف ولا يُقاس عليها ،لأنّ جمهور النحويين أنكر ذلك ورفضه .

الاستثناء التام المنفي :
==========

ورد هذا النوع من الاستثناء في أساليب القرآن الكريم ،وهو يختلف عن الاستثناء التام الموجب ،لأنه مسبوق بنفي أو شبه نفي .

أمّا عن إعراب ما بعد (إلا) في الاستثناء التام المنفي ، فقد اختلف النحويون فيه بين الإتباع على البدليّة ،والنصب على الاستثناء . فيقول سيبويه ، تحت عنوان " هذا باب ما يكون المستثنى فيه بدلا ممّا نُفي عنه ما أدخل فيه ، وذلك قولك : ما أتاني أحد إلاّ زيد . وما مررت بأحد إلاّ زيد . وما رأيت أحدا إلاّ زيدا . وجعلته المستثنى بدلا من الأوّل "(٣).

وقد أشار سيبويه إلى نصب ما بعد (إلاّ) على الاستثناء بقوله : " ومن قال : ما أتاني القوم إلا أباك . لأنّه بمنزلة أتاني القوم إلاّ أباك "(٤)

١. البقرة / من الآية ٢٤٩ .
٢. انظر : معاني القرآن : جـ١ ، ص٤٢ ،الفرّاء .
٣. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣١١ .
٤. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر سيبويه أنّ النصب على الاستثناء في الاستثناء التام المنفي لغة لبعض العرب الموثوق بعربيته ، فقال تحت عنوان هذا باب النصب فيما يكون مستثنى مبتدلا حدثنا بذلك يونس بن حبيب (-١٨٢ هـ) وعيسى بن عمر (-١٤٩هـ) جميعاً أنّ بعض العرب الموثوق بعربيته يقول : ما مررت بأحد إلاّ زيدا . وما أتاني أحد إلاّ زيدا فينصب (زيد) على غير (رأيت) ،وذلك أنّك لم تجعل الآخر بدلا من الأوّل[١]

ونستطيع من خلال كلام المبرّد أنْ نستشف قبوله الاتباع على البدلية ،والنصب على الاستثناء ،فيما بعد (إلاّ) في هذا الاسلوب ،وإنْ كان يفضّل الاتباع على البدليّة فيقول :" فاذا كان الاستثناء تاما موجبا ، فالنصب واقع على كلّ مستثنى وذلك قولك : جاءني القوم إلاّ زيدا ، ومررت بالقوم إلا زيدا . وعلى هذا مجرى النفي ،وان كان الأجود فيه غيره نحو : ما جاءني أحد إلا زيد وما مررت بأحد إلا زيد على البدلية[٢]

وقال في موضع آخر ، تحت باب المستثنى من النفي ، ما يؤيّد رأيه هذا ، فقال : " تقول : ما جاءني أحد إلاّ زيد وإلاّ زيدا . أما النصب فعلى ما فسّرت لك ،أي الاستثناء ، وأمّا الرفع فهو أن تجعل زيدا بدلا من أحد ، فيصير التقدير ، ما جاءني إلاّ زيد ، لأن البدل يحلّ محلّ المبدل منه ، والنصب على حاله في الجواز ،وإنّما كان البدل أجود ،لأنّه في اللفظ والمعنى والنصب بالاستثناء إنّما هو للمعنى لا للفظ فيجوز فيما صلح فيه البدل النصب على الاستثناء[٣]

أما الفرّاء فيفضّل أن يكون ما بعد (إلاّ) في الاستثناء التام المنفي تابعا على البدليّة من المستثنى منه ، فيقول :" وإذا كان ما قبل (إلاّ) فيه جحد ،جعلت ما بعدها تابعا لما قبلها ، معرفة كان أو نكرة ، فأمّا المعرفة فقولك : ما ذهب الناس إلاّ زيد . وأمّا النكرة فقولك : ما فيها أحد إلاّ غلامك . ولم يأت هذا عن العرب إلاّ بإتباع ما بعد (إلاّ) ما قبلها[٤]

---

١. كتاب سيبويه : جـ٢ ،ص٣١٩ .

٢. المقتضب : جـ٤ ، ص٣٨٩ ، المبرّد .

٣. المصدر السابق : جـ٤ ، ص٣٩٤ ،المبرد .

٤. معاني القرآن : جـ١ ، ص١٦٦ ،الفرّاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكنه تراجع عن رأيه هذا ، واشترط لجواز نصب ما بعد (إلاّ) في هذا النوع من الاستثناء ، أنْ يكون ما قبل (إلاّ) معرفة ، فقال : " وإذا كان الذي قبل (إلاّ) نكرة مع جحد ، فإنك تُتْبع ما بعد (إلاّ) ما قبلها ، كقولك : ما عندي أحد إلاّ أخوك "(١) .

ولكن ابن مالك رفض هذا الشرط الذي وضعه الفرّاء فقال : "ولا يشترط في جواز نصبه تعريف المستثنى منه خلافا للفرّاء "(٢) .

أمّا ابن السرّاج فيفضّل الإتباع على البدلية فيه بقوله : " فإذا قلت : ما قام أحد إلاّ زيد . فإنّما رفعت لأنّك قدّرت إبدال زيد من (أحد) ، وكذلك البدل من المنصوب والمخفوض فإن لم تقدّر البدل ، وجعلت قولك : ما قام أحد . كلاما تاما ، لا تنوي فيه الإبدال من أحد ، ثم استثنيت ، نصبت فقلت : ما قام أحد إلاّ زيداً "(٣) .

وابن هشام يفضّل الإتباع على البدلية بقوله : " وإذا كان الكلام غير موجب فالأرجح إتباع المستثنى للمستثنى منه ، بدل بعض عند البصريين ، وعطف نسق عند الكوفيين والنصب على الاستثناء عربي جيد "(٤) .

ولعلّ الفرق بين النصب على الاستثناء في أسلوب الاستثناء التام المنفي كما في قولنا : ما قام القوم إلاّ زيدا . وبين الرفع أو الجرّ أو النصب على الإتباع ، كما في قولنا : ما قام القوم إلاّ زيد . وما مررت بالقوم إلاّ زيد . وما رأيت القوم إلاّ زيداً . أنّ النصب على الاستثناء يفيد إخراج الاسم المنصوب ، بعد (إلاّ) على أنه فضلة في الكلام ، وأنّ ما قبله المعتمد في المعنى . أمّا الرفع والجر والنصب على البدليّة والإتباع ، فيفيد أن ما بعد (إلا) هو الأصل والعمدة في الكلام ، وما قبلها فضلة ، لأنّ ما بعد إلاّ يسدّ مسدّه ويلغيه .

ولذلك إذا كان في نيّة المنشئ أن يستثني ، نصب ما بعد إلاّ ، وإذا كان في نيّته أنْ يطرح الكلام الذي ورد قبل (إلاّ) ، يرفع أو يجر أو ينصب ما بعدها على الإتباع والبدليّة .

---

١ . معاني القرآن : جـ١ ، ص ١٦٧ ، الفرّاء .
٢ . تسهيل الفوائد : ص ١٠٢ ، ابن مالك .
٣ . الأصول في النحو : جـ١ ، ٢٨٢ ، ابن السرّاج .
٤ . أوضح المسالك : جـ٢ ، ص ٦٢ ، ابن هشام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمعنى الذي يقصده المتكلّم أو المنشىء هو الذي يحدد إعراب ما بعد (إلاّ) في الاستثناء التام المنفي . لأنّه إذا قصد الاستثناء ونصب ما بعد (إلاّ) أبطل الحكم الموجّه للمستثنى منه ، ووجّهه إلى المستثنى وإذا قصد تثبيت الحكم الموجّه للمستثنى منه أتبع ما بعد (إلاّ) لهذا المستثنى منه .

وقد ورد هذا النوع من الاستثناء في القرآن الكريم في نيّف وخمسين موضعا منها ما هو مسبوق بلا النافية ، كقوله تعالى : " لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا "(١) وقوله تعالى : " الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا "(٢)

وقوله تعالى : " لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا "(٣) . وغيرها من الآيات.(٤)

ومنها ما سبق ، (بما) النافية ، كقوله تعالى : " وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا "(٥) وقوله تعالى : " وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

---

١. مريم / الآية ٦٢
٢. الأحزاب / الآية ٣٩
٣. النبأ / الآيتان ٢٤ ، ٢٥
٤. البقرة / الآيات ٧٨ ، ١٥٠ ، ٢٥٥
النساء / الآيات ٤٣ ، ٤٦ ، ١١٤ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٦٩ .
المائدة / الآية ١٣
الأنعام / الآية ١٤٥ .
الأعراف / الآية ١٨٨
يونس / الآية ٤٩
هود / الآية ١١٨
النحل / الآية ١٠
الإسراء / الآية ٨٦
مريم / الآيتان ٦٢ ، ٧٨
الشعراء / الآية ٨٨
الشعراء / الآية ٨٨
النمل / الآية ٦٥
الأحزاب / الآيتان ٣٩ ، ٥٢
الشورى / الآية ٢٣
الزخرف / الآية ٨٦
الصافات / الآية ٨
الفتح / الآية ١٥
الدخان / الآيتان ٤١ ، ٥٦
الطلاق / الآية ٧
الواقعة / الآية ٢٥
النبأ / الآيتان ٢٤ ، ٣٨
الجنّ / الآية ٢٤
٥. النساء / الآية ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النّاسِ لا يَعْلَمُونَ[١] وغيرها من الآيات.[٢]

ومنها ما سُبِقَ بِلا الناهية ، كما في قوله تعالى : " ولا يَلْتَفِتْ مِنكُم أَحَدٌ إِلاّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ[٣] وغيرها من الآيات[٤] .

ومنها ما سُبق (بليس) ، كما في قوله تعالى : " إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عليهم سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغاوِينَ[٥] " وقوله تعالى : " لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ إِلاّ مَنْ تَوَلّى وَكَفَرَ[٦] وغيرهـا[٧] .

ومنها ما سُبق (بِلَنْ) ، كما في قوله تعالى : " قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلاّ بَلاغًا مِنَ اللّهِ وَرِسالاتِهِ[٨] وغيرها[٩] .

ومنها ما سُبق (بِلَمْ) كما في قوله تعالى : " والذين يَرْمُونَ أَزْواجَهُم وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إِلاّ أَنْفُسُهُم فَشَهادَةُ أَحَدِهِم أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ[١٠] "

---

١. يوسف / الآية ٦٨
٢. النساء / الآية ١٥٧ . إبراهيم / الآية ٢٢ . الفرقان / الآية ٥٧ . الصافات / الآية ١٦٣ . الليل / الآية ٢٠ .
٣. هود / من الآية ٨١ .
٤. النساء / الآيتان ٢٩ ، ٩٠ . العنكبوت / الآية ٤٦ .
٥. الحجر / الآية ٤٢ .
٦. الغاشية / الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
٧. المجادلة / الآية ١٠ . الغاشية / الآية ٦ .
٨. الجن / الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
٩. النساء / الآية ١٤٦ .
١٠. النور / الآية ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستثناء المتّصل والاستثناء المنقطع:

قسّم النحويون والمفسرون والفقهاء الاستثناء باعتبار الجنس ،إلى متّصل ومنقطع ،فإن كان ما بعد (إلاّ) من جنس المستثنى منه ، فالاستثناء متّصل ، كقولنا : قام القوم إلاّ زيدا ، فزيد من جنس القوم . وإذا كان ما بعد (إلاّ) من غير جنس المستثنى منه ،فالاستثناء منقطع ، كقولنا : حضر الحُجاج إلاّ أمتعتهم . فالأمتعة ليست من جنس المستثنى منه ، لأنّ الحُجاج مخلوقات حيّة من البشر ، والأمتعة جمادات.

وبما أنّ الاستثناء المتّصل أصل ثابت القواعد والحدود ، والاستثناء المنقطع فرع اقتضاه المعنى في السياق ، فقد تركّز اهتمام النحويين والمفسرين والفقهاء على الاستثناء المنقطع وقضاياه ومسائله ، فاختلفوا في حدّ الاستثناء المنقطع ، وتحديد الفرق في الجنس بين المستثنى منه والمستثنى ، لأنّه قد يكون المستثنى من جنس المستثنى منه ولكنّه ليس داخلا في أفراده لدى المنشئ ، ممّا يتسبّب عنه اختلاف في الرأي ، واختلاط في الحكم .

فيذكر سيبويه تحت باب ما يكون المستثنى فيه بدلا مما نفي عنه ما أُدخل فيه وذلك قوله : ما أتاني أحد إلاّ زيد وما مررت بأحد إلاّ زيد ، وما رأيت أحدا إلاّ زيدا . جعلت المستثنى بدلا من الأوّل[١] وهذا هو الأصل في إعراب ما بعد (إلا) في الاستثناء المنفصل . إلاّ أن سيبويه يذكر أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول : ما مررت بأحد إلاّ زيدا ، ما أتاني أحد إلاّ زيدا . وعلى هذا ،ما رأيت أحدا إلاّ زيدا . وذلك أنّك لا تجعل الآخر بدلا من الأوّل[٢]

وبهذا يجوز ، في لغة بعض العرب الفصحاء ،نصب المستثنى بعد (إلاّ) في الاستثناء المتّصل المسبوق بنفي .

وذكر المبرّد تحت عنوان المستثنى من المنفي ، أنّ ما بعد (إلاّ) بدل ممّا قبلها ، فقال : " تقول : ما جاءني أحد إلاّ زيد ، فتجعل (زيدا) بدلا من أحد ،فيصير التقدير ما جاءني إلاّ زيد ، لأنّ البدل يحلّ محلّ المُبدل منه ألا ترى أنّ قولك: مررت

---

١ . كتاب سيبويه : جـ٢ ،ص ٣١١ . ٢ . المصدر السابق : جـ٢ ،ص ٣١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأخيك زيد ، إنّما هو بمنزلة قولك : مررت بزيد . لأنّك لمّا رفعت الأخ قام (زيد) مقامه فعلى هذا قلت : ما جاءني أحد إلاّ زيد[١].

وقد علّل المبرّد وجوب إتباع ما بعد (إلاّ) لما قبلها في الاستثناء التام المنفي المتصل على البدلية بقوله : " وإنّما كان البدل أجود لأنّه في اللفظ والمعنى والنصب على الاستثناء إنّما هو للمعنى لا للفظ ، وبيان ذلك أنّك إذا قلت : جاءني أخوتك إلاّ زيدا . وزيد أحد اخوتك ، أوقعت عند السامع من قبل الاستثناء أنّه فيمن جاء . فإذا قلت : إلاّ زيدا ، فإنّما وقعت في موضع لا أعني زيدا منهم ، أو استثني زيدا منهم . فهذا معنى.

وإذا قلت : ما جاءني أحد إلاّ زيد . فإنّما رفعت . انّما نحّيت (أحدا) عن الفعل وأحللت (زيدا) بعد (إلاّ) محلّه ، فصار التقدير : ما جاءني إلاّ زيد فكلّ موضع صلح فيه البدل فهو الوجه ، وإذا لم يصلح البدل لم يكن إلاّ النصب، كما يجوز فيما صلح فيه البدل النصب على الاستثناء[٢].

فللمعنى المقصود لدى المنشئ أثر في نوع الأسلوب الاستثنائي المستعمل إذ إنّ المعنى المقصود، وهو الذي يجعل ما بعد (إلاّ) مستثنى منصوبا أو بدلا ، في الاستثناء ، لأنّ لكلّ من البدل والاستثناء مواطن خاصّة في النظم خاضعة للمعنى ، وهذا ما جعل البدل ممتنعاً عندما يتقدّم المستثنى على المستثنى منه ويصبح النصب على الاستثناء واجبا ، كما في قول الكميت :

وَمَا لِيَ إلاّ آلَ أحمدَ شِيعَةٌ وَمالِيَ إلاّ مَشْعَبَ الحَقِّ مَشْعَبُ[٣]

فقد تخلّف البدل وتقدّم الاستثناء في هذا البيت وأمثاله من الشواهد التي يتقدّم فيها المستثنى على المستثنى منه ، لأنّه لا يوجد ما يُبدل منه البدل . " ولا يجوز أن يُقال: إنّ الاستثناء يضارع البدل ، بدليل قولهم : ما قام أحد إلاّ زيدا وإلاّ زيد ، والمعنى واحد فلما جاز البدل لم يجز تقديمه ، كما لا يجوز تقديم البدل على المبدل منه[٤].

---

١. المقتضب : جـ٤ ، ص ٣٩٤ ، المبرّد ٢. المصدر السابق : جـ٤ ، ص ٣٩٦ المبرّد.
٣. الهاشميات : ص ١٧ ، المقتضب: جـ١ ، ص ٣٩٨ ، المبرّد . الكامل : جـ٤ ، ص ٢٤٥ المبرّد . الجمل : ص ٢٣٤ ، الزجاجي . المفصّل : ص ٦٨ ، الزمخشري . الإنصاف جـ١ ، ص ٢٧٥ ، ابن الأنباري . شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٧٩ ، ابن يعيش
٤. الانصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص ٢٧٥ ، ابن الأنباري.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر ابن السرّاج أنّ ما بعد (إلّا) في الاستثناء المتّصل يكون بدلا مما قبله وقال : " فإذا قلت : ما قام أحد إلّا زيد . فإنّما رفعت لأنّك قرّرت إبدال (زيد) من أحد وكأنّك قلت : ما قام إلّا زيد . فذلك البدل من المنصوب والمخفوض . تقول : ما ضربت أحدا إلّا زيدا ، وما مررت بأحد إلّا زيد "(١)

ولكنه يرى أنّ المنشئ إذا لم يقصد البدل وقصد اتمام المعنى وإخراج ما بعد إلّا عمّا قبلها ، نصب ما بعد (إلّا) على الاستثناء فقال : " فإن لم تقدّر البدل ، وجعلت قولك : ما قام أحد ، كلاما تاماً ، لا ينوى فيه الابدال من (أحد) ثم استثنيت ، نصبت فقلت : ما قام أحد إلّا زيداً "(٢)

وقد ذكر الزجاجي حكم الاستثناء المتّصل ، فقال : " وإذا كان ما قبل (إلّا) غير موجب ، كان ما بعدها تابعا لما قبلها على البدل وجاز فيه النصب إذا تمّ الكلام دونه ، وذلك قولك : ما قام القوم إلّا زيد ، وإلّا زيدا . وما شرب القوم إلّا عمرو وإلا عمرا وما مررت بأخوتك إلّا عمرو وإلّا عمرا "(٣)

وعلى ذلك فقد جوّز الزجّاجي الإتباع على البدل ، أو النصب على الاستثناء في الاستثناء المتصل .

ويرى الزمخشري الاتباع على البدل في الاستثناء التام المنفي ، إذا كان المستثنى متّصلا ، فقال : " والثاني جائز فيه النصب والبدل ، وهو المستثنى من كلام تام غير موجب ، كقولك : ما جاءني أحد إلّا زيداً وإلا زيد . وكذلك إذا كان المستثنى منه منصوبا أو مجرورا ، والاختيار البدل "(٤)

وذكر ابن هشام ، أن الأرجح في الاستثناء المتّصل الإتباع على البدليّة ، فقال : " وإنْ كان الكلام غير موجب ، فإنْ كان الاستثناء متّصلا ، فالأرجح إتباع المستثنى منه بدل بعض عند البصريين ، وعطف نسق عند الكوفيين "(٥)

---

١ . الأصول في النحو : جـ١ ، ص٢٨٢ ، ابن السرّاج .
٢ . المصدر السابق : جـ١ ، ص٢٨٢ ، ابن السراج .
٣ . الجمل في النحو : ص٢٣٣ ، الزجاجي .
٤ . المفصّل : ص٦٨ ، الزمخشري .
٥ . مغني اللبيب : جـ٢ ، ص٥٦٣ . أوضح المسالك : جـ٢ ، ص٣٦٢ ، ابن هشام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنّ الكوفيين يعدّون (إلاّ) أداة عطف . ثم يضيف قائلا : " والنصب عربي جيد "(١)

ورأى ابن يعيش أن الإتباع في الاستثناء المتّصل راجح والنصب على الاستثناء مرجوح (٢)

ويرى الرضي الاستراباذي كذلك ، الإتباع في الاستثناء المتصل ، وأجاز نصبه (٣) .

وهكذا فإنّ جمهور النحويين يتّفقون على أنّ الأصل في الاستثناء المتّصل الإتباع ويجوز فيه النصب على الاستثناء ، في بعض لغات العرب ، حيث قُرئت بعض الآيات بالنصب ، كما في قوله تعالى : "وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً "(٤)

فقد قرأ ابن عامر بنصب (قليلٌ)(٥) . ويقول المبرّد : " والقراءة الجيدة برفع (قليل) وقد قُرئت بالنصب ، فعلى الرفع ، على أنّ (قليل) بدل ، وأمّا على النصب فعلى الاستثناء "(٦) . أو على أنّ (قليلا) صفة لمصدر محذوف ، أي : ما فَعَلُوه إلاّ فعلا قليلا (٧) . إلاّ أنّ ابن الحاجب يقرّ النصب فيها على الاستثناء (٨) .

وقوله تعالى : " قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ "(٩)

---

١ . أوضح المسالك : جـ٢ ، ص٦٢ ، ابن هشام .
٢ . شرح المفصّل : جـ٢ ، ص٧٨ ، ابن يعيش .
٣ . شرح الكافية : جـ١ ، ص٢٠٤ ، الرضي الاستراباذي .
٤ . النساء / الآية ٦٦ .
٥ . انظر : شرح الشاطبية : ص١٨٤ ، علي بن محمد . النشر في القراءات العشر : جـ٢ ، ص٢٥٠ ، ابن الجزري .
٦ . الكامل : جـ٤ ، ص٢٤٤ ، المبرّد . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص١٨٦ ، العكبري .
٧ . انظر : معاني القرآن : جـ١ ، ص١٦٦ ، الفرّاء ، البحر المحيط : جـ٣ ، ص٢٨٥ ، أبو حيان . شرح الكافية : جـ١ ، ص٢١٤ ، الرضي الاستراباذي .
٨ . الكافية : ص٩٤ ، ابن الحاجب .
٩ . هود / الآية ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء ، برفع التاء من (إلّا امرأتك) وقرأ الباقون بنصبها (١).

وذكر المبرّد أنّ الوجهين جائزان (٢). وقال الزمخشري : " إنّ الله - سبحانه وتعالى - استثنى (امرأتك) من قوله : (فأسر بأهلك) ويدلّ عليه قراءة عبد الله بن مسعود " فأسر بأهلك بقطع من الليل إلّا امرأتك " (٣) بحذف (ولا يلتفت منكم أحد) . ويجوز أن ينتصب من (لا يلتفت) على أصل الاستثناء ، وإنّ كان الفصيح هو البدل ، أعني قراءة من قرأ بالرفع ، فأبدلها من أحد (٤).

ولكنّ العكبري ، وابن الحاجب ، وأبا حيّان ، وابن مالك ، والآلوسي رفضوا هذا التخريج ، لاستلزامه تناقض القراءتين ، فإنّ المرأة تكون مسرى بها على قراءة الرفع وغير مسرى بها على قراءة النصب ، لأنّ إخراجها من جملة النهي لا يدلّ على أنها مسرى بها ، بل على أنّها معهم ، وقد رُوي أنّها تبعتهم ، وأنّها التفت فرأت العذاب فصاحت فأصابها حجر فقتلها ، فيكون تخريج الزمخشري على خلاف الظاهر. ويرون أنّ وجه الرفع ، على أنّه بدل أو مبتدأ ، وما بعده خبر ، والمستثنى الجملة . والنصب على الاستثناء (٥).

ومع أنّ ابن هشام في مغني اللبيب يرى أنّ الرفع ، على أنّ (امرأتك) مبتدأ وما بعده خبر ، فإنّه في أوضح المسالك ، يرى أن قراءة النصب على الاستثناء ، وقراءة الرفع على البدل عند البصريين ، وعطف نسق عند الكوفيين (٦).

وعلى الرغم من هذه التخريجات المتعدّدة ، فإنّ القضية يمكن حصرها في أنّ

---

١. انظر : شرح الشاطبية . ص ٢٢٤ . النشر في القراءات العشر : جـ٢ ، ص ٢٩٠ ، ابن الجزري .
٢. المقتضب : جـ٤ ، ص ٣٩٥ ، المبرّد . ٣. هود / من الآية ٨١ .
٤. الكشّاف : جـ٢ ، ص ٢٢٧ ، الزمخشري .
٥. انظر : إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ٤٤ ، العكبري . الكافية : ص ٤٥ ، ابن الحاجب . البحر المحيط : جـ٥ ، ص ٢٤٨ ، أبو حيّان . شواهد التوضيح : ص ٤٢ ابن مالك . روح المعاني : المجلّد السادس ، جـ١٢ ، ص ١١٠ الآلوسي .
٦. مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٥٩٧ ، وأوضح المسالك : جـ٢ ، ص ٦٢ ، ابن هشام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(امرأتك) في الآية الكريمة ، يجوز فيها الرفع على البدليّة ، أو النصب على الاستثناء ، لأنّ الاستثناء متّصل . ولأنّنا عرفنا أنّ لغة بعض القبائل تنصب المستثنى المتّصل في الاستثناء التام المنفي ، ويرى جمهور النحويين أنّ النصب ، عبربي جيّد .

كما ورد الاستثناء متّصلا في القرآن الكريم في الآيات التالية(١)

أما الاستثناء المنقطع فقد شغل النحويين ، ولذلك فقد أفردوا له في كتبهم فصولا كاملة .

فيقول سيبويه : " هذا باب ما لا يكون إلّا على معنى (ولكن) وذلك قوله تعالى : " لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ "(٢) أي : ولكن من رحم . وقوله - عزّ وجلّ - : " فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا "(٣) أي : ولكن قوم يونس لمّا آمنوا . وقوله - عز وجل - " فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ "(٤) أي : ولكنّ قليلاً ممّن أنجينا منهم .. .. وهذا الضرب في القرآن كثير "(٥)

كما استشهد سيبويه بعدد غير قليل من الشواهد الشعرية على هذا النوع من الاستثناء(٦) .

---

١. البقرة / الآيات ١٣٠ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ٢٥٥ . آل عمران / الآيات ١ ، ١٨ ، ٩٣
النساء / الآيات ٢٤ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ١١٤ . المائدة / الآيتان ١ ، ٣
الانعام / الآيتان ١٢٨ ، ١٤٥ . هود / الآيتان ١٠٦ ، ١١٨
الاسراء / الآية ٥٩ . مريم / الآية ٥٩
النور / الآية ٣١ . النمل / الآية ٦٥
الاحزاب / الآية ٥٢
الصافات / الآيات ٣٩ ، ٧٣ ، ١٢٧ ، ١٥٩ ، ١٦١
الزمر / الآية ٦٨ . الزخرف / الآيتان ٢٦ ، ٨٦
الممتحنة / الآية ٤ المزمل / الآية ٢ المدثر / الآية ٣٨ .

٢. هود / الآية ٤٣ .

٣. يونس / من الآية ٩٨ .

٤. هود / الآية ١١٦ .

٥. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٢٥ .

٦. انظر : كتاب سيبويه : جـ٢ : ص ٣٢٦ - ص ٣٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر المبرد هذا النوع بقوله : " ما يقع في الاستثناء من غير نوع المذكور قبله ، وذلك قولك : ما جاءني أحد إلاّ حمارا . وما في القوم أحد إلاّ دابّة ..... فتنصبه بأصل الاستثناء على معنى ولكن .... فمن ذلك قوله تعالى : "وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى"(١) ومن ذلك : "لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ"(٢)

ويكاد يتفق جمهور النحويين على ما ذكره سيبويه والمبرّد ، في هذا النوع من الاستثناء(٣).

أمّا عن إعراب الاستثناء المنقطع في المستثنى التام المنفي ، فقد ذكر سيبويه في كتابه تحت عنوان " هذا باب يختار فيه النصب ، لأنّ الآخر ليس من نوع الأوّل ، وهو لغة أهل الحجاز ، وذلك : ما فيها أحدٌ إلاّ حِمارا ، جاءوا به على معنى ولكن حمارا وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأوّل ، فيصير كأنّه من نوعه ، فحمل على معنى و (لكن) وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدراهم وأما بنو تميم فيقولون : لا أحد فيها إلاّ حمارا أرادوا ليس فيها إلاّ حمارا ، ولكنّهم ذكروا أحداً توكيدا ، لأنّ يعلم أنْ ليس فيها آدمي ، ثم أبدل ، فكأنّهم قالوا : ليس فيها إلاّ حمارا(٤)

فيرى سيبويه أنّ لغة الحجاز ، تنصب ما بعد (إلاّ) في الاستثناء التام المنفي المنقطع ، أما لغة بني تميم فترفع ما بعد (إلاّ) في الاستثناء التام المنفي المنقطع، وقد استشهد على لغة الحجاز بقوله تعالى : " وإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا"(٥) بنصب رحمة(٦).

---

١. الليل / الآية ١٩ ٢. هود / الآية ٤٣

٢. المقتضب : جـ٤ ، ص ٤١٢ ، المبرّد .

٣. انظر : في هذه المسألة : الأصول في النحو : جـ١ ، ص ١٩٠ ، ابن السرّاج ، المفصّل : ص ٦٨ ، الزمخشري . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ٢٨٨ ، العكبري . الكشّاف : جـ٤ ، ص ٢١٨ ، الزمخشري . شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٨٠ ، ابن يعيش البحر المحيط : جـ٨ ، ص ٤٨٤ ، مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٥٢٣ ، ابن هشام

٤. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣١٩ .

٥. سورة يس / الآية ٤٣ .

٦. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : "مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ"(١) بنصب (اتباع)(٢) ، كما استشهد على لغة بني تميم بغير شاهد شعري ، ومنها قول النابغة الذبياني :

وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلَانًا أُسَائِلُهَا ... عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا أَوَارِيَّ لَأْيًا مَا أُبَيِّنُهَا ... وَالنُّؤْيُ كَالحَوْضِ بِالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ(٣)

برفع (الأواري)(٤) على البدل . وقول جران العود ، عامر بن الحارث (- ١٢هـ) :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ ... إِلَّا اليَعَافِيرُ وَإِلَّا العِيسُ(٥)

برفع (اليعافير والعيس) على البدل(٦) . وغير ذلك من الشواهد الشعرية التي أوردها على لغة بني تميم ، في رفع المستثنى المنقطع على البدل ، في الاستثناء التام المنفي .

وقد أخذ المبرّد برأي سيبويه في إعراب المستثنى المنقطع في الاستثناء التام المنفي فقال : " ما يقع في الاستثناء من غير نوع المذكور قبله ، لا يكون فيه إلّا النصب ، وقد يجوز فيه الرفع ، وهو قول بني تميم ، وتفسير رفعه على وجهين : أحدهما : أنّك إذا قلت : ما جاءني رجل إلّا حمارا . فكأنّك قلت : ما جاءني إلّا حِمار ، وذكرت (رجلا) وما أشبهه توكيدا . فكأنّه في التقدير ، ما جاءني شيء ، رجل ولا غيره إلّا حمارا(٧) والوجه الآخر ، أنْ تجعلَ الحمار يقوم مقام من جاءني من الرجال على التمثيل "

وقد أورد أمثلة سيبويه وشواهده نفسها ، على لغة بني تميم(٨) . ولكنه على الرغم من قبوله رفع المستثنى المنقطع ، على لغة بني تميم ، إلّا أنّه كان يصرّح ، " بأنّ الوجه النصب "(٩)

---

١. النساء / الآية ١٥٧ ٢. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣٢٢
٣. ديوان النابغة : ص١٦ . كما ورد الشاهد المذكور في المقتضب : جـ٤ ، ص٤١١ ، المبرّد الانصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص٢٦٩ ، ابن الأنباري . شرح المفصل : جـ٢ ، ص٨ ابن يعيش . خزانة الأدب : جـ٢ ، ص١٢٥ ، البغدادي .
٤. الأواري : محابس الخيل ومرابطها
٥. ديوان جران العود : ص٥٢ . وورد في الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص١١٧ ابن الأنباري . شرح المفصّل جـ٢ ص٦ ابن يعيش . شرح الأشموني : جـ٢ ، ص١٤٧ . همع الهوامع : جـ١ ، ص٢٢٥ ، السيوطي .
٦. كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣٢٢ ٧. المقتضب : جـ٤ ، ص٤٠ ، المبرّد .
٨. المقتضب : جـ٤ ، ص٤١٣ ، المبرّد .
٩. المصدر السابق : جـ٤ ، ص٤١٤ ، المبرّد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن السراج فقد أفرد بابا كاملاً للاستثناء المنقطع في كتابه الاصول ، فقال : " (إلا) في تأويل (لكن) إذا كان الاستثناء منقطعا عند البصريين ، ومعنى (سوى) عند الكوفيين . والاختيار فيه النصب في كل وجه ، وربما ارتفع ما قبل (إلا) وهي لغة بني تميم "(١)

ولعلّ أجمل ما ذكره ابن السراج تعليله ورود الاستثناء المنقطع منصوبا أو مرفوعا وهو تعليل قائم على تحكيم المعنى في النظم والإعراب ، فقال : " وليس منهاج الاستثناء المنقطع منهاج الاستثناء الصحيح ، لأنّ الاستثناء الصحيح إنّما هو أنْ يقع جمع يوهم أن كل جنسه داخل فيه ، ويكون واحد منه أو أكثر من ذلك لم يدخل فيه السامع بمستثنيه منه ، ليعرف أنه لم يدخل فيهم ، نحو : جاءني القوم إلاّ زيداً . فإنْ قال : ما جاءني إلاّ عمرا . فلا يجوز إلاّ على معنى (لكن) ، واعلم أن (إلاّ) في كلّ موضع على معناها في الاستثناء ، وأنها لا بدّ من أن تخرج بعضا من كلّ ، فإذا كان الاستثناء منقطعا فلا بدّ من أنْ يكون الكلام الذي قبل (إلاّ) قد دلّ على ما يُستثنى منه . . . وهذا الضرب في القرآن الكريم كثير "(٢)

وعلى الرغم من ورود الاستثناء المنقطع في القرآن الكريم ، وفن القول العربي شعره ونثره ، إلاّ أنّ حدّ الاستثناء غير متحقّق فيه ، لأنّه لا مجال للاخراج فيه ، إذْ كيف يمكن إخراج شيء من شيء آخر ليس من جنسه أصلاً ، كقولهم : ما حضر القوم إلاّ حمارا لأن الحمار ليس من جنس القوم إلا على المجاز . ومن هنا فقد ارتبط الاستثناء المنقطع بالمجاز ارتباطا وثيقا .

ولهذا فقد اختلف النحويون في قضية اختلاف الجنس بين المستثنى والمستثنى منه في الاستثناء المنقطع ، لأنّه يؤثّر في المعنى الظاهر للسياق ، ويخرجه من دائرة المعقول المتعارف عليه في البناء اللغوي والمعنوي .

فقال العكبري : " ومعنى المنقطع ألاّ يكون داخلاً في الأوّل ، بل يكون في حكم المستأنف "(٣)

---

١ . الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٩٠ ، ابن السرّاج .
٢ . المصدر السابق : جـ١ ، ص ٢٩٠ ، ابن السرّاج .
٣ . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص ٩٨ ، العكبري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الرضي الأستراباذي فقال : " المستثنى الذي لم يكن داخلا في المتعدّد الأوّل قبل الاستثناء ، منقطع سواء أكان من جنس المتعدّد ، كقولك جاءني القوم إلاّ زيد ، مشيرا بالقوم إلى جماعة خالية من زيد . أو لم يكن نحو : جاءني القوم إلاّ حمارا فقد تبيّن أنّ المستثنى المتّصل ، ليس هو المستثنى من الجنس كما ظنّ بعضهم "(١).

إنّ هذه اللغة من الرضي حول طبيعة المستثنى المنقطع ، في أنْ ليس حدّه اختلاف الجنس فقط وإنّما قد يكون الجنس واحدا ، ومع ذلك يكون المستثنى منقطعا إذا كان المستثنى منه جماعة خالية من المستثنى ، في نفس المتكلّم . وهذه نظرة دقيقة ذكيّة أوردها الرضي ، ليبيّن أثر المعنى المتردّد في نفس المتكلّم في الاستثناء ونوعه .

وذكر ابن يعيش أنّ الاستثناء المنقطع ، يرد في اللغة بطريق المجاز ، فقال : " فأمّا إذا كان المستثنى من غير الجنس ، فلا يتناوله اللفظ ، وإذا لم يتناوله اللفظ ، فلا يحتاج إلى ما يخرجه منه ، إذ اللفظ إذا كان موضوعا لإزاء شيء وأُطلق ، فلا يتناول ما خالفه ، وإذا كان كذلك ، فإنّما يصح بطريق المجاز ، والحمل على (لكن) في الاستدراك ، ولذلك قدّرها سيبويه (بلكن) وذلك من قبل أنّ (لكن) لا يكون ما بعدها إلاّ مخالفا لما قبلها ، كما أنّ (إلاّ) في الاستثناء كذلك ، إلاّ أن (لكن) لا يشترط أن يكون ما بعدها بعضا لما قبلها ، بخلاف (إلاّ) فانه لا يستثنى بها إلاّ بعض من كل "(٢).

وعلى ذلك فإنّ المستثنى المنقطع ، ليس مبنيّاً على اختلاف الجنس بين المستثنى والمستثنى منه ، وإنّما قد يكون الاستثناء منقطعا مع أن المستثنى من جنس المستثنى منه ولكنّ المنشيء ، ذكر بعض أنواعه في المستثنى منه ، ثم استثنى النوع الآخر . كقولنا : تختبيء الطيور في الليل إلاّ الخفّاش .

فالمستثنى المنقطع ضربان : ضرب من جنس المستثنى منه ، لا يفصله عنه شيء ومتشبّث به ، إلاّ أنه نوع من أنواعه ، له ما يميزه . وضرب منقطع بالجملة عمّا قبله يمكن قبوله على المجاز . ولهذا اختلف الحجازيون ، والتميميون ، في إعرابه ، لأنّ النصب فيه ، لغة

---

١ . شرح الكافية : جـ١ ، ص ٢٠٦ ، الرضي الاستراباذي .
٢ . شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٨٠ ، ابن يعيش .

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـــني تمـــيم .

فحجّـــة الحجازيين أن المستثنى المنقطع ، لمّا انقطع معناه من المستثنى منه ، فلم يكن من جنسه ، انقطع أيضا في إعرابه ، فلا يجوز إتباعه له .

وحجّة التميميين في الرفع ، أن تجعل المستثنى بعض المستثنى منه مجازا ، كما في قولهم : ما في الدار أحد إلاّ حمارا . أو تأكيدا للمعنى ، لأنّنا يمكن لنا أن نقول : ما في الدار إلاّ حمارا ، فورود (أحد) لتأكيد المعنى .

ولو دقّقنا النظر في لغة تميم ، في الاستثناء المنقطع ، للمسنا أنهم ينظرون إلـــى الاستثناء المنقطع من زاويتين مما ترتب عن ذلك نوعان من الاستثناء المنقطع عندهم ، النوع الأوّل : ما يكون فيه المستثنى منه متعدّدا ، كقولهم : ما حضر القوم إلاّ حمار. أو غـير متعدّد كقولهم : ما حضر زيد إلاّ عمرو . وهنا يجوز الرفع على البدل ، ويمكن أن يكـون استخدام المستثنى المنقطع مجازا ، فلا يكون الحمار حمارا حقيقيا ، أو يكون استخدامـه لتأكيد المعنى .
والنوع الثاني : أنّ المستثنى المنقطع ، لم يرد إلاّ منصوبا عندهم ، لامتناع المجاز فيه ، نحو قولنا : ما جاءني زيد إلاّ عمرا . فهنو تميم هنا ، في هذا النوع من الاستثناء المنقطـــع يوافقون الحجازيين في وجوب نصبه ، ولم يرد في لغتهم إلاّ منصوبا ، لأنّهم يرون أنّ البدل ممتنع فيه .

وعلى الرغم من أنّ الحجازيين نصبوا المستثنى المنقطع ، على الاستثناء في جميـــع أنواعه ، والتميميين ، رفعوه على البدل ، في معظم أنواعه ، التي يمكن أن يرد فيهـــا مجازا ، فانّ النحويين اختلفوا في إعرابه ، لأنّ الرؤية لم تكن لديهم واضحة في أنواعـــه ولأن لكل نوع معنى ، ولكل معنى إعرابا .

فقـــد رأى سيبويه ، أن النصب في المستثنى المنقطع يكون على أنه اسم (لكـن)[1] لأنّ (إلا) فيه بمعنى (لكن) وخبرها محذوف .

---

١ . انظر : كتاب سيبويـــه : جـ٢ ، ص ٣٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أخذ بهذا الرأي المبرّد[١]. وتبعهما في تأييد هذا الرأي ، والاخذ به ابن السرّاج والى هذا الرأي أشار الرضي الاستراباذي في نصب المستثنى المنقطع ، فقال : والمتأخّرون لمّا رأوا إلاّ بمعنى (لكن) ، قالوا: إنّها الناصبة بنفسها نصب (لكنّ) للأسماء ، وخبرها في الأغلب محذوف ، نحو قولك : جاءني القوم إلاّ حمارا . أي : ولكن حمارا لم يجيء . وقد يجيء خبرها ظاهرا[٢].

ومن المتأخّرين الذين رأوا أنّ المستثنى المنقطع المنصوب ، يكون اسما (للكن) الصبّان[٣] ، والأزهري[٤] ، خالد بن عبد الله (- ٩٠٥هـ) ، والشيخ حسن العطّار[٥] (-١٢٥٠هـ)

وأمّا على لغة الرفع عند التميميين ، فقد رأى سيبويه[٦] ، والمبرّد[٧] ، وابن السرّاج[٨] والزجّاجي[٩] ، والزمخشري[١٠] ، وأبو حيان[١١] ، والنسفي[١٢] ، أن المستثنى المنقطع بدل من المستثنى منه المرفوع .

ويرى الزمخشري أنّ المستثنى المنقطع مبتدأ مرفوع ، خبره محذوف ، وعدّ (إلا) بمعنى (لكن) الساكنة[١٣] . وبهذا نلحظ ازدواجيّة الرأي عنده ، إذ قال بالرفع على البدليّة في مواضع ، وقال بالرفع على الابتداء في مواضع أخرى .

---

١. انظر : المقتضب : جـ٤ ، ص٤١٢ ، المبرّد .
٢. شرح الكافية : جـ١ ، ص٢٠٨ ، الرضي الاستراباذي .
٣. حاشية الصبّان على الأشموني : جـ٢ ، ص٢٢
٤. شرح التصريح على التوضيح : جـ٢ ، ص١٣٤ ، الأزهري .
٥. حاشية الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية : ص١١٩ .
٦. انظر : كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص٣١٩ . ٧. المقتضب : جـ٤ ، ص٤١٢ ، المبرّد .
٨. الأصول في النحو : جـ١ ، ص٢٩١ ، ابن السرّاج .
٩. الجمل : ص٢٣١ ، الزجّاجي .
١٠. المفصّل : ص٦٩ ، الزمخشري .
١١. البحر المحيط : جـ٥ ، ص٤٦٠ ، أبو حيّان .
١٢. تفسير النسفي : جـ١ ، ص١٨٦ .
١٣. الكشّاف : جـ٢ ، ص٣١٥ ، الزمخشري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أعرب العكبري المستثنى المنقطع ، في غير موضع ، مبتدأ مرفوعاً (١)

وذكر ابن هشام عن ابن خروف ، علي بن محمد (-٦٠٩هـ) والفراء ، أن الاستثناء المنقطع مبتدأ مرفوع ، خبره محذوف (٢) .

وقال الصبّان : إذا ورد ما بعد (إلا) في الاستثناء المنقطع مرفوعا ، فإنّ (إلاّ) بمعنى (لكن) المخفّفة ، فيكون ما بعدها مبتدأ مرفوعاً (٣) .

أما ما ورد من الاستثناء المنقطع في آي الذكر الحكيم ، فقد ورد عدد كبير من الآيات اشتملت على هذا النوع من الاستثناء .

ولهذا قال ابن السرّاج : " وهذا الضرب في القرآن الكريم كثير (٤) " ومن ذلك ممّا ورد فيه النصب على لغة الحجاز ، والرفع على لغة بني تميم ، قوله تعالى : " وإنّ الّذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلاّ اتّباع الظنّ وما قتلوه يقيناً (٥) "

فقد قُرئ المستثنى المنقطع (اتباع) في الآية الكريمة بالنصب ، على لغة الحجازيين ، والرفع على لغة بني تميم ، ويكاد يتّفق جمهور النحويين والمفسرون على أنّ المستثنى في هذه الآية الكريمة منقطع ، لأنّ الظنّ ليس من جنس العلم (٦) .

وقوله تعالى : " فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقيّة ينهون عن الفساد في الأرض إلاّ قليلاً ممّن أنجينا منهم واتّبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (٧) "

---

١ . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ١٤٤ ، جـ٢ ، ص ٢٨٨ ، العكبري
٢ . مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٤٢٧ ، ابن هشام .
٣ . حاشية الصبّان : جـ٢ ، ص ٢٣ ، وانظر : حاشية الخضري : جـ١ ، ص ٣١٢ .
٤ . الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٩١ ، ابن السرّاج .
٥ . النساء / من الآية ١٥٧ .
٦ . انظر : كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٢٢ ، المقتضب : جـ٤ ، ص ٤١٣ ، المبرّد . الكشاف : جـ١ ، ص ٣١٢ ، الزمخشري . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص ٢٠١ ، العكبري . شرح المفصّل : جـ١ ، ص ٨٠ ، ابن يعيش . شرح الكافية : جـ١ ، ص ٢١٠ الرضي . البرهان : جـ١ ، ص ٢٨٥ ، الزركشي .
٧ . هود / الآية ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتّفق جمهور النحويين على أنّ (قليلا) مستثنى منقطع ، ومنعوا الاتصال ، لأنّ المعنى في الآية الكريمة يستقيم ، إذا كان المستثنى منقطعا ، ويفسد إذا عددنا الاستثناء متّصلا .

وقد قُرئ (قليل) مرفوعا على لغة بني تميم ، وهو الأفصح هنا لخدمة المعنى في الآية الكريمة ، وأُعرب بدلا ، أو مبتدأ خبره محذوف .(١)

وقوله تعالى : " وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُم أَبُوهُم مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا "(٢)

إنّ نوع الاستثناء في قوله تعالى : " إِلَّا حَاجَةً " في الآية الكريمة ، استثناء منقطع والمعنى : ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها ، وهي إشفاقه على أبنائه ، وقد اتّفق النحويون والمفسّرون على أنّ هذا الاستثناء منقطع ، إلّا أنّ العكبري أعرب (حاجَةً) مفعولا لأجله .(٣)

وقوله تعالى : " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ "(٤)

لأنّ (من) فاعل . ولفظ الجلالة - الله - بدل مرفوع من (مَنْ) فيكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنس بين المستثنى والمستثنى منه . وهذا يعني استحالة علمهم بالغيب لاستحالة كون الله - سبحانه وتعالى - منهم . أو أن يكون معنى الآية الكريمة

---

١. انظر : كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٢٥ ، المقتضب : جـ٤ ، ص ٤١٦ ، المبرّد . معاني القرآن : جـ١ ، ص ٦٧ ، الفرّاء . الكشّاف : جـ٢ ، ص ٢٣٨ ، الزمخشري . البحر المحيط جـ٥ ، ص ٢٧١ ، أبو حيّان . شرح الكافية : جـ١ ، ص ٢١٠ ، الرضي الاستراباذي . روح المعاني : المجلّد السادس ، جـ١٢ ، ص ١٦١ ، الآلوسي

٢. يوسف / الآية ٦٨

٣. انظر : إعراب القرآن : جـ٢ ، ص ٣٣٦ ، النحّاس . الكشّاف : جـ٢ ، ص ٢٦٧ ، الزمخشري . املاء ما من به الرحمن : جـ٢ ، ص ٥٦ ، العكبري . تفسير النسفي : جـ٢ ص ٢٣١ ، البحر المحيط : جـ٥ ، ص ٣٩٦ ، ابو حيان . روح المعاني : المجلّد السابع جـ١٣ ، ص ٢١ ، الآلوسي

٤. النمل / الآية ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

. لا يعلم أحد الغيب إلاّ الله فحذف (أحد) ووضع مكانه بعض مدلوله ، وهو في السماوات والأرض . وقيل (إلاّ) في الآية الكريمة بمعنى (غير) وهي صفة (من) .(١)

وقوله تعالى " وَلَقَدْ عِلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ "(٢)

إنّ نوع الاستثناء في قوله تعالى : " إلاّ عباد " منقطع ، أي : ولكن المخلصون ناجون . لقد اتّفق النحويون والمفسّرون على أنّ هذا الاستثناء ، في هذه الآية الكريمة منقطع .(٣)

وقوله تعالى " لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ "(٤)

إنّ الاستثناء في قوله تعالى : " إلاّ الْمَوْتَةَ " منقطع ، بمعنى : لكن الموتة الأُولى أو سوى الموتة الاولى ، ذاقوها في الدنيا لأنّه لا موت في الجنّة ، والخلود فيها دائم .

ومعنى الآية الكريمة ، أنّهم لا يذوقون فيها الموت البتّة ، ولكن الموتة الأُولى في محال ذوقها في المستقبل أو أنهم لا يذوقون فيها الموت البتّة سوى الموتة الأُولى في الحياة الدنيا ، وامتناع الموت في الجنة ، جعل الموتة الأُولى استثناء منقطعا .

وقد ذكر الطّبري أنّ (إلاّ) في الآية الكريمة بمعنى (بعد) أي لا يذوقون فيها الموت بعد الموتة الأُولى .(٥) ولكن جمهور النحويين لم يذكروا أن (إلاّ) ترد بمعنى (بعد)

---

١ . انظر : تفسير الطبري : جـ١ ، ص ٤٩٢ ، الكشّاف : جـ٣ ، ص ١٤٩ ، الزمخشري إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ١٧٤ ، العكبري . البرهان : جـ١ ، ص ٢٨٥ ، الزركشي . البحر المحيط : جـ٧ ، ص ٩١ ، ابو حيّان .

٢ . الصافات / الآيتان ١٥٩ ، ١٦٠ .

٣ . انظر : الكشّاف : جـ٣ ، ص ٣١٣ ، الزمخشري . البحر المحيط : جـ٧ ، ص ٣٧٨ ، ابو حيّان . تفسير النسفي : جـ٤ ، ص ٣٠ .

٤ . الدخان / الآية ٥٦ .

٥ . انظر : تأويل مشكل القرآن : ص ٥٥ ، ابن قتيبة ، إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ٢٣١ ، العكبري . تفسير القرطبي : جـ٧ ، ص ٧٥ ، البحر المحيط : جـ٨ ، ص ٤٠ ابو حيّان . البرهان ، جـ٣ ، ص ٤٨ ، الزركشي . روح المعاني : المجلّد الثالث عشر : جـ٢٥ ، ص ١٣٦ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا "(١) يتّفق جمهور النحويين، وتبعهم المفسّرون على أن الاستثناء في هذه الآية الكريمة استثناء منقطع وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم ، لأنّ السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم .(٢)

وقوله تعالى : " وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى "(٣) ان المستثنى (ابتغاء) في الآية الكريمة ،منقطع ، لأنّه ليس من جنس المستثنى منه . وقرأ يحيى ابن وثاب الأسدي (- ١٠٣ هـ) (ابتغاءُ) بالرفع على البدل ،من محل (من نعمة)على لغة بني تميم ، أو على الرفع بالابتداء ، أو الفاعلية .(٤)

هذه هي بعض الآيات الكريمة التي ورد فيها الاستثناء منقطعا ، وقد لاحظنا أنّها قُرئت بالنصب على الاستثناء ،أو بالنصب على أنّها اسم (لكنّ) لأن (إلّا) فيها بمعنى (لكنّ) أو بالرفع على البدل ،أو الابتداء ،أو الفاعلية على لغة بني تميم .

---

١. الواقعة / الآيتان ٢٥ ، ٢٦

٢. انظر : إعراب القرآن : جـ٤ ،ص ٣٣٠ ، النحاس ، الكشّاف : جـ٤ ، ص ٨ ، الزمخشري .
وإملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ،ص ٢٥٤ ، العكبري . البحر المحيط : جـ٨ ،ص ٢٠٦ أبو حيّان . البرهان : جـ٣ ، ص ٥١ ، الزركشي . تفسير النسفي : جـ٤ ،ص ٢١٦ روح المعاني : المجلد الرابع عشر ، جـ ٢٧ ، ص ١٣٩ ،الآلوسي .

٣. الليل / الآيتان ١٩ ، ٢٠

٤. انظر : المقتضب : جـ٤ ، ص ٤١٣ ،المبرّد . إعراب القرآن : جـ٥ ، ص ٢٤٥ النحاس . إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ص ١١٥ ، ابن خالويه . الكشاف: جـ ٤ ، ص ٢١٨ ، الزمخشري . إملاء ما منّ به الرحمن جـ٢ ، ص ٢٨٨ ، العكبري . البحر المحيط : جـ٨ ، ص ٤٨٤ ،أبو حيّان روح المعاني : المجلّد الخامس عشر ، جـ ٣٠ ، ص ١٩٤ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك آيات كثيرة أخرى ورد فيها الاستثناء منقطعاً (١).

لقد كان لاختلاف الجنس والنوع بين المستثنى والمستثنى منه أثر واضح في تقسيم الاستثناء ، في هذه الآيات الكريمة ، إلى استثناء متصل أو منقطع ، إلّا أنّ هناك مجموعة من الآيات الكريمة ، اختلف فيها النحويون والمفسّرون بين الانقطاع والاتصال ، لأنّ اختلاف الجنس والنوع فيها ، غير واضحين ، ولأنّ المعنى المستفاد من السياق في الاستثناء يوحي بالنوعين ، المتصل والمنقطع ، ممّا جعلهم يخوضون في المعاني التي يمكن أن توحي بها تلك الآيات الكريمة ، ومنها قوله تعالى : " وإذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ، اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلّا إبْلِيسَ أبَى واسْتَكْبَرَ وكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ (٢) "

وقوله تعالى : " ولقد خَلَقْنَاكُم ثُمّ صَوّرْنَاكُم ثُمّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلّا إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٣) "

وقوله تعالى : " فَسَجَدَ المَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ إلّا إبْلِيسَ أبَى أنْ يَكُونَ مِنَ السَّاجِدِينَ (٤) "

وقوله تعالى : " وإذْ قُلْنَا للمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلّا إبْلِيسَ قَالَ أأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً (٥) "

---

١. البقرة / الآيات ٧٨ ، ١٥٠ ، ٢٤٦ . آل عمران / الآية ١١١ .
النساء / الآيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٩٧ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٦٨ .
المائدة / الآية ٣٣ . الأنعام / الآيتان ١١٩ ، ١٤٥ .
التوبة / الآيات ١ ، ٣ ، ١١٠ . هود / الآية ١١
يوسف / الآية ٦٦ ابراهيم / الآية ٢٢
الحجر / الآيتان ١٧ ، ٤٢ الإسراء / الآية ٨٦
الحج / الآية ٤٠ الفرقان / الآيتان ٥٧ ، ٦٨
الشعراء / الآية ٨٨ النمل / الآية ١٠
القصص / الآية ٨٦ الأحزاب / الآية ٦
سبأ / الآيات ٣ ، ٢١ ، ٣٧ . الصافات / الآيات ٨ ، ٣٨ ، ٧٣
الدخان / الآيتان ٤١ ، ٥٦ . الجن / الآيتان ٢٢ ، ٢٦
المدثر / الآية ٣٨ . الانشقاق / الآية ٢٤ الغاشية / الآية ٢٢
٢. البقرة / الآية ٣٤ .
٣. الأعراف / الآية ١١ .
٤. الحجر / الآيتان ٣٠ ، ٣١ . ٥. الإسراء / الآية ٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " وإذْ قُلْنا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُ والآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ "(١)

وقوله تعالى : " وإذْ قُلْنَا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ أَبَى "(٢)

وقوله تعالى : " فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُونَ إلاّ إبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ "(٣)

وقد اختلف النحويون والمفسّرون اختلافا كبيراً في نوع الاستثناء في هذه الآيات الكريمة ، وكان مصدر هذا الاختلاف (ابليس) ، إذْ عدّه بعضُهم من جنس الملائكة وبذلك يكون الاستثناء متّصلا ، وعدّه بعضهم ليس من جنس الملائكة ، وبذلك يكون الاستثناء منقطعا .

وقد احتجّ كل فريق بحجج عقليّة ونقليّة متعدّدة ليثبت رأيه فكانت حجج من رأى أنّ إبليس ليس من الملائكة ، وإنّما هو من الجنّ ، وبذلك يكون الاستثناء منقطعا :

أولا : - قوله تعالى : " إلاّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ "(٤)

ثانيا : إنّ الملائكة لا يستكبرون ، وهو قد استكبر .

ثالثا : إنّ الملائكة خُلقوا من نور ، وخُلق الجنّ من مارج من نار ، وهو قد خلق ممّا خلق منه الجنّ ، كما يدلّ عليه قوله تعالى : " أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ "(٥)

رابعا : إنّ الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يُؤمرون ، أمّا إبليس فقد عصى الله ، وفسق عن أمر ربّه .

خامسا : إنّ الملائكة لا نسل لهم ولا ذريّة ، أمّا إبليس فله نسل وله ذرّيّة .

أمّا حجج من رأى أنه من جنس الملائكة وبذلك يكون الاستثناء متّصلا ، فقد قالوا :

---

١ . الكهف / الآية ٥٠ .
٢ . سورة طه / الآية ١١٦ .
٣ . سورة ص / الآيتان ٧٣ ، ٧٤ .
٤ . الكهف / من الآية ٥٠ .
٥ . سورة ص / من الآية ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : إنّ إبليس كان مغمورا بين الألوف من الملائكة ، فتناوله الأمر ولم يمتثل .

ثانيا : إنّ إبليس وإنْ كان من الجنّ فهم مأمورون بالسجود مع الملائكة لكنه - سبحانه - استغنى بذكرهم لمزيد شرفهم عن ذكر الجنّ ، أو لأنّه كان مأمورا صريحا لا ضمنا ، كما يشير إليه ظاهر قوله تعالى : " قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ "(١) وقوله تعالى : " فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ "(٢)

ثالثا : إنّ (كان) الواردة في الآية الكريمة ، بمعنى (صار) أي فصار جنّيا ، أي مسخ بسبب هذه المعصية كما مسخ اليهود فصاروا قردة وخنازير .

رابعا : لا مناقشة بين كونه جنّيا ، وكونه ملكا ، فإنّ الجنّ يطلق على ما يقابل الملك لأنّه نوع منه ، على ما رُوي في التفسير المأثور . فهم جنس من الملائكة وأنّه يقال للملائكة جنّ أيضا ، لاجتنانهم واستتارهم عن أعين الناس .

خامسا : وكون الملائكة لا يستكبرون - وهو قد استكبر - لا يضير ، لأنّ إبليس سلبه الله تعالى الصفات الملكية ، وألبسه ثياب الصفات الشيطانية ، فعصى الله عند ذلك .

سادسا : وكونه مخلوقا من نار ، وهم مخلوقون من نور ، غير ضار ، ولا قادح في مَلَكيته لأنّ النار والنور متّحدا المادة بالجنس ، واختلافهما بالعوارض ، وإنّ الله قد خلق ملائكة من نور وملائكة من نار وملائكة من ثلج (٣) .

لعلّ هذه الحجج التي أوردها كلا الطرفين تجعلنا نقف حائرين أمامها لأنّها في معظمها لدى الطرفين مقنع ، نقلا وعقلا ومنطقا .

ولهذا فإنّ (إبليس) في الآيات الكريمة ، مستثنى متصل ومنقطع ، فلم يدّع أحد من المفسّرين أو النحويين أنّه استثناء متّصل تماما دون أن يذكر أنّه ، قد يكون منقطعا ، أو يدّعي أنه منقطع تماما ، دون أن يذكر أنّه قد يكون متّصلا .

---

١ . الأعراف / من الآية ١٢ . ٢ . الإسراء / من الآية ٦١ .

٣ . انظر : تفاصيل مسألة (إبليس) في : تفسير الطبري : جـ١ ، ص ١٧٧ . إعراب القرآن : جـ١ ، ص ٢١٢ النحّاس . الكشّاف : جـ١ ، ص ١٢٧ ، الزمخشري . إملاء ما منّ به الرحمن جـ١ ، ص ٣٠ ، العكبري . تفسير القرطبي : جـ١ ، ص ٢٩٤ . البحر المحيط : جـ١ ، ص ١٥٣ ، أبو حيان . الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٤٥٧ ، ص ٥٢٠ ، القرافي . تفسير النسفي : جـ١ ، ص ٤٢ . روح المعاني : المجلّد الأوّل : جـ١ ، ص ٢٢٩ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فذكر العكبري أنّه استثناء منقطع أو متّصل.(١) أما الزمخشري ، فرأى أنّه استثناء متّصل ، ثمّ تراجع ، وقال : يجوز أن يكون منقطعاً.(٢) وقد رجّح أبو حيّان الاتصال دون أن ينفي الانقطاع.(٣) ويقول النسفي : الاستثناء متّصل ، لأنه كان من الملائكة . وقيل : الاستثناء منقطع.(٤)

كما تردّد غيرهم من المفسّرين والنحويين بين الاتّصال والانقطاع ، دون أن يجزم أحد بنوع دون الآخر . ومع ذلك فقد كانوا إلى الاتصال أميل ولهذا فالاتّصال راجح والانقطاع مرجوح . ويتّفق جمهور النحويين على أنّ الاستثناء متّصل وإن جاز فيه الانقطاع .

وعلى ذلك فإنّ الرأي القائل بالاتصال أقرب إلى الصواب ، لأن حقيقة المعنى الظاهر في سياق نظم الآيات يؤيّد الاتّصال ، فلو لم يكن (إبليس) مأمورا مع الملائكة لما غضب الله عليه ولعنه لعصيان أمر ربه .

وقوله تعالى : " قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ "(٥)

فقد اختُلف في نوع الاستثناء (إلا رمزا) فمن عدّ الرمز : الإيماء باليد أو تحريك الشفتين دون النطق ، أو الاشارة دون الكلام ، فالاستثناء عنده منقطع ، ومن عدّ الرمز: الكلام الذي فُهم منه المرام فهو متّصل ، ولكنّ المعروف أنّ الرمز ليس كلاما مما يضعف هذا الرأي ، مع أنّ الزمخشري يقول : " إنّ ما أدّى مؤدّى الكلام وفُهم منه ما يُفهم ، سُمّي كلاما "(٦)

ولكن العكبري يقول : " (إلاّ رمزًا) استثناء منقطع ، من غير الجنس ، لأنّ الاشارة ليست كلاما "(٧)

---

١. إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص ٣٠ ، العكبري.
٢. الكشّاف : جـ١ ، ص ١٢٧ ، الزمخشري .
٣. البحر المحيط : جـ١ ، ص ١٥٣ ، أبو حيّان ٤. تفسير النسفي : جـ١ ، ص ٤٢ .
٥. آل عمران / من الآية ٤١ ٦. الكشّاف : جـ١ ، ص ٣٥٤ ، الزمخشري .
٧. إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ، ص ١٣٣ ، العكبري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا القرطبي وأبو حيّان والنسفي والآلوسي ، فيرون أنه يجوز فيه الانقطاع والاتّصال على ما يدلّ عليه (رمز) من معنى (١) .

وقوله تعالى : " قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٢) "

قال الزمخشري : " يجوز أن يكون (إلّا آلَ لوط) استثناء من (قوم مجرمين) فيكون الاستثناء منقطعا ، لأنّ آل لوط ليسوا قوما مجرمين ، ويجوز أن يكون استثناء متّصلا إذا كان الاستثناء من ضمير (مجرمين) (٣) "

ويرى أبو حيّان أنه استثناء منقطع بقوله : " والظاهر أنّه استثناء منقطع ،لأنّ (آل لوط) لم يندرج في قوله (قوم مجرمين) (٤) "

ويقول العكبري : هو استثناء من غير الجنس ،لأنّهم لم يكونوا مجرمين (٥) .

ويقول النسفي : " إلّا (آل لوط) يريد أهله المؤمنين ، والاستثناء منقطع، لأنّ القوم موصوفون بالإجرام ، والمستثنى ليس كذلك . أو متّصل ،فيكون الاستثناء من الضمير في مجرمين ، كأنّه قيل : إلى قوم قد أجرموا كلّهم إلّا آل لوط وحدهم . والمعنى يختلف باختلاف الاستثنائين (٦) "

نلاحظ أنّ الجنس بين المستثنى منه والمستثنى لم يختلف ، وإنّما اختلف النوع باختلاف الوصف ممّا يدل على أنّ اختلاف الجنس واختلاف النوع كليهما يؤثران على نوع الاستثناء . إذ قد يكون الجنس واحدا ، ولكن النوع مختلف ، فيكون الاستثناء منقطعا كما هو في هذه الآية الكريمة .

---

١ . انظر : تفسير القرطبي : جـ٣ ،ص٣٢٢ ،البحر المحيط : جـ٢ ،ص٤٢٥ ،أبو حيّان . تفسير النسفي : جـ١ ،ص١٥٧ ،روح المعاني :المجلد الثاني :جـ٣ ، ص١٥١ ، الآلوسي . إعراب القرآن : جـ١ ، ص٣٧٥ ،النحّاس .

٢ . الحجر / الآيتان ٥٨ ، ٥٩ ٣ . الكشّاف :جـ٢ ،ص٣١٥ ،الزمخشري .

٤ . البحر المحيط : جـ٥ ،ص٤٦٠ ، أبو حيّان .

٥ . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص٧٦ ،العكبري .

٦ . تفسير النسفي : جـ٢ ،ص٢٧٥ . وانظر : روح المعاني : المجلّد السابع جـ١٤ ، ص٦٣ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ "(١)

لقد اختلف المفسّرون اختلافا كبيراً في تفسير (اللّمَم) ، مما ترتّب عليه اختلاف النحويين والمفسّرين ، في تحديد نوع الاستثناء ، فيه بين الاتصال والانقطاع ، وفقا لمعنى (اللمم) .

فقال الزمخشري : " لا يخلو من أن يكون الاستثناء منقطعا . أو أن يكون صفة لأنّ (إلاّ) بمعنى (غير)"(٢)

وقد انطلق الزمخشري في تفسير (اللمم) من مبادئ مذهبه الاعتزالي ، في مرتكب الكبيرة .

ويقول العكبري : " إلاّ اللمم" استثناء منقطع ، لأنّ اللمم : الذنب الصغير"(٣) ومع أنّ أبا حيّان يرى أنه استثناء منقطع ، إلاّ أنّه يقول : " وقيل يصح أن يكون استثناء متّصلا وهذا يظهر عند تفسير (اللمم) ما هو ؟ لأن اللمم : الذنب الصغير ، وكبائر الاثم والفواحش : الذنوب الكبيرة ، فكلا الذنبين الصغير والكبير من جنس واحد ، فهو استثناء متصل "(٤) ويرى النسفي أن الاستثناء منقطع لأنّه ليس من الكبائر والفواحش(٥) ويرى الآلوسي أن الاستثناء منقطع ، أو أن (إلاّ) صفة بمعنى (غير)(٦) . وقد أفاض الآلوسي وأكثر في تفسير (اللمم) وأسهب في ذكر الآراء فيها(٧) .

---

١ . النجم / من الآية ٣٢ .
٢ . الكشّاف : جـ٤ ، ص ٤١ ، الزمخشري .
٣ . إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ، ص ٢٤٧ ، العكبري .
٤ . البحر المحيط : جـ٨ ، ص ١٦٤ ، أبو حيّان .
٥ . تفسير النسفي : جـ٤ ، ص ١٩٨ .
٦ . روح المعاني : المجلّد الرابع عشر ، : جـ ٢٧ ، ص ٦٢ ، الآلوسي .
٧ . المصدر السابق : المجلّد الرابع عشر : جـ٢٧ ، ص ٦٣ ، وما بعدها ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغير ذلك من الآيات التي اختُلف في نوع الاستثناء الوارد فيها ، بين الانقطاع والاتصال . وقد لعب المعنى المستفاد من الاستثناء دورا متميزا في هذا الخلاف . وهذه الآيـــــات (١) :

---

١ . البقرة / الآيـة ٢٨٢
التوبة / الآيـة ٧
الكهـف / الآية ١٦
الحـج / الآيـة ٣٠
سبـأ / الآيـة ٢٠
الزخرف / الآيـة ٦٧
النبـأ / الآيـة ٢٤
التيـن / الآيـة ٤
النساء / الآيتان ٢٢ ، ٩٥
الاسراء / الآيـة ٦٧
مريـم / الآيـة ٨٦
الشعراء / الآية ٧٥
الشورى / الآية ٢٣
القمـر / الآيـة ٣٣
الغاشيـة / الآيـة ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستثناء المفرّغ :

هو الاستثناء الذي حُذف من جملته المستثنى منه ، في كلام منفي غير موجب ولهذا يقترن في هذا الاسلوب أمران ، النفي وحذف المستثنى منه ، ولذلك فهو الاستثناء القائم على كلام غير تام وغير موجب ، وفي هذا الأسلوب يعرب ما بعد (إلاّ) على حسب العوامل قبلها ، وسمّي هذا النوع من الاستثناء مفرّغا ، لأنّ ما قبل (إلاّ) تفرّغ للعمل الإعرابي فيما بعدها ، وانصبّ حكمه عليه ، ولم يشتغل بالعمل في غيره .

ومن الأساليب الفصيحة في الاستثناء المفرّغ نوع آخر ، وهو أن يكون الكلام مشتملا على جملة قسمية ظاهرها مثبت ، ولكنّ معناها منفي ، وجواب قسم جملة فعليّة ماضوية لفظا مستقبلة معنى ، مصدّرة (بإلاّ) نحو : سألتك بالله إلاّ نصرت المظلوم . وحلفت بربّي إلاّ ساعدت الضعيف . وأقسمت عليك إلاّ زرتنا غدا . فالاستثناء في الأمثلة السابقة ونظائرها مفرّغ ، لأنّه في معناه : ما سألتك بالله إلا نصرك المظلوم ، وما حلفت بربّي إلاّ مساعدة الضعيف ، وما أقسمت إلا زيارتك لنا غدا . فاجتمع في الكلام أمران : النفي وعدم التمام ، إلى جانب أمر ثالث ، وهو أنّ الفعل بعد (إلاّ) مؤوّل بمصدر يمكن إعرابه حسب موقعه بعد (إلاّ) وتأثير ما قبله عليه .

ولعلّ أسلوب الاستثناء المفرّغ ، من أكثر أساليب الاستثناء استخداما في لغتنا فيقول سيبويه : " اعلم أنّ (إلاّ) يكون الاسم بعدها على وجهين : أحدهما الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل أن تلحق (إلاّ) فهو أن تدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه ، وذلك قوله : ما أتاني إلاّ زيد ، وما لقيت إلاّ زيدا ، وما مررت إلاّ بزيد ، تجري الاسم مجراه إذا قلت : ما أتاني زيد . وما لقيت زيدا . وما مررت بزيد ولكنّك أدخلت (إلاّ) لتوجب الافعال لهذه الاسماء ، ولتنفي ما سواها ، فصارت هذه الاسماء مستثناة "(١)

ولذلك يعرب ما بعد (إلاّ) في الاستثناء المفرّغ ، حسب موقعه في السياق كأنّ (إلاّ) غير موجودة ، لأنّها تتحول من أداة استثناء في هذا الاسلوب ، إلى أداة حصر ، وبذلك يصبح أثرها خلال الجملة في المعنى ، لا في الإعراب ، حيث يقول

١ . كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد القاهر الجرجاني : " وغير الموجب على ضربين : أحدهما : أن لا يكون (إلا) فيه عمل لفظا . والثاني : أن تكون عاملة فيه لفظاً ومعنى . فالأول : أن يكون ما قبل (إلاّ) مفرّغا لما بعده كقولك : ما جاءني إلا زيد . وما رأيت إلا زيدا وما مررت إلاّ بزيد . فهذه بمنزلة أن تقول : جاءني زيد ورأيت زيدا ومررت بزيد . في أنّ (إلاّ) لم يغير شيئا من اللفظ ، وإنّما غيّر المعنى "(١)

ولكنّ هذا التحوّل في استخدام (إلاّ) ومعناها من الاستثناء إلى التخصص والحصر ، وعدم ذكر المستثنى منه ، لعدم الحاجة إليه في السياق ، ولأنّ ذكره يبعد المعنى اللغوي في السياق عن المعنى المتردّد في نفس المنشئ ، لا يخرج هذا الاسلوب عن أساليب الاستثناء الأخرى - كما يظن - لأنّ هذه الأساليب الاستثنائيّة جميعها مولّدة من بعضها ، وصيغت في قوالب أسلوبية جديدة خدمة للمعنى المنشود لأننا إذا قلنا : ما حضر إلاّ زيد . كان معنى الكلام ، ما حضر أحد إلاّ زيد . ولكنّ حذف المستثنى منه من السياق ، جعل الحضور مخصّصا ومحصورا بزيد .

وممّا يؤكّد صلة هذا النوع بالأنواع الأخرى ، ما ذكره ابن معصوم في قوله " فالمستثنى (بإلاّ) إذا لم يذكر معه المستثنى منه لفظا ، بل نوي ، أعرب بحسب اقتضاء العوامل من رفع ونصب وجر ، لقيامه مقام المستثنى منه ، لكن لا أصالة ، إذ العوامل في التحقق عاملة في ذلك المقدّر ، ولكن لمّا حُذف وقام المستثنى مقامه ، عمل فيه لا بطريق الأصالة "(٢)

وقد ذكر المبرّد الاستثناء المفرغ بقوله : " والاستثناء على وجهين : أحدهما أن يكون الكلام محمولا على ما كان عليه قبل دخول الاستثناء ، وذلك قولك : ما جاءني إلاّ زيد . وما ضربت إلاّ زيدا . وما مررت إلاّ بزيد . فإنّما يجري هذا على قولك : جاءني زيد ، ورأيت زيدا ، ومررت بزيد . وتكون الاسماء محمولة على أفعالها . وإنّما احتجت إلى النفي والاستثناء ، لأنّك إذا قلت : جاءني زيد فقد يجوز أن يكون معه غيره ، فإذا قلت : ما جاءني إلاّ زيد . نفيت المجيء كلّه إلاّ مجيئه "(٣)

---

١ . المقتصد في شرح الإيضاح : جـ٢ ، ص ٧٠١ ، عبد القاهر الجرجاني .
٢ . الحدائق الندّية في شرح القوائد الصمدية في علم العربية : مخطوط . ورقة ١١٣ ابن معصوم .
٣ . المقتضب : جـ٤ ، ص ٣٨٩ ، المبرد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا يلجأ المتكلم إلى أسلوب الاستثناء المفرّغ ليخدم حاجة نفسية لديه .

وذكر ابن السّراج الاستثناء المفرّغ بقوله : " فإنْ فرّغت الفعل لما بعد (إلاّ) عمل فيما بعدها ، لأنّك إنّما تنصب المستثنى إذا كان اسما من الاسماء ، وهو بعضها ، فأمّا إذا أفرغت الفعلَ لما بعد (إلاّ) عمل فيما بعد (إلاّ) وزال ما كنت تستثني منه ، وذلك نحو قولك : ما قام إلاّ زيد ، وما قعد إلاّ بكر . فزيد مرتفع بقام ، وبكر مرتفع بقعد وكذلك : ما ضربت إلاّ زيدا . وما مررت إلاّ بعمرو . ولما فرّغت الفعل لما بعد إلا عمل فيه "(١)

وقال الزجاجي موضحا إلغاء عمل (إلاّ) الإعرابي في الاستثناء المفرّغ: " وإذا فرغت ما قبل (إلاّ) لما بعدها ، عمل ما قبلها فيما بعدها ، ولم تعمل (إلاّ) شيئا ، كقولك : ما قام إلاّ زيد . وما رأيت إلاّ زيدا . وما مررت إلاّ بزيد "(٢)

ولعلّه يقصد من قوله : " ولم تعمل إلاّ شيئا " في الإعراب ، وليس في المعنى لأنّ أثرها المعنوي في السياق واضح الأثر .

وقد فصّل ابن هشام أنواع النفي التي تسبق الاستثناء المفرّغ بقوله : " فإذا استثني (بإلاّ) وكان الكلام غير تامّ ، فلا عمل (لإلاّ) بل يكون الحكم عند وجودها مثله عند فقدها ، ويسمّى استثناء مفرّغا . وشرطه كون الكلام غير إيجاب ، وهو النفي نحو : "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ"(٣) والنهي ، نحو " وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ"(٤) والاستفهام الانكاري ، نحو " فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ"(٥) فأما قوله تعالى : " وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ"(٦) فحُمل (يأبى) على (لا يريد) لأنّهما بمعنى "(٧)

كما تناول النحويون العرب الآخرون هذا النوع من الاستثناء بالدراسة والايضاح والتحليل والاعراب ومنهم الفرّاء(٨) ، وابن مالك(٩) ، وابن الحاجب(١٠) ، وابن يعيش(١١) ، والرضي الاستراباذي(١٢) ، والسيوطي(١٣) وغيرهم .

---

١ . الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٨٢ ، ابن السّراج .
٢ . الجمل في النحو : ص ٢٣٦ ، الزجّاجي . ٣ . آل عمران / من الآية ١٤٤ .
٤ . النساء / من الآية ١٧١ ٥ . الأحقاف / من الآية ٣٥ .
٦ . التوبة / من الآية ٣٢ ٧ . أوضح المسالك : جـ٢ ، ص ٦٠ ، ابن هشام .
٨ . معاني القرآن : جـ١ ، ص ٤٣٣ ، الفرّاء ، ٩ . تسهيل الفوائد : ص ١٠١ ابن مالك .
١٠ . الكافية : ص ٤٥ ، ابن الحاجب . ١١ . شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٨٢ ، ابن يعيش .
١٢ . شرح الكافية : جـ١ ، ص ٢١٥ ، الرضي . ١٣ . همع الهوامع : جـ١ ، ص ٢٢٣ ، السيوطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا عن ورود الاستثناء المفرّغ في آي الذكر الحكيم ، فقد ورد هذا النوع في القرآن الكريم ، في أربعمائة وعشرين موضعا ، إذْ يُعدّ أكثر أساليب الاستثناء وردا في القرآن الكريم ، وفنّ القول العربي .

وقد تميّز أسلوب الاستثناء المفرّغ في آي الذكر الحكيم ، بورود ه بعد الاثبات والإيجاب ، وبعد النفي دون أن يقتصر على ورود ه بعد النفي ، كما صرّح بذلك. إذْ اشترطوا أن يكون الاستثناء المفرّغ بعد النفي ، أو ما يشبه النفي ، ولو أنهم استقرأوا أساليب القرآن الكريم ، في الاستثناء المفرّغ ، لما ذهبوا هذا المذهب ، ولأصابوا كبد الحقيقة ، وقد تبع المفسّرون النحويين في هذا الرأي ، ممّا أوقعهم في حيرة أمام الآيات الكريمة التي ورد فيها الاستثناء المفرّغ ، بعد الإثبات والإيجاب ، فأوّلوها بالنفي وأوّلوا المعنى في الآيات ليخضعوها للقاعدة النحوية ، وكان الأجدر بهم أن يكون الأسلوب القرآني هو الأصل الذي تبنى عليه قواعد اللغة ، ومن هذه الآيات الكريمة التي خرجت على مقتضى الظاهر الذي وضعه النحويون ، وجاءت مسبوقة بالاثبات ، في قوله تعالى : " وإنّها لَكَبِيرةٌ إلاّ عَلَى الخَاشِعِينَ "(١)

ومن القواعد التي ورد فيها الاستثناء المفرّغ في القرآن الكريم مخالفا لقواعد النحويين ، وقوع الفعل الماضي بعد (إلاّ) في هذا الأسلوب ، فقد اشترط النحويون(٢) شروطا غير واقعيّة لورود الفعل الماضي بعد (إلاّ) في الاستثناء المفرّغ، ولكنّ الفعل الماضي ورد بعد (إلاّ) في هذا الأسلوب ، في آي الذكر الحكيم في عشرين موضعا ، دون تلك الشروط ، ولعلّ هذه من المآخذ التي تؤخذ على قواعد النحو العربي ، إذْ لم يتّخذ النحويون الأسلوب القرآني أساسا لوضعها .

ولعلّ أكثر ما يسترعي انتباهنا في أسلوب الاستثناء المفرّغ ، تنوّع ما بعد (إلاّ) وتعدّده ، فورد مبتدأ أو خبرا ، أو اسما لكان وأخواتها ، أو فاعلا ، أو نائبا عن الفاعل ، وورد مفعولا به ، أو مفعولا لأجله ، أو مفعولا مطلقا ، أو حالا ، أو ظرفا ، أو خبرا لكان

---

١. البقرة / من الآية ٤٥ .

٢. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص ٢١٩ ، ابن الانباري . شرح الكافية جـ١ ، ص ٢٢٩ ، الرضي الاستراباذي . تسهيل الفوائد : ص ١٠٥ ، ابن مالك شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٩٣ ، ابن يعيش . همع الهوامع : جـ١ ، ص ٢٣٠ ، السيوطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخواتها ، أو جارا ومجرورا كما ورد فعلا أو مصدرا من أنْ والفعل . وهذا دليل على ماتتمتع به أساليب العربية ، وبخاصّة الاستثناء ، من مرونة وعذوبة ، لا تحجّر فيها ولا جمود وإنّما هي سلسة مطواعة ، يتقلّب الكلم فيها في مواضع شتى ، لخدمة المعنى والمضمون ، وبناء الشكل الرشيق .

ولكنّ بعض هذه المواضع الاعرابية ليست قطعية مجزوما بها ، لأنّ فيها آراء أخرى ولهذا سيؤخذ بأشهر الآراء التي اتفق عليها جمهور النحويين .

وقد تمّ الرجوع في تحديد إعراب ما بعد (إلاّ) في هذا الأسلوب إلى المصادر التالية : (١)

فقد ورد ما بعد (إلاّ) في الاستثناء المفرّغ مبتدأ ، في قوله تعالى : "يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (٢)

وقوله تعالى : "وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ" (٣)

وقوله تعالى : "وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ" (٤)

وقوله تعالى : "فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ" (٥)

وقوله تعالى : "مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (٦) وغيرها . (٧)

وورد ما بعد (إلاّ) في الاستثناء المفرّغ خبراً لمبتدأ سواء أكان خبرا مفردا أم جملة أم شبه جملة في قوله تعالى : "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ

---

١ . إعراب القرآن : النحّاس . إعراب ثلاثين سورة من القرآن : ابن خالويه . البيان في غريب إعراب القرآن : ابن الانباري . إعراب القرآن : مكي بن أبي طالب، المنسوب للزجّاج خطأ . الكشّاف : الزمخشري . البحر المحيط : أبو حيّان . مغني اللبيب : ابن هشام . تفسير القرطبي . إملاء ما منّ به الرحمن : ابن الأنباري . تفسير النسفي . روح المعاني : الآلوسي . وغيرها ممّا له علاقة بذلك .

٢ . البقرة / من الآية ١٣٢ ٣ . المائدة / الآية ٩٩

٤ . التوبة / الآية ٥٤ ٥ . يونس / الآية ٣٢

٦ . هود / الآية ٥٦ ٧ . آل عمران / الآية ١٠٢
يوسف / الآية ١٠٦ النحل / الآية ٣٥ الاسراء / الآية ٥٨
النور / الآية ٥٤ القصص / الآية ٥٩ العنكبوت / الآية ١٨
يس / الآية ١٧ سورة ص / الآية ٧٠ غافر / الآية ٥٦
الشورى / الآية ٤٨ الزخرف / الآية ٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قَبْلِـــهِ الرُّسُـــلُ (١)

وقوله تعالى : " فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَـاعُ الْغُـرُورِ (٢) "

وقوله تعالى : " وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٣) "

وقوله تعالى " إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيـــمٌ (٤) " وقوله تعالى " مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٥) " وغيرها (٦) .

---

١. آل عمران / من الآية ١٤٤
٢. آل عمران / من الآية ١٨٥
٣. الأنعام / الآية ٧
٤. يوسف / من الآية ٣١
٥. المؤمنون / من الآية ٣٣
٦. البقرة / الآيتان ٧٨، ٨٥
آل عمران / الآية ١٢٦
النساء / الآيـــة ١٥٩
المائدة / الآيتان ٧٥، ١١٠
الانعام / الآيات ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٥٧ ، ٩٠ ، ١١٦ ، ١٤٨
الاعراف / الآيات ١٥٥ ، ١٨٤ ، ١٨٨
الانفال / الآيات ١٩، ٣١، ٣٤
التوبـــة / الآية ٣٨
يونس / الآيات ٣ ، ٦٦ ، ٧٢
هـــود / الآيات ٧ ، ٢٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٨٨
يوسف / الآية ١٠٤
الرعد / الآيتان / ١٤ ، ٢٦
إبراهيم / الآيتان ١٠ ، ١١
الحجر / الآية ٢١
النحل / الآيتان ٧٧ ، ١٢٧
الاسراء / الآيتان / ٤٤ ، ٥٨
مريم / الآيتان ٧١ ، ٩٣
الانبياء / الآية ٣
المؤمنون / الآيات ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٨٣
القرقان / الآيتان ٤ ، ٤٤
الشعراء / الآيات ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٨٦ ،
النمل / الآيتان ٦٨ ، ٧٥
القصص / الآيـــة ٣٦
العنكبوت / الآية / ٦٤
الروم / الآيـــة ٥٨
لقمان / الآيـــة ٢٨
سبـــأ / الآيتان ٤٣ ، ٤٦
فاطـــر / الآيتان ٢٣ ، ٢٤
سورة يس / الآيات ١٥ ، ٤٧ ، ٦٩
الصافات / الآيتان ١٥ ، ١٦٤
سورة ص / الآيات ٧ ، ١٤ ، ٨٧
غافـــر / الآيات ٢٥ ، ٣٧ ، ٥٠
الزخرف / الآيتان / ٢٠ ، ٥٩
الدخان / الآيـــة ٣٥
الجاثيـــة / الآية ٢٤
الاحقاف / الآيتان ٩ ، ١٧
النجم / الآيتان ٤ ، ٢٣
القمر / الآيـــة ٥٠
الرحمن / الآية ٦٠
الحديد / الآيـــة ٢٠
المجادلة / الآية ٢
الملك / الآيتان ٩ ، ٢٠
القلم / الآية ٥٢
المدثر / الآيات ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١
التكويـــر / الآية ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وورد ما بعد (إلا) في الاستثناء المفرّغ اسما لكان أو إحدى أخواتها ، إلّا أنّه لم يرد اسما مفردا إلّا في موضعين ، في قوله تعالى : " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا "(١)

وقوله تعالى : " وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ "(٢) إذا عددنا (ما) اسما موصولا بمعنى (الذي) لا مصدرية .

أما المواضع الأخرى فقد ورد اسمها مصدرا مؤوّلا من أن والفعل ، وقد ورد في جميعها ، بلفظ (أن قالوا) كما في قوله تعالى : " وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ "(٣)

وقوله تعالى : " وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "(٤) وغيرها(٥) .

وورد ما بعد (إلّا) في الاستثناء المفرّغ فاعلا في قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ "(٦)

وقوله تعالى : " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ "(٧)

وقوله تعالى : " أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ "(٨)

---

١. هود / الآية ١٦
٢. النجم / الآية ٣٩
٣. آل عمران / الآية ١٤٧
٤. الجاثية / الآية ٢٥
٥. الأنعام / الآية ٢٣ ، الأعراف / الآيتان ٢٠٥ ، ٨ ، النمل / الآية ٥٦ ، العنكبوت / الآية ٢٩
٦. البقرة / من الآية ٩٩
٧. آل عمران / من الآية ٧
٨. الأعراف / الآية ٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : "وَما آمَنَ مَعَهُ إِلاّ قَلِيلٌ" (١) وغيرهـــا (٢) .

كما ورد ما بعد (إلاّ) في الاستثناء المفرّغ نائبا عن الفاعل . في قوله تعالى : "قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتاكُم عَذابُ اللّهِ بَغْتَةً أَو جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاّ القَومُ الظّالِمونَ" (٣)

وقوله تعالى : "فَأَصْبَحُوا لا يُرى إِلاّ مَساكِنُهُم كَذلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمينَ" (٤) (٥) وغيرها .

وقد ورد ما بعد (إلاّ) في الاستثناء المفرّغ مفعولا به ،سواء أكان مفعولا به أم كان : مفعولا به أوّلا ، أم مفعولا به ثانيا، لأفعال تنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر أو لأفعال تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، في قوله تعالى : "يُخادِعونَ اللّهَ والذينَ آمَنُوا وما يُخادِعونَ إِلاّ أَنفُسَهُم وَما يَشْعُرونَ" (٦)

وقوله تعالى : "يُضِلُّ بِهِ كَثيراً ويَهْدي بِهِ كَثيراً وما يُضِلُّ بِهِ إِلاّ الفاسِقينَ" (٧)

وقوله تعالى : "ثُمَّ جاءوكَ يَحْلِفونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنا إِلاّ إِحْساناً وَتَوْفيقاً" (٨)

وقوله تعالى : "وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتي أَرَيْناكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنّاسِ" (٩)

---

١. هـــود / الآية ٤٠
٢. البقرة / الآيات ١١١ ، ٢١٣ ، ٢٦٩ . آل عمران / الآية ١٣٥
الأنعام / الآيات ٥٩ ، ١٣٨ الأعراف / الآية ١٨٧
التوبـــة / الآيتان ٥١ ، ٥٤ يونـــس / الآية ٨٣
هـــود / الآيتان ٢٧ ، ٣٦ يوسف / الآيـــة ٨٧
ابراهيم / الآيـــة ٩ الحجـــر / الآيـــة ٥٦
النحـــل / الآيـــة ٧٩ الكهف / الآيتان ٢٢ ، ٦٣
النور / الآيـــة ٣ الشعراء / الآيتان ٨٩ ، ٩٩ النمل / الآية ٦٨
القصص / الآيـــة ٨٠ العنكبوت / الآيات ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٩
لقمان / الآيـــة ٣٢ سبـــأ / الآية ١٤ غافر / الآيتان ٤ ، ١٣
الجاثيـــة / الآية ٢٤ الواقعة / الآية ٧٩ الملك / الآيـــة ١٩
الحاقة / الآية ٣٧ المدثر / الآيـــة ٣١ المطففين / الآية ١٢
الليل / الآيـــة ١٥
٣. الانعام / الآيـــة ٤٧ ٤. الاحقاف / الآية ٢٥
٥. القصص / الآيـــة ٨٠ . سورة ص / الآية ٧٠ . فصّلت / الآيتان ٣٥ ، ٤٣
الاحقاف / الآيـــة ٣٥
٦. البقرة / الآيـــة ٩ ٧. البقرة / الآيـــة ٢٦
٨. النساء / الآيـــة ٦٢ ٩. الاسراء / من الآية ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون "(١)

وقوله تعالى : " ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما "(٢) وغيرهـــا(٣).

---

١. الانبياء / الآيـــة ٣٦ ٢. الاحزاب / الآية ٢٢

٣. البقرة / الآيات ٨٣، ١٧١، ١٧٤، ٢٣٣، ٢٨٦،
آل عمران / الآيـات ٦٤، ٦٩، ١٢٦
النساء / الآيات ٨٤، ١١٣، ١١٧، ١٢٠، ١٧١
المائدة / الآيتان / ٢٥، ١١٧،
الانعام / الآيات ٢٦، ٥٠، ١١٦، ١٤٨، ١٥٢، ١٦٠
الاعراف / الآيات / ٤٢، ٥٣، ١٠٥، ١٤٧، ١٦٩،
الانفال / الآية ١٠
التوبـــــه / الآيات ١٨، ٤٧، ٥٢، ٧٩، ١٠٧
يونـــس / الآيات ١٥، ٣٦، ٦٦، ٧٢، ١٠٢
هـــود / الآيات ٢، ٢٦، ٢٧، ٥٤، ٨٨
يوســف / الآيات ٤٠، ٧٩، ١٠٩، النحل / الآيـة ٤٣
الاســـراء / الآيات ٢٣، ٤١، ٤٧، ٥٢، ٧٦، ٨٢، ٨٥، ٨٩، ٩٩
الكهـــف / الآيتان ٥، ١٦
طـــه / الآيـــات ١٠٣، ١٠٨، ١٠٩،
الانبياء / الآيـــة ٧ المؤمنون / الآيـــة ٦٢
النور / الآيتان ٣، ٣١، الفرقان / ٨، ٤١، ٤٤، ٥٦
النمـــل / الآيتان ٨١، ٩٠ القصص / الآيـــة ٨٤
العنكبوت / الآيـــة ٤٦ الـــروم / الآيتان ٨، ٥٣
الاحزاب / الآيـــة ١٣ سبأ / الآيات ١٧، ٢٣، ٣٣
فاطـــر / الآيات ٣٩، ٤٢، ٤٣ سورة يس / الآيتان ٤٩، ٥٤
الصافـــات / الآيتان ٣٩، ١٦٣ سورة ص / الآيـــة ١٥
غافـــر / الآيتان ٢٩، ٤٠ فصّلت / الآيـــة ١٤
الزخـــرف / الآيـــة ٦٦ الاحقاف / الآيتان ٩، ٢١
محمد / الآيـــة ١٨ الفتـــح / الآيـــة ١٥
النجـــم / الآيات ٢٣، ٢٨، ٢٩ الطلاق / الآيـــة ٧
نـــوح / الآيات ٦، ٢١، ٢٤، ٢٧، ٢٨ المدّثـــر / الآيـــة ٣١
النبـــأ / الآيـــة ٣٠ الأعلـــى / الآيـــة ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المواضع التي ورد فيها ما بعد (إلاّ) في الاستثناء المفرّغ مفعولا لأجله ، ففي قوله تعالى : " وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وما تُنْفِقُونَ إِلاّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ "(١).

وقوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ "(٢) وغيرها(٣).

كما ورد ما بعد (إلاّ) مفعولا مطلقا في الاستثناء المفرّغ في قوله تعالى : " إِنّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُم وإِذَا قَامُوا إِلى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَاسَ ولا يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاّ قَلِيلاً "(٤).

وقوله تعالى : " فَلا تُمَارِ فِيهِم إِلاّ مِراءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِنْهُم أَحَداً "(٥).

وقوله تعالى : " وإِذَا قِيلَ إِنّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ والسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها قُلْتُم ما نَدْرِي ما السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ "(٦) وغيرها(٧).

أما المواضع التي ورد فيها ما بعد (إلاّ) في الاستثناء المفرّغ حالا ، سواء أكانت مفردة أم جملة أم شبه جملة ، في قوله تعالى : " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِها أُولَئِكَ ما كَانَ لَهُم أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاّ خَائِفِينَ لَهُم فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ "(٨).

وقوله تعالى : " وَبِالحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وبِالحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً "(٩).

---

١. البقرة / من الآية ٢٧٢ .
٢. الانبياء / الآية ١٠٧ ، الاسراء / الآيتان ٥٩ ، ٦٤ .
٣. النساء / الآيتان ٩٢ ، ١٢٠ . طه / الآية ٣ . سورة يس / الآية ٤٤ . الحديد / الآية ٢٧ . القصص / الآية ٨٦ . الزخرف / الآية ٥٨ . النساء / الآية ١٤٢ .
٤. الكهف / من الآية ٢٢ . الجاثية / الآية ٣٢ .
٥. البقرة / الآية ٢٢٥ . آل عمران / الآيتان ١١١ ، ١٤١ . النساء / الآيات ٤٦ ، ٩٢ ، ١٢٠ ، ١٥٥ . هود / الآية ١٠٩ ، يوسف / الآية ٦٤ . الرعد / الآية ١٤ الاسراء / الآيات ٥٢ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٨٥ . الكهف / الآية ٥ . طه / الآية ٢ . الاحزاب / الآيات ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٦٠ ، فاطر / الآية ٤٠ . الصافات / الآية ٥٩ . الشورى / الآية ٥١ .
٦. البقرة / الآية ١١٤ . ٩. الاسراء / الآية ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : "وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا"(١).

وقوله تعالى : "وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ"(٢).

وقوله تعالى : "وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ"(٣) وغيرها(٤).

وورد ما بعد (إلّا) مفعولا فيه (ظرفا) في الاستثناء المفرّغ في قوله تعالى : "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ"(٥) وقوله تعالى : "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا"(٦) وغيرها(٧)

وكما ورد ما بعد (إلّا) اسما لكان وأخواتها ، فقد ورد خبرا لكان وأخواتها بقوله تعالى : "وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ"(٨)

---

١. يونس / من الآية ٦١
٣. القصص / الآية ٥٩
آل عمران / الآية ١٠٢
الأنعام / الآيتان ٤٨، ١٥٢
الأنفال / الآية ١٦
يوسف / الآية ١٠٦
الكهف / الآية ٥٦
الفرقان / الآيات ٢٠، ٣٣، ٥٦
الصافات / الآية ٥٨
سورة ق / الآية ١٨
٥. يونس / من الآية ٤٥
٧. البقرة / الآية ٨٠
النساء / الآية ١٤٢
الإسراء / الآيتان ٥٢، ٧٦
المؤمنون / الآية ١١٤
الأحزاب / الآيات ١٤، ١٦، ١٨، ٢٠، ٦٠
سورة ق / الآية ١٨
٨. الأنفال / الآية ٣٥
٢. التوبة / من الآية ٥٤
٤. البقرة / الآيتان ١٣٢، ٢٨٦
النساء / الآيتان / ٤٣، ٩٢
الأعراف / الآيات ٤٢، ٥٨، ١٨٧
يونس / الآية ٣٦
النحل / الآية ٦٤
المؤمنون / الآية ٦٢
سبأ / الآية ٢٨
الشورى / الآية ٥١
الذاريات / الآية ٥٢
٦. سورة طه / الآية ١٠٤
آل عمران / الآية ٢٤
الحجر / الآية ٢١
سورة طه / الآية ١٠٣
القصص / الآية ٥٨
الأحقاف / الآية ٣٥
النازعات / الآية ٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : "وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا"(١) وغيرهـــا(٢)

وورد ما بعد (إلاّ) جارا ومجروراً للاستثناء المفرّغ ، في قوله تعالى : "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"(٣).

وقوله تعالى : "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ"(٤).

وقوله تعالى : "وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ"(٥) وغيرهـــا(٦).

---

١. يونس / الآية ١٩ ، ابراهيم / الآيـة ١١ ، يـس / الآيتان ٢٩ ، ٥٣

٢. آل عمران / الآية ١٤٥ ، الإسراء / الآيـة ٩٣ ، النجـم / الآيـة ٢٩

٣. الأنعام / الآيـة ١٥١

٤. الأنعام / من الآيـة ١٥٢

٥. هـود / الآيـة ١٠٤

٦. البقرة / الآيـات ٤٥ ، ١٠٢ ، ١٤٣ ، ١٩٣ ، ٢٥٥ ، ٢٧٥
آل عمران / الآيات ١٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٤٥
الأنعام / الآيات ٥٧ ، ٥٩ ، ١٢٣ ، ١٦٤
الأنفال / الآيتان ١٠ ، ٧٢ ، التوبه / الآيتان ١١٤ ، ١١٨
يونس / الآيات ٣ ، ٥ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٧٢ ، ١٠٠
هـود / الآيات ٦ ، ٢٩ ، ٥١ ، ٨٨ ، ١٠٥ ، ١٠٩
يوسف / الآيات ٤٠ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٨١
الرعد / الآيتان ١٤ ، ٣٨ ، ابراهيم / الآيتان ٤ ، ١١
الحجر / الآيات ٤ ، ٨ ، ٢١ ، ٨٥ ، النحل / الآيات ٧ ، ٧٧ ، ١٢٧
الإسراء / الآيتان ٣٣ ، ٣٤ ، الكهف / الآيـة ٣٩
مريم / الآيـة ٦٤ ، الأنبياء / الآيـة ٢٨
الحج / الآيـة ٦٥ ، المؤمنون / الآيـة ٦
النور / الآيـة ٣١ ، الفرقان / الآيتان ٤٤ ، ٦٨
الشعراء / الآيات ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ ، ٢٠٨
النمل / الآيـة ٧٥ ، لقمان / الآيـة ٢٨
العنكبوت / الآيـة ٤٦ ، سبأ / الآيات ٣ ، ٢٣ ، ٤٧
فاطر / الآيتان ١١ ، ٤٣ ، سورة يس / الآية ٤٧
الصافات / الآيـة ١٦٤ ، غافر / الآيات ٢٥ ، ٣٧ ، ٥٠ ، ٥٦
فصّلت / الآيـة ٤٦ ، الشورى / الآيـة ١٤
الدخان / الآية ٣٩ ، الأحقاف / الآيـة ٣
النجم / الآية ٢٦ ، الرحمن / الآية ٣٣
الحديد / الآية ٢٢ ، المجادله / الآيتان ٧ ، ١٠ ، الحشر / الآيـة ١٤
التغابن / الآية ١١ ، الملك / الآيتان ٩ ، ٢٠ ، الحاقه / الآية ٣٦
الغاشية / الآية ٦ ، البينة / الآية ٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا المواضع التي ورد فيها ما بعد (إلاّ) أن والفعل أو لام التعليل المضمر بعدها (أن) والفعل في قوله تعالى: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ"(١)

وقوله تعالى: "وما تَنْقِمُ مِنّا إِلاّ أَنْ آمَنّا بِآيَاتِ رَبِّنا لَمّا جَاءَتْنا"(٢)

وقوله تعالى: "وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"(٣) وغيرها(٤).

إنّ كثيرا من (أن والفعل) في المواضع المذكورة، لا خفاء في إعرابها ولا خلاف في ذلك بين النحويين، سواء أكان المصدر فاعلا، أم مفعولا به أم حالا، أم مبتدأ، أم ظرفا.

إلاّ أنّ هناك مواضع اختلف فيها النحويون لا داعي لذكرها درءاً للإطالة.

وقد ورد ما بعد (إلاّ) في الاستثناء المفرّغ فعلا ماضيا أو مضارعا، وكان إعراب الجملة الفعلية في المواضع جميعها، في محل نصب حال. كما في قوله تعالى: "وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّ يَعْلَمُهَا"(٥)

---

١. البقرة / الآية ٢١٠
٢. الأعراف / من الآية ١٢٦
٣. البيّنة / من الآية ٥
٤. البقرة / الآيات ١٤٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٦٧، ٢٨٢، ٢٩٥
النساء / الآيات ١٩، ٢٩، ٦٤، ٩٢
الأنعام / الآيات ٢٣، ٨٠، ١١١، ١٤٥، ١٥٨.
التوبة / الآيات ٣١، ٧٤، ١١٠
يوسف / الآيات ٢٥، ٦٦، ٧٦،
النحل / الآية ٥٥ القصص / الآية ١٩
الأحزاب / الآيتان ٦، ٥٣
الزمر / الآية ٣ الجاثية / الآية ٢٥
الطلاق / الآية ١
الانسان / الآية ٣٠ التكوير / الآية ٢٩
٥. آل عمران / الآيتان ٢٨، ١٤٧
المائدة / الآية ٥٩
الأعراف / الآيات ٥، ٢٠، ٨٢، ٨٩
يونس / الآية ٣٥
إبراهيم / الآية ٢٢
العنكبوت / الآيتان ٢٤، ٢٩
سبأ / الآية ٢١
الذاريات / الآية ٥٦
المدّثر / الآيتان ٥٥، ٥٦
البروج / الآية ٨
٥. الأنعام / الآية ٥٩

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ "(١) وغيرهـــا (٢) .

وهكذا فقد تعدّد ما بعد (إلّا) في الاستثناء المفرّغ ، فتنوع تنوعا كبيرا ما بين الاسم والفعل والحرف ، ممّا جعل إعرابه متنوّعا - كما تمّ توضيحه - وهذه ميزة ، تـــدلّ على مرونة اللغة العربية ، وسهولة تشكّل الجمل والعبارات فيها .

استثنـــاء التهليل (التوحيد) أو التشهّـــــد :

من أساليب الاستثناء المشهورة في آي الذكر الحكيم ، أسلوب (لا إله إلّا اللّـــه) ومرادفاتها ، مثل : لا إله إلّا هـــو . لا إله إلّا الذي خلقني . لا إله إلا أنت.

وقـد اختُلف في إعراب ما بعد (إلّا) في هذا الأسلوب الاستثنائي ، فقـــال الزمخشري في خبر (لا) في لـــفظ الشهادتين : " والصواب أنّه كلام تمام ، ولا حـــذف وأنّ الأصل : (اللّهُ إله) مبتدأ وخبر ، كما تقول : زيد منطلق . ثم جـــيء بأداة الحصر ، وقُدّم الخبر على الاسم ، وركب مع (لا) كما ركب المبتدأ معها ، في نحـــو لا رجل في الدار . ويكون (الله) مبتدأ مؤخّرا و(إلـه) خبرا مقدّما ، وعلى هـــذا تخريج نظائره ، نحو : لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي "(٣)

---

١ . الأعـــراف / الآيـــة ٩٤
التوبة / الآيتان ١٢٠ ، ١٢١ ،
يوسف الآية ٣٧
الإســـراء / الآية ٤٤
مريـــم / الآيـــة ٩٣
الفرقان / الآية ٣٣ ،
سبأ / الآية ٣٤
سورة يـــس / الآيتان ٣٠ ، ٤٦
الزخرف / الآيـــات ٧ ، ٢٠ ، ٢٣
الذاريات / الآيتان ٤٢ ، ٥٢

٢ . الأنعام / الآيات ٤ ، ١١٦ ، ١٤٨
يونس / الآية ٦١
الحجـر / الآيـة ١١
الكهـف / الآيـــة ٤٩
الانبياء / الآية ٢ ، ٢٥
الشعراء / الآيـــة ٥
فاطـر / الآيتان ٢٣ ، ٢٤
سورة ص / الآيـــة ١٤
الجاثية / الآيـــة ٣٢

٣ . مغني اللبيب : جـ٢ ، ص٥٧٣ ، ابن هشـــام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال في المفصّل ،عن خبر (لا)النافية للجنس :" وقد يحذفه الحجازيون كثيرا ويقولون : لا أهل ،ولا مال ،ولا بأس . ولا فتى إلّا علي ،ولا سيف إلّا ذو الفقار . ومنه كلمة الشهادة ، ومعناها : لا إله في الوجود إلّا الله . وبنو تميم لا يثبتونه في كلامهم أصلا"(١)

وقال العكبري في إعراب (هو) في قوله تعالى :" لا إلَه إلّا هُوَ الرّحْمنُ الرّحِيمُ"(٢) المستثنى في موضع رفع بدل من موضع (لا إله) لأنّ موضع (لا) وما عملت فيه ، رفع بالابتداء ، ولو كان موضع المستثنى نصبا لكان (إلّا إيّاه)"(٣)

أما أبو حيان فيرى أنّ لفظ الجلالة في استثناء التوحيد أو التهليل ،بدل من الضمير المستكن في خبر (لا) المحذوف . فقال :" والذي يظهر لي أنّه ليس بدلا من (إله) ، ولا من رجل في قولك : لا رجل إلّا زيد . إنّما هو بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف فإذا قلنا : لا رجل إلّا زيد . والتقدير : لا رجل كائن أو موجود إلّا زيد . فزيد : بدل من الضمير المستكن في الخبر لا من (رجل) ، وليس بدلا من موضع اسم (لا) ، وإنما هو بدل مرفوع من ضمير مرفوع ، تقدير ذلك الضمير (هو) عائد على اسم (لا) . وأضاف قائلا : ولا يجوز أن يكون خبرا ، أيضا لما يلزم عليه من جعل المبتدأ نكرة ، والخبر معرفة ، وهو عكس ما استقرّ في لسان العرب"(٤) فهو بهذا يردّ على الزمخشري .

ولابن يعيش رأي جليل في هذه المسألة ،حيث قال :" اعلم أنهم يحذفون خبر (لا) من كلمة الشهادة ، نحو : لا إله إلّا اللّهُ . والمعنى : لا إله في الوجود إلّا اللّهُ ومثله ، لا فتى في الوجود إلّا علي ،ولا سيف في الوجود إلّا ذو الفقار ، فالخبر : الجار والمجرور ، وهو محذوف ،ولا يصح أن يكون الخبر (الله) . في قولك: لا إله إلّا اللّهُ .

---

١. المفصّل : ص ٣٠ ،الزمخشري .
٢. البقرة / من الآية ١٦٣
٣. إملاء ما منّ به الرحمن : جـ١ ،ص ٧١ ، العكبري .
٤. البحر المحيط : جـ١ ، ص ٤٦٣ ،أبو حيّان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك لأمرين : أحدهما : أنّـه معرفة و (لا) لا تعمل في معرفة . والثاني : ان اسم (لا) هنا عام ، وقولك : إلاّ الله ، خاص . والخاص لا يكون خبرا عن العام . ونظيره قولنا: الحيوان انسان . فإنّه ممتنع ، لأنّ في الحيوان ما ليس بإنسان . وقلنا : الانسان حيوان جائز ، لأنّ الانسان حيوان حقيقة ، وليس في الانسان ما ليس بحيوان . ويجوز إظهار الخبر نحو : لا رجل أفضل منك ، هذا مذهب أهل الحجاز ، وأمّا بنو تميم فلا يجيزون إظهار خبر (لا) البتّة . ويقولون : هو من الأصول المرفوضة ، ويتأولون ، فيقولون في لا رجل أفضل منك : إنّ (افضل) نعت لرجل على الموضع .(١)

وقال الرضي الاستراباذي : " وأما نحو قولك : لا إله إلا الله ، فالنّصب على الاستثناء فيه اضعف منه في نحو : لا أحد فيها إلاّ زيد . لأنّ العامل فيه وهو خبر (لا) محذوف إمّا قبل الاستثناء وإمّا بعده "(٢) فيرى أنّ ما بعد إلاّ بدل من خبر (لا) المحذوف .

وقال ابن هشام في ردّه على من عدّ لفظ الجلالة في " لا إله إلاّ اللهُ " خبر (إلا) منكرا ذلك : " وقول بعضهم في " لا إله إلاّ الله " انّ اسم الله تعالى خبر (لا) التبرئة ، ويردّه أنّها لا تعمل إلاّ في نكرة منفية ، واسم الله تعالى معرفة موجبة ، نعم يصحّ أن يقال : أنه خبر (لا) مع اسمها ، لأنّهما في موضع رفع بالابتداء عند سيبويه . . . وزعم الأكثرون أنّ المرتفع بعد (إلاّ) في ذلك بدل من محل اسم (لا)(٣) . ولكنّه يرفض هذا الرأي بقوله : " ويشكل على ذلك أن البدل لا يصلح هنا لحلوله محلّ الأوّل ، وقد يجاب بانّه بدل من الاسم مع (لا) فإنّهما كالشيء الواحد ، ويصح أن يخلفهما . . . . وقيل هو بدل من ضمير الخبر المحذوف "(٤) .

ويمكننا أمام هذه الآراء وآراء أخرى - لا طائل من ذكرها - أنْ نخرج برأي ، وأنّ لفظ الجلالة (الله) في هذا الاسلوب ، لم يأت في القرآن الكريم بغير الرفع على البدل

---

١ . شرح المفصّل : جـ٢ ، ص٣٧٢ ، ابن يعيش .
٢ . شرح الكافية : جـ١ ، ص٢٢٠ ، الرضي الاستراباذي .
٣ . مغني اللبيب : جـ٢ ، ص٥٧٢ ، ابن هشام .
٤ . مغني اللبيب : جـ٢ ، ص٥٧٣ ، ابن هشام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إمّا من موضع(لا واسمها) لأنّهما في محل رفع مبتدأ ، وإمّا من خبر (لا) المحذوف ، أو من ضميره . ولا يجوز فيه النصب على الاستثناء ،لفساد المعنى المترتّب على ذلك، في هذا الاسلوب . كما لا يجوز أن يكون لفظ الجلالة خبرا مرفوعا . لأنّ (لا) النافية للجنس لا تعمل في المعارف ، وإنّما يقتصر عملها في النكرات، إذ إنّنا لو عددنا لفظ الجلالة خبر (لا) وهو معرفة واسمها (إله) نكرة لخالفنا طبيعة النظم في اللغة العربية لأنّ الحكم فيها إذا اجتمعت النكرة والمعرفة ، أن تكون المعرفة هي المبتدأ أو الاسم والنكرة هي الخبر،وفي اسم (لا) وخبرها أن يكونا نكرتين ،ولذلك عدّ النحويون خبر (لا) هنا محذوفا (١) .

أما آيات أسلوب التهليل أو التوحيد الواردة في القرآن الكريم ،فقد ورد ما بعد (إلا) في بعضها لفظ الجلالة ، كما في قوله تعالى :" وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللّٰهُ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (٢)

وورد (هو) ضمير المخاطب للفظ الجلالة ،في قوله تعالى :" وإِلٰهُكُم إِلٰهٌ واحِدٌ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرحِيمُ (٣)

وورد الاسم الموصول (الذي) ليدل على لفظ الجلالة ، في قوله تعالى :"آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا الذي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ (٤) "

وورد (أنا) ضمير المتكلّم للفظ الجلالة ،في قوله تعالى :" يُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٥)

وورد (أنت) ضمير المخاطب للفظ الجلالة ،في قوله تعالى :" فَنَادَى فـــي

---

١. انظر : في هذه المسألة ،واعراب ما بعد (إلا) فيها : إعراب القرآن :جـ١ ،ص٢٣٦ النحّاس . المفصّل : ص ٣٠ ، الزمخشري . إملاء ما منّ به الرحمن :جـ١ ،ص ٧١ ، العكبري . البحر المحيط : جـ١ ،ص ٤٦٣ ،أبو حيّان . شرح المفصّل :جـ٢ ،ص ٣٧ ابن يعيش . شرح الكافية : جـ١ ،ص ٢٢٠ ،الرضي الاستراباذي . مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٥٧٢ ، ابن هشام . تفسير النسفي : جـ١ ،ص ٨٦ . الأشباه والنظائر: جـ٣ ، ص ٢٣٩ ، السيوطي ، روح المعاني : المجلّد الأوّل ،جـ٢ ،ص ٢٠ ،الآلوسي

٢. آل عمران / من الآية ٦٢ ٣. البقرة / الآية ١٦٣

٤. يونس / من الآية ٩٠ ٥. النحل / الآية ٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"(١) هذه هي الالفاظ التي وردت بعد (إلاّ) في هذا الاسلوب الاستثنائي في القرآن الكريم . وهناك آيات أخرى واردة في هذا الاسلوب .(٢)

إنّ كثرة آيات اسلوب التهليل أو التوحيد في القرآن الكريم ،لتدل دلالة واضحة على تركيز القرآن الكريم ، والاسلام الحنيف على الركن الأول من أركان الاسلام الخاص بوحدانية الله - عزّ وجلّ - فوردت في أكثر من أربعين موضعا ، لتؤكّد وحدانية الله تعالى ،لأنّه لا يغفر أن يُشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء انه غفار الذنوب فجاءت عقيدة الاسلام لتزرع التوحيد في نفوس البشر وتنزع الشرك من الوجود .

استثناء المشيئة :
==========

لعلّ هذا النوع من أنواع الاستثناء وأساليبه ،يكاد يكون مقصورا على القرآن الكريم ،ولم يرد في أساليب العربية ،قبل نزول القرآن الكريم ، لأنّ هذه المعطيات العقائدية ، كانت مفقودة لديهم في العصر الجاهلي ، ولكنّها أصبحت من ركائز عقائد المؤمن ، لقوله تعالى : " وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ "(٣) فأوضح أنّ استثناء المشيئة ، لا يفارق لسان المسلم الذي يودّ أن ينفّذ أمرا مستقبلياً .

---

١. الانبياء / الآية ٨٧
آل عمران / الآيات ٢ ، ٦ ، ١٨ ،
المائدة / الآية ٧٣
الاعراف / الآية ١٥٨
هود / الآية ١٤
طه / الآيات ٨ ، ١٤ ، ٩٨
المؤمنون / الآية ١١٦
القصص / الآيتان ٧٠ ، ٨٨
الصافات / الآية ٣٥
الزمر / الآية ٦
الدخان / الآية ٨
الحشر / الآيتان ٢٢ ، ٢٣
المزمل / الآية ٩

٢. البقرة / الآية ٥٥
النساء / الآية ٨٧
الانعام / الآيتان ١٠٢ ، ١٠٦
التوبة / الآيتان ٣١ ، ١٢٩
الرعد / الآية ٢٦
الانبياء / الآية ٢٥
النمل / الآية ٢٦
فاطر / الآية ٣
سورة ص / الآية ٦٥
غافر / الآيات ٣ ، ٦٢ ، ٦٥
محمد / الآية ١٩
التغابن / الآية ١٣
المدثر / الآية ٥٦

٣. الكهف / الآيتان ٢٣ ، ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اختُلف في نوع هذا الاسلوب الاستثنائي ، فقيل : إنّه استثناء منقطع وقيل: إنّه استثناء متّصل . وقيل : إنّه استثناء مفرّغ . وقيل : إنه استثناء يراد به التأبيد .

فيقول الزمخشري في قوله تعالى : " وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ "(١) الاستثناء في الآية الكريمة متعلّق بالنهي على أحد وجهين : أحدهما : ولا تقولنّ ذلك القول إلّا أن يشاء الله لك أن تقوله ، بأن يأذن لك فيه . الثاني : في موضع الحال ، يعني : إلّا متلبّسا بمشيئة الله أو يكون في معنى كلمة تأبيد ، أي لا تقولنّه أبدا(٢) .

وقد انطلق الزمخشري في فهم هذه الآية ، وتوضيح هذا الاسلوب من مبادئ مذهبه الاعتزالي ، في أنه تعالى ، لا يشاء إلّا الطاعات ، ولا أثر له في غيرها من الاعمال .

ولكنّ الأمر لو كان كما ادّعوا لوجب فيما إذا قال الذي عليه دين لغيره ، وطالبه به : والله لأعطينّك دَيْنك غدا إنْ شاء الله تعالى . أن يكون حانثا إذا لم يفعل ، لأنّ الله تعالى قد شاء ذلك ، لكونه طاعة ، وإنْ لم يقع فتلزمه الكفّارة عن يمينه ، ولم ينفعه الاستثناء . وهذا خاص بالمعتزلة ، وفيه خروج عن الاجماع .

وقد أوضح العكبري المسألة في هذا الاسلوب الاستثنائي ، توضيحا شاملا بقوله في الآية الكريمة " إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ "(٣) في المستثنى ، منه ثلاثة أوجه : أحدها : هو من النهي ، والمعنى لا تقولنّ : افعل غدا إلا أنْ يُؤذن لك في القول ، من الله - عزّ وجلّ - . والثاني : هو من فاعل : أي لا تقولنّ إني فاعل غدا ، حتى تقرن به قوله : أنْ شاء الله . والثالث : أنه منقطع ، وموضع أنْ يشاء الله ، نُصب على وجهين : أحدهما على الاستثناء ، والتقدير ، لا تقولنّ ذلك في وقت إلا وقت أنْ يشاء الله ، أي يأذن ، فحذف الوقت وهو مراد . والثاني : هو حال . والتقدير . لا تقولنّ افعل غدا إلّا قائلا :

---

١ . الكهف / الآيتان ٢٣ ، ٢٤

٢ . انظر : الكشّاف : جـ٢ ، ص ٣٨٦ ، الزمخشري .

٣ . الكهف / من الآية ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنْ شاء الله . فحذف القول ،وهو كثير ، وجعل قوله : أنْ يشاء الله ،في معنى إنْ شاء الله ،وهو ممّا حمل على المعنى . وقيل التقدير : إلّا بأنْ يشاء الله ، أي:متلبّسا بقول إنْ شاء الله (١)

وقال ابن هشام في المغني ، في الآية نفسها ،بعد أن رفض حذف أداة الاستثناء من السياق:" والصواب أنّ الاستثناء مفرّغ ،وأن المستثنى مصدر أو حال ،أي إلّا قولا مصحوبا بأن يشاء الله ،أو متلبّسا بأن يشاء الله ، وقد علم أنه لا يكون القول مصحوبا بذلك إلّا مع حرف الاستثناء ، فطوى ذكره لذلك ، وعليهما فالباء محذوفة من أن . وقال بعضهم يجوز أن يكون (إلّا أنْ يشاء الله) كلمة تأبيد ، أي:لاتقولنّه أبدا،كما قيل " وما يَكُونُ لَنَا أنْ نَعُودَ فِيها إلّا أنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا " لأنّ عودهم في ملّتهم مما لا يشاؤه الله سبحانه (٢)

وأضاف ابن هشام قائلا :" وجوّز الزمخشري أن يكون المعنى : ولا تقولنّ ذلك إلّا أن يشاء الله أن تقوله ، بأن يأذن لك فيه . وبهذا يرد قول من زعم ان الاستثناء منقطع ، وقول من زعم أن (إلّا أن يشاء الله) كناية عن التأبيد (٣)

وقد وقف المفسّرون والنحويون حائرين أمام أسلوب المشيئة الوارد في القرآن الكريم واختلفوا في معناه وحكمه ،ومن ذلك قوله تعالى :" فَأَمّا الذِينَ شَقُوا فَفِي النّارِ لَهُم فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيها ما دَامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ إلّا ما شاءَ رَبُّكَ إنّ رَبّكَ فَعّالٌ لِما يُرِيدُ وَأمّا الذينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنّةِ خَالِدِينَ فِيها مَا دَامَتِ السّمَاواتُ والأرْضُ إلّا ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (٥)

إنّ لاستثناء المشيئة في هذه الآية الكريمة وجوهاً وتخريجات عدّة منها : أن تكون (إلّا) زائدة ، وإن كان ظاهرها الاستثناء . فكأنّه قال : خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربّك ،من الزيادة لهم على هذا المقدار ، كما يقول الرجل لغيره : لي عليك ألف دينار إلّا الألفين اللذين أقرضتكهما وقت كذا وكذا ، فالألفان

---

١. إملاء ما منّ به الرحمن : جـ٢ ،ص ١٠١ ، العكبري .
٢. الأعراف / الآية ٨٩ ٣. مغني اللبيب:جـ٢ ،ص ٦٣٩ ،ابن هشام
٤. المصدر السابق :جـ٢ ،ص ٦٣٩ ،ابن هشام .
٥. هود / الآيات ١٠٦ — ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زيادة على الألف بغير شكّ .

أن يكون المعنى : إلاّ ما شاء ربّك من كونهم قبل دخول الجنّة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت ، وأحوال المحاسبة والعرض وغيره .

أن تكون (إلاّ) بمعنى (الواو) ، أي : خالدين فيها ما دامت السماوات والارض وما شاء ربّك من الزيادة .

أن يكون الاستثناء الأوّل متّصلا بقوله : " لهم فيها زفير وشهيق " أي : لهم في النار زفير وشهيق إلاّ ما شاء ربّك من أجناس العذاب الاخرى ، ولا يتعلّق الاستثناء بالخلود

أن يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود ، وانما الغرض فيه ، أنه لو شاء أن يخرجهم وألاّ يخلّدهم لفعل ، وأن التخليد إنّما يكون بمشيئته وإرادته ، كما يقول : والله لأضربنّك إلا أن أرى غير ذلك . وهو لا ينوي إلاّ ضربه . ومعنى الاستثناء أني لو شئت ألاّ أضربك لفعلت وتمكّنت ، غير أني مجمع على ضربك .

أن يكون تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتعبير للخروج ، لأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ لا يشاء إلاّ تخليدهم على ما حكم به ، ويجري ذلك مجرى قول العرب: والله لأهجرنّك إلاّ أن يشيب الغراب ، ويبيض القار . أي : إنّي أهجرك أبدا . ومعنى ذلك أنّهم خالدون أبدا لأنّ الله تعالى لا يشاء أن يقطع خلودهم .

أن يكون المراد بالذين شقوا من أُدخل النار من أهل الإيمان العاصين ، فقال تعالى : انهم معاقبون في النار إلاّ ما شاء ، ثمّ يخرجهم إلى الجنة لإيمانهم (١) .

وبهذا فإنّ استثناء المشيئة أُوّل تأويلات كثيرة ، وكان لآراء الفِرق أثر في هذه التأويلات وتعدّدها .

وعلى الرغم من خلافات النحويين والمفسّرين وأصحاب الفرق في هذا الأسلوب، ـ استثناء المشيئة ـ الوارد في القرآن الكريم ، فإنّ هذا الاسلوب ، قد ورد لربط العبد بربّه ، اظهارا لضعفه ، ممّا يزيده طمأنينة ، وراحة نفسيّة ، لأنّه يسلم الأمر لله ـ عزّ وجلّ ـ

---

١ . أمالي المرتضي : جـ٢ ، ص ٨٧ ، علي بن الحسين العلوي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويربط أمر تنفيذه بمشيئته - سبحانه وتعالى - لأنّه مسيّر الأمور ، بعد أن يكون العبد قد أعدّ ما استطاع لهذا الأمر ، ومن ثمّ يتركه بين يدي الرحمن ، فلا خوف ، ولا وجل ولا يأس ، ولا ندم ، بعد ذلك لأنّ مشيئة الله - عزّ وجلّ - فوق كل تخطيط وتدبير ، ولذا يجب أن يكون استثناء المشيئة مقترناً بكل أمر استعدّ له المرء ، وود إبرامه وتنفيذه .

ولهذا فقد خاطب ربّ العزّة ، سيّدنا محمّدا - صلّى الله عليه وسلّم - عندما سألته اليهود ، عن عدد أهل الكهف ، وعن مدّة لبثهم فيه . فقال : غدا اجيبكم ، ولم يقل : إنْ شاء الله . فتأخّر الوحي عن النزول بضعة عشر يوما ، ثم نزل عليه - صلّى الله عليه وسلّم - قوله تعالى : " ولا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلاّ أَنْ يَشَاءَ اللّهُ واذْكُرْ رَبَّكَ إذا نَسِيتَ "(١) فقال - صلّى الله عليه وسلّم - : إن شاء الله(٢) .

ففي أسلوب استثناء المشيئة ، يتم تعليق الأمر بحكم الله وإرادته ومشيئته - عزّ وجلّ - مما يبعث الأمن والطمأنينة والأمل والرجاء في نفوس عباد الله(٣) .

وقد ورد استثناء المشيئة في آي الذكر الحكيم في سبعة عشر موضعا ، منها ثمانية مواضع بلفظ (إلاّ أنْ يشاء) كما في قوله تعالى : " وحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي في اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ إلاّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً "(٤) وستّة مواضع بلفظ (إلاّ ما شاء) كما في قوله تعالى : "قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إلاّ مَا شَاءَ اللّهُ

---

١. الكهف / الآيتان ٢٣ ، ٢٤

٢. انظر : أسباب النزول : ص١٥٢ ، أبو الحسن النيسابوري . ولباب النقول في أسباب النزول : ص١٢٧ ، السيوطي . الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص٥٣١ القرافي .

٣. انظر : في وسائل استثناء المشيئة : معاني القرآن : جـ٢ ، ص١٣٨ ، الفراء . إعراب القرآن : جـ٢ ، ص٤٥٣ ، النحاس . الكشاف : جـ٢ ، ص٣٨٦ ، الزمخشري . البيان في غريب إعراب القرآن : جـ١ ، ص٢٨٩ ، ابن الأنباري . إملاء ما من به الرحمن : جـ٢ ، ص١٠١ ، العكبري . البحر المحيط : جـ٨ ، ص٤٥٨ ، أبو حيّان . الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص٥٣١ ، القرافي . مغني اللبيب : جـ٢ ، ص٦٣٩ ، ابن هشام . حاشية الصبّان على الأشموني : جـ٢ ، ص٤٦ ، روح المعاني : المجلّد السابع ، جـ١٥ ، ص٢٤٨ الآلوسي .

٤. الأنعام / من الآية ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ[١] وموضعان بلفظ (إلاّ مَنْ شَاءَ) كما في قوله تعالى : " وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ[٢] " وموضع واحد بلفظ (إلاّ بِما شاءَ) كما في قوله تعالى : " ولا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِما شَاءَ وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ ولا يَؤُودُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ[٣] " وهنالك آيات أخرى ورد فيها اسلوب استثناء المشيئة[٤] :

هذه هي أساليب الاستثناء التي وردت في آي الذكر الحكيم ، وهي أساليب متعدّدة متنوّعة ، ما ورد أسلوب منها إلاّ لخدمة معنى مقصود ، بأوضح صورة ، وأفصح بيان .

وقد تميز أسلوب القرآن الكريم ، بإيجاد نوعين من أساليب الاستثناء لم يكونا مستخدمين في أساليب العربية ، شعرها ونثرها ، قبل نزوله ، ألا وهما : أسلوب استثناء التهليل أو التوحيد أو الشهادة . وأسلوب استثناء المشيئة ، لأنّهما وجدا لخدمة معطيات العقيدة الجديدة ، وحمل معانيها للبشرية جمعاء . وبذلك يفتح بناب النحو البلاغي ، حول موضوع الاستثناء ليكون موطن نظر الدارسين للنحو والبلاغة ، في القرآن الكريم ، وفن القول العربي .

---

١. الانعام / من الآية ١٢٨
٢. النمل / الآية ٨٧
٣. البقرة / من الآية ٢٥٥
٤. الانعام / الآية ١١١
يونس / الآيتان ١٦ ، ٤٩
يوسف / الآية ٧٦
المدثر / الآية ٥٦
التكوير / الآية ٢٩
الاعراف / الآيتان ٨٩ ، ١٨٨
هود / الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨
الزمر / الآية ٦٨
الانسان / الآية ٣٠
الأعلى / الآية ٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الرابـــــــــــــع

بـــلاغـــة الاستثنـــاء في القـــرآن الكريـــــــــــــــم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأسلوب الاستثناء بأنواعه ، دور كبير في ابراز بلاغة القرآن الكريم ، وبيانه وإعجازه ، لما قامت به تلك الأنواع في خدمة معاني القرآن ، وتوضيحها وتأكيدها وتثبيتها وتخصيصها .

ولعلّ للاستثناء المفرّغ (قصر النفي والاستثناء) المقام الأوّل في هذا الجانب مما دعا البلاغيين أن يركّزوا عليه في أبحاثهم وكتاباتهم .

القصر والاستثناء في القرآن الكريم :

يتكوّن التركيب اللغوي للجملة العربية من حكم واحد ، الايجاب أو السلب، أي أن تحمل الجملة معنى الايجاب ، أو أن تحمل معنى النفي ، كقولنا في الايجاب: يزور مكّة المكرّمة أي مسلم شاء . ونقول في السلب والنفي : لا يزور مكة المكرمة غير المسلمين ولكنّ اللغة العربية اتّصفت بسعة أساليبها ، ومرونة تشكيل الجمل والعبارات فيها ، بحيث يمكننا أن نعبّر عن هذين المعنيين المختلفين في الحكم ، الواردين في الجملتين بجملة واحدة ، فنقول : لا يزور مكّة المكرّمة من الناس إلاّ المسلمون ، أو المسلمين . أو نقول : لا يزور مكّة المكرّمة إلاّ المسلمون .

نرى أن هذه الجملة قد تضمّنت معنى الجملتين السابقتين ، فقد أفادت ثبوت زيارة المسلمين لمكّة المكرمة ، كما أفادت في الوقت نفسه (ضمنا) نفي زيارة غير المسلمين لها .

وبذلك خصّصت الجملة زيارة مكة بالمسلمين ، وقصرت الزيارة عليهم . فكانت جملة القصر هذه أقوى من الجملتين السابقتين ، لأنّها أكثر ايجازا ، وأشد تخصيصا وتمكينا في الذهن ، وأبلغ تقريرا في الحكم .

ولهذا كانت جملة (لا يزور مكة إلاّ المسلمون) أقوى أثرا في النفي من جملة (لايزور مكّة من الناس إلا المسلمون أو المسلمين) . لأنّ الحكم أنصبّ فيها مباشرة على المسلمين ، دون ذكر (الناس) . ولأنّها أكثر إيجازا . والبلاغة في الإيجاز.

وكلّ أسلوب اشتمل على هذا النوع من التخصيص والتمكين ، وأفاد حكمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مختلفين ، في الإيجاب والنفي ، سمّاه علماء البلاغة ،أسلوب القصر .

ولعلّ ما يهمّنا في موضوعنا من أساليب القصر وطرقه المشهورة ، أسلوب (النفي والاستثناء) ، وهو نفسه أسلوب (الاستثناء المفرّغ) .

والقصر لغة : الحبس والحصر ،وعدم المجاوزة إلى الغير . ويقول أحمد بن فارس يدلّ لفظ القصر على الحبس ،ويقال : قصرته إذا حبسته ،وهو مقصور أي محبوس . قال تعالى :" حورٌ مقصوراتٌ في الخيام "(١) وامرأة قاصرة الطّرف : لا تمدّه إلى غير بعلها كأنّها تحبس طرفها حبسا . والأصل الثاني : هو الذي نظر إليه البلاغيّون ، لتحقّق معناه في القصر الاصطلاحي ،لأنّه لا يعدو أن يكون حبس صفة على موصوف ، فلا يوصف بها غيره ،أو حبس موصوف في صفة ،فلا يتصف بغيرها(٢) . وورد في القاموس المحيط أنّ القصر هو الحبس ،وقال تعالى :" حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ "(٣) أي نساء محبوسات فيها وقال تعالى :" وعِندَهُم قَاصِرَاتُ الطَّرفِ عِينٌ "(٤) . أي إنّهنّ قد قصرن أنفسهنّ على أزواجهنّ لا يمددن طرفا إلى غيرهم(٥) . والقصر عند البلاغيين : تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص أو تخصيص موصوف بصفة أو صفة بموصوف بطريق مخصوص(٦) .

وبذلك فإنّ جوهر اسلوب القصر ،يدلّ على عدم تجاوز المقصور للمقصور عليه ،وهذا ما يرتضيه العقل ، ويؤخذ به التذوق الفني لهذا اللون البلاغي ،ولذلك فان خير ما يقال في تعريف القصر والحصر: إنّه دلالة جملة واحدة في المعنى على اختصاص أمر بآخر سواء أكان منشأ تلك الدلالة وذلك المعنى الوضع أم العقل أم الذوق .

---

١. الرحمن / الآية ٧٢ .
٢. معجم مقاييس اللغة :مادّة (قصر) جـه ، ص ٩٦ ،ابن فارس .
٣. الرحمن / الآية ٧٢ . ٤. الصافات / الآية ٤٨ .
٥. انظر : القاموس المحيط : مادّة قصر ، فصل القاف ،باب الراء ،جـ٢ ،ص ١١٧ ، الفيروزآبادي . وتفسير النسفي :جـ٤ ،ص ٢٠ . وروح المعاني : المجلّد الثاني عشر ،جـ ٢٣ ، ص ٨٩ ، الآلوسي .
٦. انظر : مفتاح العلوم : ص ٨٨ ،السكاكي . التلخيص في علوم البلاغة :ص ١٣٧ القزويني . معترك الأقران : ص ١٣٦ ، السيوطي .
٧. انظر : مفتاح العلوم : ص ٢٨٨ ،وما بعدها ، السكاكي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا فإنّ أسلوب الاستثناء المفرّغ القائم على القصر أسلوب ذو ميزات بلاغيّة تشابك النقل بالعقل بالذوق فيه ، ممّا جعله مجالا للدراسات البلاغية العقلية والفنية والذوقية ، هذا عدا البناء اللغوي فيه ، الذي يمزج النفي والإثبات في جملة واحدة يجعل منه أسلوبا موجزا ، ومع ايجازه يفيد الإثبات والتأكيد والتخصيص .

ولعلّ أوّل من أطلق مصطلح (القصر) على (الاستثناء المفرّغ) وبيّن أنواعه وأقسامه وأطرافه وأوصافه وطرائقه ، ووضحها، هو أبو يعقوب السكّاكي في كتابه مفتاح العلوم .(١)
ولم يزد من جاء بعده إلاّ النزر القليل ، في الحواشي والشروح على هذا الموضوع . فلم يكونوا إلاّ شارحين أو موضحين أو مختصرين لما ذكره السكّاكي .

ولكننا نجد أن عبد القاهر الجرجاني ،تحدّث عن القصر والحصر ، إلاّ أنه سمّاه الاختصاص ، وتحدّث عن أسلوب النفي والاستثناء باطناب .(١)

ومن الذين سبقوا السكّاكي إلى جانب عبد القاهر الجرجاني ،ابن الخطيب الرازي ، فعلى الرغم من اختصاصه بتصنيف العلوم ، ووضع المصطلحات لها إلاّ أنّه لم يطلق على أسلوب النفي والاستثناء (القصر) أو (الحصر) وإنما سمّاه : المباحث المتعلّقة بإنّ وإنّما ، ولكنّ المادّة التي عالجها وثيقة الصّلة بالمضمون الاصطلاحي للقصر والحصر، حتّى تكاد تكون هي نفسها دون أن يذكر المصطلح .(٢)

ولو حلّلنا ما ذكره البلاغيون في حد القصر ،فإنّ قولهم : تخصيص شيء بشيء يعني جعل الشيء خالصا بالشيء ، وجعله مقصورا على هذا الشيء ، بحيث لا يتعدّاه إلى غيره . وهذا الشيء الأول هو المقصور ، والشيء الثاني هو المقصور عليه إذ إنّ لكلّ قصر مقصورا عليه ، كما هو الحال،أنه لكل مسند مسند إليه .

طرفا القصر في الاستثناء المفرّغ :
==========

لا بد من طرفين لقيام القصر في الجملة العربية ، هما المقصور والمقصور عليه . فاذا قلنا : القدس مدينة عربية اسلامية . كان هذا البناء اللغوي تركيبا مرسلا ، قائما على إخبار خال من اعتبارات وجوانب بلاغية . فاذا قلنا : ما القدس الاّ مدينة عربية إسلامية

---

١. انظر : دلائل الإعجاز : ص ٢٤٦ ، وما بعدها ،عبد القاهر الجرجاني .
٢. نهاية الإيجاز : ص ١٤٧ ،الرازي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن هذا التركيب اللغوي تركيب جديد ، يفيد معنى جديدا زائدا على مجرّد الإخبار وإنما هو تركيب يفيد ، أننا قصرنا مدينة القدس على أنها مدينة عربية اسلامية ، لارتباطها بتاريخنا العربي الإسلامي ، منذ أن أسري بسيدنا محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - إليها وعروجه منها الى السماء ، ومنذ أن دوّن سيدنا عمر - رضي الله عنه - الوثيقة العمرية الخالدة .

من هنا نلمس بوضوح أثر هذا الاسلوب الاستثنائي في تغيير المعنى ، لأنّه أفاد تخصيصا في المعنى بين المقصور والمقصور عليه .

فتخصيص الشيء بالشيء يعني أن نجعله له ، وألاّ نجعله لغيره ، وكأنّنا قلنا : إنّ مدينة القدس للعرب والمسلمين وليست لغيرهم . ففي هذا الأسلوب إثبات ونفي ، وإثبات منصوص عليه ونفي متضمّن في هذا الإثبات . أي اننّا عندما نقول : ماالقدس . فيه نفي . وفي قولنا : إلاّ عربية اسلامية . فيه إثبات . فقد اقترن الضدّان ، النفي والاثبات في هذا الاسلوب ، وهنا تكمن روعة المعنى فيه ودقّته التي تتجلّى في الإثبات العقلي القائم على المعنى العميق .

ولا يخرج طرفا القصر عن أنْ يكونا قصر صفة على موصوف ، كقوله تعالى : " اللّهُ لا إلَه إلاّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ "(١) فقصرت صفة الألوهية والوحدانية على الله وحده - سبحانه - قصر صفة على موصوف . أو قصر موصوف على صفة ، كقوله تعالى : " وَمَا مُحَمّدٌ إلاّ رَسُولٌ "(٢) فقصر سيدنا محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - على صفة الرسالة .

وقد نظر البلاغيون إلى لزوم الصفة للموصوف ، في هذا الأسلوب ، وعدم خروجها إلى غيره ، فإنْ طابقت الصفة الموصوف في الواقع الخارجي ، سُمّي هذا القصر قصرا حقيقيا ، وبذلك فان القصر الحقيقي هو ما يختص فيه المقصور بالمقصور عليه ، ولا يجاوزه أصلا إلى شيء مّا سواه ، كقوله تعالى في جميع آيات التهليل والتوحيد والشهادة ، لأن صفة الألوهية مقصورة عليه - سبحانه وتعالى - لا تتعدّاه إلى غيره ، وهي صفة ثابتة لا يشاركه - سبحانه وتعالى - فيها أحد ، هذا مع وجود صفات أخرى لله تعالى ، مثل الرحمة

١ . البقرة / من الآية ٢٥٥ . ٢ . آل عمران / من الآية ١٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمغفرة والرأفة والعلم والسمع ،إلى غير ذلك . كما في قوله تعالى : " اللّهُ لا إلَه إلاّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ "(١) وقوله تعالى : " وَمَا أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلاّ نُوحِي إليهِ أنّه لا إلَـهَ إلاّ أنَا فاعْبُدُونِ "(٢) . وقوله تعالى : " وعِنْدَه مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلاّ هُوَ "(٣) . وقوله تعالى : " لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلاّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً "(٤) لأنّ الشفاعة يوم القيامة مقصورة على (الله) - سبحانه وتعالى - لأنّه الآمر الناهي في ذلك اليوم العظيم وبذلك فالقصر حقيقي ، لاقتصار الصفة على الموصوف في هذه الآية الكريمة . وقوله تعالى : " قُلْ يَا أهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم ألاّ نَعْبُدَ إلاّ اللّهَ "(٥) . فقد تضمّنت الآية قصرا جعلَ العبادة مقصورة على الله ونفيها عن غيره ، فالعبادة ثابتة لمعيّن هو (اللّه) - سبحانه وتعالى - ونفيه عمّن سواه ، وبذلك يكون القصر حقيقياً تحقّقياً .

أمّا من القصر الحقيقي في قولنا : لا يحج إلى مكّة إلاّ المسلمون . فقضية الحج إلى مكّة المكرّمة مقصورة على المسلمين ، لا تتعدّاهم إلى غيرهم ، فهي صفة ملازمة لهم .

وبذلك إذا كان القصر الحقيقي الذي يختصّ فيه المقصور بالمقصور عليه ،ولا يجاوزه إلى غيره في حقيقة الأمر وواقع الحال أصلا - كما في الآيات الكريمة المذكورة - سُمّي القصر قصرا حقيقيا تحقيقيا أوتحقّقيا . وهو نادر الاستعمال في النصوص اللغوية وفنّ القول . ويكاد يقتصر استخدامه في القرآن الكريم ، مع أن السيوطي يقول " والقصر الحقيقي عزيز لا يكاد يوجد لتعذّر الاحاطة بصفات الشيء ، حتى يمكن اثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية ،وعلى عدم تعذّرها ، يبعد أن يكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها ، ولذا لم يقع في التنزيل "(٦) إلا أنه قال بعد ذلك : " ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقيا . (لا إله إلاّ اللّهُ)"(٧)

وكأنّني بـه - رحمه الله - قد نسي أنّ آيات التهليل والتوحيد والشهادة قد وردت في كتاب الله العزيز في أكثر من أربعين موضعا . وهي في جميعها قصر حقيقي

---

١. البقرة / من الآية ٢٥٥ .
٢. الأنبياء / الآية ٢٥ .
٣. الانعام / من الآية ٥٦ .
٤. طه / الآية ١٠٩ .
٥. آل عمران / الآية ٦٤ .
٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن : ص ١٣٦ ، السيوطي .
٧. المصدر السابق : ص ١٣٦ ، السيوطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحقيقي ،لأنّ أمر قصر الله - سبحانه وتعالى - بالوجدانية ، بدهي بالنسبة للانسان المؤمن والمسلم ، وهي فوق كل هذا حقيقة لا جدال فيها البتّة .

أما القصر الحقيقي الادّعائي ،وهو الذي يكون فيه نفي المقصور عما سوى المقصور عليه بطريق العموم ،وليس كذلك في الحقيقة والواقع ، وإنّما هو ادّعاء ومبالغة ، فعند ذلك يُسمّى القصر حقيقيا ادّعائيا . كقولنا : ما شاعر العربية إلاّ المتنبي . فنحن قصرنا صفة الشاعرية على المتنبي دون غيره من الشعراء العرب ، فقد يكون هذا القصر حقيقيا ،ولكن فيه ادّعاء ،لأنّ هناك مئات الشعراء العرب ، غير المتنبي . ولهذا سُمّي هذا القصر قصرا حقيقيا ادّعائيا . ومثل هذا قولهم : لا فتى إلاّ علي ،ولا سيف إلاّ ذو الفقار . فقد قصر وصف الفتوّة على سيّدنا علي -كرم الله وجهه - وقصر وصف السيف على سيفه كذلك . ولكنّ واقع الحال يبيّن لنا أنّ هناك آلاف السيوف غير ذي الفقار ، كما أنّ هناك الكثير ممّن يتّصفون بالفتوّة وهذا ما يجعل هذا القصر قصرا حقيقيا ادّعائيا .

ولذلك سمّي هذا القصر بهذا الاسم ،لأنّ معناه يفيد الادّعاء والمبالغة لا الحقيقة والواقع ، ومنه قول كعب بن زهير في وصف المهاجرين - رضي الله عنهم - :

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاّ في نُحُورِهِمُ ... وَما لَهُم مِنْ حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ (١)

إذْ يمدحهم بمواجهة العدو وجها لوجه ،ولم يولّوا الأدبار ، ولذلك يقع الطعن في نحورهم ،لا في ظهورهم وأعقابهم .

وعلى الرغم من كثرة القصر الحقيقي الادّعائي في فنّ القول العربي من شعر ونثر ،إلاّ أن هذا القصر لا وجود له في آي الذكر الحكيم إلا في جانبين : أحدهما : فالآيات التي وردت على لسان الكافرين والمنافقين . أما الجانب الآخر : الآيات التي تقوم على المجاز والتخييل . إذْ لا يمكن أن يكون في القرآن الكريم ما هو ادّعاء وكذب ولكنه الحقّ والحقيقة كما في قوله تعالى : "يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَما يُضِلُّ بِهِ إلاّ الفَاسِقِينَ" (٢) وقوله تعالى : "وَما جَعَلَهُ اللّهُ إلاّ بُشْرَى لَكُم وَلِتَطْمَئِنّ قُلُوبُكُم بِهِ ، وَما النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ" (٣) وقوله تعالى : "وَما الحَياةُ الدُّنْيا إلاّ مَتاعُ الغُرُورِ" (٤) وقوله

---

١. ديوان كعب بن زهير : ص ٢٤ .
٢. البقرة / من الآية ٢٦ .
٣. آل عمران / الآية ١٢٦ .
٤. آل عمران / من الآية ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى : "وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ"(١) وقوله تعالى : "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا"(٢) وقوله تعالى : "وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ"(٣) وغير ذلك من الآيات الكثيرة

من الملاحظ في آيات القصر الحقيقي التحقّقي أنّها في معظمها قصر صفة على موصوف ، لأنّ الصفات يمكن أنْ تكون مقصورة على موصوفين قصرا حقيقياً تحقّقيا ، كما في قوله تعالى : " وَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ"(٤) فقصر إهلاك الغضب والانتقام على القوم الظالمين دون غيرهم من البشر ، لأنّ الله - سبحانه - لا يهلك أحدا إهلاك غضب وانتقام إلّا من كان ظالما . ومثل هذا القصر الحقيقي التحقّقي قوله تعالى : " فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ"(٥) فقد قُصرت مغفرة الذنوب ، وعدم المؤاخذة عليها في الآخرة عليه - سبحانه - لأنّ هذه الصفة لا تكون إلّا له خاصّة به ، فهو غفّار الذنوب ، لا يشاركه أنس ولا جان ولا ملك ، ولا أي مخلوق في هذه الصفة .

وعلى ذلك فلكلّ صفة وردت في القرآن الكريم مقصورة على (الله) - سبحانه وتعالى - فإنّ القصر يكون فيها قصرا حقيقيا تحقّقيا ، لأنّ هذه الصفة المقصورة عليه - سبحانه وتعالى - خاصّة به لا يشاركه فيها أحد ، وحاشا لله أن يكون له شركاء في صفاته الخاصة به .

أما الآيات الكريمة التي وردت على لسان الكافرين والمنافقين ، وجاء فيها القصر ادّعائيا كاذبا . فقوله تعالى على لسان الكافرين " وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ"(٦) وقوله تعالى على لسان المنافقين الظالمين: " نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا"(٧) وقوله تعالى على لسان الكافرين : "إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ"(٨) وقوله تعالى : "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ"(٩) وغير ذلك من الآيات الكريمة التي وردت على لسان الكافرين .

---

١. المائدة / الآية ٩٩
٢. التوبة / من الآية ٣١
٣. يونس / من الآية ١٠٧
٤. الأنعام / من الآية ٤٧
٥. آل عمران / من الآية ١٣٥
٦. هود / من الآية ٧
٧. الإسراء / الآية ٤٧
٨. المؤمنون / الآية ٢٥
٩. سبأ / من الآية ٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد سلك علماء البلاغة في هذه القضية مسالك بعيدة عن الدلالة اللغوية ، وأوغلوا في المقتضيات الذهنية والعقلية ، فحكّموا العقل بما أوتي من دقّة وتعمّق في هذه المسألة فإذا قلنا ما العقاد إلّا كاتب . فإنّ قصر العقاد على صفة الكتابة أمر مستحيل في مقتضيات العقل وأحكامه ، لأنّ هناك عشرات الصفات الأخرى التي يتّصف بها العقاد ، فهو شاعر كذلك وناقد وطويل أو قصير أو أسمر أو أبيض أو بين بين ، إلى غير ذلك من الصفات التي يمكن أن يوصف بها ، ولا يمكننا أنْ ننفي هذه الصفات عنه ، أو نثبت له صفة الكتابة فقط ، وإنْ كانت هذه الصفة أكثرها التصاقا به ، إلّا أنّ الصفات الأخرى موجودة لديه حقيقة ، ومنها على سبيل المثال صفة الشعر ، في أنه كان شاعرا وله أحد عشر ديوانا شعريا ، إلّا أنه قلّما عُرف بالشعر ، ولم يشتهر به ، وعلى كثرة شعره لم يحفظ الناس شيئا منه حتى المتخصصون منهم في الأدب والنقد والشعر . إلّا أنّ صفة الشاعرية تبقى ملازمة للعقاد .

وعلى الرغم من وجود القصر الحقيقي الادّعائي في القرآن الكريم ، إلّا أنه ورد من طريقين : إمّا على لسان الكافرين والمشركين والمنافقين - كما تمّ توضيحه - وإما عن طريق المجاز والتخييل والمبالغة ، لا الحقيقة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾(١) فمع أنّ الآية تفيد أنه - صلّى الله عليه وسلّم - مقصور على الرسالة ، لا يتعدّاها إلى الخلود وعدم الموت الذي استعظمه المسلمون في معركة أحد عندما أشيع نبأ استشهاده - صلى الله عليه وسلّم - فإنّ له صفات أخرى كثيرة لا تُحصى عدا الرسالة ومنها الأمانة والصدق والوفاء والرحمة والشجاعة والتقوى والفصاحة ، وغير ذلك من الصفات .

ويرى البلاغيّون أنّ قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقّقيا ، وتعذّر وجوده إذا أريد به أنّ الموصوف لا يتّصف إلّا بهذه الصفة ، لا يتعدّاها إلى غيرها ، فيقول القزويني ، محمد بن عبد الرحمن (- ٧٣٩هـ) إنّ قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقّقيا ، لا يكاد يوجد في الكلام ، لأنّه ما من مقصور إلّا ويكون له صفات ، تتعذّر الإحاطة بها أو حصرها(٢) .

---

١ . آل عمران / من الآية ١٤٤ .

٢ . التلخيص في علوم البلاغة : ص ١٣٧ ، القزويني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإلى هذا الجانب أشار التفتازاني ، سعد الدين مسعود بن عمر (- ٧٩١ هـ) بقوله: " وهذا النوع من القصر مفض إلى المحال ، لأنّ للصفة المنفية نقيضا البتّة ، وهو أيضا من الصفات ، فاذا نفيت جميع الصفات ،لزم ارتفاع النقيضين ، مثلا إذا قلت : ما زيد إلاّ كاتب على معنى أنّه لا يتّصف بغيرها لزم ان لا يتّصف بالشاعرية ، ولا بعدمها وهو محال "(١)

وقد بحث ابن يعقوب المغربي (- ١٢٧٩ هـ) مسألة قصر الموصوف على الصفة في الاستثناء المفرّغ بحثا مستفيضا ، بيّن أنّ هذا القصر بعيد عن الحقيقة والواقع ،فقال : " وقصر الموصوف على الصفة لا يكاد معناه يوجد حقيقة ، بأن لا يوجد للشيء إلا صفة واحدة ، ويتعذر امكان الإحاطة عادة بصفات الشيء وانما تعذرت الاحاطة بالاوصاف لما علم أن العاقل لا يحيط بأوصاف نفسه لا سيّما الباطنية والاعتبارية ، فكيف بأوصاف غيره وقيل:إنّ وجود معناه محال ، فإنْ قلنا مثلا : ما زيد إلاّ كاتب ، فمعناه أن القصر حقيقي ، أنّ زيدا لم يتّصف بوصف آخر غير الكتابة ،من شعر وقيام وقعود ، وغير ذلك ، فهذه الاوصاف المنفية وغيرها لا بدّ من ثبوت نقيضها مع الكتابة ، والا لزم ارتفاعها ارتفاع نقيضها وهو محال "(٢)

كما بحث الدسوقي ، محمد بن أحمد (- ١٢٣٠ هـ) المسألة بحثا عقليا فلسفيّاً ضرب عليه مثالا بحركة الجسم وسكونه ، فلا يمكن نفيهما معا ، لأن إحدى الصفتين ،الحركة أو السكون ،يجب أن تلازم الجسم "(٣)

وهكذا فقد بحثت المسألة بحثا ذهنياً عقلياً صرفا ، دون أن يؤخذ فيها بالجانب اللغوي ، والدراسات اللغوية الظاهرية ، فما يقتضيه العقل من قصر زيد على الكتابة ، أنّه ليس موصوفا بشيء سواها ، فهو ليس موصوفا بالوجود ولا بالعدم ،وليس موصوفا بالكلام ولا بالصمت ، وبهذا فقد اشتط الدسوقي في تحكيم جانب العقل والذهن ، بصورة عميقة ، في هذه المسألة ،فقال : إذا قلنا : ما في الدار إلا زيد. يكون قصرا حقيقيا تحقّقيا ، إذا لم يكن في الدار أحد سواه على وجه الحقيقة الواقعية ،وذلك لأنّ الهواء في الدار ضرورة إذ من طبيعة الهواء أن يتخلل الفراغات ، فالكون في الدار ليس مقصورا على زيد ، لأن

---

١. مختصر سعد الدين التفتزاني على تلخيص المفتاح : ص ١٧٣ .
٢. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح : ص ١٧٢ ، المغربي .
٣. انظر : حاشية الدسوقي على شرح السعد : ص ١٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهواء الذي لا يخلو منه قراغ عادة ، كائن في الدار[1]

لعلّ هذه المحاكمات الذهنية ، على دقتها وعمقها ، لا تراعي حال المتكلّم وهدف المنشئ ، لأن المنشئ عندما يقول : ما في الدار إلّا زيد . يقصد من قوله : ليس في الدار بشر أو ناس من جنس زيد ، لأنّه قد يكون في الدار كائنات حيّة أخرى في الدار مثل القطط والحشرات ، غير الهواء الذي أورده الدسوقي كمثال على وجود شيء آخر غير زيد في الدار . ولو أننا طبّقنا ما أورده الدسوقي في هذه المسألة على كلامنا جميعه لكان كلامنا بعيدا عن الدقّة والتحديد ، ولكن الكلام يفهم من القرائن والأحوال المحيطة به ، والمتعلقة بظروفه ومقاماته .

وبهذا فإنّ هذا البحث العقلي الذهني الدقيق للمسألة زادها تعقيدا وغموضا وان نظرة واحدة إلى أحد كتب تفسير الصوفية ، توضح لنا هذا التعقيد والغموض في فهم أي الذكر الحكيم ، والخروج في المعنى المقصود في الآية إلى معان بعيدة عن دلالات الالفاظ ، ومعطيات السياق ، وظلال المقام ، والجنوح الى التفسير الإشاري .

على أنّ الامر كلّه يتلخّص في أنّ السامع إذا سمعنا نقول له : ما زيد إلا كاتب . فلا يرد في خاطره أننا ننفي عن زيد كونه صادقا أو كاذبا أو قصيرا أو طويلا أو أبيض أو أسود ، وإنّما يفهم منّا ، أننا عنينا بأسلوب النفي والاستثناء هذا ، أنه ليس شاعراً ولا خطيبا ولا فقيها ولا نحويا ، إنّما هو كاتب فحسب . أي أنّ الصّفة المقصور عليها ، لا ننفي جميع الصفات الأخرى عن زيد إلا الصفات التي لها ارتباط معنوي وعلاقة لصيقة بها ، أي نفي ما له صلة بالمذكور ، وبما يتبادر إلى ذهن السامع من العبارة فعندما نقول : ما زيد إلّا كاتب . فنحن ننفي عنه ما له صلة بهذه الصفة من علوم وفنون ذات علاقة بصفة الكتابة ولا ننفي عنه صفاته الأخرى التي لا علاقة لها بهذا المعنى من طول أو قصر أو صدق أو كذب ، لأنّ هذه الصفات في معانيها وارتباطاتها بعيدة عن ظلال الصفة الواردة في القصر ومعانيها وارتباطاتها ، ولهذا فلا تدخل هذه الصفات من طول أو قصر أو صدق أو كذب في القصر .

---

١ . انظر : حاشية الدسوقي على شرح السعد - شروح التلخيص : ص ١٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أوضح عبد القاهر الجرجاني هذه المسألة بقوله : " واعلم أنّ قولنا في الخبر إذا أخّر ، نحو : ما زيد إلاّ قائم . أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهّم كون زيد عليها ، ونفيت ما عدا القيام عنه ، فإنّما نعني أنّك نفيت عنه الاوصاف التي تنافي القيام ، نحو أن يكون جالسا أو مضطجعا أو متّكئا أو ما شاكل ذلك ، ولم نرد أنّك نفيت ما ليس من القيام بسبيل ، إذْ لسنا ننفي عنه بقولنا : ما هوَ إلاّ قائم . أن يكون أسود أو أبيض أو طويلا أو قصيرا أو عالما أو جاهلا ، كما أنّا إذا قلنا : ماقائم إلاّ زيد . لم نرد أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وإنّما نعني : ما قائم حيث نحن بحضرتنا ، وما أشبه ذلك "(١) .

ولهذا فليس المقصود بقوله تعالى : " وما محمّدٌ إلاّ رَسُولٌ "(٢) أن ننفي عنه - صلّى الله عليه وسلّم - الصفات الأخرى التي يتعذر حصرها ، وإنّما أراد الله - سبحانه وتعالى - في هذا الموقف ، وهذا المقام الذي أنكر فيه المسلمون موت الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن ينفي الخلود وعدم الموت عنه ، فقال - سبحانه وتعالى - " وما مُحَمّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ "(٣) فصفة أنه رسول ، لا تنفي من الصفات الأخرى إلاّ كونه - صلّى الله عليه وسلّم - غير مخلّد وأنه سيموت كما مات الرسل من قبله . ومن ذلك قوله تعالى على لسان سيّدنا موسى - عليه السلام - : " قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاّ نَفْسِي وأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وبَيْنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ "(٤) فإنّ القصر الوارد في الاستثناء في هذه الآية الكريمة قصر حقيقي ، ولكنّه قائم على المجاز ، لأنّ سيّدنا موسى - عليه السلام - لم يذكر الرجلين اللذين وقفا معه ، وهما : يوشع وكالب ، لبيان قلّة من يوافقه تشبيها لحاله ، بحال من لا يملك إلاّ نفسه وأخاه "(٥) . ولأنّ سيّدنا موسى - عليه السلام - كان قد نفى ملكيته عن كلّ شيء إلاّ نفسه وأخاه ، مع أنه كان يملك ثيابه وحذاءه وراحلته وداره أو خيمته ، وما شابه ذلك . ولكنّ هذا النفي في هذه الممتلكات غير وارد ، لأنّها لا علاقة لها بالمقام الذي يجري فيه الكلام ، وهو الوقوف إلى جانبه ونصرة الحق .

ولذلك فقد يرد القصر الحقيقي التحقّقي في قصر الموصوف على الصفة ، في آي الذكر الحكيم ، لأنّ هناك آيات عدّة ورد فيها هذا القصر .

---

١ . دلائل الاعجاز : ص ٢٢٥ ، عبد القاهر الجرجاني .
٢ . آل عمران / من الآية ١٤٤ . ٣ . آل عمران / من الآية ١٤٤ .
٤ . المائدة / الآية ٢٥ .
٥ . روح المعاني : المجلّد الثالث : جـ٦ ، ص ١٠٨ ، الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا فإنّ للقائل والموقف والموقع ومقتضى الحال ، الأثر الأوّل في تحديد نوع القصر الحقيقي التحقّقي من القصر الادّعائي . فنفسيّة المنشئ وموقفه وفكره ومذاهبه واتجاهاته وأحاسيسه ومشاعره تبدو واضحة في القصر ، سواء أكان قصرا حقيقيا تحقّقيا قائما على المجاز ، أم ادّعائيا باطلا قائما على قلب الحقائق ، وتزييفها وطمسها .

وسواء أكان القصر حقيقيا تحقّقيا أم كان قصرا ادّعائيا ، فقد سُمّي قصرا إضافيا .

أنواع القصر الإضافي في الاستثناء المفرّغ :

للمخاطب دور بارز وكبير في تشكيل أساليب الاستثناء ، وبخاصة اسلوب الاستثناء المفرّغ ، أو ما يُسمّى بقصر النفي والاستثناء ، لأنّ هذا النوع أكثر ما يستخدم في مخاطبة الآخرين ، لغرض بلاغي ، يعتمل في نفس المتكلّم أو المنشئ يريد أن يوصله إلى المخاطب ، والعلاقة بين المتكلّم والمخاطب علاقة ازدواجية تكتنفها الإثارة والاستجابة لأنّ المخاطب وقيمه واتّجاهاته ودرجة رفضه أو قبوله هي التي تحدّد نوع الخطاب الموجّه إليه ، فالموقف المعيّن الذي يكون فيه المخاطب ، وطبيعة الظرف والحالة التي تكتنفه تحدد اسلوب الكلام ونوعه ، لأن المتكلم يراعي هذه المواقف والظروف والحالات ، ويحرص على أن يكون كلامه مطابقا لحال المخاطب ، والموقف الذي هو فيه . وكأنّ جملة الاستثناء قد استمدت عناصرها البلاغية واللغوية والنحوية والمعنوية من داخل نفس المخاطب وأحوالها ، وبذلك تتحدّد دلالاتها ، وتضبط حدودها ، ويخصص عمومها .

ومعنى هذا أنّ حال المخاطب ، بجميع جوانبها ، تكون منعكسة في نفس المتكلم أو المنشئ ، وليس حال المخاطب في ذاته ، فالمخاطب حينئذ يتحوّل إلى مثير من المثيرات التي تعمل وتؤثّر في نفس مبدع الكلام ، وبمقدار تأثّره بهذا المثير ، يبدو ذلك على أسلوبه وعباراته وأحوال صياغتها .

فالكلام يربط المتكلم بالمخاطب ، لأنّ المتكلّم لا يورد الكلام إلاّ على حسب اعتقاده ، وأنّ المخاطب ، في أضيق معانيه ، ودرجات استعداده ، لا تراعي حاله إلاّ بمقدار انعكاسها في نفس المتكلّم ، وإثارتها صورا وأفكارا ، وعلى ذلك ، فعلى قدر فهم المتكلّم للمخاطب وأحواله وظروفه يكون كلامه مؤثّرا ومقنعا لدى المخاطب ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بحث النحويون العرب القدماء فكرة المخاطب ، عند نظم الكلام للخطاب، فبنى عليها سيبويه والفرّاء وابن جنّي والزجّاج وابن السرّاج وغيرهم ، كثيرا من الأحكام النحوية ،والقواعد اللغوية ،ثمّ جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني ، وجعلها إحدى ركائز منهجه التحليلي ، في نظرية النظم ،نلاحظها في أثناء تحليل الكلام أو نظمه .

وبذلك يتفق النحو مع البلاغة في التركيز على مقتضى حال المخاطب ، لأنّ المخاطب طرف رئيسي في محاور الكلام . فيقول ابن السرّاج :" ولا يجوز أن نستثني النكرة من النكرات في الموجب ،لا تقول : جاءني قوم إلّا رجلا . لأنّ هذا لا فائدة في استثنائه فإنْ نعتّه أو خصّصته جاز ، وهذا امتناعه من جهة الفائدة ،فمتى وقعت الفائدة جاز "(١) ويقصد ابن السرّاج بالفائدة ،فائدة المعنى للمخاطب .

فالمنشئ يعيش أفكاره وخواطره ، ومعانيه النفسية ، فيتأمّلها ثمّ يعرضها على المخاطب ،في القالب اللغوي الذي يستطيع تشكيله ، مراعيا حال المخاطب ، لأنّ هذا المخاطب كأنّه عقل المنشئ ،أو حسّه وخياله ، وعواطفه ووجدانه ، ليزداد الكلام قيمة وبلاغة ، وتأثيرا في نفس المخاطب .

ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا : إنّ أي كلام يصوغه المنشئ ، ولا يستبطن فيه مشاعره وأحاسيسه وعواطفه ووجدانه ،ولا يكون ذهنه وعقله وقلبه على المخاطب الذي تكتنفه إحدى ثلاث حالات ، وهي : الإنكار ، أو التردّد ، أو خلو الذهن ، يكون كلاما فارغا من مضمونه ، تمجّه الاسماع ، وترفضه الأذواق ، قليل التأثير في المخاطب .

أمّا عن سبب التركيز على المخاطب ، في الدراسات البلاغية بعامّة ،وفي أسلوب الاستثناء بخاصّة ،دون التركيز على المنشئ ،لأنّ هذه الدراسات في أساسها ، انطلقت من النص القرآني ، والمنشئ في القرآن ، ربّ العزّة ، والكلام عن الله - عزّ وجلّ - وأحواله وما يعرض له ،لا يستقيم ،لأنّه - عزّ وجلّ - قد راعى حال المخاطب ،ولم يصل إلى درجته أعظم البلغاء ، وأفصح الفصحاء .

---

١. الأصول في النحو : جـ١ ،ص ٢٨٤ ، ابن السرّاج .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا فقد قُسِّم الاستثناء المفرّغ ،أو قصر النفي والاستثناء ،باعتبار حال المخاطب ومعتقده وآرائه إلى ثلاثة أنواع هي :

قصر الإفراد :

يأتي به المتكلّم لردّ خطأ المخاطب الذي يعتقد الشركة ، ما بين المقصور عليه وغيره في المقصور . أي أنْ يعتقد المخاطب شركة صفتين أو أكثر في موصوف واحد ، في قصر الموصوف على الصفة ، ومنه قوله تعالى : "وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ"(١) بقصر (نوح) - عليه السلام - على صفة الانذار ، ردّاً على من يزعم أنه - عليه السلام - يجمع بين وصفي الانذار وعقاب الضالين في الآخرة . أو ردّاً على من يزعم أنه يجمع بين وصفي الانذار وطرد المؤمنين استرضاءً لهم . وهذا ردّ عليهم لزعمهم أنّه - عليه السلام موصوف بصفتين ، أحداهما اتباع أهوائهم بطرد المؤمنين كي يؤمنوا ويتبعوه . وثانيهما : أنّه نذير مبين ، فقصر الحكم على الانذار لهم دون طرد المؤمنين . وبذلك نفيت الشركة بين الصفتين ، وقصرت على صفة واحدة .

وقوله تعالى : "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"(٢) بقصره - صلّى الله عليه وسلّم - على صفة العموم والشمول للناس كافّة ، ردّا على من زعم أنّه - صلّى الله عليه وسلّم - قد أُرسل للعرب فحسب ،دون سائر الأمم .

وقوله تعالى : "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ"(٣) اذ قصر عمل الرسول صلّى الله عليه وسلّم - على صفة التبليغ لكلّ ما يحتاج إلى إيضاح في رسالته ، وردّاً على من يظنّ أنّه - صلّى الله عليه وسلّم - يجمع إلى هذه الصفة صفة الإجبار والحساب والعذاب لهم إذا تولوا ولم يؤمنوا .

هذه الآيات الكريمة تعدّ من قصر الإفراد ،لأنّها تفرد المقصور عليه بالمقصور ، وتقطع الشركة التي يظنّها المخاطب ما بين صفتين أو أكثر في موصوف واحد . وقد ورد هذا

---

١. الشعراء / الآية ١١٥ .
٢. سبأ / الآية ٢٨ .
٣. النور / الآية ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النوع من القصر في القرآن الكريم لمخاطبة النفس البشرية التي تقع في الخطأ ، مما يدلّ على قصورها وضعفها ، فتلطّف الله سبحانه بإيراد هذه الآيات البينات لردّ هذا الخطأ الذي وقعت فيه النفس البشرية القاصرة أمام قدرة الله ، وبذلك تبدو قدرة الله - سبحانه - في هذا الاسلوب القرآني الرائع الذي يراعي حال المخاطب ونفسه وفهمه وإدراكه .

قصر القلب :

هو القصر الذي يؤدّي إلى قلب مفاهيم المخاطب ومعتقداته ، لإيصالها إلى الحقيقة ، فهذا الأسلوب يعمل على قلب معتقد المخاطب ، فيُخاطَب به من يعتقد عكس الحكم الذي يقصده المتكلّم ، فهو يرد لردّ خطأ المخاطب في فهمه .

من صور قصر القلب في القرآن الكريم ، قوله تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ "(١) فالقصر في قوله تعالى : " وما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ " قصر قلب ، لأنّ معنى الآية يبين أنّهم حين يقولون : آمنّا وما هم بمؤمنين ، لا يخادعون الله والذين آمنوا ، وإنّما يخادعون أنفسهم . وأفاد القصر في الآية الكريمة أنّهم لم يخدعوا إلّا أنفسهم ، ولهذا فقد انقلب الخِدَاعُ إلى أنفسهم ، لأن دائرة الخداع راجعة إليهم ، وضررها عائد عليهم وعلى أنفسهم ، فمعنى الآية يوضح لنا أنّ القصر فيها قصر قلب .

وعلى ذلك فإنّ تصور المعنى ، وتحديد الفكرة في تركيب القصر ، هو الذي يحدّد نوعه ، فتحليل المعنى وتحديده والتعرّف الذهني والعقلي على مغزاه في الآية يحدّد نوع القصر فيها .

وقوله تعالى على لسان سيدنا عيسى - عليه السلام - مخاطبا ربّ العزّة ، ردّاً على أكاذيب الكافرين الذين اتّهموه زورا وبهتانا ، أنه قال لهم : اتخذوني وأمّي إلَهين من دون الله : " ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ "(٢)

وإذا نظرنا إلى مقتضى الحال الذي وردت فيه الآيات ، فلا يخفى علينا ، أنّ القصر فيها قصر قلب ، لأنّه ردّ فيه على زعم الكافرين واتّهاماتهم ، وأُظهرت الحقيقة وفُنّد الكذب

١ . البقرة / الآيتان ٨ ، ٩ . ٢ . المائدة / من الآية ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ورد أسلوب قصر القلب في هذه الآية الكريمة لتأكيد النفي ، حيث انّ المنفي فيها ، لا يتّسق مع المثبت ، لأنّ الذي يقول : اعبدُوا الله ربّي وربّكم ، لا يقول : اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله . فإلى جانب كون كلام سيّدنا عيسى - عليه السلام - تسبيحا وتبرئة لساحته أمام ربّ العزّة - كما ورد في الآية جميعها - فإنّه يرمي إلى إبطال ما زعمه المشركون وتفنيده ، من هنا نلمس أهمية أسلوب القصر في تفنيد الأكاذيب ، وإثبات الحقائق وتوكيدها .

وقوله تعالى : " وإنْ يَرَوا كُلّ آيةٍ لا يُؤمِنُوا بِها حَتّى إذا جاءوكَ يُجادِلُونَكَ يَقولُ الذينَ كَفَرُوا إنْ هَذا إلاّ أساطِيرُ الأوّلينَ "(١)

إنّ القصر في قوله تعالى على لسان الكافرين في هذه الآية الكريمة " إنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأوّلينَ " قصر قلب ، لأنّ الكافرين عندما سمعوا القرآن الكريم قالوا لسيدنا محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - : إنّ ما تقوله يا محمد ليس وحيا سماويا من الله ، وإنما هو أساطير الأمم الغابرة ، وبذلك فقد قلبوا الحقيقة في قولهم هذا .

وورد أسلوب قصر القلب في أبهى صوره وأوضحها في قوله تعالى : " وإنْ تُطِعْ أكْثَرَ مَنْ في الأرْضِ يُضِلّوكَ عَنْ سَبيلِ اللّهِ إنْ يَتّبِعُونَ إلاّ الظّنّ وإنْ هُم إلاّ يَخْرُصُونَ "(٢) إنّ روعة أسلوب قصر القلب في هذه الآية الكريمة تتجلّى في إبراز حقيقة يتجاهلها كثير من الناس وهي أن رشاد الرأي يكون مع الكثرة ، وأنّ الحقّ إلى جانب الأكثرين ، ولكنّ الأمر ليس كذلك ، لأن الآية توضح أنّ أكثر من في الأرض من البشر ، يضلّون عن سبيل الله ، لأنّهم لا يستمدّون تصوراتهم وأفكارهم ومناهج تفكيرهم ومناهج حياتهم من هدى الله وتوجيهه ، ولهذا فهم لا يملكون أن يشيروا برأي ولا بقول ولا بحكم يستند إلى الحقّ ، ولا يقودون من يطيعهم إلاّ إلى الضلال ، لأنّهم يتبعون الظنّ والحدس ، والظنّ والحدس لا يتنهيان إلاّ إلى الضلال .

وما دام هذا منهج تفكيرهم ومنهج حياتهم فهم يضلّون ولا يهتدون . وبهذا المعنى فإنّ القصر في الآية الكريمة قصر قلب ، لأنّ الذين اتّبعوا الظنّ في أمر ، لا يكونون متّبعين للعلم فيه . وبذلك فإنّ السياق يرمي إلى نفي الهداية عنهم ، ووصفهم بالضلال . وأمّا

---

١. الأنعام / من الآية ٢٦ ٢. الأنعام / الآية ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في قوله تعالى في الآية نفسها : " وإنْ هُمْ إلاّ يَخْرُصُونَ " فإن القصر فيها قصر قلب أيضا لأنّ التخمين والكذب ، لا يجتمعان مع الصدق والحقيقة ، وبما أنّ الصفة المثبتة في الآية منافية للصفة المنفية ، فالقصر قصر قلب .

ومن الآيات الكريمة التي ورد فيها قصر القلب ، قوله تعالى : " ما بِصَاحِبِكُم مِنْ جِنّةٍ إنْ هُوَ إلاّ نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَي عَذَابٍ شَدِيدٍ "(١) وقوله تعالى : " وأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُم في الأَمْوالِ والأَولادِ وعِدْهُم وَمَا يَعِدُهُم الشَّيْطَانُ إلاّ غُرُورًا "(٢) وقوله تعالى : " وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا في الآخِرَةِ إلاّ مَتَاعٌ "(٣) وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم على أسلوب قصر القلب ، لأنّ هناك الكثير من الافكار الإلحادية ، والقيم المعوجة ، والمفاهيم السيئة التي كانت تعيش في نفوس البشر ، عمل القرآن الكريم على قلبها وإبطالها باسلوب قصر القلب ، فكان لهذا الأسلوب الأثر الواضح في إبراز الحقّ وطمس الباطل ، وقلب تلك الأفكار الجاهلية الإلحادية الفاسدة ، وإحلال الأفكار التوحيدية النافعة مكانها .

قصر التعيين :

إنّ هذا النوع من القصر يتداخل مع قصر الإفراد ، لما بين النوعين من تشابه إذ يلجأ المتكلّم إلى استخدام أسلوب قصر التعيين ، إذا شعر أنّ المخاطب متردّد ، قد استوى لديه الأمران ، أي اتصاف الموصوف بتلك الصفة أو بغيرها ، في قصر الموصوف على الصفة ، أو اتصاف الموصوف واتصاف غيره بتلك الصفة ، في قصر الصفة على الموصوف ، كقولنا للمتردّد في أنّ معركة (أجنادين) وقعت في فلسطين ، أو في العراق ، أو في أي مكان آخر : ما معركة أجنادين إلاّ في فلسطين . فقد أزلنا تردّده وحيرته ، بأسلوب القصر هذا الذي عيّن موضع المعركة ومكانها . في حين أنّنا عرفنا في أسلوب قصر الإفراد أنّ المتكلّم يلجأ إليه لردّ خطأ المخاطب في اعتقاده شركة ما بين المقصور عليه وغيره في المقصور ، أي أنْ يعتقد المخاطب شركة صفتين أو أكثر في موصوف واحد . أما في قصر التعيين فيستوي لدى المخاطب اتصاف الموصوف بصفة أو غيرها .

ولكنّنا إذا دقّقنا النظر في أنواع القصر الثلاثة ، وهي : قصر القلب ، وقصر الإفراد

---

١. سبأ / من الآية ٤٦ .
٢. الإسراء / من الآية ٦٤ .
٣. الرعد / من الآية ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقصر التعيين ،نجد أنّه قد يكون ما يصلح لواحد منها قد يصلح للآخر ، وفقا لعلاقة المخاطب بالمتكلّم ، ومدى الانطباع الذي يحمله المتكلّم عن المخاطب في موقفه من المسألة التي يريد أن يعرضها عليه ، وموقف حاله تجاهها ،بين الإنكار والتردّد والتشكّك والمشاركة وخلو الذهن والاعتقاد .

ولهذا فقد وجدنا أنّ السكّاكي قد أدخل قصر التعيين في قصر الإفراد ، وجعله لمن يعتقد الشركة بين صفتين أو أكثر ، ولمن لا يعتقد شيئا ، وسمّى ذلك قصر افراد .(١)

وقد ورد قصر التعيين في أنواع الاستثناء الأخرى عدا الاستثناء المفرّغ ،أو ما يسمّى بقصر النفي والاستثناء ، في آي الذكر الحكيم ، لتعيين حكم وتحديده ،كما في قوله تعالى :" لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلاَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُم أَجرٌ غَيرُ مَمْنُونٍ(٢)

فقد عيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذين آمنوا دون سائر البشر بهذا الحكم وحدّدهم وميّزهم ، وخصّهم بهذه المنزلة الرفيعة .

وفي قوله تعالى :" يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلاَئِكَةُ صَفاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقَالَ صَوَاباً(٣)

عيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بهذا الأسلوب القائم على القصر ، الفئة التي ستتكلّم من المخلوقات يوم القيامة وحدّدها ، ردّاً على من ظنّ أنّ هناك فئات أخرى ستتكلّم في ذلك اليوم العظيم .

وفي قوله تعالى :" وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ(٤)

لقد عيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حقيقة وحدّدها ، في أسلوب الاستثناء في هذه الآية الكريمة ،هذه الحقيقة المتمثّلة في بيان الهدف الأسمى من خلق الجنّ والانس ، ردّا على من يرى مساواة العبادة والعبودية لله من مخلوقاته ، وسائر الصفات الأخرى المتعلّقة بالمخلوقات في هذا الكون ، وبيّن ـ سبحانه وتعالى ـ أنّ هذه الصفة هي حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة ، لأنّ من اتّصف بها ، فقد حقّق غاية وجوده ، ومن قصّر فيها أو نكل عنها ،

١. انظر مفتاح العلوم : ص ٢٨٨ وما بعدها ،السكاكي . ٢. التين /الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ .
٣. النبأ / الآية ٣٨ . ٤. الذاريات/الآية ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد أبطل غاية وجوده ، وباتت حياته فارغة من القصد ، إنّ هذه الصفة هي العبادة للـه أو العبودية له ، أي أن يكون في الوجود ربّ يُعبد ، وليست العبارة هنا مقصورة على إقامة الشعائر ، بل تكليفهم بكل النشاطات الحياتية غير الخارجة عن طاعة الله ، ولهذا فإنّ معنى العبادة التي هي غاية الوجود الانساني أوسع وأشمل من مجرد الشعائر، وهي تتمثل في أمرين : أوّلا : إستقرار العبودية لله ، أي لربّ واحد ، والثاني : التوجّه إلى اللهِ في كلّ حركة في الضمير والجوارح والحياة ،ليصبح العمل والجد والنشاط كالشعائر كلّها عبادة ، فيشعر الانسان أنّه وجد للقيام بوظيفة يخدم بها نفسه وأهله والبشرية تحت مظلّة طاعة الله - عزّ وجلّ - حتى لا ينحرف عن جادّة الصواب في أعماله وعباداته ، فيسيء إلى نفسه ،وإلى البشريّة.

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة توضح قصر التعيين ، ومنها قوله تعالى : "ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاّ الكَفُورَ"(١) وقوله تعالى : " والزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلاّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ"(٢) وقوله تعالى : " وإِنْ مِنْكُم إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً"(٣) وقوله تعالى : " كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِم إِنْ يَقُولُونَ إِلاّ كَذِباً"(٤) وقوله تعالى : " قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً"(٥) وغير ذلك من الآيات الكريمة .

الصفة والموصوف في الاستثناء والقصر بين البلاغة والنحو :

لم يكن علماء البلاغة بمعزل عن النحو ومصطلحاته ، وكذلك الحال مع علماء النحو ، فلم يكونوا بمعزل عن البلاغة ومصطلحاتها ، حيث استعان كلّ فريق بمصطلحات الفريق الآخر ولهذا فإنّ لكلّ من الصفة والموصوف مفهوما بلاغياً يختلف عن المفهوم النحوي ، وإنْ كان اللفظ واحدا في المصطلح .

وعلى ذلك فإنّ أداة الاستثناء (إلاّ) لا تقع بين الصفة والموصوف النحويين ، لخلوّها من الحكم . فعندما نقول : ما جاءني إلا محمد الفاضل . فإنّ (إلاّ) لا تفصل بين الموصوف (محمد) وبين الصفة (الفاضل) لأنّ المعنى يصبح سقيماً غير مستقيم إذا قلنا : ما جاءني محمّد إلاّ الفاضل . وبهذا فالصفة والموصوف في الاستثناء والقصر ليسا الصفة والموصوف

---

١. سبأ / الآية ١٧ .
٢. النور / من الآية ٣ .
٣. مريم / الآية ٧١ .
٤. الكهف / من الآية ٥ .
٥. الاسراء / الآية ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحويين ، لأنّ الصفة النحوية تابع يدلّ على معنى في متبوعه ، كقولنا : زارنا رجل كريم . فكريم وصف للرجل . أما الصفة في باب القصر ، هي الصفة المعنوية ، وهي كلّ ما دلّ على معنى قائم بغيره ، أي يتّصف به غيره . والموصوف هو كل ما قام به غيره ، أو اتصف بهذا المعنى الذي يقوم بغيره ، وعادة ما يكون الموصوف اسما لعلم أو غير علم ، وتكون الصفة ما يدلّ على وصف لهذا الاسم ، كما في قوله تعالى : " وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ "(١) فقد قُصرت الصفة وهي التوفيق على المقصور عليه الموصوف ، وهو لفظ الجلالة ، وقوله تعالى : " مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ "(٢) فقصرت الملائكة (الموصوف) على المقصور عليه الصفة (الحقّ) .

كما يمكن لنا أن نتعرّف على نوع القصر ، من حيث هو قصر صفة على موصوف ، أو قصر موصوف على صفة من خلال إعراب الصفة والموصوف في أسلوب الاستثناء والقصر ، فإذا كان ما بعد (إلّا) فاعلا ، فإنّ القصر يكون قصر صفة على موصوف ، كقوله تعالى : " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ "(٣) فقد قصرت الصفة العلم على الفاعل الموصوف (الضمير العائد على لفظ الجلالة) . وقوله تعالى : " فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ "(٤) فقد قصر غفران الذنب في الآية الكريمة على الفاعل الموصوف (لفظ الجلالة) . وقوله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ "(٥)

أما القصر في الخبر ، فيكون من قصر الموصوف على الصفة ، كقوله تعالى : " وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ "(٦)

ويكون القصر في المبتدأ ، من قصر الصفة على الموصوف كقوله تعالى : " وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ "(٧) وقوله تعالى : " فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ "(٨) وقوله تعالى : " وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ "(٩) إنّ الناظر إلى هذه الآيات الثلاث يعي مدى مرونة اللغة العربية وسلاستها في استخدام اسلوب الاستثناء والنفي أو أسلوب القصر ومع أنّه يُخيّل للقارئ أنّ معنى هذه الآيات الثلاث متشابه وغير مختلف ، ولكنّ الحقيقة أنّ

---

١. هود / من الآية ٨٨
٢. الحجر / من الآية ٨
٣. الانعام / الآية ٥٩
٤. آل عمران / من الآية ١٣٥
٥. الانعام / الآية ٤٧
٦. آل عمران / من الآية ١٨٥ والحديد / من الآية ٢٠
٧. المائدة / من الآية ٩٩
٨. النحل / من الآية ٣٥
٩. النور / من الآية ٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى يختلف من آية إلى آية وفقا لحال المخاطب فيها ، فتغيّر أسلوب النظم فيهما ، ففي الآية الأولى ، ورد السياق على صورة نفي تقريري وحذف كلمة (مبين) لأنّ المخاطبين هم الكافرون عامّة ، ولا يكون إقناعهم إلّا بأيسر أسلوب وأقربه إلى أفهامهم ، وفي الآية الثانية ورد السياق بالاستفهام الإنكاري ووجود كلمة (المبين). إذ إنّ المخاطبين أناس مردوا على الشرك بالله ، وأنّهم يسندون شركهم إلى مشيئته تعالى ، فلو شاء لهداهم إلى الحقّ ، ولذلك فإنّ الله - سبحانه وتعالى - قضى في سابق علمه الازلي أنّ يُرسل إليهم رُسلا شتّى ليكونوا حجّة عليهم في قوله تعالى " فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ "(١) منكرا عليهم ادّعاءهم هذا .

أما في الآية الثالثة، فإنّ المخاطبين هم المؤمنون الذين لديهم قاعدة فكرية صحيحة انبثقت من دعوة الاسلام ، ولذلك جاء السياق يناسب قوله تعالى : " وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ "(٢) لأنّهم بمُقتضى هذه القاعدة ستكون لديهم الرغبة في أن يسألوا عن حكم الله في كلّ شيء ، والرسول أهل لأن يجيبهم على تساؤلاتهم بما يوحى إليه ، ولذلك وردت لفظة (المبين) في نهاية الآية .

وجاء القصر في المفعول به مقصورا عليه ، ويكون من قصر الصفة على الموصوف ، كقوله تعالى : " مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ "(٣) وقوله تعالى : " وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ "(٤) وقوله تعالى : " وما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ "(٥)

إذ نلاحظ أنّ الحكم المقصود والهدف المنشود من السياق في هذه الآيات تنبيه المخاطب والسامع والقارئ إلى ما بعد (إلا) فالقول مقصور على أمر الله - سبحانه وتعالى - به من الدعوة إلى وحدانيته . والهلاك والخداع منصبّ ومحصور على أنفسهم ، من هنا ندرك أثر هذه الأداة الصغيرة (إلّا) في تحديد الغرض من السياق ، وفي تحديد المعنى المقصود منه .

وبما أنّه قد تمّ بيان إعراب ما بعد إلّا في هذا النوع من الاستثناء ، في الفصل الثالث ، عندما تحدّثنا عن الاستثناء المفرّغ ، فلا حاجة إلى تكرار ذلك ، ولكنّنا أشرنا إلى

---

١. النحل / من الآية ٣٥
٢. النور/من الآية ٥٤ .
٣. المائدة / من الآية ١١٧
٤. الانعام / من الآية ٢٦
٥. البقرة / من الآية ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض هذه الجوانب في إعراب ما بعد إلاّ في هذا المقام . لبيان أثر كلّ من السيـــاق النحـــوي في المعنى البلاغي ،وأثر المعنى البلاغي النفسي في تركيب السياق اللغـــوي إذ إنّ الأثـــر متبـــادل بين البلاغة والنحو ، لا ينهض أحدهما بدون الآخـــــر .

وبناء على ذلك فإنّ أسلوب الاستثناء والنفي أو أسلوب القصر ،يتولّد بطريقة خفيّـــة ولطيفة من احتكاك الألفاظ ، وتفاعل معانيها ، ففي أسلوب النفي والاستثناء أو القصـــــر نقصد إلى تمييز ما بعد إلاّ وتحديده وتخصيصه وتقريره وتوكيده ،فهذا الأسلوب الاستثنائي يفيد التوكيد وتقرير الحقائق ،فهو بذلك تأكيد على تأكيد .

وبهذا فلا نجد هذه الأداة (إلاّ) إلاّ حيث النبرة العالية ،والتعبير الشديـــــد والحدّة في الموقف ،ولنا في قول الله تعالى خير شاهد على ذلك في قوله تعالى :" إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ "(١) وقوله تعالى :" إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِـــدَةً فَإِذَا هُـــمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ "(٢) وقوله تعالى :" اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ "(٣) وغيرها .

ولعلّ الغرض الذي يؤدّيه أسلوب الاستثناء أو القصر غرض جوهري رئيسي ، يتعلّق بمعاني الجمل ،ولذلك فهو ذو ارتباط وثيق بنظريّة النظم ، فيختلف المعنى في أسلـــوب الاستثناء والقصر اختلافا واضحا بيّنا باختلاف مواضع الكلم فيه من تقديم أو تـأخير .

الأستـــدراك والاستثنـــاء في القـــرآن الكريـــم :
==========

يتشابه التركيب في جملة الاستدراك ، بالتركيب في جملة الاستثناء ،من حيث مـــا تؤدّيه الجملتان من معنى . فقد عرفنا أنّ الاستثناء هو" الإخراج (بإلاّ) أو إحـــدى أخواتها لشيء ،لولا ذلك الإخراج لكان داخلا فيما قبل الأداة "(٤) كقولنا :حضر المدعوون إلاّ زيدا . فإنّ (زيدا) قد أُخرج من المدعوّين ،ولولا وجود (إلاّ) لكان داخلا معهم ويقع المستثنى بعد الإثبات ، كما في هذا المثال ،ويقع بعد النفي كقولنا : ما حضـــر المدعـــوون إلاّ زيـــد .

---

١. يـــس / الآيـــة ٢٩ ٢. يـــس / الآيـــة ٥٣
٣. الأنعام / الآيـــة ١٠٦
٤. أسرار العربية : ص ١٩٤ ، ابن الأنباري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الأستدراك فهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته ،أو اثبات ما يتوهم نفيه وهذا يقتضي أن يكون ما بعد (لكن) مخالفا للمعنى الغرضي الذي يفهم مما قبلها ، ومغايرا له ، ويقع بعد النفي والإثبات ،فان كان المعنى الغرضي الناشئ مما قبلها موجبا ، كان ما بعدها منفيا في معناه ، كقولنا : فلان غني لكنه بخيل . أي أنه ليس كريما وان كان المعنى الغرضي قبلها منفيا في مضمونه ،كان المعنى بعدها موجبا ، كقولنا : ما ساد العلم في أواخر العهد التركي ،لكن الجهل ، أي أن الجهل هو الذي ساد في أواخر العهد العثماني .

وبهذا فإن وجود (لكن) ينبئ عن المغايرة والمخالفة بين معنى ما بعدها ، والمعنى الغرضي المفهوم مما قبلها .

ولذلك فقد ذكر ابن أبي الإصبع أن حد الاستدراك ، هو رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعا شبيها بالاستثناء ، وهو معنى (لكن) وهو على قسمين ، قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير وتوكيد ، وقسم لا يتقدمه ذلك (١) وتبعه في ذلك ابن معصوم (٢) ،وضرب على القسم الأول ،الذي فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد ،قول ابن الرومي ،علي بن العباس (- ٢٨٣ هـ) :

وإخوانٍ تخذتهم دروعاً	فكانوها ولكنْ للأعادي
وخلتهم سهاماً صائباتٍ	فكانوها ولكنْ في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوبٌ	لقد صدقوا ولكنْ من ودادي (٣)

وضرب على القسم الثاني ،الذي هو لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد ،قول زهير ابن أبي سلمى :

أخو ثقةٍ لا تهلك الخمرُ مالَهُ ولكنّهُ قد يُهلِكُ المالَ نائلُهْ (٤)

كما أورد هذا الكلام نفسه حرفيا ، النويري ،أحمد بن عبد الوهاب (- ٧٣٣ هـ) (٥) وابن الأثير الحلبي ، نجم الدين أحمد بن اسماعيل (- ٨٣٧ هـ) (٦)

---

١. بديع القرآن : ص ١١٧ ،ابن أبي الاصبع .
٢. أنوار الربيع في أنواع البديع : جـ٦ ، ص ٢٨٥ ، ابن معصوم .
٣. ديوان ابن الرومي : ص ٣٤٧ ٤. ديوان زهير بن أبي سلمى : ص ١٤١ .
٥. نهاية الأرب : جـ٧ ، ص ١٥١ ، النويري .
٦. جوهر الكنز : ص ٢٤٧ ، نجم الدين الحلبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أطلق ابن المعتز على الاستدراك مصطلح (الرجوع) ، وقال : " هو أن يقول المتكلّم شيئا ويرجع عنه "[1] كما سمّاه أبو هلال العسكري : الرجوع ، وقال : هو أن يذكر المتكلّم شيئا ، ثم يرجع عنه "[2] وسمّاه التبريزي ، يحيى بن علي (-٥٠٢هـ) الاستدراك والرجوع[3] .

وأطلق عليه أسامة بن منقذ (-٥٨٤هـ) الرجوع والاستثناء . فقال : اعلم أن الرجوع والاستثناء ، أن تذكر شيئا ، ثم ترجع عنه ، مثل قولك : ليس له عقل بل مقدار ما يوجب الحجّة عليه ، ومثله :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا ... إِلَيْكَ وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ

من الملاحظ أنّ ابن منقذ قد خلط بين الرجوع والاستثناء وبين تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، ولذا فقد أورد أمثلة على الرجوع والاستثناء ، قول النابغة الذبياني :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ[5]

وقول النابغة الجعدي :

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ... جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا[6]

ومنه قول الشاعر :

وَلَا تَبْعَدَنْ إِلَّا مِنَ السُّوءِ إِنَّنِي ... إِلَيْكَ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ نَازِعُ[7]

ومنه قول زهير بن أبي سلمى :

أَخُو ثِقَةٍ لَا يُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ ... وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ[8]

إنّ هذه الأمثلة التي أدرجها ابن منقذ ، توضح لنا أنّه مزج بين الاستدراك والاستثناء ، في مصطلح بلاغي واحد سمّاه : الرجوع والاستثناء .

---

١ . البديع : ص ٦٠ ، ابن المعتز .
٢ . كتاب الصناعتين : ص ٣٩٥ ، أبو هلال العسكري .
٣ . الوافي في العروض والقوافي : ص ٢٨٠ ، التبريزي .
٤ . البديع في البديع : ص ١٧٧ ، أسامة بن منقذ .
٥ . ديوان النابغة : ص ٦٠ ٦ . ديوان النابغة الجعدي : ص ١٣٧ .
٧ . البديع في البديع : ص ١٧٨ ، أسامة بن منقذ .
٨ . ديوان زهير بن أبي سلمى : ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال البغدادي فيه : " وأمّا الاستدراك والرجوع فهو أن يبتدئ الشاعر بمعنى فينفي شيئا ، ثم يستدركه بما يؤدّي هذا المعنى ، أو يثبت ما نفاه أوّلا "(١)

ولذلك فإنّ الاستدراك ، تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام التي ترد على الذهن ، ومنه قوله تعالى : " قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا "(٢) فإنّه لو اقتصر على قوله تعالى : " قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا " لكان منفّرا لهم لأنّهم ظنّوا الاقرار بالشهادتين من غير اعتقاد ، ايمانا ، فأوجبت البلاغة ذكر الاستدراك ليُعلم أنّ الايمان موافقة القلب اللسان وظهور ذلك على الجوارح والأفعال . وإنّ انفراد اللسان بذلك يسمّى إسلاما ، ولا يُسمّى إيمانا(٣)

ولذلك فإنّ غرض الاستدراك البلاغي ، هو إيضاح ما عليه ظاهر الكلام من الاشكال وما يحيط به من أوهام ، فلو اقتصر زهير بن أبي سلمى في بيته على صدر البيت " أخو ثقة لا تهلك الخمر ماله " لدلّ على أنّ ماله موفور لا يبدّد بشرب الخمر ، وتلك صفة لا تميزه عن غيره من الاغنياء ، وليس فيها مدح ، ولكنّه استدرك ما يزيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح بالشطر الثاني : " ولكنّه قد يهلك المال نائله " وهذا منتهى الكرم والجود والعطاء .

وبذلك يدخل الاستدراك ضمن أنواع علوم البلاغة ، مع أنه من صلب علوم النحو وموضوعاته ، لما يضيفه من معنى جديد ، ونكتة زائدة عن المعنى اللفظي والنحوي العام المتعارف عليه .

أمّا عن علاقة الاستدراك بالاستثناء ، فإن بينهما علاقة معنويّة واضحة ، لأنّ ما بعد (إلاّ) وأخواتها من أدوات الاستثناء يتشابه في المعنى ، بما بعد (لكن) في الاستدراك إذ إنّ ما بعد أداة الاستدراك (لكن) مخالف لما قبلها في الحكم المعنوي ، وأن حكم ما بعد (إلاّ) وأخواتها في الاستثناء خارج عن حكم ما قبلها . ولذلك فقد جمع بعض البلاغيين في كتبهم ومؤلّفاتهم بين الاستثناء والاستدراك ، كما فعل ابن الأثير الحلبي فقال تحت باب الاستثناء والاستدراك بعد أن أوضح معنى الاستثناء وأقسامه : " وأمّا

---

١. قانون البلاغة : ص ٤٤٨ ، أبو طاهر البغدادي .

٢. الحجرات / من الآية ١٤ .

٣. انظر : معترك الأقران : جـ١ ، ص ٢٩٦ ، السيوطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستدراك فهو مثل ذلك إلاّ أنّه يفارق الاستثناء بلفظ (لكن)[١] أي أنّه لا يرى فرقا بين الاستثناء والاستدراك إلاّ في أنّ أداة الاستدراك (لكن) ، وأنّ للاستثناء أدوات غيرها .

وجمع السيوطي بين الاستدراك والاستثناء ، وضرب أمثلة لكلّ منهما لتوضيح العلاقة بينهما ، وقد اعتمد في ذلك على ما ذكره ابن أبي الإصبع فنقله نقلا حرفيا[٢] وكذلك فعل ابن معصوم المدني إذ أورد ما ذكره ابن أبي الإصبع المصري في تعريف الاستدراك ، فقال : " والاستدراك : رفع توهم يتولّد من الكلام السابق رفعا شبيها بالاستثناء ، وهو معنى (لكن) ، وهو قسمان : قسم يتقدّم الاستدراك تقرير وتوكيد ، إمّا لفظا ، أو معنى ، لما أخبر به المتكلّم ، وهذا الأكثر الذي بنى عليه فحول أرباب البديع أبيات أبياتهم ، وقسم لا يتقدّمه ذلك "[٣] وبذلك فهو يربط بين الاستثناء والاستدراك في تعريفه للاستدراك . وقد استشهد بعدد غير قليل من الأبيات الشعرية ، على الاستدراك ، موضحا روعة هذا الاستدراك وحسنه المعنوي ، الوارد في تلك الأبيات ، لأنه يضيف معاني جديدة ، ومن ذلك قول المعرّي ، أحمد بن عبد الله (- ٤٤٩هـ) :

فَيَا دَارَهَا بِالحَزْنِ إنّ مَزَارَهَا ... قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ

فقال ولا يخفى ما في هذا الاستدراك من الحسن والنكتة الزائدة على معنى الاستدراك ، إلاّ على من حُجب عن ذوق البديع[٤] .

ولا يقف الأمر في العلاقة المتينة بين الاستدراك والاستثناء إلى هذا الحدّ ، بل إنّ (إلاّ) في الاستثناء المنقطع تؤوّل بمعنى (لكن) . فيقول ابن السرّاج : " وإنّما ضارعت (إلاّ) (لكن) لأنّ (لكن) للاستدراك بعد النفي ، فأنت توجب بها للثاني ما نفيت عن الأوّل ، فمن ها هنا تشابهتا "[٥] وإلى هذا المعنى أشار سيبويه من قبل[٦] ، وتبعه المبرد[٧] ، والأنباري[٨] ، وغيرهم من النحويين .

---

١. جوهر الكنز : ص ٢٤٧ ، الحلبي .
٢. انظر : شرح عقود الجمان : ص ١٣٢ ، السيوطي .
٣. أنوار البديع : جـ١ ، ص ٣٨٥ ، ابن معصوم .
٤. أنوار البديع : جـ١ ، ص ٣٩٠ ، ابن معصوم .
٥. الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٩٠ ، ابن السرّاج .
٦. انظر كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٢٥ .
٧. انظر المقتضب : جـ٤ ، ص ٤١٢ ، المبرّد .
٨. انظر : الإنصاف : جـ١ ، ص ٢٦٩ ، ابن الانباري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وردت (إلاّ) الاستثنائية في القرآن الكريم بمعنى (لكن) في آيات عدّة منها قوله تعالى : " لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ "(١) أي : ولكن من رحم . وقوله - عزّ وجلّ - "فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا "(٢) . أي : ولكن قوم يونس لمّا آمنوا ... وقوله تعالى : "فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ "(٣) أي : ولكن قليلا ممّن أنجينا منهم . وغير ذلك من الآيات الكريمة ، لأنّ هذا الضرب في القرآن كثير .

وعلى الرغم من وجود هذا التشابه بين أسلوبي الاستثناء والاستدراك ، إلاّ أنّه يبقى لـ(لكن) مواضع خاصّة في النظم اللغوي العربي ، لا تشاركها بها (إلاّ) وأخواتها ، لعدم اتساق المعنى واستقامته . فيمكن لنا أن نقول : ما نجح عمرو لكن زيد لبيان أنّ الذي نجح هو زيد . ولكنّنا لا نستطيع أن نقول : ما نجح عمرو إلاّ زيد . لأنّ هذا النظم اللغوي للتركيب باستخدام (إلا) لا معنى له . " ولأنّ الاستثناء لا يكون إلاّ بعضا من كلّ ، وشيئا من أشياء ، فلا يجوز أن نقول : قام زيد إلاّ عمرو "(٤)

وهذا يؤكّد أنّه مع امكانية التشابه بين أساليب العربية ، إلاّ أنّ هناك خصوصيات ثابته تعمل على تمييز كلّ أسلوب عن غيره ، وهذه من الأصول التي بنيت عليها اللغة العربية .

ثم أننا نجد أنّ أسلوب الاستثناء أكثر اتّساعا وامتدادا في اللغة ومعانيها لتعدّد أدواته وأساليبه وطرائقه . أما الاستدراك فهو محصور باستخدام (لكن) في التراكيب اللغوية .

أما عن ورود الاستدراك في آي الذكر الحكيم ، فقد ورد أسلوب الاستدراك في قوله تعالى : " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى "(٥)

---

١ . هود / من الآية ٤٣ . ٢ . يونس / الآية ٩٨ .
٣ . هود / الآية ١١٦ .
٤ . الاصول في النحو : جـ١ ، ص٢٨٢ ، ابن السرّاج .
٥ . الانفال / من الآية ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأتى الاستدراك في هذه الكلمات الواردة في الآية الكريمة في موضعين" كلّ منهما مرشّح للتعطف ، فإنّ لفظة تقتلوهم ، وقتلهم ،ورميت ورمى ، تعطف ،وهذا أقرب استدراك وقع في الكلام لتوسّط حرفه بين لفظتي التعطف في الموضعين ،وجاء الانتقال في نظم هذه الكلمات على طريق البلاغة ، من القتل والرمي (١) ، فجاء الاستدراك ليبيّن أنّ القتل والرمي ليس من مقدور البشر ، وإنّما هو من الله - سبحانه وتعالى - .

وتبدو روعة الاستدراك وبلاغته في قوله تعالى :" إِذْ أَنْتُم بِالعُدْوَةِ الدُّنْيا وَهُم بِالعُدْوَةِ القُصْوى والرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُم وَلَوْ تَوَاعَدْتُم لاخْتَلَفْتُم في المِيعَادِ وَلَكِن لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وإنّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢)

إنّ الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية الكريمة ،أورد الاستدراك بنظم بلاغي أخرجه مخرج المثل فصاحة وبيانا . وذلك لأنّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - لمّا علم بعير قريش ، أمر أصحابه بالخروج إليها ، وكان الله - سبحانه وتعالى - قد وعده إحدى الطائفتين : العير أو النفير ، فبلغ الخبر أبا سفيان ، فأمر أن تغيّر القافلة طريقها إلى ساحل البحر الأحمر ، ومضى إلى مكّة هاربا . واستنفرت قريش ، فخرجوا إلى بدر ليشغلوا الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - عن تتبّع القافلة ، فلاقوا في بدر مصادفة ، وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - بموضع المسلمين من بدر ، وموضع المشركين ، وموضع القافلة بقوله - عزّ وجلّ - :" إِذْ أَنْتُم بِالعُدْوَةِ الدُّنْيا " أي:القريبة ." وهم بالعُدْوَةِ القصوى" أي : البعيدة . " والرَّكْبُ أسفلَ مِنْكُم " أي : ساحل البحر . ومع ذلك وقع اللقاء بين الفريقين من غير ميعاد ، ولكنّه - سبحانه وتعالى - لم يقل : ثالتقوا من غير ميعاد . ولكنه قال "وَلَوْ تَوَاعَدْتُم لاخْتَلَفْتُم فِي المِيعَادِ "

كما أنّ اللّهَ - سبحانه وتعالى - قد حرّم القافلة على المسلمين ،لأجل منها ، وهي فتح مكة ، فيما بعد ، فاختار لقاء النفير دون العير ، ليستقل حماة مكّة وصناديدها المشركين فيتمكّن المسلمون من فتحها ،عندما يقضي على هؤلاء الزعماء الصناديد الذين عادوا الاسلام ، والمسلمين ، وحرّضوا الناس على الشرك وعداء الاسلام ومحاربته .

---

١. بديع القرآن : ص ١١٨ ،ابن أبي الإصبع .
٢. الانفال / الآية ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع أنّ المسلمين كانوا يودّون القافلة ، لا المعركة ، بدليل قوله تعالى : "وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تكون لكم"(١) ولكنّ الله - سبحانه وتعالى - أراد غير ذلك لعلمه بالعواقب ، فأوقع اللقاء والمعركة من غير ميعاد بين الفريقين ، وقال - سبحانه - بلفظ الاستدراك : "ولكنّ ليقضي أمراً كَانَ مَفْعُولا" وقد فصّل - سبحانه وتعالى - ما أجمل في الاستدراك بقوله : "لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى من حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ" فأفصح الإشكال ، وأبان عن المعنى أحسن بيان(٢) .

وبهذا فإنّ الاستدراك ذو علاقة وثيقة بالاستثناء ، من حيث المعنى الناتج من التراكيب اللغوية في كليهما ، ويمكننا أن نقول : إنّ الاستدراك فرع من الاستثناء ، لأنّ (إلاّ) قد تخرج إلى معنى (لكن) في الاستعمالات اللغوية .

ومع ذلك فانّهما يختلفان ،إذْ يبقى لكلّ منهما خصائصه المميزة، وصفاته الخاصّة ومواضعه المحدّدة في الاستعمال اللغوي

العلاقة بين الاستثناء والنفي

إننا نلمس التداخل اللفظي والمعنوي بين الاستثناء والنفي في الأدوات والأساليب والمعاني ،فإذا قلنا : حضر المدعوّون إلاّ زيدا . فإنّنا في هذا الاسلوب الاستثنائي ، ننفي الحضور عن زيد وحده ،دون المدعوّين . وإذا أردنا أن ننفي الحضور عن المدعوّين نقول : ما حضر المدعوّون إلاّ زيد .

فعلاقة الاستثناء بالنفي من حيث المعنى العام الشامل للسياق ،أشبه ما تكون بعلاقة الجزء بالكلّ ،إذْ إنّ الاستثناء يؤدّي إلى إخراج ما بعد (إلاّ) وأخواتها عمّا قبلها ، والنفي يؤدّي إلى النفي العام في جملة الاستثناء ،ولهذا فالاستثناء جزء من النفي ، لأنّ النفي أعمّ وأشمل من الاستثناء وأدوات الاستثناء يمكن أن نعدّها بعض أدوات النفي .

لأنّ أصل الاستثناء (بإلاّ) وغيرها من أدوات الاستثناء ،إذا كان هناك ما يستثنى ،فإخراج وإلاّ كانت أدوات نفي ،فنقول : غير زيد يقول كذا . وسوى زيد في الدار . ولا يكون زيد هو القائم ،وحاش زيد أن يقول كذا . إنّ التركيب اللغوي والمعنوي في هذه الجمل ،يبيّن لنا أنّه لا يدخل في صف أساليب الاستثناء ، لأنّ الاستثناء لا بدّ أن يكون فيه إخراج وسلب وإيجاب ، وهذه الشروط مفقودة في هذه الجمل

---

١. الانفال / من الآية ٧ . ٢. بديع القرآن : ص ١١٩ ،ابن ابي الإصبع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك فهي هنا أدوات نفي فقط لا استثناء .

وترد (إلاّ) بمعنى (غير) الدالّة على معنى النفي لا الاستثناء[١] . كما في قوله تعالى : " يا مُوسَى لا تَخَفْ إنّي لا يَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ إلاّ مَنْ ظَلَمَ ثُمّ بَدّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فإنّي غَفُورٌ رَحِيمٌ "[٢] أي : ولا من ظلم أو غير من ظلم . وقوله تعالى : " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاّ اللّهُ لَفَسَدَتَا "[٣] أي : لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا فوردت (إلاّ) بمعنى (غير) الدالّة على معنى النفي ، في الآية الكريمة ، لأنّه لا يصحّ أنْ تكون (إلاّ) في هذا السياق حرف استثناء لفساد المعنى[٤] .

أما (غير) ، فأكثر ما تُستخدم في أساليب العربية للنفي ، لأنّها تدل على أنّ ما بعدها من الكلم ، مغاير ومخالف لما قبلها في المعنى الذي ثبت له إيجابا أو نفيا فيقول الطبري : " إنّ (غير) ترد في القرآن الكريم للاستثناء وللجحد ، وبمعنى (سوى) التي تنفي الحكم عمّا بعدها ، أو تشبّهه إذا نفي ما قبلها "[٥] فمعنى : نجح الطلاب غير خليل . أنّهم نجحوا مغايرين ومخالفين في هذا الأمر خليلا ، فهو لم ينجح ، فكان مخالفا ومغايرا لهم في حكم النجاح . ومن ذلك قوله تعالى : " فَمَنِ اضْطُرّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إثْمَ عَلَيهِ إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "[٦] أي فمن اضطرّ لا باغياً ولا عادياً ، فلا اثم عليه ، فوردت (غير) للنفي ، ومما يثبت ورودها للنفي عطف (ولا عاد) عليها وعلى ما بعدها ، فيكون عطف نفي على نفي ، وإن اختلفت الأداة بين نفي المعطوف ، ونفي المعطوف عليه .

وقوله تعالى : " قَالَ يَا مَرْيَمُ أنّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ إنّ اللّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ "[٧] أي إنّ اللّهَ - سبحانه وتعالى - يرزق من يشاء من عباده بلا حساب.

وقوله تعالى : " والمُحْصَنَاتُ مِنَ المؤمِناتِ والمُحْصَنَاتُ مِنَ الذينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُم إذا آتَيْتُمُوهُنّ أُجُورَهُنّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ولا مُتّخِذِي أخدانٍ "[٨] أي لا مسافحين ولا متخذي أخدان .

---

١ . الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص ٢٧٢ ، ابن الأنباري .
٢ . النمل / الآية ١١ ٣ . الانبياء / من الآية ٢٢ .
٤ . كتاب القرطبين : جـ١ ، ص ٥٣ ، جـ٢ ، ص ٥٦ ، ابن مطرف الكناني القرطبي .
٥ . تفسير الطبري : جـ١ ، ص ١٩٢ ٦ . البقرة / من الآية ١٧٣ .
٧ . آل عمران / الآية ٣٧ ٨ . المائدة / من الآية ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ "(١) أي ليضلّ الناس بلا علم .

وقوله تعالى : " وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ "(٢) أي عذاب ربهم ليس مأمونا . وغير ذلك من الآيات الكريمة الكثيرة التي وردت فيها (غير) للنفي أو ضمّنت معنى النفي ، إذ إنّها أكثر ما وردت في القرآن الكريم للنفي ، وقلّما وردت للاستثناء وقد اختلط النفي بالاستثناء في المواضع التي وردت فيها للاستثناء . إذ إنّها لم ترد للاستثناء المحض ، في آي الذكر الحكيم البتّة .

أمّا ليس ولا يكون الاستثنائيتان ، فلا تستخدمان في فنّ القول العربي إلاّ لنفي المعنى ، في الحال والاستقبال ، كقولنا : نجحت في الموادّ الدراسية جميعها ليس مادة واحدة . أو نجحت في الموادّ الدراسية جميعها لا يكون مادّة واحدة . وكذلك الحال في أدوات الاستثناء الأخرى ، كسوى وعدا وخلا وحاشا ودون ولا سيما وغيرها . فإنّ المعنى العام للاستثناء في هذه الأدوات يتضمّن معنى النفي .

على أنّنا يجب أن لا ننسى أنّ معنى النفي لمضمون ما دخلت عليه تلك الأدوات ، يختلف في سعة حدوده ، أو ضيقها من أداة إلى أخرى ، إذ إنّ لكل أداة دلالتها الوظيفية الخاصة بها في النفي . (فليس ولا يكون) تفيدان مطلق النفي ، وما دخولهما في أدوات الاستثناء إلاّ أمر عارض ، لتضمّنهما معنى (إلاّ) في حالات معيّنة من الاستخدامات اللغوية .

أمّا (إلاّ) و (غير) فلا تفيدان النفي إلاّ في مواقف معيّنة ، وحالات خاصّة وشروط ملزمة ، لأنّها من الفروع في النفي ، وليست من الأصول . فيقول ابن السرّاج : إنّ المستثنى بعض المستثنى منه ، ألا ترى أنّ زيدا من القوم ، فهو بعضهم ، فتقول على ذلك ضربت القوم إلاّ زيدا . ومررت بالقوم إلاّ زيدا . فكأنّك قلت في جميع ذلك : استثني زيدا (فإلاّ) تخرج الثاني مما دخل فيه الأوّل ، فهي تشبه حرف النفي . فإذا قلت : قام القوم إلاّ زيدا . فالمعنى : قام القوم لا زيدا . إلاّ أنّ الفرق بين الاستثناء والعطف (بلا) النافية ، أن الاستثناء لا يكون إلا بعضا من كلّ ، والمعطوف يكون غير الأوّل . ويجوز أيضا

١ . الأنعام / الآية ١٤٤ . ٢ . المعارج / الآية ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المعطوف أن تعطف على واحد نحو قولك : قام زيد لا عمرو . ولا يجوز أن تقول في الاستثناء : قام زيد إلاّ عمرو[١] إذ إننا نلمس التواء المعنى في هذه الجملة ،لأنّ (إلاّ) لم تقم مقام (لا) النافية ، وهذا من دقائق الفروق بينهما ،لا نعيها ،ولا نلمسها إلاّ في استخداسهما في اللغة بجمل مفيدة .

وعلى الرغم من اشتمال الاستثناء على معنى النفي ،إلاّ أنّ هناك فرقا واضحا بين الاستثناء والنفي في المعنى ،لأنّ المستثنى منه يكون شتملا على المستثنى ،ولكنّ أداة الاستثناء أخرجته منه . بينما في أسلوب النفي ،نجد أن المنفي لا علاقة له بما قبل (لا) النافية ،وليس جزءا منه . كما أنّه يجوز في النفي ،أن ننفي الفرد من الفرد ، كقولنا : حضر خالد لا سعيد ،ولا يجوز استثناء الفرد من الفرد ، كقولنا : حضر خالد إلاّ سعيد .لأن (لا) إنّما تأتي لتنفي عن الثاني ،ما وجب للأول ، و (إلاّ) تخرج الثاني مما دخل فيه الأول ،موجبا كان أو منفيا ،ومعناها الاستثناء[٢] .

أما في تركيب النفي والاستثناء ، فإنّ تسليط النفي على المستثنى منه العام ، في جملة الاستثناء ،يعني نفيه ،فإذا جئنا بأداة الاستثناء ،وأخرجنا المستثنى من المستثنى منه المنفي ،نكون قد جعلنا الشيء الذي نفيناه عن غيره له ، كما في قوله تعالى: "وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً"[٣] وقوله تعالى : " فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ"[٤] أي: إنّ صلاتهم مكاء وتصدية ،ومساكنهم مرئية .

وحين نتأمل تولّد المعنى وراء التركيب اللغوي ،الناتج عن النظم ،نجد أنّ رأس هذا المعنى ،ومحوره هو النفي ،وأنه هو المبدوء به في التركيب، ثمّ يأتي الإثبات ثانيا بعد (إلاّ) . وهذا هو الذي جعل بعض البلاغيين يذهب إلى أنّ هذا الطريق يدلّ على النفي بالمنطوق ،ويدلّ على الثبت بالمفهوم ،فذكر السيوطي ،أننّا إذا قلنا : ما قام إلاّ زيد ، فإنّ المعنى يكون صريحا في نفي القيام عن غير زيد ،ويقتضي إثبات القيام لزيد ، قيل بالمنطوق ،وقيل بالمفهوم ،وهو الصحيح ،ولكنه أقوى المفاهيم[٥] .

---

١. الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٨١ ،ابن السرّاج .
٢. الأصول في النحو / جـ١ ،ص ٢٨٢ ،ابن السرّاج .
٣. الأنفال / من الآية ٣٥ . ٤. الاحقاف / من الآية ٢٥ .
٥. الإتقان في علوم القرآن : جـ٢ ،ص ٥٢ ،السيوطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا فإنّ أسلوب (النفي والاستثناء) في البناء اللغوي للجملة ، يدلّ على أنّ اللفظ فيه دالّ على النفي ، والمعنى فيه دالّ على الإثبات ، إذ إنّ النظم فيه مبدوء بالنفي ولكنّ المعنى فيه مثبت ، أي إنّنا في قولنا : ما قام إلاّ زيد . فإنّ الاستثناء مسبوق بأداة النفي (ما) فهو منفي لفظا ، ولكنّ المعنى يدلّ على إثبات القيام لزيد ، فالمعنى مثبت وهذا معنى النفي بالمنطوق ، والإثبات للمفهوم .

ولعلّ هذا المعنى العميق لأسلوب الاستثناء المبدوء بالنفي ، يُعدّ من دقائق ما اتّصف به أسلوب الاستثناء من بلاغة في النظم ، وعمق في المعنى ، من حيث النفي في ظاهر الكلم ، والإثبات في باطن معناه ، وما يرمي إليه من مقاصد وأهداف .

ومن الأمور الدقيقة في أسلوب الاستثناء ، وعلاقته بالنفي ، أنّ أسلوب الاستثناء المسمّى بالقصر أو النفي والاستثناء ، لا يعدو أن يكون توكيدا للجملة السابقة له ، يبين أنّ النفي والاستثناء ، يأتيان في الاستعمال اللغوي لتأكيد النفي . فيقول الدكتور إبراهيم أنيس : "إنّ استعمال النفي مع (إلاّ) كان في أصله ، وفي معظم ما جاءنا من نصوص قديمة ، لا يفيد ظاهر معناه ، ولكنّه وسيلة من وسائل التلميح والتعريض ، يهدف بها المتكلّم إلى تأكيد النفي في كلام سابق"(١)

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى : "وَمَا أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا"(٢) وقوله تعالى : "إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا"(٣) وقوله تعالى : "قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ"(٤) وقوله تعالى : "مَا هَذَا إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ"(٥)

إنّ أسلوب الاستثناء ، قد ورد في هذه الآيات الكريمة جميعها ، لتأكيد نفي سابق ، فقد أكّد أسلوب الاستثناء فيها نفي أنهم رسل ، أو نفي صفة الألوهية عن الرسل - عليهم السلام - أو نفي أنّهم ملائكة ذوو قدرة خارقة فوق مستوى البشر .

وممّا ورد في القرآن الكريم من استثناء لتوكيد نفي سابق ، قوله تعالى : "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ"(٦) ففي قوله تعالى : "إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ" أسلوب استثنائي أكّد الله - سبحانه وتعالى - فيه النفي الوارد في صدر الآية الكريمة

---

١. من أسرار اللغة : ص ١٧٥ ، د. إبراهيم أنيس .
٢. الشعراء / من الآية ١٥٤ .
٣. إبراهيم / من الآية ١٠ .
٤. إبراهيم / من الآية ١١ .
٥. المؤمنون / من الآية ٢٤ .
٦. الأعراف / من الآية ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ" وقوله تعالى : "وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (١) ففي قوله تعالى : "إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ" أسلوب استثنائي تم فيه تأكيد نفي أنّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - قد مسّه سوء .

وهكذا فإنّ أسلوب الاستثناء يأتي لتأكيد نفي كلام سابق ، كما هو الحال في الآيات السابقة ، وغيرها من الآيات الكريمة التي ورد فيها هذا النمط من أساليب الاستثناء .

وبهذا فقد لمسنا العلاقة التبادلية بين الاستثناء والنفي ، وأنّ العلاقة بينهما هي علاقة الجزء بالكل ، لأنّ الاستثناء في دلالته على النفي ، يعدّ جزءا من النفي ، وأنّ أدوات الاستثناء تعدّ جزءا مكمّلا لأدوات النفي ، لأنّها وإن دلّت على معنى الاستثناء فإنها تتضمّن معنى النفي .

النظم في أساليب الاستثناء :

تخضع اللغة العربية لنظام معيّن في ترتيب كلماتها ، ووصف ألفاظها ، وهي تلتزم هذا الترتيب والنظام في تكوين الجمل والعبارات ، إذا اختلّ هذا النظام في ناحية من نواحيه لم يحقّق الكلام الغرض منه ، وهو الإفهام وتوصيل الأفكار والمعاني .

ولا تمثل المفردات بذاتها إلّا ناحية هامدة جامدة ، وهياكل مجرّدة ، لا روح فيها ولا حراك ، من تلك اللغة ، فإذا نظمت ورتّبت ذلك الترتيب المعيّن ، وفق معاني النفس الداخلية ، سرت فيها الحياة ، وعبّرت عن مكنون الفكر وما يدور في الأذهان .

فقال السيوطي : "إنّ اللفظ يتغيّر بحسب الصورة في الذهن ، فإنّ من رأى شبحا من بعيد وظنّه حجرا ، أطلق عليه لفظ الحجر . فإذا دنا منه وظنه شجرا ، أطلق عليه لفظ الشجر ، فإذا دنا وظنّه فرسا أطلق عليه اسم الفرس ، فإذا تحقّق أنّه إنسان أطلق عليه لفظ الانسان ، فبان بهذا أنّ إطلاق اللفظ دائر مع المعاني الذهنية ، دون الخارجية ، فدلّ على أنّ الوضع للمعنى الذهني لا للخارجي" (٢)

---

١. الأعراف / من الآية ١٨٨ .

٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جـ١ ، ص٤٢ ، السيوطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا فإنّ الألفاظ وعاء الفكر والمعاني ، وعليها ، وهي المكوّنات الاساسيّة للجمل والعبارات والفقرات ، ينعقد وجود المعنى والفكر ، فهذه الالفاظ هي جسد الفكر ، وهي لا تنفصل عن المعاني والأفكار ، والدلالات لا تنعزل عن الفاظها ، لأنّ المنشئ يناجي نفسه بألفاظ يتخيّرها ، فينظمها في جمل لحمل معانيه الداخلية النفسية إلى المخاطب - قارئا كان أو سامعا - .

فوظيفة الالفاظ بالنسبة للقائل أو المتكلّم أو المنشئ تعبيرية ، تظهر فيها ذاته وفكره ومعانيه وثقافته وخلقه وصفاته وذوقه ، وهذا ينطبق عليه القول (تكلّم حتى أعرفك)

ووظيفة هذه الألفاظ بالنسبة للأشياء التي تدلّ عليها سواء أكانت ماديّة أم معنوية رمزية ، لأنّها رموز للأشياء المادّية والمعنوية ، أما وظيفتها بالنسبة للمخاطب فتأثيرية ، لأنّ المتكلّم يودّ من خلالها التأثير في المخاطب بها ليفهم معانيه ومقاصده ، ليصل إلى أهدافه وأغراضه . فيقول ابن سنان الخفاجي ، عبد الله بن محمد (- ٤٦٦هـ) إنّ أحد الأصول في حسن التأليف وضع الألفاظ موضعها ، حقيقة أو مجازا ، لا ينكره الاستعمال ، ولا يبعد فيه (١)

فقد استخدم الخفاجي مصطلح (التأليف) ليعني به (النظم) وقد ربط في قوله هذا بين سلامة النظم نحويًا ، وجماله وروعته بلاغيا ، دون أن يخرج هذا النظم على قواعد النحو والذوق البلاغي ، سواء أكان حقيقة أم مجازا .

وقد شبّه شرف الدين الطيبي ، الحسين بن محمد (- ٧٤٣هـ) النظم في جميع جوانبه المتكاملة ، بجسم الانسان ، فقال " إنّ الكلام كالانسان ، والفصاحة في التركيب كالحسن في جسمه ، وفي المفرد كالحسن في كلّ عضو ، والبلاغة كالروح فيه ، فإذا حسنت الأعضاء ، وتناسبت التراكيب ، وكملت الروح ، بلغ الغاية في الجمال والكمال (٢)

وعلى ذلك فإنّ الطيبي يرى أنّ ما يزيد النظم جمالا وكمالا ، تناسق الألفاظ ، والفصاحة ، وروعة البلاغة في المعاني التي هي كالروح للنظم والتركيب ، لا يقوى على العيش بدونها ، فهذه الجوانب من ألفاظ ومعان ونظم وبلاغة وفصاحة في التركيب ، يكمّل بعضها بعضا ، وأنّ أي تقصير في أي منها يُعدّ مثلمة في النظم وعيبا في بيانه .

---

١ . سرّ الفصاحة : ص ١٠ ، ابن سنان الخفاجي .
٢ . التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص ٤٦٩ ، شرف الدين الطيبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأن ترتيب الكلمات في كلّ جملة في كلّ لغة ، ليس إلاّ إحدى تلك العادات اللغوية التي تتميز بها هذه اللغة عن غيرها من سائر اللغات ، وهذا النظام في الترتيب وهذا النظام في الترتيب والتركيب والنظم والصياغة ، هي الأصول التي تبنى عليها اللغة أما المفردات والألفاظ ، فهي الفروع التي تستند إلى تلك الأصول في النظم والترتيب والصياغة .

جاء عبد القاهر الجرجاني ، فحدّد نظرية النظم ، وعمّق أصولها ، وأوضح خفاياها فاستخدم كلمة النظم بمفهوم أكثر دقة وثراء ، فأصبحت تعني عنده علم المعاني ذا العلاقة النحويّة والمعنويّة معاً . فهذه المعاني هي التي يترابط بها الكلام على نسق معيّن ، فيتعلّق بعضه ببعض تعلّقاً خاصاً ، يحدث الأثر البلاغي المطلوب ، لأنّ ترتيب الألفاظ وتعلّق بعضها ببعض وفق معاني النحو ، يؤدّي إلى ترتيبها وفق المعاني الأصليّة والمعاني الداخلية الكامنة في النفس البشرية ، كقولنا : لا إله إلاّ الله . فإن النظم والصياغة في هذا الأسلوب ، تمّ ترتيب الألفاظ فيه ، وتعليقها وربطها ، وفق معاني النحو التي تخدم المعاني الأصلية والنفسية ، أي إنّ في هذا الأسلوب معنى التعبير عن وحدانية الله ـ عزّ وجلّ ـ وهو المعنى السياقي ، الذي يرتبط بصورة خفية دقيقة بالمعنى النفسي الداخلي ، وهو المعنى الديني العقدي التعبّدي .

ولو حاولنا أن نغير نظم هذه الألفاظ التي كونت هذا الأسلوب ، على نسق آخر من تقديم وتأخير ، لما حصلنا على أي معنى مفيد من المعنيين المذكورين . فيقول عبد القاهر : " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها ، على الوجه الذي اقتضاه العقل . وكيف يتصوّر أن يقصد به إلى توالي الالفاظ في النطق ، بعد أن ثبت أنّه نظم ، يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض "(١) وبهذا فإنّ النظم ليس تتالي الألفاظ كيفما اتّفقت ، وإنّما لا بدّ من تناسق الدلالات لتعطي المعنى الكلّي من السياق .

وقد أكّد عبد القاهر أثر التركيب النحوي في المعنى ، وما يترتّب على ذلك من بلاغة التعبير ، وليس كتابه (أسرار البلاغة) إلاّ كشفاً عن أسرار النظم في اللغة العربية

---

١. دلائل الإعجاز : ص ٤٣ ، عبد القاهر الجرجاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي تعليق الألفاظ والكلمات بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض ، وفقا لامكانات صور الإسناد الكثيرة ، فلكلّ صورة دلالتها الخاصّة التي يختارها البليغ ، بحسب الأحوال ، فضيلة البيان لا تعود إلى اللفظ المفرد من حيث معناه المعجمي ، وإنّما تعود إلى النظم وترتيب الكلام وفق ترتيب معانيه في النفس" ولو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ، ثمّ النطق بالألفاظ على حذوها لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم ، أو غير الحسن فيه ، لأنّهما يحسّان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا ، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر"(١) .

ولعلّ اختيار البنية النحوية المناسبة للمقام على هذا الأساس النظري عند عبد القاهر الجرجاني ، هو في الحقيقة ، اهتداء إلى جمال التعبير النحوي البليغ ، وعلى ذلك فهو يؤكّد أنّ النظم هو أن يضع المنشئ كلامه الوضع الذي تقتضيه معاني النحو ، وأن يعمل على إقامة قوانينه وقواعده وأصوله .

فيضيف قائلا : " فليس بواجد شيئا يرجع صوابه ، وإنْ كانَ صوابا ، وخطؤه إنْ كان خطأ إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم إلاّ وهو معنى من معاني النحو ، قد أصيب به موضعه ووضع في حقّه ، أو عُومل بخلاف هذه المعاملة ، واستعمل في غير ما ينبغي له"(٢) .

وبهذا فإنّ القاعدة الأولى من قواعد البلاغة في فنّ القول العربي ، أن يكون هذا القول في نظمه وفق معاني النحو ، وتطبيق قواعده وأسسه على النظم . فلا بلاغة في فنّ القول إلاّ بسلامة النظم نحويا ولغويا مبنى ومعنى ، فأساس البلاغة في فنّ القول قائم على سلامة النظم من العيوب النحوية .

وعلى ذلك فإذا شبّهنا فنّ القول بالشجرة ، فإنّ الجذور والساق والاغصان ، هي النحو ، وأن الأوراق والزهور والثمار التي تزيّن الشجرة ، وتزيدها بهاء ورونقا وجمالا ، وحسنا وعذوبة وروعة هي البلاغة .

---

١ . دلائل الإعجاز : ص٤٣ ، عبد القاهر الجرجاني .
٢ . دلائل الإعجاز : ص٦٣ ، عبد القاهر الجرجاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجملة الأمر ،إنّ النظم السليم الخالي من البلاغة وبهائها كالشجرة الجافّة العارية من براعمها وأوراقها وزهورها وثمارها ، وهنا تكمن العلاقة التكاملية بين النحو والبلاغة في النظم وفنّ القول .

ولعلّ العلاقات بين الألفاظ في العبارات والجمل تكتسب معناها من سياق الكلام ،إذ تقوم على أساس ظواهر شكلية تحكم العلائق بين الكلمات والألفاظ ، وتجعل اللغة وسيلة لتوصيل الافكار والمعاني بين المنشئ والمخاطب ،وبدون وجود هذه الروابط بين الألفاظ بعضها ببعض ، تنفك العلائق في رصف الكلمات ، وتصبح مبعثرة بلا معنى ،وهذه الروابط في اللغة العربية كثيرة ،لا حصرلها ،فقد تكون حروف المعاني بأنواعها الكثيرة ، وقد تناولها اللغويون والنحويون والبلاغيون بالدراسة والحصر والجمع والتحديد ، كما في كتاب مغني اللبيب وكتاب الجني الداني ،وكتاب رصف المباني وكتاب الحروف ، وكتاب معاني الحروف ،وغيرها من الكتب التي تناولت الحروف ومعانيها وإعرابها .

وقد تكون هذه الروابط ما يكتنف الألفاظ من تلازم ، كتلازم المسند والمسند إليه ، وتلازم الصفة والموصوف ، والعطف والمعطوف ،والجار والمجرور ،وأداة الاستثناء والمستثنى ، إلى غير ذلك من تلازم بين الالفاظ أملاه طبيعة النظم في اللغة ،على أن يكون هذا التأليف بين الألفاظ جاريا في معناه على مقتضى الحال الداعية له ، فإنْ لم يكن على تلك الصفة ، وخرج على مقتضى الحال ،خرج النظم من دائرة البلاغة والبيان ، ودخل في إطار الكلم الخالي من الروابط والعلائق المعنوية ليصبح أصواتا غير ذات معنى ،وان اشتمل على معنى ،فإنّه يكون معجوجا ترفضه العقول وتأباه الأذواق لأنّه لم يراع المقام ومقتضى الحال ،وبذلك يخرج من دائرة البلاغة والبيان .

ومن المعروف أنّ الألفاظ اللغويّة ،لا تتوالى على نحو عشوائي ، لا رابط بينها بل إنّ نظم الجمل ، وترتيب الفاظها وتواليها وتعليقها ،يخضع لأنساق تركيبية مضطردة وقرائن معنوية ، وروابط خفيّة داخلية معقّدة ، تشكّل في مجموعها قواعد التركيب النحوي، المنطلق - ممّا أسماه عبد القاهر - المعنى النحوي ، فقال " واعلم أنْ ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ،وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ،فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل لشيء منها ، ولذلك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه ،غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه"[1]

وليس معنى الجملة مجموع معاني الكلمات المفردة المكوّنة لها ، ولكنّ معناها يكتسب من خلال نظم هذه الكلمات في مواقعها من التركيب والسياق ، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من ألفاظ . فيقول عبد القاهر الجرجاني : " إنّ نظم الكلمات باقتفاء آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو اذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ،وليس هو النظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق"[2]

ولعلّ هذه القواعد في نظم الكلم تنطبق على انماط النظم في أساليب الاستثناء لأنّ هذه الاساليب تتكوّن من نظم الكلم وتعليق بعضه ببعض .

أنماط النظم في جملة الاستثناء :

يأتي الاستثناء على أنماط لغويّة ،وردت منذ القدم في فن القول العربي ، في العصر الجاهلي ،وفي آي الذكر الحكيم ، وبقيت هذه الأنماط اللغوية يتناقلها الكتّابُ والأدباء عبر القرون والعصور ،دون أي اختلاف في بنيتها ونظمها إلّا ما ندر ، وقد قسّم الاستثناء إلى أنواعه المعروفة اعتمادا على تلك الأنماط اللغوية ، وما جرى فيها من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف ، ونفي وإيجاب .

وقد شَرَعَ البلاغيّونَ والنحويون بدراسة هذه الانماط اللغوية الاستثنائية،وعناصرها وأشهرهم عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الاعجاز) و(أسرار البلاغة) والسكّاكي يوسف بن أبي بكر (-٦٢٦هـ) في كتابه (مفتاح العلوم) ، والقزويني ، في كتابه (التلخيص في علوم البلاغة) ،وشروح التلخيص جميعها .

وسيعتمد في هذه الدراسة ـ حول انماط النظم في جملة الاستثناء ـ على موروث اللغة في النحو والبلاغة ، وما خلّفه علماء النحو والبلاغة من آراء ،مع الإفادة بما يخدم هذه الدراسة ، من النظريات اللغوية الحديثة ، وبخاصّة نظرية التوليد والتحويل[3] ، التي

---

١. دلائل الإعجاز : ص٦٤ ، عبد القاهر الجرجاني .
٢. دلائل الإعجاز : ص٤٠ ، عبد القاهر الجرجاني .
٣. انظر: ١ـ مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة : ص١٢٥ ، وما بعدها ، د . ميشال زكريا . ٢ـ قواعد تحويلية للغة العربية :ص٩٤ ،وما بعدها د . محمد علي الخولي . ٣ـ نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : ص٥١ ، وما بعدها . د . نهاد الموسى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشمل على قضية الفطرة اللغويّة في انتاج الجمل والتعبير عمّا في النفس ،وهي قائمة على عدد من الكلّيات النحوية التي تقوم بضبط الجمل المنتجه وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلّم ، فتكون لديه القدرة على توليد الجمل وبنائها مضبوطة بقواعد وقوانين تسمّى القواعد التوليدية (١) .

ولكنّنا لو دققنا النظر في نظرية التوليد من حيث تأليف الجمل وإبداعها ، نرى ارتباطها الوثيق بما أورده عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم ، وتأليف الجمل القائمة على معاني النحو، والمعاني الداخلية في النفس

كما أن قضية الفطرة اللغوية في إنتاج الجمل وصياغتها وإبداعها ، هي من أسس نظرية التوليد والتحويل ،قد ذكرها السيوطي ، فيرى أنّ الجمل تختلف في وضعها عن المفردات ،إذ ليس المركّب بموضوع كالمفردات ، فقال : " إنّ واضع اللغة لم يضع الجمل كما وضعت المفردات ،بل ترك الجمل إلى اختيار المتكلّم ، وبيان ذلك أنّ حال الجمل لو كانت حال المفردات ،لكان استعمال الجمل ، وفهم معانيها متوقّفا على نقلها عن العرب ،كما كانت المفردات كذلك ،ولوجب على أهل اللغة أن يتتبّعوا الجمل ،ويودعوها كتبهم ،كما فعلوا ذلك بالمفردات " (٢)

فهو يرى أنّ المرء يستطيع أن يؤلّف عددا لا محددا من الجمل بالفطرة والبديهة دون أن يكون قد حفظ هذه الجمل نفسها ، كما حفظ المفردات . وهذه هي صلب نظرية التوليد والتحويل في انتاج الجمل وتأليفها وإبداعها وتكوينها .

وهناك فرضيتان تعدّان من أسس نظريّة التوليد والتحويل وهما : البنية العميقة والبنية السطحية . فالبنية العميقة : هي الأساس الذهني المجرّد لمعنى معيّن ،ويوجد في الذهن ، ويرتبط بتركيب جملي (٣) . وقد أطلق استاذنا الدكتور نهاد الموسى مصطلحا أكثر دقّة للدلالة عليهما وهو (البرّانية على السطحية ، والجوّانية على العميقة (٤) ،

---

١ . انظر : في نحو اللغة وتراكيبها : ص ٥٦ ، د . خليل عمايرة .
٢ . المزهر في علوم اللغة : جـ١ ،ص ٤٠ ، السيوطي .
٣ . في نحو اللغة وتراكيبها : ص ٥٨ ،د . خليل عمايرة .
٤ . انظر : نظريّة النحو العربي : ص ٧١ ، د . نهاد الموسى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنّ عميقة وسطحيّة ، لا تعبّران عن المفهوم منهما بدقّة .

أمّا البنية السطحيّة فهي الكلام المنطوق المرتبط ارتباطا وثيقا بالقواعد التحويلية في اللغة ،وفيها يتم انتظام الكلمات ، وتعليقها في جمل يعبّر بها المتكلّم عن علاقة ذهنية مجرّدة ،بكلمات محسوسة منطوقة .(١)

ولعلّ هذا الكلام لا يختلف في معناه ومغزاه ، كثيرا عن نظريّة النظم التي حدّدت طريقة ربط الألفاظ المنطوقة وتعليق بعضها ببعض ،لتكوّن جملا ذات معنى مفيد يعبر فحوى يجول في نفس المتكلّم أو المنشئ .

أما تلك الرموز الرياضية التي استخدمت في نظرية التوليد والتحويل ، ويقوم عليها الدرس اللغوي الحديث في الغرب ، فإن الدراسة ستغفلها ،لأنّ هذه الرموز لا تمس جوهر هذه الدراسة في هذا الفصل ،وأن عدم الاستعانة بها في هذه الدراسة لا ينقصها شيئا ،على أهمّية هذه الرموز في نظرية التوليد والتحويل .

ولعلّ أكثر ما يمس هذه الدراسة من أسس نظرية التوليد والتحويل ،تلك العناصر التحويليّة المؤثّرة في الجملة والنظم ومنها :

أوّلا : الترتيب ، وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أنّ الكلمات تقفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس .(٢)

وجملة القول : إنّ ترتيب الالفاظ في الجمل ،من الفنون التي يبدع بها الفصحاء من أصحاب البلاغة والبيان الذين يجيدون التصرّف في القول ، ووضعه الموضع الذي يقتضيه المعنى ،لأنّ الألفاظ خدم المعاني ، تحملها إلى السامع والمخاطب .

ثانيا : الزيادة : وهو ما يلحق الجملة الأساسية الأصلية من ألفاظ وأدوات ، وهي ما تسمّى عند النحويين بالفضلة ،وعند البلاغيين بالقيد ، لتوضيح المعنى ، أو زيادته أو تزيينه ،أو تأكيده ،أو نفيه ،كقولنا : حضر خالد . وما حضر خالد . وما حضر إلاّ خالد . وما حضر المدعوون إلاّ خالد أو خالدا . وحضر المدعوون إلاّ خالدا .

---

١. في نحو اللغة وتراكيبها : ص ٥٩ ،د. خليل عمايرة .
٢. دلائل الإعجاز : ص ٣٨ ، عبد القاهر الجرجاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلاحظ أنّ أصل هذه الجمل جميعها هي : حضر خالد . المكوّنة من مسند ومسند إليه ،وأمّا ما أُضيف إلى هذا الأصل من ألفاظ وأدوات ،فما هي إلاّ عوامل مساعدة على توضيح المعنى ، أو زيادته ،أو تزيينه ،أو تأكيده ،أو نفيه ، أو إثباته . وقد تكون هذه الزيادة في أوّل الجملة ،أو في وسطها ،أو في آخرها وهذه المزيدات قد تكون حروفا أو أسماء أو أفعالا .

ثالثا : الحذف : يُعَدُّ الحذف من أشهر موضوعات النحو والبلاغة في اللغة العربية ،ويكاد لا يخلو كتاب نحوي أو بلاغي من موضوع الحذف ،وقد وضع بعضهم[١] فصولا كاملة في الحذف وأنواعه وأثره في بلاغة النظم " وأنّ لغتنا العربية هي لغة الحذف ما لم يُوقع ذلك الحذف في لَبس "[٢] ويقول ضياء الدين ابن الأثير (-٦٣٧هـ) " والأصل في المحذوفات جميعها ،أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف، وإلاّ كان لغوا من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب "[٣]

ويقول عبد القاهر الجرجاني في الحذف :" هو باب دقيق المسلك،لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر،والصمت عن الإجابة أزيد للفائدة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن "[٤] وقد ذكر هذا القول نفسه بالألفاظ نفسها ،ابن الاثير[٥] .

ولعلّ أسلوب الاستثناء في نظمه وصياغته ،قائم على الزيادة والحذف، لأنّنا إذا قلنا : ما فاز إلاّ محمّد . فيمكن لنا أن نحذف (ما) و (إلا) من النظم ، ليصبح: فاز محمد ، ويبقى المعنى نفسه ،إلاّ أنّه فقد الغرض البلاغي الذي اكتسبه النظم من صياغته على أسلوب الاستثناء .

ومن المسائل المتعلّقة بالحذف - الإضمار - أو الرجوع إلى الأصول المقدّرة للتركيب فقد دلّ اهتمام البلاغيين والنحويين بالمعنى ،أنّه خَلْقَ التركيب اللغوي الظاهر ، يكْمُن تركيبٌ آخر مقدّر ،يمكن تحديده اعتمادا على المعنى المستفاد من السياق ،كقولنا : كان

١. انظر : المثل السائر: جـ٢ ،من ص ٢٦٥ - ص ٣٥٤ ،ابن الاثير .
وانظر: مغني اللبيب :جـ٢ ،من ص ٦٢٠ - ص ٦٥٠ ،ابن هشام .
٢. مشكلة المعنى بين النحو والبلاغة : ص ١٣٣ ، محمد فؤاد .
٣. المثل السائر : جـ٢ ، ص ٢٧٩ ، ابن الأثير .
٤. دلائل الإعجاز : ص ١٠٣ ، الجرجاني .
٥. المثل السائر: جـ٢ ، ص ٢٧٩ ،ابن الأثير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمر عادلا لم ينتصر إلاّ للحقّ . ففاعل ينتصر قبل (إلاّ) ضمير مستتر تقديره (هـــو) يعود على (عمـــــــر) .

وقد ذكر ابن جني في باب عرضه لبيان الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى وبيّن فيه أنّ تقدير الإعراب متّصل بالتركيب الظاهر ،وتفسير المعنى معتمد على تركيب باطني مقدّر ،وضرب على ذلك أمثلة لغوية من باب الإغراء والتحذيـــر (١) .

ويرى سيبويه أنّنا إذا قلنا : ما حضر إلاّ زيد . فإنّ هناك شيئا محذوفا ،بعد الفعل (حضر) يمكن أن يكون (أحد) أو (شخص) ، وأنّ (زيد) بدل من ذلك الشـــيء المحذوف ، لأنّ أسلوب الاستثناء يتطلّب مستثنى ومستثنى منه ، وهنا يكون المستثنى منـه محذوفا (٢) .

ويقول السكّاكي :" إنّ (إلاّ) في الكلام تستلزم مناسبة المستثنى منه للمستثنى ، في جنسه ووصفه ،وأعني بصفته ، كونه فاعلا أو مفعولا ، أو ذا حال أو حالا ، أو ما يـــرى كيف يُقدّر المستثنى منه في نحو : ما جاءني إلاّ زيد . مناسبا له في الجنس ، والوصـــف الذي ذكرت ،نحو: ما جاءني أحد إلاّ زيد . وفي ما رأيت إلاّ زيدا . نحو ما رأيـــت أحدا إلاّ زيدا . وهذه مستلزمات توجب جميع تلك الأحكام ،بيان ذلك أنّه إذا قلنا : مـــا ضرب زيد إلاّ عمرا . لزم أن يقدّر قبل (إلاّ) مستثنى منه ،ليصح الإخراج منه ، ولـزم أن يقدّر مناسبا للمستثنى الذي هو عمرو في جنسه ووصفه ، وحينئذ يمتنع أن يكون نظم الكـلام وصورته ،إلاّ على تلك الصورة (٣) .

وبهذا فإنّ النظم في هيئته وصورته وتشكّله ،يخضع لمعطيات المعنى الذي يُعبّر عنه ،وأنّ ما يُحذف من الجملة في النظم يمكن تقديره ،على أن يكون هذا المقدّر مطابقـا للمعنى والسياق ،ولا يخرج عنه ،كقوله تعالى :" إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُـــمْ خَامِدُونَ (٤) " فقد لحقت (تاء) التأنيث الفعل (كان) كي يوافق المستثنى منه المحذوف

---

١. الخصائص : جـ١ ، ص ٢٧٩ ، ابن جـــنّي .
٢. انظر : كتاب سيبويه : جـ٢ ،ص ٣١١ .
٣. انظر : مفتاح العلوم : ص ٢٩٨ السكّاكي .
٤. سورة يـــس / الآيـــة ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستثنى المؤنّث (صيحة) . وغير ذلك من الآيات الكريمة التي حُذف من أسلـــوب الاستثناء فيها المستثنى منه .

رابعا : التلازم أو الارتباط : وهو تلازم كلمتين أو أكثر ،أو ارتباطهما واتحادهما وظيفيا في السياق اللغوي ، فتصبحان كأنّهما كلمة واحدة في موقعها في التركيب، وهو نوعان : نوع يكون الفصل فيه بين المتلازمين سائغ ممكن ، وقد يؤدّي هذا الفصل إلـــى غرض بلاغي ،لخدمة المعنى ، كالفصل بين الفعل والفاعل كقولنا : أيأمَنُ مكرَ اللهِ القومُ الخاسرون ؟ وقوله تعالى :" أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ "(١) فقد فصلت أداة الاستثناء (إلّا) بين الفعل (يأمن) والفاعل (القوم) ،وجاء هذا الفصل لغرض بلاغي ،إذ إنّنا نلمس الفرق المعنوي بين قولنا : أيأمَنُ مكرَ اللهِ القومُ الظالمون، وبين قول الله -تعالى - في الآية الكريمة المذكورة ، لما اشتملت عليه الآية الكريمة من تخصيص في المعنى ، وسخرية ممزوجة بالتهديد والوعيد للقوم الظالمين الخاسرين .

والفصل بين الفعل والفاعل من جهة ،والمفعول به من جهـة أخرى ،كقولنا : هم يُضِلّونَ أنفسهم . وقوله تعالى :" وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ "(٢) فقد فصلت (إلّا) بين المفعول به والفاعل ،لغرض بلاغي ،يفيد تأكيد المعنى بعودة الشرّ على صاحبه ،والتهديد شـــد للضالّين ،في أنّ كيدهم في نحورهم .

والفصل بين المبتدأ والخبر ،كقولنا : الحياة الدنيا متاع الغرور ، وكقوله تعالى :" وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ "(٣) فصل بين المبتدأ والخبر (إلّا) لإظهار النكتـــة البلاغيّة التي تدركها من خلال هذا النظم الجديد في الآية الكريمة في التركيز علـــى احتقار الدنيا والزهد فيها .

أما القسم الثاني من التلازم فهو الذي لا يتمّ الفصل فيه بين المتلازمين ،لأنّـــه يؤدّي إلى قبح في المعنى ،وشذوذ في التركيب ، ومنه الفصل بين المضاف والمضاف إليه وبين الجار والمجرور ،وبين الصلة والموصول ،وبين النعت والمنعوت ، وبين أداة الاستثناء

---

١. الأعراف / الآيـــة ٩٩
٢. آل عمران / من الآيـــة ٦٩
٣. آل عمران / من الآيـــة ١٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمستثنى . فنحن نقول : نجح الطلاب إلاّ عليا . ولا نستطيع أن نفصل بين (إلاّ) والمستثنى (عليا) فنقول مثلا : نجح إلاّ الطلاب عليا . فنلاحظ أن هذا الفصل أدّى إلى غياب المعنى المقصود .

خامسا : حركة الإعراب : يعدّ التغيير في حركة الإعراب أحد عناصر التحويل في نظرية التوليد والتحويل ، لأنّه بتغيير حركة الإعراب ، فقد يحصل تحويل في الجملة يؤدّي إلى تغيير في المعنى ، كما في قولنا في الاستثناء التام المنفي : ما نجح الطلاب إلاّ زيد أو زيدا . فان كان ما بعد (إلا) مرفوعا ، فهو بدل من الطلاب، وبهذا فهو داخل فيهم ، ولم يخرج عنهم ولم يتحقّق معنى الاستثناء فيه . أمّا إذا كان منصوبا فهو مستثنى ، وبهذا فهو خارج من الطلاب ، وليس داخلا فيهم ، وبذلك يتحقّق معنى الاستثناء في إخراج ما بعد (إلاّ) عمّا قبلها .

ومنه قوله تعالى : " فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ "[1] " إلاّ امرأتك " بالنصب - وهو قراءة أكثر السبعة - على الاستثناء فتكون (امرأتك) مخرجة من أهلك . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع على البدليّة من (أحد) فتكون داخلة فيهم ، وليست مخرجة منهم . وقد تكون قراءة الرفع فيها على الابتداء ، وما بعد (امرأتك) في محل رفع خبر . وهنا تفيد هذه القراءة معنى آخر غير معنى الاستثناء والإخراج ، وإنما يفيد فصل العلاقة المعنوية عمّا قبلها لتصبح جملة جديدة ذات معنى جديد . أي إلاّ امرأتك إنّه مصيبها ما أصابهم ، ولم تعد (إلاّ) أداة استثناء وإنّما بمعنى (لكن) أو بمعنى (و)[2] .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : " وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ "[3] فقرئت (قليل) بالرفع على البدلية من (الواو) في (فعلوه) . ولهذا فإنّ (قليل) ليست مخرجة من الواو ، وإنّما هي داخلة فيها . أي أنّ هؤلاء القليل لم يخرجوا عن الذين فعلوه . وقرئت (قليلا) بالنصب على الاستثناء

---

١ . هود / من الآية ٨١ .
٢ . انظر : روح المعاني : المجلّد السادس : جـ١٢ ، ص١٠٩ ، الآلوسي .
٣ . النساء / من الآية ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا يكون (قليلا) مخرجا منهم . أو أن تكون (قليلا) صفة لمصدر محذوف . أي ما فعلوه إلاّ فعلا قليلا[١] . وهنا يتغيّر المعنى كلّيا بخروج نوع الاستثناء من الاستثناء التام المنفي إلى الاستثناء المفرّغ ، والفرق في المعنى بينهما كبير ،لأنّ الاستثناء المفرّغ ، لا إخراج فيه للمستثنى من المستثنى منه .

ومن الجوانب الدقيقة الخفيّة في نظم جملة الاستثناء ،أنّ معيار الصحّة والخطأ فيه ،قائم على ربط الكلمات وتتابعها ، أو ما يطرأ عليها من تقديم وتأخير ، فنقول : ما زيد إلا الخبز آكلـه ،ولا يجوز أن نقول : ما الخبز إلاّ زيد آكل . لأنّه لا يجوز أن نعمل الفعل الذي بعد (إلا) في الاسم الذي قبلها ،بوجه من الوجوه ،ولأنّ الاستثناء ،إنّما يجيء بعد كلام سابق ،يكون فيه مضيّ الابتداء بالفعل أمرا لازما[٢] .

ومن قضايا النظم في جملة الاستثناء ، دخول (ما) الحجازية أو التميمية عليها ، وما يتركه دخولها من أثر في سلامة النظم والمعنى . فإذا قلنا : ما زيد قائما أحـد إلاّ أبوه ، كان جيّدا في نظمه ومعناه ،لأنّ الاستثناء معلّق بما قبله غير منفصل منه ، ونظـير ذلك : زيد ما قام أحد إلاّ أبوه . وزيد ما كان أحد قائما إلاّ أبوه . ونقول : ما أظنّ أحداً قائما إلاّ أبوك ، أو ، ما أظنّ أحدا قائما إلاّ أباك . لأنّ النصب في المستثنى (الاب) أجود على البدل من (أحد) المنصوب . كما يمكن لنا أن نقول : ما زيد قائما أحد إليه إلاّ أبوه . لأنّ الاستثناء في هذا النظم فضله ،جاء بعد جملة تامّة النظم والمعنى ،وهذا هو الاصل في نظم جملة الاستثناء . ونقول : إنّ أخويك ليسا منطلقا أحد إلاّ أبوهما . ومررنا برجال ليسوا إلاّ منطلقا آباؤهم[٣] . إنّ هذه الانماط اللغويّة الاستثنائية سليمة النظم ،لأنّها تؤدّي المعنى المقصود بوضوح تام . كما أنّها سليمة البناء اللغوي والنحوي .

ومن الجوانب التي امتزجت فيها معاني البلاغة بقواعد النحو ، وكان التأثير بينهما متبادلا في الاستثناء ،أنّنا إذا أردنا قصر المفعول على الفاعل نقول : ما ضرب عمرًا إلاّ زيد على معنى : لم يضرب عمرا إلاّ زيد . وإذا أردنا قصر الفاعل على المفعول نقول : ما ضـرب زيد إلا عمرا . على معنى لم يضرب زيد غير عمرو . والفرق بين المعنيين واضح ، وهـو أنّ

---

١. انظر: المسائل السفرية في النحو : ص ٤٠ ،ابن هشام. روح المعاني : المجلّد الثالث : جـه ، ص ٧٣ ،الآلوسي .

٢. انظر: المقتضب ،جـ٤ ،ص ٤٠٦ ،المبرّد .الاصول في النحو:جـ١ ،ص ٢٩٩ ،ابن السراج . انظر: الاستغناء في أحكام الاستثناء :ص ٢٣٥ ،القرافي .

٣. انظر : الأصول في النحو :جـ١ ، ص ٣٠٠ ، ابن السرّاج .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(عمرا) في الأوّل ، لا يمتنع أن يكون مضروبا من غير زيد ، ويمتنع في الثاني . وانّ (زيدا) في الثاني لا يمتنع أن يكون ضاربا غير عمرو ، ويمتنع في الأول . ولهذا قلنا أن نقول في الأوّل : ما ضرب إلاّ عمرا زيد . وفي الثاني : ما ضرب إلاّ زيد عمرا . فنقدّم ونؤخّر.(١) إلاّ أنّ هذا التقديم والتأخير لمّا استلزم قصر الصفة قبل تماسها على الموصوف ، قلّ دوره في الاستعمال ، لأنّ الصفة المقصورة على عمرو في قولنا : ما ضرب زيد إلاّ عمرا . هي (ضرب زيد) لا الضرب مطلقا . والصفة المقصورة على (زيد) في قولنا : ما ضرب عمرا إلاّ زيد . هي الضرب لعمرو . وإذا أردنا قصر أحد المفعولين على زيد في قولنا : ما ضرب عمرا إلا زيد هي الضرب لعمرو . وإذا أردنا قصر أحد المفعولين على الآخر في نحو . كسوت زيدا جبّة قلنا في قصر زيد على الجبّة : ما كسوت زيدا إلاّ جبّة ، أو ما كسوت إلاّ جبة زيدا . وفي قصر الجبّة على زيد . ما كسوت جبّة إلاّ زيدا ، أو ما كسوت زيداً إلاّ جبّة.(٢)

وهكذا في سائر المنصوبات ، إذْ نقول في قصر الحال على صاحبها : ما جاء راكبا إلاّ زيد . أو ما جاء إلاّ زيد راكبا . أو ما جاء زيد إلاّ راكبا . أو ما جاء إلاّ زيد راكبا .

والأصل في هذا النظم جميعه أنّ (إلاّ) في الكلام سهلة الاقتران والالتصاق بما بعدها وما قبلها من الفاظ ، فهي مرنة في استعمالها ، ممّا يتيح لنا سهولة التصرف بها في النظم ، مما افضى ذلك إلى سهولة النظم ومرونته في أساليب الاستثناء .

ولا شكّ في أنّ هذه المرونة في النظم في أساليب الاستثناء ، وتقليب الألفاظ في جمل الاستثناء ، دليل ساطع على مرونة اللغة العربيّة ، في طرائق النظم فيها ، وقد جاءت انماط النظم في هذه الجمل لخدمة المعاني البلاغيّة ، التي يرمي إليها المنشىء .

وبهذا فإنّ المعنى البلاغي الذى يقصد إليه المنشىء ، ويرمي إليه المتكلّم ، هو المعيار الدقيق والخيط الرفيع الذي يربط الألفاظ ، بعضها ببعض في نظم الجمل وتأليفها ، ولولا هذا الخيط الرفيع الذى ينظم الألفاظ كالعقد ، لما أُبرز معنى ، ولما فُهم قصد ، لأنّ المعنى الحقيقي الذي تكسبه الألفاظ ، ليس باستخدامها منفردة ، وإنّما بنظمها وتتابعها

---

١ . انظر : دلائل الإعجاز ، ص ٢٤٦ ، عبد القاهر الجرجاني .

٢ . انظر : مفتاح العلوم ، ص ١٢٩ ، السكّاكي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترابطها وتلازمها . كما أنّ بلاغة النظم ليس بما احتواه من استعارات وتشبيهات وكنايات وإنّما في وضع الألفاظ موضعها الحسن من النظم ،ويقول يحيى بن حمزة العلوي : " إنّ الكلمة الواحدة قد تكون فصيحة إذا وقعت في محل ، وغير فصيحة إذا وقعت في محل آخر ، فلو كان الأمر في الفصاحة والبلاغة راجعا إلى مجرّد الألفاظ الوضعية ،لما اختلف ذلك بحسب اختلاف المواضع ،وأن الاستعارة والتشبيه والتمثيل والكناية من أعظم قواعد الفصاحة وأبلغها ، وإنّما كانت كذلك باعتبار دلالتها على المعاني ، لا باعتبار الفاظها فانظر إلى هذا السياق المشرق المورق ،وجدّة هذا الوصف المعجب ،كيف ترك جملة إلى جملة ، إرادة للاجمال بعد التفصيل ،من أجل إيثار البلاغة بقوله تعالى : " رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا "(١) فاعلم أنّ الذي فتّق أكمام هذه اللطائف ، حتّى تفتّحت أزرار أزهارها ،وتمانقت أغصانها ، هو مقدّمة الآية ،فإنّه لمّا افتتح الكلام فيها بالاختصار ،بأن طرح حرف النداء من قوله (رب) وياء النفس من المضاف ، فلأجل تأسيس الكلام على الاختصار ،عقبه بالاختصار والإجمال ، واكتفى بذكر هاتين الجملتين ، " وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا "(٢)

وقد اهتمّ البلاغيون والنحويون بذلك الخيط الرفيع الذي يربط الألفاظ ، فذكر سيبويه أنّ وضع الألفاظ في غير مواضعها في النظم حين تكوين الجمل والعبارات دليل على فساد النظم وقبحه ،لأنّه لا يؤدّي إلى معنى مفهوم واضح مستقيم .(٣)

كما تناول عبد القاهر الجرجاني هذه المسألة ،وأوضحها بدقّة العالم المتمكّن فقال : " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت الفاظها في النطق ،بل أن تناسقت دلالاتها ، وتلاقت معانيها ،على الوجه الذي اقتضاه العقل "(٤)

وأشار ابن هشام إلى ضرورة الربط بين صحّة المعنى ، وصحّة واستقامة الشكل (النظم) إذ نصح المعرب أن يراعي المعنى الصحيح ، مع النظر في صحّته في الصناعة .(٥)

---

١ . مريم/الآية ٤ ٢ . الطراز : جـ٣ ،ص٤٤١ ،يحيى العلوي .

٣ . انظر : كتاب سيبويه : جـ١ ،ص٢٥ .

٤ . دلائل الإعجاز : ص٤٣ ، عبد القاهر الجرجاني .

٥ . انظر مغني اللبيب : جـ٢ ، ص٥٣٩ ،ابن هشام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلّه يريد بالمعنى هنا ، المعنى الوظيفي ، ويريد بالصناعة ، جانب الشكل الذي يتمثّل في نظام عناصر الجملة ، من نظم وترتيب وتعليق ، وغير ذلك من ضوابط.

وعلى ذلك فإنّنا لو أتينا بشخص غير عربي ، لم يعش في بيئة عربية ، ولا يفقه من العربيّة شيئا ، وحفّظناه مئات المفردات العربية منفصلة ، خارجة عن النظم وسياق الكلام وطلبنا منه بعد ذلك أن يكتب ، أو يؤلّف جملة منطوقة أو مكتوبة في العربية ، فلن يستطيع لأنّه لم يتعرّف معاني النحو ، وطرائق العربية وسننها في نظم مفرداتها ، لتؤدّي معنى سليما مفهوما لدى المتلقّي أو المخاطب ، ولأنّ ذلك الأجنبي يجهل الارتباطات المعنوية ذات العلاقة بالارتباطات العقليّة والذوقية والعاطفيّة والاجتماعية للغة العربية ، ولأنّه يجهل الأسس الأوّلية التي يعتمد عليها في تعليق الألفاظ ، لتكوين جمل تامّة النظم والمعنى .

ويُذكر في هذا المقام أنّ أحَد الطلبة من باكستان ، كان يدرس اللغة العربيّة في الجامعة الاردنية ، في برنامج الماجستير ، وكان يحفظ مئات المفردات العربيّة واكتسب شيئا من طرائق العربية وأسسها في نظم الكلم ، في أثناء دراسته ، إلّا أنّه كان يعجز - في كثير من الأحيان عن تأليف جملة عربية ، وفق النظم السليم ، وإنْ ألّف جملا وتراكيب ، فقد كانت مثار الابتسام لدى الزملاء ، لأنّه يضع الألفاظ في الجمل والعبارات ، في مواضع ليست في مكانها السليم في النظم والصياغة اللفظيّة ، فلا تؤدّي إلى معنى سليم مستقيم .

ولهذا فإنّ أفصح الفصحاء ، وأبلغ البلغاء ، سيكونون مقصّرين ، إذا لم يبنوا كلامهم ويصوغوه وفق معاني النحو في نظم الكلام " لأنّ الألفاظ معلّقة على معانيها ، حتى يكون الإعراب ، هو الذي يفتحها ، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها . . . وإنْ أردت أن ترى ذلك عيانا ، فاعمد إلى أي كلام شئت ، وأزل أجزاءه عن مواضعها وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

مِنْ نَبْكِ قِفا حَبِيبٍ ذِكْرَى مَنْزِلِ

ثم انظر هل يتعلّق منك فكر بمعنى كلمة منها ؟ واعلم أني لست أقول : إنّ الفكر لا يتعلّق بمعاني الكلم المفردة أصلا ، ولكنّي أقول : إنّه لا يتعلّق بها مجرّدة من معاني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحـــــــــــــــو(١)

أي إنّ المعاني الأصليّة لهذه المفردات قائمة بذاتها ، فقظ وحبيب وذكـــرى ومنزل . معانيها الأصلية موجودة إلاّ أنّها تفقد قيمتها إذا لم تقع في مواقعها السليمة في النظم ، كما هو واضح في قولنا : من نبك قظ حبيب ذكرى منزل ، وأنّ نظم هذه المفردات في سياق يؤدّي معنى مفهوما ، عمليّة نفسيّة ذهنية عقلية معقّدة ، لأنّها تحتاج إلى جانب معرفة معانـــي الألفاظ ، معرفة كيفيّة تعليق هذه المفردات بعضها ببعاني بعـــض ، لتكوّن جملة مفيدة ذات معنى يحسن السكوت عليه .

وبذلك فليس النظم إلاّ تعليق الالفاظ بعضها ببعض ، لحمل المعنى الداخلي النفسي ، الكامن في نفـــس المنشئ . ولعلّ اللفظ القائم بنفسه لا معنى له إلاّ بتعلّقه بما قبله ، أو بما بعده ، ليفيد السامع المعنى المقصود من الجملة والتركيب ، لأنّ المتكلّم ليـــس هدفه تعريف السامع بمعاني الألفاظ منفردة ، وإنّما توصيل المعنى السياقـــي للألفاظ مجتمعة في نظم سليم مستقيم .

فعندما نخاطب شخصا ما قائلين له : ما السعادة إلاّ في القناعة . فإنّنا لا نقصد أن نعلّمه معنى (ما) ومعنى (السعادة) ومعنى (إلاّ) ومعنى (في) ومعنى (القناعة) وإنّما قصدنا أن يتعلّم ويتعرّف معنى النظم والسياق الكلّي . فيقول عبد القاهر الجرجانـي : ومعنى القصد إلى معاني الكلم أن لا تعلّم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلّمه بها ، فلا تقول : خرج زيد . لتعلّمه معنى (خرج) في اللغة ، ومعنى (زيد) ولهذا لـــم يكن الفعل وحده دون الاسم ، ولا الاسم وحده من دون اسم آخر أو فعل كلاما ما ، وكنت لو قلت (خرج) ولم تأت باسم ولا قدّرت فيه ضمير الشيء ، أو قلت: (زيد) ولم تأت بفعل ولا اسم آخر ولم تضمره في نفسك ، كان ذلك وصوتا تصوّته سواء(٢)

وهذا هو علم المعاني ذو الارتباط الوثيق بالنحو ، من حيث تعليق الألفاظ بعضها ببعض ، لتؤدّي المعنى البلاغي المقصود ، وفق قواعد النحو ومعانيه وأحكامه ، وعلى هذا الارتباط بين المعاني ، وقواعد النحو وأحكامه وأصولـــه ، بُني النظم في أساليب الاستثناء جميعها .

١. دلائل الإعجاز : ص ٢٨٠ ، عبد القاهر الجرجاني .
٢. دلائل الإعجاز : ص ٢٨١ ، عبد القاهر الجرجاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتعليق الالفاظ في أساليب الاستثناء ، وفق معاني النحو يتناسق تمام مع المعاني النفسيّة التي أُفرغت بتلك الألفاظ ، أكسب هذه الأساليب في العربية معاني بلاغية جعلت الاستثناء مثار اهتمام النحويين والبلاغيين .

الاستثناء المصدّر (بما) و (إنْ) النافيتين :

مما يسترعي النظر في أساليب الاستثناء ، أنّ النظم في جملة الاستثناء - عند النفي - أكثر ما يكون منفيا (بما) أو (بإنْ) النافيتين ، في آي الذكر الحكيم .

ولعلّ استخدام (ما) النافية في نظم جملة الاستثناء في القرآن الكريم ، في مواضع ، واستخدام (إنْ) النافية في مواضع أخرى ، لا بدّ أن يكون منطلقا من نكتة بلاغيّة أو معنى بلاغي ، تهدف إليه الآية الكريمة لأنّ الفروق المعنوية بينهما دقيقة في النظم إذْ إنّ كلتيهما تفيد معنى النفي في النظم ، وأن كلتيهما تدخلان على الجملة الفعلية والاسمية ، وأنهما تعملان عمل ليس ، " في لغة أهل العالية "(١) فهما تشتركان في المعنى والعمل ، في بناء الجملة ومعناها .

ومع أنّهما تشتركان بهذه السمات جميعها ، إلّا أنّ لكلّ منهما معنى وظيفيا في النظم ، في أسلوب الاستثناء .

فقد وردت (إنْ) النافية قبل أداة الاستثناء (إلّا) في القرآن الكريم في خمسة وثمانين موضعا ، أفادت نفي الجملة في مواضع مخصوصة ، ولعلّها تفيد معنى النفي في النظم ، على صورة أقوى وأكثر توكيدا ، ممّا تفيده (ما) النافية ، وممّا يثبت هذا الحكم أنها أشدّ قوّة في الجانب الصوتي من (ما) . وأنّ (إنْ) النافية لفظ مخفّف من (إنّ) التي تفيد الإثبات واليقين والتخصيص والتوكيد ، فحملت هذه المعاني عند تخفيفها .

وقد أفاد السياق في استخدامها في الاستثناء والقصر والحصر القوّة في إثبات الحكم وتأكيده وتقريره . ويرى الفرّاء أنّ (إنْ) تأتي في الكلام لمطلق النفي .(٢) وأيّد هذا الرأي وأخذ به الرضي الاستراباذي .(٣)

---

١ . هي ما فوق نجد إلى أرض تهامة ، إلى ما وراء مكّة ، وقُرى بظاهر المدينة إلى أقاصي الحجاز . انظر : معجم البلدان : جـ ٥ ، ص ٢٦٧ ، ياقوت الحموي .

٢ . انظر : معاني القرآن : جـ٢ ، ص ٥٦ ، الفرّاء .

٣ . انظر : شرح الكافية : جـ٢ ، ص ٢٣١ ، الرضي الاستراباذي .

ويرى الرّماني ،علي بن عيسى (- ٣٨٤هـ) أنّ كلّ (إنْ) بعدها (إلاّ) الاستثنائية ، هي للنفي ،أو لتوكيد معنى النفي (١). وذكر ابن الأنباري أنّ (إنْ)النافية الداخلة على جملة الاستثناء ، تزيد النفي قوّة في النفي (٢).

ولذلك كلّه فإنّ (إنْ) النافية ،تدخل على جملة الاستثناء المثبته ، فتحوّل معناها إلى النفي وتوكيده وتقويته ،، وهي في هذا تقابل (الباء)الزائدة مع الخبر،عند دخول (ليس) و(ما) النافيتين على الجملة الاسمية ،أي إنّ قوّة النفي في (إنْ) تساوي قوّة النفي (لما) أو (ليس) بوجود (الباء) الزائدة في خبريهما ، مع أنّ هذه (الباء) الزائدة تفيد توكيد النفي وتقويته ،ولهذا فهي لا تدخل في جملة مصدّرة (بإنْ)النافية لاستغناء المعنى في الجملة عن التوكيد (بالباء) الزائدة في توكيده (بإنْ) النافية وحدها .

كما أنّ (إنْ) النافية تدخل على جملة ذات مضمون متحقّق لدى المنشئ وأنّ الجملة المنفية بها تسبق بما يوحي بالحكم وإثباته ، وتحقيقه وتوكيده وتقويته ، إذ وردت مسبوقة بالقسم ، في قوله تعالى : "لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" (٣) فقد سبقت (باللام) الموطئة للقسم ، و(قد) التي تفيد اليقين والتحقيق . وقوله تعالى : " وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ" (٤) حيث إنّ (لمّا) بمعنى (إلاّ) . وقوله تعالى : " فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً" (٥) وقوله تعالى : " وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" (٦)

فإنّ ورودها بعد القسم في هذه الآيات الكريمة ، أفادت القوّة في الحكم على جهة التحقيق والإثبات والتقرير ،سواء أكان الحكم حقيقة - كما في آيات الطارق - أو بعيدا

---

١. معاني الحروف : ص ٧٥ ، الرّماني
٢. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ٢ ، ص ٦٣٦ ، ابن الأنباري
٣. النحل / الآية ٦٨ ٤. الطارق / الآيات من ١ - ٤
٥. النساء / الآية ٦٢
٦. التوبة / الآية ١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن الحقيقة والواقع - كما في آيتي النساء والتوبة - عندما قالوا : إنْ أَرَدْنَا إلّا الحُسْنى وهم كاذِبُونَ بعيدون عن الحقيقة ، ولكنّهم نظموا كلامهم نظم المتيقّن من ادّعائه ، لأنّهم في موقف الدفاع عن انفسهم ، فلجأوا إلى تقوية حجّتهم ، وإنْ كانت باطلة .

ولم ترد (ما) في هذه الآيات الكريمة وغيرها ، في هذا النظم والسياق ، وهذا يدلّ على أنّ القسم في آي الذكر الحكيم ، لم يأت جوابه في أسلوب الاستثناء ، إلّا مصدّرا (بإنْ) النافية ، ليزيد المعنى قوّة وتأكيدا .

أمّا في غير الاستثناء ، فقد جاء جواب القسم مصدّرا (بما) النافية ، ولم ترد (إنْ) النافية إلّا في مواضع نادرة جدا ، وذلك لأنّ أسلوب القصر والاستثناء يزيد المعنى تأكيدا ، ثم تأتي (إنْ) النافية لتزيد هذا التأكيد تأكيدا آخر .

أمّا (ما) النافية ، فهي تنفي الحكم من غير تأكيد ، كما في قوله تعالى : " وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلّا هُوَ وَمَا هِيَ إلّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ "(١) وبهذا فإنّ (إنْ) النافية في أسلوب الاستثناء ، تزيد النفي قوّة وتأكيدا ، أكثر مما تفيده (ما) النافية التي لا تفيد إلا النفي المحض ، دون تأكيد وتقوية فيه .

كما وردت (إنْ) النافية بعد انكار لتزيده قوة وتأكيدا ، في قوله تعالى : "وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إنْ هَذَا إلّا مَلَكٌ كَرِيمٌ "(٢) فقد ورد قوله تعالى : "إنْ هَذَا إلّا مَلَكٌ كَرِيمٌ " لزيادة التأكيد في أنّه ليس بشرا ، وإذا كان بشرا فهو ملك تحقيقا لا محالة وتأكيدا لذلك التحقيق في أنّه نُفي أن يكون من البشر ، إذن لا بدّ أن يكون من جنس آخر ، لأنّه من المحال أن يخرج من جنس دون أن يدخل في جنس آخر ، ولذلك فقد دلّ أسلوب الاستثناء المصدّر (بإنْ) على التبيين والتعيين والقوّة في توكيد ذلك ، ومن ذلك قوله - عزّ وجلّ - : " وَمَا عَلّمْنَاه الشّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إنْ هُوَ إلّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ "(٣) وقوله تعالى : " مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إنْ هُوَ إلّا وَحْيٌ يُوحَى "(٤) فقد ورد اسلوب الاستثناء المصدّر (بإنْ) النافية في الآيتين السابقتين تأكيدا قويا ، وتثبيتا لما نُفي في أوّل الآية الكريمة وهذه القوة في التأكيد ناتجة عن هذا النظم المصدّر (بإنْ) النافية في جملة الاستثناء .

---

١ . المدّثر / الآية ٣١ . ٢ . يوسف / من الآية ٣١ .
٣ . سورة يس / ٦٩ . ٤ . النجم / من الآية ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " أَمَّنْ هَذَا الذي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَـٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ "(١) وقوله تعالى : " وَإِذَا قِيلَ لَهُم أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ "(٢) فجملة الاستثناء والحصر المصدّرة (بإنْ) النافية في الآيتين السابقتين ،أفادت قوّة التأكيد في مضمون الأفكار والمعاني . ومن ذلك قوله تعالى : " إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ "(٣)

فقد ورد أسلوب الاستثناء والقصر المصدّر (بإنْ) في بداية الآيات قبل مجيء الانكار من الكافرين ، ومع ذلك فقد أفاد هذا الاستثناء قوّة هذا الانكار .

وقوله تعالى : " وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ "(٤) فقد جاء قوله تعالى : " إِنْ هذا إِلَّا اختلاق " تأكيدا وتقوية للنفي في قوله تعالى : " ما سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ " في الآية نفسها ، وإنّ هذا التأكيد والقوّة في معنى النفي ، ما كان ليوجد إلّا بوجود (إنْ) النافية في صدر جملة الاستثناء .

ولننظر إلى أسلوب الاستثناء والقصر المصدّر (بإنْ) النافية ، حيث أكّد هذا الأسلوب كذب المشركين ، وبطلان مزاعمهم ،ودحض أباطيلهم في قوله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا "(٥)

وبهذا فإنّ (إنْ) النافية تنفي مضمون الجملة ومعناها نفيا مشتملا على القوّة والتأكيد فيه ، ممّا يزيد بلاغته قوّة في النفي . ونحن نعي هذه القوّة في تأكيد النفي في قوله تعالى : "مَا لَهُم مِّنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا "(٦)

---

١. الملك / الآية ٢٠ ، ٢. سورة يس / الآية ٤٧
٣. الصافات / الآيات ١٥-١٨ ، ٤. سورة ص / الآيتان ٦ ، ٧ ،
٥. فاطر / الآية ٤٠ ،
٦. الكهف / الآية ٥ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : "مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ"(١)

كما وردت جملة الاستثناء والحصر المصدّرة (بإنْ) النافية ، تأكيداً للنفي في جملة منفية (بما) ممّا يثبت أنّ (إنْ) النافية أشدّ قوّة للنفي من (ما) في قوله تعالى: "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ"(٢) وقوله تعالى : "قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ"(٣) وقوله تعالى : "وما علّمناه الشّعر وما ينبغي له إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ"(٤)

كما أنّ جملة الاستثناء المصدّرة (بإن) النافية ، قد وردت بعد تقرير ، فزادته قوّة وتأكيداً ، كما في قوله تعالى : "إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً"(٥) فقد ورد أسلوب الاستثناء في الآية الكريمة مصدّراً (بإنْ) النافية بعد معان تفيد الإثبات والتقرير في قوله تعالى : "إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً إِنْ يَدْعُونَ ..... فكان لورود هذا الاستثناء المصدّر (بإنْ) النافية بعد هذه المعاني التي قرّرها ربُّ العزّة تقريراً لها وإثبات وتأكيد ، لأنّها معان تحدّد عقيدة المؤمن في موقفه من وحدانية اللّه - عزّ وجلّ - فكان لا بُدّ من تدخّل معاني البلاغة في تقريرها واثباتها وتوكيدها .

وقد يكون هذا الحكم المقرر والمثبت والمؤكّد باطلا ، ولكن المتكلّم يريد أن يثبت استيقانه ، على الرغم من بطلانه ، فيرد أسلوب الاستثناء المصدّر (بإنّ) في قوله تعالى : "إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فقال إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ"(٦)

إنّ ما ورد من القول قبل جملتي الاستثناء والحصر ، في وصف ذلك الكافر المعاند واصراره على كفره بهذا الأسلوب القرآني الرائع الذي تُصوّر كلّ كلمة فيه نفسية ذلك الكافر

---

١. يوسف / من الآية ٣١ ، ٢. سورة يس / الآيتان ٢٨ ، ٢٩ ،
٣. يونس / من الآية ١٥ ، ٤. سورة يس / الآية ٦٩ ،
٥. النساء / الآيتان ١١٦ ، ١١٧ ، ٦. المدّثر / الآيات من ١٨ - ٢٦ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومعاناته ، فأخرج الكذب والبهتان مخرج التقرير والتحقيق في قوله : " إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ " فجاء هذا الاسلوب الاستثنائي المصدّر (بإن) مقـــرّرا لكفره ، ومؤكّدا له ، ممّا جعل العقوبة موازية ومماثلة لهذا التقرير في الحكم ، في قولـه تعالى : " سَأُصْلِيهِ سَقَـــرَ "

وعلى ذلك فإنّ (إنْ) النافية تفيد القوّة في الحكم والتقرير والتأكيد ، سواء أكان ما قبلها منفيا أم مثبتا ، فإنْ كان منفيا تزيد معناه نفيا ، وإن كان مثبتا ، تزيد معنـــاه إثباتا وتقريرا وتأكيدا .

أمّا (ما) النافية ، فلم ترد في أسلوب الاستثناء والحصر إلاّ لمجرّد النفي البعيد عن القوة في تأكيده ، لأنّنا إذا أردنا التأكيد فيها أدخلنا الحروف الزائدة على المنفي بعدها ، فتفيد هذه الحروف الزائدة قوّة وتأكيدا . كقوله تعالى : " وَمَا رَبُّكَ بِظَـــلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ "(١) (فالباء) وَرَدَت للتوكيد في النّفي ، ويستحيل وضع (إلاّ) الاستثنائيـــة موضع (الباء) لأنّ المعنى ينعكس ويؤدّي ذلك إلى الخروج عن مقصده وهدفه ومرمـــاه ويدخلنا في دائرة الكفر بقولنا : وما ربّك إلا ظلاّم للعبيد . والعياذ بالله من ذلك .

أمّا إنْ وردت (إلاّ) الاستثنائية بعد (ما) النافية ، فلا يكون الاستثناء مؤدّيا في معناه إلى القوّة والتوكيد ، إلاّ إذا كان المخاطب منكرا الحكم إنكارا تاما ، ولكنّ هـــذا التوكيد في المعنى يتولّد عن (إلاّ) في السياق ، لا عن (ما) النافية ، كما في قوله تعالى : " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ "(٢) وقوله تعالى : " وَمَـــا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ "(٣) وقوله تعالى : " وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَـــا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ "(٤) وغير ذلك من الآيات الكريمة التي اشتملت على استثناء مصدّر (بمـــا) النافية .

ولنقرأ قوله تعالى : " فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ "(٥) فقد جاء النفي الأوّل " فما أرسلناك " جوابا للشرط ، ثم جاء النفي الثاني " إنْ عليك إلاّ البلاغُ " لزيادة تأكيد النفي الأوّل ، ولتقرير نتيجته .

---

١ . فصّلت / من الآية ٤٦ ، ٢ . المائدة / من الآيـــة ٧٣ .
٣ . الانعام / الآيـــة ٤٨ ، ٤ . المدّثر / الآيـــة ٣١ .
٥ . الشورى / الآيـــة ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممّا يؤكّد أنّ (إنْ) النافية ، تفيد القوّة في التأكيد والزيادة فيه ، عندما تتصدّر أسلوب الاستثناء ، ورودها بعد نفي مسبوق (بما) النافية في قوله تعالى : " يا صَاحِبَيِ السجن أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أم اللّهُ الواحِدُ القَهّارُ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إلاّ أَسْمَاءً سَمّيْتُمُوها أَنْتُمْ وآباؤُكُم ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطَانٍ إنِ الحُكْمُ إلاّ لِلّهِ أَمَرَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاه ذَلِكَ الدّينُ القَيِّمُ "(١) فقد ورد النفي الأوّل " ما تعبدون إلاّ أسماء سمّيتموها " لبيان حقيقة ما يعبدون ، وتوضيح تفاهته وزيفه ، ثم جاء قوله تعالى : " إنِ الحُكْمُ إلاّ لِلّهِ " لتقوية تأكيد هذا الحكم ، لأنّ الأمر - أوّلا وأخيرا - لِلّهِ وحده ، وإنّنا نلمس الفرق في قوّة النفي بين قوله تعالى : " ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إلاّ أَسْمَاءً سَمّيْتُمُوها " وبين قوله تعالى : " إنِ الحُكْمُ إلاّ لِلّهِ " ففي الثاني قوّة وقطع وحزم باستخدام (إنْ) النافية .

وبما أنّ (إنْ) النافية تفيد القوّة والقطع في الأمر والتأكيد ، فهي لا يخاطب بها إلاّ المنكر القوي في إنكاره ، أمّا (ما) النافية ، فإنّنا نُخاطب بها مراتب المخاطب جميعها سواء أكان ضربا ابتدائيا ، أم طلبيا ، أم إنكاريا ، ولهذا فإنّ (ما) النافية أكثر تصرّفا في الكلام ، وأكثر استخداما فيه ، من (إنْ) النافية ، لأنّها تخاطب في جميع مراتبه الإنكاريّة أما (إنْ) فلا تخاطب إلاّ المنكر ، شديد الانكار ، أو ما يسمّى بالضرب الانكاري .

ولعلّ هذا التوظيف اللغوي (لإن) ، يشهد على أنّ لكلّ من الأداتين : (إنْ) و(ما) مواضع خاصّة ، لا تصلح إحداهما مكان الأخرى ، إذا التزمنا الدقّة في نظم الكلم ، وتأليف الجمل وبنائها وصياغتها السليمة .

وهذا ما نلمسه بوضوح في قوله تعالى : " وَقَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الذينَ كَفَرُوا وكَذّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وأَتْرَفْنَاهُم في الحَياةِ الدُّنْيا ما هَذَا إلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إنّكُمْ إذاً لَخَاسِرُونَ أَيَعِدُكُمْ أَنّكُمْ إذا مِتُّمْ وكُنْتُمْ تُرَاباً وعِظَاماً أَنّكُم مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِما تُوعَدُونَ إنْ هِيَ إلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إنْ هُوَ إلاّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ "(٢)

نرى أنّ استخدام (إنْ) النافية في هذه الآيات الكريمة في صدر جملة الاستثناء

---

١. يوسف / الآيتان ٣٩ ، ٤٠ . ٢. المؤمنون / الآيات من ٣٣ - ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقصر ، زادت معنى النفي قوة وتأكيدا وشدّة ، لأنّها استخدمت في تقرير حكم ، وإن كان هذا الحكم في هذه الآيات الكريمة مصوّرا حال الكافرين ، لأنّهم في هذا الحكم ينطقون بما يعتقدون ويؤمنون ، وإنْ كان هذا الاعتقاد كفرا ، إلاّ أنّه بالنسبة إليهم قوي ، وإلاّ لما أصرّوا على كفرهم وعنادهم إصرارا شديدا ولهذا قالوا : " إِنْ هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ " وقالوا : " إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبا وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ "

ومن الجوانب البلاغية في نظم هذين القولين اللذين يصوّران عنادهم وكفرهم ، أن الجملتين الاستثنائيتين المصدّرتين (بإنْ) قد تليتا بجملة منفية (بما) النافية و(الباء) الزائدة في (بمبعوثين) و(بمؤمنين) ، وهذا التأكيد (بالباء) الزائدة بعد النفي ورد ليعادل النفي (بإنْ) في الجملة الأولى ، ولو كانت (إنْ) النافية تعادل في معنى النفي (ما) النافية ، لما احتاجت (ما) النافية إلى مؤكّد ، وهو (الباء) الزائدة ، ليعادل معنى التأكيد بين الجملتين المنفيتين في قوله تعالى : " إِنْ هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ " وقوله تعالى : " إِنْ هُوَإِلاّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ " أي أنّ (إنْ) النافية = في تأكيد النفي وتقويته وتقديره (ما) النافية + (الباء) الزائدة للتوكيد ، في خبرها ، ليتمّ التعادل المعنوي في النفي بين النظم في الجملتين .

ومن ذلك قوله تعالى : " إِنْ هَذَا إِلاّ خُلُقُ الأَوّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذّبِينَ " فمعنى النفي وقوّته في قوله : " إِنْ هَذَا إِلاّ خُلُقُ الأَوّلِينَ " معادل ومساوٍ لمعنى النفي وقوته في قوله : " وَمَا نَحْنُ بِمُعَذّبِينَ " على الرغم من وجود (الباء) الزائدة للتوكيد .

ومما يؤكّد ورود (إنْ) النافية في صدر جملة الاستثناء والقصر ، لتقوية التأكيد وإثباته ، أنّها وردت بعد قول الكافرين ، ليكون المعنى تأكيدا ثابتا قويا على كفرهم ، كما في قوله تعالى : " وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقّ لَمّا جَاءَهُمْ : إِنْ هَذَا إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ "(١) وقوله تعالى : " قَالَ الّذِينَ كَفَرُوا لِلّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ "(٢) وقوله تعالى : " قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدّونَا عَمّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا "(٣) وقوله تعالى : " إِنْ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلاّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ "(٤)

---

١ . سبأ / من الآية ٤٣ . ٢ . سورة يس / من الآية ٤٧ .
٣ . إبراهيم / من الآية ١٠ . ٤ . الدخان / الآية ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : "وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ"(١) وغـيـر ذلك من الآيات الكثيرة .

وهكذا فإنّ جملة الاستثناء والقصر المصدّرة (بإن) النافية ،تفيد تقوية التأكيد في معنى النفي ، وهذا المعنى القوي في النفي لا يتحقّق (لما) النافية التي لاتفيد إلّا النفي المطلق ، دون تقويته وتأكيده .

وقد عرفنا من خلال الآيات الكريمة التي استشهدنا بها أنّ (إنْ) تنفي الحكم على جهة التأكيد والتقوية ، حيث إنّها تدخل على جملة ذات مضمون متحقّق ، أو فـي حكم المتحقّق للمتكلّم ،لا للواقع والحقيقة ، كما هو الحال في الآيات التي وردت على لسان الكافرين . ودليل هذا التحقّق لدى المتكلّم ،أنّ جملة الاستثناء والقصر المصدّرة (بإنْ) النافية تسبق بما يوحي بالحكم أو يهيّء لوروده على صيغة التحقّق .

دخـول (لا) النافيـة على جملـة الاستثنـاء :

من دقائق النظم في أساليب الاستثناء والقصر في اللغة العربية ،إنّ جملة الاستثناء لا تتبعها (لا) النافية ، فيقول ابن السرّاج :" ولا ينسق على حروف الاستثناء (بلا) ، فلا تقول : قام القوم ليس زيدا ولا عمرا . ولا تقول : قام القوم غير زيد ولا عمرو والنفي في جميع العربية ينسق عليه (بلا) إلّا في الاستثناء"(٢)

وبهذا فإنّ ابن السرّاج يرى أنّ (لا) النافية العاطفة ، لا تتبع جملة الاستثناء دون أن يذكر السبب في ذلك ، أو يوضح الخطأ في النظم المترتّب من إتباع (لا) جملة الاستثناء .

ويقول عبد القاهر الجرجاني :" ونحن نرى أنّه لا يجوز أن تقول : إنّما زيد قائم لا قاعد . ولا نرى ذلك جائزا مع (ما) و (إلّا) إذ ليس من كلام الناس أن يقولوا : ما زيد إلّا قائم لا قاعد"(٣) .

---

١. هود / من الآية ٧ . ٢. الأصول في النحو: جـ١ ،ص ٣٠٥ ابن السرّاج .
٣. دلائل الإعجاز : ص ٢٤٤ ، عبد القاهر الجرجاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بيّن عبد القاهر الجرجاني السبب الناتج عن المعنى البلاغي ، في عدم جواز هذا النظم فقال : " فإنّ ذلك إنّما لم يجز من حيث إنّك إذا قلت : ما زيد إلاّ قائم فقد نفيت عنه كل صفة تنافي القيام ، وصرت كأنّك قلت : ليس هو بقاعد ولا مضطجع ولا متّكئ ، وهكذا حتى لا تدع صفة يخرج بها من القيام ، فإذا قلت بعد ذلك : لا قاعد . كنت نفيت بلا العاطفة شيئا قد بدأت فنفيته ، وهي موضوعة لأن تنفي بها ما بدأت فأوجبته لا لأن تفيد بها النفي في شيء قد نفيته ، ومن ثم لم يجز أن تقول : ما جاءني أحد لا زيد . بل كان الواجب إذا أردت ذلك أن تقول : ما جاءني أحد ولا زيد . فتجيء بـ (الواو) قبل (لا) . وإذ قد عرفت فساد أنْ تقول : ما زيد إلاّ قائم لا قاعد . فإنّك تعرف بذلك امتناع أنْ تقول : " ما جاءني إلاّ زيد لا عمرو . وما ضربت إلاّ زيدا لا عمرا ، وما شاكل ذلك . وذلك أنّك إذا قلت : ما جاءني إلاّ زيد . فقد نفيت أن يكون قد جاءك أحد غيره ، فإذا قلت : لا عمرو ، كنت قد طلبت أن تنفي (بلا) النافية العاطفة شيئا قد تقدّمت فنفيته ، وذلك خروج بها عن المعنى الذي وضعت له إلى خلافه "(١)

وقد اندرج هذا الحكم في عدم جواز عطف (لا) وما بعدها على جملة الاستثناء (بإلاّ) على (غير) كذلك . فقال عبد القاهر الجرجاني في ذلك : " واعلم أنّ حكم (غير) في جميع ما ذكرنا حكم (إلاّ) . فإذا قلت : ما جاءني غير زيد ، احتمل أن تريد نفي أن يكون قد جاء معه انسان آخر ، ولا يصح أن تقول : ما جاءني غير زيد لا عمرو ، كما لم يجز أن تقول : ما جاءني إلاّ زيد لا عمرو "(٢)

ولهذا فإنّ عبد القاهر الجرجاني يرى أنّه لا يصح أنْ يقال في قصر الموصوف على الصفة : ما خالد إلاّ شجاع لا كريم ، ولا في قصر الصفة على الموصوف : ما خالد إلاّ شجاع لا سعد . لأنه يرى أن شرط صحة النفي (بلا) ألاّ يكون ما قبلها منفيا بغيرها من أدوات النفي ، لأنّ (لا) في مثل قولنا : علي شاعر لا سعيد . استخدمها العرب كي يُنفى بها عن التابع ما أوجب للمتبوع ، لا أن يُكرّر بها النفي في شيء قد نُفي من قبل ، كما هو الحال في أسلوب الاستثناء المتبوع بها .

ولهذا لا يصح إدخال (لا) النافية في النظم بعد النفي والاستثناء ، وإلى هذا المعنى والقصد أشار السكّاكي بقوله : " فلا يصحّ أن تقول : ما زيد إلا قائم لا قاعد ولا : ما يقوم إلاّ زيد لا عمرو ، والسبب في ذلك هو أنّ (لا) النافية العاطفة ، من شرط

---

١. دلائل الاعجاز : ص ٢٤٤ ، عبد القاهر الجرجاني .
٢. المصدر السابق : ص ٢٤٥ ، عبد القاهر الجرجاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منفيها أن لا يكون منفيا قبلها بغيرها من كلمات النفي ، نحو : جاءني زيد لا عمرو، ونحو زيد قائم لا قاعد . ويمتنع تحقق شرطها هذا في منفيها ، إذا قلت : ما يقوم إلاّ زيد لا عمرو وما زيد إلا قائم لا قاعد "(١).

وقد ذكر شرف الدين الطّيبي هذه القاعدة ،وضرب الأمثلة نفسها التي ذكرها السكّاكي ،على عدم جواز إتباع (لا) النافية جملة الاستثناء والقصر ، فقال :" فلا يصحّ أن نقول : ما زيد إلاّ قائم لا قاعد ،ولا ما يقوم إلاّ زيد لا عمرو. وشرط نفي (لا) أن لا يكون منفيا قبلها بغيرها من كلمات النفي "(٢).

ومن الذين بحثوا في هذه المسألة ،القرافي إذْ علّل عدم جواز دخول (لا) النافية العاطفة على جملة الاستثناء المنفي تعليلا عقليا دقيقا قائما على المعنى المستفاد من الاستثناء فقال :" وظهر أن دلالة الاستثناء على النفي إنّما هي بطريق المفهوم من جهة دلالة العقل ،لا من الوضع اللغوي ،لأنّ دلالة الاستثناء تفيد الإخراج أكثر مما تفيد النفي ، فلمّا ضعف النفي في الاستثناء بعدم الصراحة ، امتنع العطف عليه بالنفي الصريح لأنّ المعطوف تبع وفرع ،والتبع والفرع لا يكون أقوى من أصله ،ولهذا فان العطف (بـلا) يعتمد إثباتا متقدما ، وإذا كان النفي ليس صريحا كما هو في الاستثناء ، كان الإثبات أيضا ليس صريحا ، فامتنع عطف (لا) النافية على الاستثناء لعدم تحقيق النفي الصريح في معناه "(٣).

ويمكننا أن نعلّل منع ورود (لا) النافية بعد جملة الاستثناء ،في أنّ النفي في الاستثناء ينصبّ على مستثنى منه عامّ لا خاصّ ،ولا محدّد ،ولا مخصوص ، فعندما نقول : ما نجح إلاّ محمد . فإنّ المعنى البلاغي المستفاد من النظم ، أنه ما نجح أحد إلاّ محمد . ولهذا فقد نفينا النجاح عن غير محمّد ، أمثال علي وخالد وسعيد وزيد ،وكل من غاير محمدا . ولهذا لا يجوز لنا أن نقول : ما نجح إلاّ محمد لا علي . وذلك لأنّنا نفينا النجاح عن علي أصلا ،في قولنا : ما نجح إلاّ محمّد . لأنّ عليا أحد الأفراد الذين انصبّ عليهم النفي على العموم ، وإن لم يُذكر اسمه .

---

١. مفتاح العلوم : ص ٢٩٣ ،السكّاكي .

٢. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص ١٢٦ ، شرف الدين الطيبي .

٣. انظر : الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٢٠٩ ،القرافي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبما أن (لا) النافية العاطفة وردت في النظم كي يُنفى بها الشيء ابتداء وصراحة ، لا أن يُنفى بها شيء قد نُفي من قبل بغيرها في السياق أو النظم ، فلا يصحّ أن نقول : ما نجح إلاّ محمد لا علي . لأنّ (علياً) قد نفي عنه وعن غيره النجاح في سياق الاستثناء ونظمه ، حيث إنّه داخل مع الذين لم ينجحوا ، لأنّ النجاح مقصور على محمد في هذا السياق ، أما غيره من الاشخاص فلم ينجحوا ، ومنهم (علي) وغيره من بني البشر.

وعلى ذلك فإنّ المعنى المستفاد من جملة الاستثناء أملى على النظم عدم جواز ذكر (لا) النافية العاطفة بعدها . فالنظم يخضع للمعنى ، وأنّ سلامة النظم قائم على سلامة المعنى ، ولا صحة للنظم إلاّ بصحّة المعنى وسلامته . ويقصد بالمعنى هنا : المعنى الذي يقتضيه المقام ، ويوجبه النظم والسياق الذي لا يمكن إهماله لأنّه وعاء المعنى ، فلا معنى بلا نظم أو سياق .

وبهذا فإنّ السياق والنظم يؤدّي إلى تحديد علاقات بين عناصر الجملة ، تؤكّد صحّة النظم ، واستقامة السياق إلى وضوح المعنى وبلاغته . فيقول عبد القاهر الجرجاني : " إنّ اللفظ تبع للمعنى في النظم ، وإن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس ، وإنّها لو خلت من معانيها حتى تتجرّد أصواتا وأصداء حروف ، لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم ، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل ، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك "(١)

وعلى ذلك فإنّ الألفاظ إنْ لم تترتب في النظم تبعا للمعاني في النفس تكون أصواتا لا معنى لها ، ويضيف عبد القاهر قائلا : " وإنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك ، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدم للمعاني ، وتابعة لها ولاحقة بها ، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدالّة عليها في النطق "(٢)

هذه هي صلة المعاني الداخليّة النفسيّة بالألفاظ ، إذ تترتّب هذه الألفاظ في النظم تبعا لترتّب المعاني في النفس ، وإلاّ كان النظم لا معنى له ، لأنّه مخالف لأسس البلاغة فيه ، كاشتماله على زيادة ، لا فائدة معنوية فيها ، كما في قولنا : ما حضر إلاّ زيد

---

١ . دلائل الإعجاز : ص ٤٥ ، عبد القاهر الجرجاني .
٢ . المصدر السابق : ص ٤٤ ، عبد القاهر الجرجاني .

Digitized by Arabic Digital Thesis Deposit Center of Thesis Deposit, Jordan University of Science & Technology, All Rights Reserved

لا عمرو . أو أن يكون في ترتيبها نشاز ونفور يؤدّي إلى غموض في المعنى ، وليس فيه كقولنا مثلا : ما عمرو إلاّ حضر زيد . فهذا نظم أدّى سوء الترتيب فيه إلى عدم اشتماله على معنى يفيد المخاطب ، لأنّه لم يخضع لأسس العربية وسننها وطرائقها في نظم الكلام المؤدّي إلى المعنى البلاغي الواضح المفهوم .

أو أن يشتمل النظم على حذف يؤدّي إلى تشويه النظم وغموض المعنى وليسه ، فيفقد غاية الفهم كقولنا : ما حضر إلاّ . فعلى الرغم من أنّ اللغة العربية لغة مقتضبه تقوم على الإضمار والحذف ، وأن من سمات بلاغتها الإيجاز بالحذف ، وأنّ العرب تحذف في كلامها ، مالم يستبب الحذف لبسا ، فإنّ هذا الحذف في قولنا المذكور ، يؤدّي إلى معنى ناقص ، وليس في الفهم ، لأنّه ليس خاضعا لأسس الحذف والإضمار في اللغة العربية في بناء النظم والسياق ، حيث إنّه لا بدّ من مراعاة تلك الأسس عندما يلجأ المنشئ إلى الحذف ليكون نظمه بليغا في مبناه ومعناه .

تقديم المستثنى في النظم :

تتشكّل أساليب الاستثناء في النظم تشكّلا كبيرا ، بأنماط عدّة ، ممّا يتيح للمتكلّم التفنّن في هذه الأساليب ، إذ تتقلّب الألفاظ فيها ، بين التقديم والتأخير ، في النظم لخدمة المعاني التي يعبر عنها المنشئ ، دون أن تسبب إشكالا في النظم ، أو غموضا في المعنى .

فيقول عبد القاهر الجرجاني : "إنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني ، فإنّها لا محالة ، تتبع المعاني في مواقعها ، فإذا وجب المعنى أن يكون أوّلا في النفس ، وجب للّفظ الدالّ عليه أن يكون مثله أوّلا في النطق"(١) .

ولهذا فإنّ تقليب الألفاظ في النظم وتشكيلها ما بين تقديم وتأخير ، خاضع للمعنى الداخلي في نفس المنشئ ، فتتشكّل تبعا لتشكّل المعاني في النفس ، تقديما وتأخيرا ، ومن هذا التقلّب والتشكّل في النظم ، تقديم المستثنى على المستثنى منه ، لغرض بلاغيّ لأنّ التقديم يدلّ على اهتمام المنشئ والمتكلّم بما يقدّمه ، ولأنّ العرب تقدّم في كلامها ما له أهميّة لدى المتكلّم أو المنشئ ، وهذا التقديم يرجع في أسبابه ، إلى عامل نفسي داخلي

---

١. دلائل الإعجاز : ص ٤٣ ، عبد القاهر الجرجاني .

أو عامل وجداني عاطفي ، أو عامل عقلي ذهني ، لدى المنشئ والمتكلم ، فيقول عبد القاهر الجرجاني في التقديم : " هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترّ لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك سمعه ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ، ولطف عندك أنْ قُدِّم فيه شيء ، وحُوِّل اللفظ عن مكانه إلى مكان "(١).

وعلى الرغم من أنّ سيبويه قد ذكر أنّ العرب تقدّم في كلامها الذي بيانه أهمّ لهم ، وهم بشأنه أعنى ، وإنْ كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم(٢) ، فإنّ عبد القاهر الجرجاني يرفض أن تكون هذه القاعدة صالحة لكل موطن ، تمّ فيه التقديم ، وإنّما ينطلق من نظرة بلاغية إلى هذه المسألة فيقول : " وقد وقع في ظنون الناس أنّه يكفي أن يقال : إنّه قُدِّم للعناية ولأنّ ذكره أهمّ ، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ؟ وبم كان أهمّ ؟ ولتخيّلهم ذلك صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم ، وهونوا الخطب فيه حتى إنّك لترى أكثرهم يرى تتبّعه والنظر فيه ضربا من التكلّف "(٣).

وبذلك فهو ينكر هذه القاعدة في سبب التقديم ، ويرى أنّ التقديم قائم لأسباب بلاغية ، لها علاقة بالنظم ، فقال : " لا جرم أنّ ذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة ، ومنعهم أن يعرفوا مقاديرها ، وصدوا أوجههم من الجهة التي هي فيها "(٤) ولهذا فهو يرى أنّ التفاوت في بلاغة النظم وجودته وإعجازه قائم على التقديم والتأخير ، فقال بعد أن رفض أن يكون تقديم الشيء هو لأهمّيته لدى المنشئ : " من أين كان نظم أشرف من نظم ؟ وبم عظم التفاوت واشتدّ التباين وترقّى الأمر إلى الإعجاز "(٥) ويستمر عبد القاهر الجرجاني في توضيح رأيه من مسألة التقديم ، ليثبت أنّ وراء التقديم معطيات بلاغية كثيرة ، وقد ضرب أمثلة من النظم على ذلك ، موضحا النكات البلاغية القائمة على التقديم ، وبخاصّة تقديم الأسماء أو الأفعال بعد همزة الاستفهام وأدوات النفي ، وتقديم الأسماء على الأفعال في أسلوب

---

١. دلائل الإعجاز : ص ٧٩ ، الجرجاني .
٢. كتاب سيبويه : جـ١ ، ص ٣٤ .
٣. دلائل الإعجاز : ص ٨١ ، الجرجاني .
٤. المصدر السابق : ص ٨١ ، الجرجاني .
٥. المصدر السابق : ص ٨١ ، الجرجاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستثناء كما في قوله تعالى : "إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا"(١) وقوله تعالى : "مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ"(٢).

وأضاف عبد القاهر الجرجاني قائلا : "إنّك إذا قلت : ما ضربت إلاّ زيدا . فيكون كلاما مستقيما . ولو قلت : ما أنا ضربت إلاّ زيدا . كان لغوا من القول ، وذلك لأنّ نقض النفي (بإلاّ) يقتضي أن تكون ضربت زيدا ، وتقديمك ضميرك (أنا) وإيلاؤه حرف نفي يقتضي نفي أن تكون ضربته ، فهما يتدافعان"(٣) ولهذا فقد أثّر تقديم الضمير (أنا) في المعنى ، لأنّ النظم والنّمط اللغوي قد تغيّر عن أسسه وطبيعته.

وقد استمر عبد القاهر الجرجاني في توضيح مسألة التقديم ، والآثار البلاغيّة التي يتركها في النظم ومعناه ، واستغرق ذلك عدّة صفحات من كتابه(٤).

ويجوز تقديم المستثنى في جملة الاستثناء على المستثنى منه ، كما في قولنا : ما في الدّار إلاّ أباك أحد . ومالي إلاّ أباك صديق . ونحو قولنا : من لي إلاّ أباك صديق ومن لي إلاّ أبوك صديقا ، أو من لي إلاّ أبوك صديق . وقولنا : ما جاءني إلاّ زيدا أحد وما مررت إلاّ زيدا بأحد .

فعلى الرغم من تقديم المستثنى على المستثنى منه إلاّ أنّ النظم في أسلوب الاستثناء بقي صرنا في خدمة المعنى "لأنّ الكلام إنّما يُراد لمعناه"(٥).

ويقول الإسنوي : "ويجوز بالاجماع تقديم المستثنى على المستثنى منه ، فتقول : قام إلاّ زيدا القوم . إذا علمت ذلك فيتفرّع على المسألة ما إذا قال : له علي إلاّ عشرة دراهم ألف درهم . ونحو ذلك . والصحيح فيه الصّحّة على وفق هذه القاعدة"(٦) أي إنّ الإسنوي يقرّ بصحّة تقديم المستثنى على المستثنى منه في نظم جملة الاستثناء.

---

١. إبراهيم / من الآية ١٠ .
٢. المؤمنون / من الآية ٢٤ .
٣. دلائل الإعجاز : ص ٩١ ، الجرجاني .
٤. المصدر السابق : ص ٩١ ، وما بعدها ، الجرجاني .
٥. المقتضب : جـ٤ ، ص ٤٠٠ ، المبرّد .
٦. الكوكب الدرّي : ص ٣٧٣ ، الإسنوي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومّما ورد من شواهد على جواز تقديم المستثنى على المستثنى منه في النظم، قول كعب بن مالك الأنصاري (- ٥٠ هـ) :

النَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا ... إِلاَّ السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ القَنَا وَزَرُ (١)

حيث قُدِّم المستثنى (السيوف) على المستثنى منه (وزر) لأنّ أصل الكلام : ليس وزر ولجأ نلجأ إليه إلاّ السيوف وأطراف القنا .

وقد ورد تقديم المستثنى على المستثنى منه ، في كثير من كلام العرب ،لأنّ تقديم المستثنى لا يضير المعنى ، ولا يؤدّي إلى لبس فيه ، ومنه قول الكُميت بن زيد الأسدي (- ١٢٦ هـ) :

فَمَالِيَ إِلاّ آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ ... وَمَالِيَ إِلاّ مَشْعَبَ الحَقِّ مَشْعَبُ (٢)

فقد تقدّم المستثنى (آل أحمد) و (مشعب) على المستثنى منه (شيعة) و(مشعب) ولعلّ تقديم المستثنى (آل أحمد) على المستثنى منه في بيت الكميت ،له علاقة نفسية ودينية ،لما لآل البيت من مقام عظيم لدى الشاعر المتشيّع لهم ، ولهذا انعكس هذا التقدير والحب الكبير لهم ، على تقديمهم في النظم ،لأنّ النفس تقدّم ما تحبّ وتفضّل .

وإلى جانب ذلك فإنّ هذا التقديم يزيد المعنى قوّة وبيانا ، ممّا يجعل هذا التقديم في النظم ،يخدم الموقف والمقام ومقتضى الحال . ولننظر إلى مايؤيّد هذا القول في أنّ المنشئ يقدّم من له علاقة وثيقة بالنفس ،أو من له أثر ديني أو اجتماعي ، ممّن يستوجب تقديمه ، قول الكُميت بن زيد :

وَمَالِيَ إِلاّ اللّهَ لا رَبَّ غَيْرُهُ ... وَمَالِيَ إِلاّ اللّهَ غَيْرَكَ نَاصِرُ (٣)

فإنّ تقديم لفظ الجلالة (الله) في البيت المشتمل على أسلوب الاستثناء ،أمر واجب دينياً ومعنوياً ،لأنّه لا يجوز أن يقول الشاعر:ومالي غيرك ناصر، ويلغي وجود الله سبحانه

---

١. انظر كتاب سيبويه : جـ١ ،ص ٣٣٦ . المقتضب: جـ٤ ،ص ٣٩٧ ،المبرّد . الإنصاف في مسائل الخلاف: جـ١ ،ص ٢٧٦ ،ابن الأنباري. شرح المفصّل :جـ٢ ،ص٧٩ ، ابن يعيش.

٢. انظر : الهاشميّات :ص ٣٦ ،أوضح المسالك: جـ٢ ،ص٦ ،وشرح شذور الذهب ص ٢٦٣ . وشرح قطر الندى وبل الصدى :ص ٢٤٦ ،ابن هشام . الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٢١٥ ، القرافي .

٣. انظر : ديوان الكميت : جـ١ ،ص ١٦٧ ،كتاب سيبويه :جـ٢ ،ص ٣٣٩ . المقتضب جـ٤ ،ص ٤٢٤ ،المبرّد . الجمل :ص ٢٣٤ ،الزجّاجي . شرح المفصّل :جـ٢ ،ص ٩٣ ابن يعيش .

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعالى - لأنه هو الناصر قبل كلّ شيء ، فوجب تقديمه في النظم تنزيها وتعظيما لجلال عظمته ، وهذا هو مطابقة المقال ، معنى وسياقا ، لمقتضى الحال ، الذي ميز هذا القول بالبلاغة الناشئة عن النظم وتقديم المستثنى فيه .

كما أنّ تقديم المستثنى في النظم على المستثنى منه ، لم يخرج في نظمه على قواعد النحو العربي ، ويجب فيه النصب على الاستثناء ، فيقول الرّماني : " فإذا قدّمت المستثنى على المستثنى منه ، نصب لا غير "(١)

على أنّ من العرب من يجوّز البدل ، مع التقديم في المستثنى ، فتقول : ما جاءني إلاّ زيداً أحد ، فيرفع على البدل ، مع تقديمه على المبدل منه لأنّ هذا التقديم ، التقرير به التأخير ، وإنْ كانت اللغة الفصيحة العالية النصب .(٢) ولكنّ جمهور النحويين يوجبون فيه النصب على الاستثناء ، في لغة عامّة العرب ، ورفضوا فيه الإتباع على البدلية ، لأنّ البدل لا يتقدّم على المبدل منه ، حيث إنّ البدل تابع ، ورتبة التابع تكون بعد رتبة المتبوع .(٣)

وإنّ للتقديم والتأخير في جملة الاستثناء أثرا في المعنى ، فيقول ابن الأثير في باب التقديم والتأخير : " وهذا باب عريض يشتمل على أسرار دقيقة ، وهو ضربان : الأوّل يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ، ولو أخّر المقدّم أو قدّم المؤخّر ، لتغيّر المعنى . والثاني : يختص بدرجة التقدّم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ، ولو أخّر لما تغيّر المعنى . فأمّا الضرب الأول ، فإنّه ينقسم إلى قسمين : أحدهما : يكون التقديم فيه هو الأبلغ ، والآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ ، فأمّا القسم الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ ، فكتقديم الاستثناء على العامل "(٤)

ولذا فإنّ تقديم المستثنى في النظم على المستثنى منه يكون أبلغ ، إذا تطلّب المقام ذلك . ويرى ابن الأثير أنّ التقديم يكون على وجهين : أحدهما : الاختصاص ومنه تقديم المستثنى على المستثنى منه ، والآخر : مراعاة نظم الكلام وذلك أنْ يكون نظمه

---

١ . معاني الحروف : ص ١٢٧ ، الرّماني .
٢ . الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ، ص ٢٧٧ ، ابن الانباري .
٣ . المصدر السابق : جـ١ ، ص ٢٧٥ ، ابن الأنباري .
٤ . المثل السائر : جـ٢ ، ص ٢١٦ ، ابن الاثير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يحسن إلاّ بالتقديم ، وإذا أُخّر المقدّم ،ذهب ذلك الحسن ، نحو قوله تعالى : "إيّاك نعبد وإيّاك نستعين" (١) لأنّه لو قال : نعبدك ونستعينك ،لم يكن له من الحسن ما لقوله: إياك نعبد وإياك نستعين ،لمراعاة حسن النظم السجعي لما مضى من الآيات ،الذي هو حرف النون ، ولو قال : نعبدك ونستعينك ،لذهبت تلك الطلاوة ،وزال ذلك الحسن (٢) .

وبعد أن أوضح ابن الأثير أثر التقديم في بلاغة المعنى ، قال : وأما الاستثناء فجار هذا المجرى ،نحو قولك : ما قام إلاّ زيدا أحد ،وما قام أحد إلاّ زيداً .وقد ذكر أنّ التقديم قد يؤدّي إلى المغالطة المعنوية ،أي إلى اضطراب المعنى ، ومن ذلك ما له علاقة بالاستثناء ،قول الفرزدق ، همام بن غالب (-١١٠هـ) :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النّاسِ إلاّ مُمَلّكاً أبو أُمّهِ حَيّ أبوه يُقَارِبُهُ (٣)

ومعنى هذا البيت وما مثله في الناس حي يقاربه إلاّ مملّكا أبو أمه أبوه ،فقد أدّى تقديم المستثنى في هذا البيت إلى التعقيد ، كما هو واضح .

ويرى ابن الأثير أنّ التقديم الذي يؤدّي إلى الاختصاص لا حصر له ، ومنه قولنا : ما قام إلاّ زيداً أحد. (٤) وقد عقّب ابن أبي الحديد ،عبد الحميد بن هبة الله (-٦٥٥هـ) على كلام ابن الاثير ،فقال :"لَعَمْري إنّ قولك :ما قام إلاّ زيدا أحد . يدلّ على اختصاص زيد بالكلام ،لا لأجل تقديمه على الفاعل بل لأجل الاستثناء الذي يدلّ على إخراجه ممّا حكم به على غيره ، فلولا اختصاصه بذلك لبطلت فائدة الاستثناء" (٥)

ولعلّ إحدى طرق القصر في نظم الاستثناء ،التقديم ،أي تقديم ما حقّه التأخير لغرض بلاغي ،إذْ إنّ المقصور عليه يؤخّر مع كلمة الاستثناء عن المقصور ، فاعلا كان أو مفعولا ، أو غيرهما كقول لبيد بن ربيعة :

لَوْ خُيِّرَ المُنْبَرُ فِي شَأْنِهِ مَا اخْتَارَ إلاّ مِنْكُمُ فَارِسَاً

وندر تقديم المقصور عليه والأداة على المقصور ،نحو :

فَلَمْ يَدْرِ إلاّ اللّهُ مَا هَيّجَتْ لَنَا عَشِيّةَ لاقَيْنا جُذاماً وَحِمْيَرا

---

١. الفاتحة / الآية ٤ ٢. المثل السائر: جـ٢ ،ص ٢١٨ ،ابن الاثير .
٣. ديوان الفرزدق : جـ١ ،ص ١٠٨ ٤. انظر: المثل السائر: جـ٢ ،ص٢٢٦ ،ص٢٣٢ ،ابن الأثير .
٥. الفلك الدائر على المثل السائر : ص٢٦٢ ،ابن أبي الحديد .

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنّما كان ذلك نادرا لاستلزام قصر الصفة على الموصوف ، قبل تمامها (١) .

ويجوز على قلّة تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء على المقصور حال كون المقصور عليه والأداة بحسبهما ، وهو أن تكون الأداة متقدّمة على المقصور عليه ، والمقصور عليه يليها ، نحو : ما ضرب إلاّ عمرا زيد . في قصر الفاعل على المفعول . والتقدير : ما ضرب زيد إلاّ عمرا ، ومنه قول الشاعر :

لا أشتهي يا قوم إلاّ كارها ... بابَ الأمير ولا دِفاعَ الحاجبِ (٢)

أي : لا أشتهي يا قوم باب الأمير ولا دفاع الحاجب إلاّ كارها .

ومنه قول الشاعر :

كأنْ لم يمتْ حيٌّ سواكَ ولم تُقَمْ ... على أحدٍ إلاّ عليكَ النّوائحُ (٣)

أي لم تُقَم النوائح على أحد إلاّ عليك .

وبهذا فإنّ تقديم المستثنى على المستثنى منه في النظم ، يخدم المعنى البلاغي والنفسي والديني والاجتماعي ، دون أن يخرج على قواعد اللغة في النظم وسننها وطرائقها .

وأن هذا التقديم يُحدث تغييرا معنويا في النمط والسياق ، ينعكس عن مشاعر المنشئ وأحاسيسه وعلاقته بالمخاطب ، ومقتضى الحال الذي نُظم فيه الكلام . وهذه العوامل جميعها ، مؤثّرات ضاغطة على النظم ، وما يكتنفه من تقويم وتأخير في تركيب الكلام وترتيبه .

تقديم أدوات الاستثناء في النظم :

من الأمور التي تدلّ على مرونة النظم في أسلوب الاستثناء ، تقديم أدواته ، فتتصدّر هذه الأدوات جملة الاستثناء .

وعلى الرغم من أنّ تقديم هذه الأدوات في جملة الاستثناء ، مسألة خلافية بين النحويين ، إذ ذهب الكوفيون إلى أنّه يجوز تقديم أدوات الاستثناء في أوّل الكلام ، نحو قولنا : إلاّ طعامك ما أكل زيد . حيث نصّ عليه الكسائي والزجّاج ، وجوّزوا هذا التقديم ، إلاّ أنّ

---

١ . شرح عقود الجُمان : ص ٤٧ ، السيوطي .
٢ . المصدر السابق : ص ٢٢١ ، السيوطي .
٣ . المصدر السابق : ص ٢٢١ ، السيوطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البصريين ، ذهبوا إلى أنّه لا يجوز ذلك ، لأنّ أداة الاستثناء في المعنى ،بمثابة العطف (بلا) النافية ، وتقديم المعطوف ممتنع .(١)

وقد أعتمد الكوفيون في إثبات رأيهم وتأييده ،إلى أنّ العرب قد استعملته مقدّما في الكلام والنظم ، كما في قول أبي زيد الطائي ،الحارث بن عمرو الطائي (- ١١٢هـ)

خَلَا أنّ العِتَاقَ مِنَ المَطَايَا حسن بِهِ فَهُنّ إليه شُوسُ (٢)

حيث قدم الشاعر أداة الاستثناء (خَلَا) في أوّل الكلام والنظم ،وهذا دليل على جواز تقديم أداة الاستثناء ،في أول النظم والكلام ،في جملة الاستثناء ،ونظيره قول الاخطل التغلبي :

خَلَا اللّهِ لا أرْجُو سِوَاكَ وإنّما أعُدُّ عِيالِي شُعْبَةً مِنْ عِيالِكَا (٣)

حيث قدّم الاخطل أداة الاستثناء (خلا) في صدر الجملة ،وقول العجاج ،عبد الله رؤبة (- ٩٠ هـ) :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِها طُوريّ
وَلَا خَلَا الجِنّ بِها إنسِيّ (٤)

إذ قدّم العجاج أداة الاستثناء (خلا) على جملة الاستثناء ،حيث إنّ أصل الجملة : ولا بها أنسيّ خلا الجنّ .

وهكذا فعلى الرغم من معارضة النحويين البصريين لتقديم الاداة على جملة الاستثناء ، إلاّ أن النظم يبقى مستقيما معنى ومبنى مع هذا التقديم ،إذْ لا لبس يكتنف المعنى ولا اعوجاج يصيب النظم ، حيث إنّ سلامته تبقى قائمة مع تقديم هذه الادوات .

ولكنّ الذي يسترعي الانتباه أنّ هذه الشواهد الثلاثة جميعها ، اقتصرت على (خلا) دون سائر أدوات الاستثناء الأخرى ،وبخاصّة أمّ هذه الادوات جميعها ،وهي (إلاّ) إذْ لم ترد في أي شاهد شعري أو نثري في كتب النحويين ولكنّ الكوفيين أوردوها مقدّمة في مثال مصنوع ،كما في قولهم : إلاّ طعامك ما أكل زيد .(٥) وهذا يدل على أن جمهور

---

١. الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ،ص ٢٧٣ ،ابن الانباري .
٢. ديوان أبي زيد الطائي : ص ٩٨ ،وورد البيت شاهدا في الإنصاف: جـ١ ،ص٢٧٣ ابن الانباري ،مجاز القرآن : جـ٢ ،ص ٢٨ ،ابو عبيدة . الخصائص: جـ٢ ،ص ٤٣٨ ، ابن جنّي . مجالس ثعلب : ص ٤٨٦ .
٣. ديوان الاخطل : ص ٢١٣ ،الخصائص: جـ٣ ،ص ١٧٦ ،ابن جني .
٤. ديوان العجاج : ص ٣١٩ . الإنصاف في مسائل الخلاف: جـ١ ،ص ٢٧٤ ابن الأنباري .
٥. الإنصاف في مسائل الخلاف : جـ١ ،ص ٢٧٣ ،ابن الأنباري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمهور النحويين والبصريين رفضوا قبول تقدّم (إلاّ) في صدر جملة الاستثناء ،لأنّها لم ترد في كلام العرب المستشهد بـه ،وأمّا ورود (خلا) في صدر جملة الاستثناء ،فقد عـدّوه ضرورة.(١)

أمّا إذا نظرنا إلى المسألة من حيث استقامة المعنى وسلامة النظم والسياق ، فإنّه يبدو أنّ تقديم (خلا) في النظم يخدم المعنى بتقريبه من اذن المخاطب ونفسه ،لأنّ هـذا التقديم يفيد تأكيد المعنى وتقويته وتقريبه للمخاطب ، ممّا يدلّ على جواز هذا التقديم.

ولوانطلق اللغويون والنحويون في نظرتهم إلى صحّة النظم من خلال خدمتـه للمعنى في توضيحه أوتوكيده أو إظهاره ،أوتقريبه لنفس المخاطب ،لما اختلفوا في جـوازه أوصحّته ،لأنّ الاصل في النظم أن يخدم المعنى في التعبير عنه ، فإذا قام بهذه المهمّـة خير قيام ،لا لبس فيه ولا غموض ولا اعوجاج ،على أي وجه عُرض من تقديم أوتأخير ،كان مقبولاً.

أمّا إذا كان التقديم أو التأخير في الكلم ، يؤدّي إلى اعوجاج في النظـم ، وخروج على سنن العربية وأسسها في تعليق الالفاظ وربطها ، أو يؤدّي إلى غموض في المعنى وليس فيه ، فهو مرفوض ،لعدم جوازه ،كقولنا في الشطر الأوّل للبيت الذي مـضى :

خَلاَ اللّهِ لا أرجُو سِواكَ وإنّمـا

خـلا وانما لا اللـه سـواك أرجو

فهذا النظم لا معنى له ،ولا فائدة ،ولذلك فهو باطل مبنى ومعنى ، لأنّ تعليق الالـفاظ بعضها ببعض فيه ليست قائمة وفق سنن العربية وقواعدها ، وطرائقها وأساليبـهـا فجـاء مفرّغا من أي معنى يفيد المخاطب.

أمّا (غير) ، فإنّ في تقديمها في النظم من الأسرار البلاغية الشيء الكثـير لأنّه من دقائق النظم وأسراره في اللغة ،وسحر البلاغة فيه ،أنّنا نعمد إلى جملة ، فنقـدّم منها كلمة ،فيفيدنا هذا التقديم معنى جديدا ،لا نلمسه لو بقيت تلك الكلمة في موضعهـا دون تقديم.

ولننظر إلى تقديم (غير) حيث إنّها إذا استعملت مسندا إليه مقصودا بها الكناية من غير تعريض ،كقولنا : مثلك يرعى الودّ ،وغيرك لا يجود . على معنى : أنت تجود . مـن

١. الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٢١٣ ،القرافي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اطلاق الملزوم ،وارادة اللازم . أي إنّنا إذا قلنا : غيرك لا يجود . فقد نفينا صفة الجـــود والكرم عن كلّ شخص ما عدا المخاطب .

وبما أنّ الجود صفة ،وهي تلازم موصوفاً فتقتضي مقاما ومحلا ومكانا تقوم بـــــه ، وهذا المقام والمحل لا يخرج عن أمرين هما: المخاطب ،وغيره من الناس وبني البشر. فـإذا نفينا هذه الصفة عن الثاني (الناس وبني البشر) فإنّها تلزم الاوّل (المخاطب) المقصود وبذلك فقد الزمنا الجود للمخاطب ،وخصّصناه به ،ونفيناه عمّا سواه من البشر والناس، ولذلك نثبت صفة الجود للمخاطب .

ولعلّ هذا المعنى البلاغي الدّقيق لا يمكن تحقيقه إلاّ إذا قدّمنا (غير) فـــي النظم ،وهذا التقديم يفيد تقوية الحكم وتقريره وتـأكيده وتخصيصه ،وبذلك يحقق المنشئ الغرض المقصود ،في خدمة المعنى النفسي الداخلي ،الذي يودّ عرضه وتقديره وتأكيـــده وإثباته وتخصيصه . وإقناع المخاطب به .

ولهذا فقد قال المتنبي ،أحمد بن الحسين (- ٣٥٤ هـ) :

غيري بأكثر هذا الناس ينخـدع إنْ قاتلوا جبنوا او حدّثوا شجُعُوا(١)

فقدّم (غير) لأنّه لم يرد أن يُعرّض بواحد كان هناك ، فيستنقصه ويصفه بأنه ضعيف يُفسرّ ويُخدع ، ولكنّه لم يرد إلاّ أن يقول : إنّي لست ممّن ينخدع ويغترّ، وقد خدم تقديم (غير) في النظم هذا المعنى وقرّره ،وجعله قريبا من أذن السامع وعقله ونفسه .

وكذلك لم يرد أبو تمّام ،حبيب بن أوس الطائي (- ٢٣١هـ) بقوله :

وغَيْري يَأكُلُ المَعْرُوفَ سُحْتـاً وتَشْحُبُ عِنْدَهُ بِيضُ الأيـــادِي(٢)

أن يعرّض - مثلا - بشاعر سواه ، فيزعم أن الذي قرف به عند الممدوح من أنّه هجاه ،كـــان من ذلك الشاعر ، لامنه ،هذا محال ، بل ليس إلاّ أنّه نفى عن نفسه أن يكون ممّن يكفـــر

---

١. ديوان المتنبي : جـ٣ ، ص (٤٥ ،من قصيدة وصف فيها الوقعة التي كانت على المسلمين بالقرب من بحيرة الحدث .

٢. ديوان أبي تمّام : جـ١ ،ص ٣٧٧ ،من قصيدة يمدح فيها القاضي أحمد بن داود ويعتذر إليه بها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنعمة ويلؤم .[١] وأن تقرير هذا المعنى لا يمكن أن يتحقّق إلّا بتقديم (غير) في النظم .

فيقول عبد القاهر الجرجاني : " واستعمال (غير) على هذا السبيل شيء مركوز في الطباع ، وهو جار في عادة كل قوم ، فأنت الآن إذا تصفّحت الكلام وجدت هذا الاسم تقدّم أبدا على الفعل إذا نُحي به هذا النحو ، وترى هذا المعنى لا يستقيم فيه إذا لم يقدّم . أفلا ترى أنّك لو قلت : ينخدع غيري بأكثر هذا الناس ويأكل غيري المعروف سحتا ؟ رأيت كلاما مقلوبا عن جهته ومغيّرا عن صورته ، ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه "[٢]

وعلى ذلك فعبد القاهر الجرجاني يرى أنّ عدم تقديم (غير) في البيتين المذكورين يجعل الكلام مقلوبا لأنّ الشاعرين لم يقصدا هذا المعنى الذي يُفهم من النظم الذي لم تتقدّم (غير) فيه . ولهذا فإنّ المخاطب يأباه ولا يرضاه ، بسبب وضع (غير) في النظم ، في غير مكانها الذي يخدم المعنى المقصود ، وبما أنّ الهدف الأوّل للشاعر أن يَنفي عن نفسه الصفات السيئة فلزم تقديم غير في النظم لعامل نفسي اجتماعي ، يلازم الشاعر ، ويلحّ عليه ، فجاء ترتيب الكلم ، بتقديم (غير) معبرا عن هذا العامل النفسي الاجتماعي المتولّد لدى الشاعر .

فكان لهذا التقديم ميزة بلاغيّة ، لا تتحقّق إلّا به من حيث تقرير المعنى وتحقيقه وتأكيده وأثباته وتخصيصه .

أمّا في آي الذكر الحكيم فقد وردت (غير) في صدر جملة الاستثناء ، مقدّمة في النظم ، لأمر بلاغي فرضه الله - سبحانه وتعالى - وهو أن يؤدّي الإنكار في الآيات الكريمة ، إلى الإحالة والمنع والرفض ، كما في قوله تعالى : " أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ "[٣]

---

١. دلائل الإعجاز : ص ١٠٠ ، عبد القاهر الجرجاني .
٢. دلائل الإعجاز : ص ١٠٠ ، عبد القاهر الجرجاني .
٣. آل عمران / من الآية ٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ تقديم (غير) في هذه الآية الكريمة أفاد معنىً بلاغياً يخدم المقام ، ومقتضى الحال ، وهو معنى الإنكار الشديد ، الذي يؤدّي إلى الإحالة والمنع والرفض لموقفهم من دين الله ، لأنّهم قالوا للرسول - صلّى الله عليه وسلّم - " واللّهِ لا نَأْخُذَ بدِينِكَ "[1] أي إنّ الله - سبحانه وتعالى - ينكر عليهم بشدّة موقفهم من الاسلام ، ورفضهم له .

وقوله تعالى : " قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ "[2] حيث أدّى تقديم (غير) إلى معنى بلاغي ، يفيد الإنكار الشديد الذي ردّ فيه النبي - صلّى الله عليه وسلّم - على المشركين الذين قالوا له - صلّى الله عليه وسلّم - : " لَقَدْ تَرَكْتَ يا محمّد مِلّة قومك ، وقد علمنا أنّه لا يحملك على ذلك إلاّ الفقر ، فارجع ، فإنّا نجمع لك من أموالنا حتّى تكون من أغنانا "[3] .

فَنَزَلَت الآية الكريمة بهذا النظم الذي تقدمت فيه (غير) لتفيد قوّة الانكسار وشدّته ، وأن هذا المعنى البلاغي ، لم يكن ليتحقّق ، لولا تقديم (غير) في الآية الكريمة.

وقوله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ "[4] فقد أنكر الله - سبحانه وتعالى - عليهم أن يدعو غيره لانقاذهم من العذاب ، وهل ينقذ من العذاب إلاّ هو - سبحانه وتعالى - ؟ فقدّمت (غير) للإنكار الشديد عليهم ، لأنّهم لو كانوا صادقين فسيدعون الله - سبحانه وتعالى - ولكنّهم ليسوا بصادقين .

وقوله تعالى : " قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ "[5] فقد أفاد تقديم

---

١ . انظر : روح المعاني : المجلّد الثاني . جـ٣ ، ص ٢١٣ ، الآلوسي .
٢ . الأنعام / من الآية ١٤ .
٣ . انظر : روح المعاني : المجلّد الرابع . جـ٧ ، ص ١٠٩ ، الآلوسي .
٤ . الأنعام / الآية ٤٠ .
٥ . الأنعام / من الآية ١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(غير) في الآية الكريمة ،الإنكار الشديد ، لمن يتخذ غير الله له رباً .

ولعلّ المتمعّن في النظم ،يعي أنّ تقديم (غير) يفيد مفاجأة المخاطب بهذا الانكار ، ممّا يزيده قوة أكثر مما لو كانت (غير) ليست مقدّمة في النظم . وأنّ مواجهة المخاطب بها ،بعد تنبيهه (بقُلْ) يزيد عنصر المفاجأة لديه ،ممّا يجعله يقف مشدوهاً أمام المعنى البلاغي الذي يحمله تقديمها في الآية الكريمة ، ولنقرأ هذه الآية التي تثبت ما ذهبنا إليه في قوله تعالى :" قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ "(١)

فتقديم (غير) في الآية الكريمة ، ومواجهتهم بها مباشرة في النظم ،أفاد معنى بلاغيا أدّى إلى الإنكار الشديد لأنْ يتّخذوا إلها غير الله ، وهو -سبحانه وتعالى - قد فضّلهم على العالمين .

وقوله تعالى :" وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وله ما في السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ "(٢) ففي قوله تعالى : " أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ " بتقديم (غير) في النظم ،يُنكر عليهم ربُّ العزّة إنكارا شديدا ،بعد أن حذّرهم من أنْ يتّخذوا إلهين اثنين ، وبيّن أنّه لا إله إلاّ هُوَ مالك السماوات والارض، ولعلّ هذا الإنكار الشديد ، تولّد من تقديم (غير) .

وقوله تعالى :" قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ "(٣) فقدّمت (غير) في الآية الكريمة على النداء والفعل ،وقد أفاد هذا التقديم الإنكار والإحالة والرفض ، في أن يُعبد غير الله -سبحانه وتعالى - واصفا إيّاهم بالجهل ، لأنّهم أمروا بأمر منكر ، وهو الكفر والإلحاد والشرك بالله .

ويقول عبد القاهر الجرجاني في تقديم (غير) في السياق والنظم :" وكان له من الحسن والمزيّة والفخامة ما تعلم أنه لا يكون لو أُخّر "(٤)

---

١. الأعراف / من الآية ١٤٠ . ٢. النحل / الآيتان ٥١ ، ٥٢ .

٣. الزُّمر / الآية ٦٤

٤. دلائل الاعجاز : ص ٨٩ ،عبد القاهر الجرجاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا عن تقديم أدوات الاستثناء الأخرى ، فإنّ (سوى) ينطبق عليها ما ينطبق على (غير) ، وبخاصّة في الأساليب الحديثة ، إذ يقول محمود سامي البارودي (- ١٩٠٤ م) :

سِواي بِتَحْنَانِ الأَغَارِيدِ يَطْرَبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَّاتِ يَلْهُو وَيَلْعَبُ (١)

وبهذا فإنّ تقديم أدوات الاستثناء في النظم ، على المستثنى منه خاضع لاعتبارات معنوية لدى المنشىء ، كما أنّه خاضع لمقتضى الحال الذي أنشىء فيه الكلام ، فقد ورد بعضها مقدّما في الاستعمالات اللغوية ، ولم يرد بعضها الآخر ، ومقياس ذلك كلّه ومعياره سلامة النظم ، وحمله للمعنى المقصود الذي عبّر عنه المنشىء بكل وضوح ، لا لبس فيه ولا غموض ولا التواء .

وقد لمسنا من خلال الأمثلة المعروضة على تقديم أدوات الاستثناء ، أن لا تقديم إلاّ لمعنى بلاغي متعلّق بذات المتكلّم أو المنشىء ، ليوصله إلى المخاطب فيؤثّر فيه ، ولم يكن التقديم في نظم الكلام خبط عشواء ، دون هدف .

الجمع بين أداتي استثناء في النظم :

يلعب المعنى دورا رئيسيا ، في مسألة الجمع بين أداتي استثناء في النظم ، عند صياغة أسلوب الاستثناء ، لأنّ المنع والجواز ، يتعلّقان بما تؤدّيه الأداة من معنى خاص ، وما يؤدّيه السياق من معنى عام .

ولهذا فقد صرّح ابن السرّاج ، أنه لا يجوز أن نجمع بين أداتين من أدوات الاستثناء في جملة واحدة ، إلاّ أنْ تكون الأداة الثانية اسما ، نحو قولنا : قام القوم إلاّ خلا زيدا . فهذا لا يجوز أن تجمع فيه بين (إلاّ) و(خلا) . فإذا قلنا : قام القوم إلاّ ما خلا زيدا . أو إلاّ ما عدا زيدا . جاز ، لأنّ (ما) مصدرية ، فهي وما بعدها في تأويل الاسم ، لأنّه مصدر . ولهذا فلا يجوز أن نقول : قام القوم إلاّ حاشا زيدا ، لعدم دخول

---

١ - ديوان البارودي : جـ١ ، ص ١٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ما) عليها . في حين يجيز الكسائي ذلك إذا خفض (بحاشا)[١] .

فصحّة وجواز تتابع أداتي استثناء في نظم وسياق واحد ، يخضع لسلامة المعنى المستفاد من استعمالها ، لأنّ ما يصيب النظم من خلل، يرجع ويخضع لما في المعنى من اعوجاج وغموض وتعمية ولبس ، لأنّ الأمر متداخل بين سلامة النظم ، وصحّة المعنى ، فكلّ منهما يؤثّر في الآخر .

وبما أنّ تعليق الالفاظ بعضها ببعض ، وتتابعها ، وبخاصّة بين أداتي الاستثناء في النظم ، قائم على قواعد لغويّة سليمة ، خاضعة لقوانين اللغة العربية في ترتيب الفاظها ، ونظمها وتنسيقها وربطها في السياق وليست خارجة على قواعد النحو ومعانيه ومعطياته وأسسه وقوانينه ، وتخدم المعنى الذي يعبّر عنه المتكلّم ، أو المنشئ ، فيكون هذا المعنى واضحا ، ومفهوما لدى المخاطب ، فإنّ النظم يكون سليما .

أمّا إذا أدّى الجمع بين أداتين من أدوات الاستثناء في النظم والسياق إلى لبس في المعنى وغموض فيه ، وخطأ في قواعد النحو ، وخرج النظم على سنن العربية وطرائقها فإنّ الجمع بين الأداتين ، يكون مرفوضا ، وغير مقبول البتّة .

ولهذا فإنّ توالي (إلاّ) و(خلا) وتتابعهما في النظم والسياق جائز ، لأنّه لا يخالف القواعد اللغوية والنحوية ، ويتسق مع نظم العربية وسننها ، فلا يضير النظم ، ولا يسيء إلى المعنى ، سواء أكانت (خلا) أو (عدا) مسبوقتين (بما) المصدرية ، أم لا فيمكن لنا أن نقول: قام القوم إلاّ خلا زيداً ، أو إلاّ عدا زيدا . وقام القوم إلاّ ما خلا زيدا أو إلا ما عدا زيدا . لأنّ (خلا) و(عدا) في الجملة الأولى فعل ، حيث نصب المستثنى بعدها . أمّا في الجملة الثانية فيمكن تأويلها بمصدر لدخول (ما) المصدريّة عليهما .

ولا جدال في دخول (إلاّ) على الأفعال أو الاسماء ، لأن ذلك جائز ، لا بل لا يجوز فيها إلاّ ذلك ، كما في قوله تعالى : " وإنْ مِنْ أُمّةٍ إلاّ خَلا فِيها نَذِيرٌ "[٢] فقد دخلت (إلاّ) الاستثنائية على (خَلا) الفعليّة ، كما تدخل على غيرها من الأفعال ، في قوله

---

١ . انظر : الأصول في النحو : جـ١ ، ص٣٠٣ ، ابن السرّاج . الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص١٤٢ ، القرافي .

٢ . فاطر / من الآية ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى : "وَما أَرْسَلْنا في قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلّا أَخَذْنا أَهْلَها بِالبَأْساءِ والضَّرّاءِ لعلّهم يَضَّرَّعُونَ"(١) فقد دخلت (إلّا) في الآية الكريمة على الفعل (أخذ) . وقوله تعالى : "إِنْ نَقُولُ إِلّا اعتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ"(٢) حيث دخلت (إلّا) الاستثنائية على الفعل (اعترى) .

أمّا دخول (إلّا) الاستثنائية على الاسماء ، فلا حاجة إلى الاستشهاد عليه لكثرته في النظم ، فهو الأصل ، والأصل لا يحتاج إلى ما يثبته .

وعلى ذلك فيمكننا أن نقول : سواء أكانت (خلا) فعلا ، أم أوّلت باسم عند دخول (ما) المصدرية عليها ، فيجوز الجمع بينها وبين (إلّا) ، وأما إذا كانت (خلا) في النظم والسياق حرفا ، فلا يجوز الجمع بينها وبين (إلّا) ، لأنّه لا يجوز الجمع بين حرفين في النظم العربي الموافق لسنن العربيّة وقواعدها ، إلّا إن دلّت على توكيد ، كقولنا : قام القوم إلّا خلا زيد . فقد وردت (خلا) بعد (إلّا) في النظم ، لغرض بلاغي ، وهو تأكيد الاستثناء بأداتين ، وما ينطبق على (خلا) في هذه المسألة ، ينطبق على (عدا) سواء أكانت فعلا أم مؤوّلة باسم ، عند دخول (ما) المصدرية عليها ، أم حرفا .

أمّا (حاشا) فإن عددناها فعلا ، فيجوز دخول (إلّا) عليها . أمّا إذا عددناها حرف جر فلا يجوز دخول (إلّا) عليها ، لأنّ الحرف في النظم العربيّ لا يدخل على الحرف ، إلّا إذا كان الغرض من الجمع بينهما تأكيد الاستثناء .

أمّا إذا اجتمعت (إلّا) و (غير) في النظم والسياق وتتبعت إحداهما الأخرى فإنّ جواز ذلك أو عدمه خاضع لسلامة المعنى أو سقمه الناتج عن الغموض فيه . وعدم الوضوح للإفهام المخاطب . فنقول : ما حضر إلّا غير سعيد : فإنّ النظم في هذه الجملة سليم في معناه ومبناه صياغة ونظما ، على الرغم من دخول (إلّا) على (غير) ، لأنّ معنى النظم أفاد نفي حضور سعيد ، وتحوّل معنى (غير) من الاستثناء المحض إلى النفي .

ويقول ابن السرّاج : إذا اجتمعت (إلّا) و(غير) فاجعل أحدهما تتبع ما قبلها ، والأخرى استثناء ، فتقول : ما جاءني أحد إلّا زيد غير عمرو . فترفع زيد ، وتنصب

---

١ . الأعراف / الآية ٩٤ ، ٢ . هود / الآية ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(غير) ،لأنّ الفعل (جاء) في الجملة ،لا يرفع فاعلين ، ولهذا ترفع زيدا على البدلية من الفاعل (أحد) ،وتنصب (غير) على الاستثناء[١]. وهذا فيه سلامة النظم نحويا ولغويا، ووضوحه معنويا .

أمّا إذا دخل حرف العطف (و) بين الأداتين ، فيجوز رفعهما ،فنقول :ما جاءني أحد إلّا زيد وغير عمرو. فإنّ النظم بدخول (الواو) يبقى سليما في معناه ومبناه لغويا ونحويا ،ومنه قول الفرزدق :

سَما بِالمَدِينَةِ دارٌ غيرُ واحِدَةٍ ... دارُ الخَلِيفَةِ إلّا دارُ مَرْوانا[٢]

فإنّ النظم في البيت سليم نحويا ولغويا ،لأنّ (غير) نعت للدار وما بعد (إلّا) بدل من دار الأولى . كما أنّ المعنى فيه واضح ،أي أنّ ما بالمدينة دار غير واحدة كبيرة ، إلّا دار مروان بن الحكم . أو ما بالمدينة دار غير واحدة إلا دار مروان .

فجواز اجتماع أداتي استثناء في جملة الاستثناء ،في النظم العربي ،يخضع لاعتبارات لغوية ونحوية ومعنوية . فإذا كانت هذه الاعتبارات سليمة ، لم تخرج على أصول اللغة ، وقواعدها وأساليبها ونظامها في ترتيب الكلمات وتعليقها في تكوين الجمل ،وكان المعنى واضحا جليا لا يشوبه الغموض ،جاز ذلك . فان لم تتحقق تلك الشروط لإقامة النظم ،فلا جواز لاجتماعهما ، لأنّه يخالف قواعد اللغة ونحوها ونظامها ، مما يؤدّي إلى ضياع المعنى .

ولهذا فقد لاحظ البلاغيون أنّ بلاغة الكلام والنظم تكون بوصف اللفظ الفصيح معبّرا به عن المعنى[٣] .

وبهذا فان سمات النظم البليغ ،أن يكون اللفظ فيه معبّرا بدقّة عن المعنى الذي يقصده المتكلّم أو المنشئ ، وفق المقام ومقتضى الحال .

---

١. انظر : الأصول في النحو : جـ١ ،ص٣٠٣ ، ابن السرّاج .
٢. الشاهد للفرزدق ،ولم يذكر في ديوانه. وورد في كتاب سيبويه :جـ٢ ،ص ٣٤٠ ،وفي المقتضب :جـ٤ ،ص ٤٤٥ ،المبرد . الأصول في النحو: جـ١ ،ص٣٠٣ ،ابن السرّاج . معاني القرآن : جـ١ ،ص ٩٠ ، الفـــراء
٣. مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة : ص١٠٢ ، د . محمد بركات أبو علي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعدّد المستثنى وتكراره في النظم :

من قضايا النظم الأساسية في أسلوب الاستثناء ، تعدّد المستثنى وتكراره بغير حرف العطف ، وقد أجاز اللغويون والنحويون هذا النمط اللغوي ، فيقول سيبويه : " هذا باب تثنية المستثنى ، وذلك قولك : ما أتاني إلا زيد إلاّ عمرا . ولا يجوز الرفع في (عمرو) من قبل أن المستثنى لا يكون بدلا من المستثنى ، وذلك أنّك لا تريد أن تخرج الأول من شيء تدخل فيه الآخر "(١)

من الملاحظ أنّ قواعد النحو وأسسه تتدخّل في هذا الأسلوب وفي معناه ، لأنّ الاسمين المستثنيين ، وان اختلف إعراب كلّ منهما عن الآخر ، برفع أحدهما ونصب الآخر على ما توجبه قواعد النحو ، فهما مشتركان في معنى الاستثناء ، وهو الإخراج ، ومن هنا تعاقبا في النظم واختلفا في الإعراب . ولكنّ حقيقة المعنى في هذا النظم تبيّن لنا أنّ الاسم الأوّل ليس مخرجا ، وان وقع بعد (إلاّ) لأنّه وقع مرفوعا ، على أنّه فاعل . أمّا الاسم الثاني فهو مخرج ، لوقوعه بعد (إلاّ) منصوبا ، وعلى ذلك فعلى الرغم من تكرار المستثنى في النظم ، فإنّه لا تكرار في المستثنى في المعنى ، لأنّ الأوّل لا يخضع لحد الاستثناء أمّا الثاني فهو الذي يخضع لحد الاستثناء ، وهو الاخراج في المعنى ، والنصب في الإعراب .

فإذا قلنا : ما أتاني إلاّ زيدا إلاّ عمرا . فلا بدّ من رفع أحدهما ، لأنّ الفعل المنفي يحتاج إلى أن يكون أحد الاسمين فاعلا له ، فيجب رفعه ، ولا يجوز رفع الاسم الثاني (المستثنى) بعده ، لأنّ الفعل لا يأخذ إلاّ فاعلا واحدا ، ولا يجوز أن يكون الاسم الثاني بدلا من الاسم الأوّل المرفوع الذي قبله ، فليس في (عمرو) وجه من وجوه الرفع ، ولذلك وجب نصبه على الاستثناء في هذا النمط والتركيب اللغوي .

كما أنّه يجوز في هذا النظم والنمط ، نصب الأوّل ورفع الثاني ، فنقول : ما أتاني إلاّ زيدا إلاّ عمرو . فيكون (زيدا) مستثنى منصوبا ، ويكون (عمرو) فاعلا للفعل (أتى) فللمتكلّم أو المنشئ الخيار في هذا النظم ، إذا تكرّر المستثنى ، شريطة أن يعي أنّ الذي يودّ اخراجه في المعنى أن يكون منصوبا ، سواء أكان الأوّل أم الثاني

---

(١) كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يجوز الرفع في كليهما ، كما لا يجوز النصب كذلك ،إلّا إذا كان الثاني هو الأوّل نفسه وعند ذلك يكون الثاني توكيدا للأوّل ، أو بدل غلط أو نسيان ،أو عطف بيان منه ،فيقول سيبويه :" ولو قلت : ما أتاني إلا زيد إلّا عبد الله كان جيّدا ، إذا كان عبد الله زيدا ، ولم يكن غيره ، لأنّ هذا يكرّر توكيدا ، كقولك : رأيت زيدا زيدا . وقد يجوز أن يكون غير زيد ،على الغلط والنسيان ، كما يجوز أن تقول : رأيت زيدا عمرا ،لأنّه إنّما أراد عمرا ، فنسي فتدارك . ومثل ما أتاني إلّا زيد إلا عبد الله ،إذا أردت أن تبين وتوضح قوله :

مَالَكَ مِنْ شَيْخِكَ إلّا عَمَلُه إلّا رَسِيمُهُ وإلّا رَمَلُه (١)

فقد تكرّر المستثنى وكان مرفوعا ،بعد (إلّا) في الأوّل والثاني ،وكان الثاني بدلا من الاوّل ،وبدل المرفوع مرفوع . وقد اجتمع العطف مع البدل في هذا البيت بقول الشاعر : وإلّا رملُه .

وبذلك فإنّ النظم وسلامته ،إذا تكرّر الاستثناء وتتابع فيه ،فانّه يكون خاضعا لمعاني النحو وقواعده وأسسه وأصوله في المستثنى ، من حيث الرفع والنصب ، وأنّ هذا الرفع والنصب خاضع للمعنى المقصود في النظم ، لأنّ المعنى يبقى واحدا في كلا الإعرابين ، فيقول المبرّد :" تقول ما جاءني أحد إلّا زيد إلّا عمرا ، وإنْ شئت قلت : ما جاءني أحد إلّا زيدا إلّا عمرو . فالمعنى فيهما جميعا واحد . وان اختلف الإعراب ، لأنّك إذا شغلت الفعل بأحدهما انتصب الآخر ، بالاستثناء ،ولم يصلح البدل ، لأنّ المرفوع منهما موجب "(٢).

فبما أنّ المعنى يبقى هو نفسه في النظم ،سواء أكان المستثنى المكرر الأوّل منصوبا ، والثاني مرفوعا ،أو العكس . فيجوز الوجهان ،لأنّ الأصل في جواز ذلك ، سلامة المعنى في كلا الحالين .

أمّا إذا قدّمنا المستثنى في النظم على المستثنى منه ، وجب النصب فيهما ، فنقول : ما جاءني إلّا زيدا إلّا عمرا أحد ،لأنّ التقدير : ما جاءني إلّا زيدا أحد إلّا عمرو فلما قدّمت عمرا ،صار كقولك : ما جاءني إلّا عمرا أحد . لأنّك لو أخّرته كان الوجه ،ما

١. انظر : كتاب سيبويه : جـ٢ ،ص ٣٤١ . شرح ابن عقيل : جـ٢ ،ص ٥٢ . شرح الأشموني : جـ٢ ، ص ١٥١ ، شرح التصريح : جـ١ ، ص ٣٥٦ ، الأزهري .

٢. المقتضب : جـ٤ ، ص ٤٢٤ ، المبرّد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءنـــي إلاّ عمرو.

وإنّ تكرار المستثنى (بإلاّ) و(غير) جائز في النظم العربي وأنماطه اللغوية كقولنا :ما جاءني إلاّ زيدا غير عمرو أحد . لأنّ غير عمرو بمنزلة قولك : إلاّ عمرا (١).

ولعلّ جواز هذا النظم بتكرار المستثنى (بإلاّ) و(غير) متعلّق بالمعـــنى السليم الصحيح الذي يحمله هذا النظم .

فعندما يكون النظم سليما نحوا ، وصحيحا لغة وتعليقا بين ألفاظه وخاضعـــا لمقتضى الحال بلاغة ، فإنّه يحمل معنى يعبر تعبيرا دقيقا عما يجول في خاطر المنشئ أو المتكلّم من معان داخليّة ونفسيّة ،ولذلك فإنّ تكرار الاستثناءات خاضع لتلك المعانـــي ولمقتضى الأحوال التي سببت تكراره .

إنّ هذه التوسعة في النظم ،في أسلوب الاستثناء المكرّر والمتتالي ما كانـــت لتكون ،إلاّ لخدمة المعنى الذي يحمله النظم والسياق ، إذ إنّه كلّما كان النظم أكثـــر مرونة في بناء الانماط اللغوية ، استطاع أن يعبّر عن المعنى خير تعبير، وأن يخدم المقام ومقتضى الحال ،دون صعوبة تواجه المنشئ ،أو المتكلّم ، الذي يقصد إلى التعبير عـــن أفكاره ومعانيه ، بأيسر الطرق وأسهلها ،إذا كان النظم والكلام طبيعيا ، يقصد منـــه الإخبار العادي ، البعيد عن فنون الأدب وأفانينه .

فطبيعة أي نظم في اللغة ،يُبنى على أسس لفظية ومعنوية وحالية ونفسية ،ونحوية وصرفية ، فتتشابك جميعها بطريق خفي ،يصعب تحليله ، لتكوين النظم السليم الذي يمكن أن يوصف بالبلاغة إذ ليست بلاغة النظم قائمة على ما فيه من كنايات واستعارات وتشبيهـــات وإنّما على اعتبارات خاضعة إلى النظم نفسه ، ومن دقيق ذلك وخفيّه ،أنّك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى :" وَاشْتَعَـــلَ الرَّأْسُ شَيْبًـــا "(٢) لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ، ولم ينسبوا الشرف إلاّ إليها ،ولم يروا للمزية موجبا سواها ، هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم وليس الأمر كذلك ،ولا هذا الشرف العظيم ،وهذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هـــذا الكلام لمجرّد الاستعارة ، ولكنّ لأن سُلِك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء ،

---

١. المقتضب : جـ٤ ، ص٤٢٤ ، المبرّد .

٢. مريـــم / من الآيـــة ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو لما هو من سببه ، فيرفع به ما يسند إليه ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده.... ولكن هذا الشرف العظيم ، والروعة التي تدخل النفوس عائدة إلى طبيعة النظم بين قولنا : اشتعل شيب الرأس وقوله تعالى : " واشتعل الرأس شيبا " فهل نجد ذلك الحسن ، وتلك الروعة ، في قولنا : اشتعل شيب الرأس ، كما نراها في قوله تعالى : "واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً " لأنّ قول الله يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى الشمول ، وأنّه قد شاع فيه ، وأخذه من نواصيه ، وأنّه قد استغرقه وعمّ جملته ، وهذا ما لا يكون إذا قيل : اشتعل شيب الرأس ، لأنّه لا يزيد حينئذ عن أكثر من ظهوره في الرأس(١)

ومن ذلك في أساليب الاستثناء ، إنّنا نقول : من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها ومن جاء بالسيئة فله مثلها . ولكنّ الله - سبحانه وتعالى - أتى بنظم استخدم فيه أسلوب الاستثناء ، ليكون أكثر بلاغة وبيانا ، فقال - سبحانه - : "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢)"

إنّ الفرق في المعنى بين الصيغتين لا يكاد يذكر ، ولكنّ الفرق في البلاغة والبيان واضح بين الصيغتين ، وهذا ناتج عن أسلوب الاستثناء وسياقه في الآية الكريمة ومثله قولنا : من جاء بالسيئة كبت وجوههم في النار جزاء أعمالهم ، ولكنّ الله - سبحانه وتعالى - قال " وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٣)"

فإنّ المعنى البلاغي الذي زاده أسلوب الاستثناء في الآية الكريمة ، واضح لاحظ فيه في تخصيص الجزاء بما عملوا من سيّئات . وغير ذلك من آيات كريمة تثبت هذا المنحى وتوضّحه وتبيّن أثر استخدام أسلوب الاستثناء في المعنى .

حذف المستثنى وإضماره :

تتكوّن جملة الاستثناء التامّة في نظمها وسياقها ، من عامل يتبعه مستثنى منه ، وأداة استثناء ، ومستثنى ، كقولنا : نجح الطلّاب كلّهم إلّا زيدا . فالطلّاب: مستثنى منه

---

١. دلائل الإعجاز: ص ٧٥ ، عبد القاهر الجرجاني .
٢. القصص / الآية ٨٤ .
٣. النحل / الآية ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و(إلاّ) أداة الاستثناء . وزيدا : المستثنى . وقوله تعالى : " فَلَمّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوا إلاّ قَلِيلاً مِنْهُم واللّهُ عَلِيمٌ بالظّالِمِينَ "(١) وقوله تعالى : فشربوا منه إلاّ قليلا منهم(٢) وقوله تعالى : " فأنْجَيْناه وأهْلَه إلاّ امرأتَه كانتْ مِنَ الغابِرِينَ "(٣)

إنّ جملة الاستثناء في هذه الآيات الكريمة المذكورة ، تتكوّن من مستثنى منه وأداة استثناء ، ومستثنى ، وهذا هو الأساس في نظم جملة الاستثناء ، إلاّ أنّه قد يُحذف المستثنى منه من النظم ، كما في قولنا : ما حضر المدعوون إلاّ علي ، فحذف المستثنى منه فنقول : ما حضر إلاّ علي ، وبذلك يتغيّر السياق من الاستثناء التام المنفي إلى الاستثناء المفرّغ ؛ إذ إنّ المستثنى منه يكون محذوفا في الاستثناء المفرّغ .

فيرى البلاغيون والنحويون أنّ في الاستثناء المفرّغ اسما محذوفا قبل (إلاّ) ، وهذا الاسم المحذوف هو المستثنى منه(٤) . ويقول ابن فارس " ويضمرون من الاسماء (مَنْ) فيقولون : ما في حيّنا إلاّ له إبل . وكذّبتم شَابَ قَرْنَاهَا ، أي : إلاّ (مَنْ) له إبل وإلاّ مَنْ شَابَ قَرْنَاهَا "(٥) .

ويقول التفتازاني : "إنّ الاستثناء المفرّغ لا بدّ من أن يتوجّه النفي فيه إلى مقدّر ، وهو مستثنى منه ، لأنّ الاستثناء إذا أُخرج ، فيحتاج إلى مخرج منه ، والمراد التقدير المعنوي لا الصناعي ، ولا بدّ أن يكون عامّا ، لأنّ الاخراج لا يكون إلاّ من عام ، ولا بدّ أن يكون مناسبا للمستثنى منه في جنسه ، مثل ما قام إلاّ زيد ، أي : أحد . وما أكلت إلاّ تمرا ، أي : مأكولا . ولا بدّ أن يوافقه في صفته ، أي اعرابه "(٦)

ومنه قوله تعالى : "وَما مِنّا إلاّ له مَقامٌ مَعْلُومٌ"(٧) أي : إلاّ مَنْ لَهُ مَقامٌ ، أو وما منا أحد إلاّ له مقام ، فحذف (أحد) ، أو : وما أحد كائن مِنّا إلاّ له مقام معلوم(٨) . وقوله تعالى : " وما يَذّكّرُ إلاّ أولُو الألْبابِ "(٩) أي : وما يذكر أحد أو انسان إلاّ أولو

---

١ . البقرة / من الآية ٢٤٦ . ٢ . البقرة / من الآية ٢٤٩ .
٣ . الأعراف / من الآية ٨٣ . ٤ . كلّيات أبي البقاء : ص ٦٧ .
٥ . الصاحبي : ص ١٣٧ ، ابن فارس .
٦ . شرح عقود الجمان : ص ٤٧ ، التفتازاني .
٧ . الصافات / الآية ١٦٤ . ٨ . انظر : الصاحبي في اللغة : ص ٢٣٢ ، ابن فارس . روح المعاني : المجلّد الثاني عشر ، جـ٢٣ ، ص ١٥٤ ، الآلوسي
٩ . البقرة / من الآية ٢٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألباب . وغير ذلك من الآيات الكريمة الكثيرة التي حذف منها المستثنى منه .

أمّا عن حذف المستثنى ، فيجوز حذفه إذا لم يؤدّ حذفه إلى لبس أو غموض في المعنى ، فيقول سيبويه : " هذا باب يحذف المستثنى فيه استخفافا ، وذلك قولك : ليس غير وليس إلا ، كأنّه قال : ليس إلّا ذاك ، وليس غير ذاك ، ولكنّهم حذفوا ذلك تخفيفا واكتفاء بعلم المخاطب ما يعني "(١) وبهذا فإنّ للمخاطب دورا بارزا في جواز حذف المستثنى ، لأنّ فهمه للمعنى في ذلك السياق ، يجعل الحذف مستساغا ، وإلّا فلا حذف لأنّ الأصل في سلامة النظم أن يوصل المعنى تاماً مفهوماً إلى المخاطب، فإذا أدّى هذا المعنى مفهوما مع حذف المستثنى ، جاز ذلك ، وإلّا فلا .

وجعل المبرّد سلامة المعنى أساسا في جواز حذف المستثنى من جملة الاستثناء(٢) .

وإنّنا لو دقّقنا النظر في حذف المستثنى من جملة الاستثناء ، نجد أنّ الحذف فيها بعد (إلّا) و(غير) قد حصل إذا كانت (إلّا) و(غير) بعد (ليس) ، ولو كان مكان (ليس) غيرها من أدوات النفي ، لم يجز حذف المستثنى ، فلا نقول : لم يكن إلا ، ولا لم يكن غير ، " ولا يجوز حذف المستثنى إلّا إذا كان الحال يدلّ عليه في سياق، وإلّا امتنع الحذف لأنّ العرب لا تحذف ، ولا تضمر إلّا بدليل يدلّ على ذلك "(٣) .

أمّا ما ورد في آي الذكر الحكيم من حذف المستثنى ، قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ "(٤) فقد حذف المستثنى من النظم في الآية الكريمة ، وتقديره في السياق إلّا رجالا أو رسلا إنّهم ليأكلون الطعام . وجملة (إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) صفة للموصوف المحذوف (رجالا ورسلا)(٥) .

ومّما ورد من حذف المستثنى في أقوال الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - قوله : " لا صَلاةَ إِلّا بِطَهُورٍ " و " لا نِكَاحَ إِلّا بِوَلِيٍّ "(٦) فقد حذف من الحديثين الشريفين

---

١ . كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٤٤ ، وانظر : الأصول في النحو جـ١ ، ص ٢٨٣ ، ابن السرّاج . مغني اللبيب : جـ٢ ، ص ٦٣٤ ، ابن هشام .
٢ . المقتضب : جـ٤ ، ص ٤٢٩ ، المبرّد .
٣ . الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٢٢٨ ، القرافي .
٤ . الفرقان / من الآية ٢٠ .
٥ . انظر تفصيل هذه المسألة في روح المعاني : المجلّد التاسع . جـ١٨ ، ص ٢٥٤ ، الآلوسي .
٦ . سنن ابن ماجه : جـ١ ، ص ٦٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستثنى الموصوف ،وتقدير ذلك : لا صلاة جائزة إلاّ صلاة بطهور ، ولا نكاح جائز إلاّ نكاح بولي . فالجار والمجرور في الحديثين الشريفين متعلّق بمحذوف كما هو واضح في السياق ، وبذلك فقد حذف المستثنى من الحديثين الشريفين .

أمّا إذا أردنا أن نميّز بين الاصل والفرع في ركني الاستثناء ،على ضوء ما يحذف من النظم والسياق ،فإنّ الاصل هو المستثنى منه ، والفرع هو المستثنى ، وذلك لأنه لا مستثنى إلاّ إذا كان هناك مستثنى منه ، أُخرج منه المستثنى ، ومن هنا فلا استثناء في النظم بلا مستثنى منه ،لأنّه الأصيل ،حيث إنّه لا بدّ من شيء يستثنى منه وارد في النظم والسياق ، إذا أردنا أن نقيم هيكل الاستثناء وبناءه .

وعلى الرغم من أهمّية هذا الأصل في نظم جملة الاستثناء ، إلاّ أنّه أكثر حذفا من المستثنى ، إذ قلّما نحذف المستثنى إلا بشروط - كما عرفنا - أمّا المستثنى منه فقد حذف من النظم في أسلوب الاستثناء الناقص المنفي ، وما نسمّيه الاستثناء المفرّغ أو ما يطلق عليه القصر والحصر .

ففي هذا النوع من الاستثناء ، يحذف المستثنى منه ، كما في قولنا : ما فاز الطلّاب إلاّ عليا أو علي . فنحذف المستثنى منه ، لتصبح الجملة : ما فاز إلاّ علي .

ومن الملاحظ أنّه إذا حذف المستثنى منه ، من جملة الاستثناء ،فإنّ معنى الاستثناء يتخلّف ، فتفقد الجملة ذلك المعنى الاستثنائي الذي كانت تحمله ، وإنْ كان فيها أداة استثناء ومستثنى ،وذلك لأنّ الاصل في جملة الاستثناء ،هو المستثنى منه وبحذفه تفقد الجملة معنى الاستثناء ، فتتحوّل إلى معنى القصر والحصر والتخصيص .

وبذلك تتحوّل أداة الاستثناء إلى أداة حصر أو قصر في النظم والسياق ، إذا حذفنا المستثنى منه ،لأنّها تخلّت عن معنى الاستثناء إلى معنى الحصر والقصر. أي إنّها تغيّر الاسم الذي بعدها من معنى الاستثناء إلى معنى الحصر والقصر والتوكيد والتخصيص أو إنّها تغيّره من معنى الإخبار العادي ، إلى معنى الحصر والقصر كما في قولنا ما فاز إلا المجتهد . فالاسم بعد (إلاّ) ،على ما كان عليه قبل دخولها عليه ، إذ إنّ أصل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلام، فاز المجتهد . فلم يفد دخول (إلاّ) معنى الاستثناء في النظم ، وإنّما أفاد معنى القصر والحصر والتخصيص . ونحن نلمس هذا القصر والتخصيص في ملاحظتنا الفرق بين قولنا : إله أنا ،وقولنا : لا إله إلاّ أنا .

وقد ورد هذا الأسلوب في مواضع عدّة في آي الذكر الحكيم ، فأخرج معنى النظم من الاستثناء إلى القصر ، أو من الاخبار العادي إلى القصر ، خدمة للمقام ،ومقتضى الحال .

أمّا إذا حذفنا الفرع ،وهو المستثنى ،فإنّ معنى الاستثناء يبقى قائما في الجملة والنظم والسياق ،لأنّ المستثنى المحذوف يمكن تقديره ، ولا يجوز حذفه أصلا إلاّ إذا كان المخاطب عالما به مقدّرا إيّاه ، ولا يؤثّر حذفه على وضوح المعنى لديه ، " فكلّ ما صحّ به المعنى ،فهو جيّد ،وكلّ ما فسد به المعنى فهو مردود "(١)

وهكذا فإنّ المستثنى منه في جملة الاستثناء هو الأصل في النظم والسياق ، وأمّا المستثنى فهو الفرع ،لأنّ جملة الاستثناء إذا حذف منها الأصل (المستثنى منه) تخرج من معنى الاستثناء إلى معنى القصر والحصر والتخصيص والتوكيد ، أمّا إذا حذفنا الفرع (المستثنى) فتبقى الجملة حاملة لمعنى الاستثناء ،لأنّه فرع وحذف الفرع لا يؤثّر على المعنى في النظم والسياق ،إذا كان فيه ما يدلّ عليه .

وجملة القول : إنّ المستثنى منه ،هو الاصل في جملة الاستثناء ، لأنّنا إذا أردنا أن نستثني ،فلا بدّ من وجود شيء نستثني منه ،إذ لا استثناء من العدم .

حذف أداة الاستثناء :

من الامور الغريبة في النظم ،في جملة الاستثناء ،ما قيل عن حذف أداة الاستثناء منها ،على الرغم من أهمّية هذه الأداة في بناء سياق الاستثناء ، لأنّ هذه الأداة ،هي القنطرة الواصلة بين المستثنى منه والمستثنى ،ولا يمكن أن يوجد مستثنى إلاّ إذا وجدت أداة استثناء قبله .

---

١. شرح المفصّل : جـ٢ ، ص ٦٥ ، ابن يعيش .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا إذا لم نعدّ الاستثناء (بالمعنى) استثناء ، كما في قولنا : أكرِم الطلبة الأوائل في الصف . فقد استثنينا الطلبة غير الأوائل من التكريم ، دون أن نستخدم أداة استثناء .

ولكنّ هذا الاستثناء بالمعنى ، لا يخضع لأحكام الاستثناء وقواعده المعروفة ولا يعدّ جزءا من أنواعه ،لأنّه خارج على حدّ الاستثناء المعرّف بالإخراج (بإلاّ) أو إحدى أخواتها حيث إنّه لا أداة استثناء ، أصلا في نظمه أو سياقه ،مذكورة كانت أو محذوفة ولا يوجد في سياقه اللغوي مستثنى أو مستثنى منه ،ولكن يلمحان من خلال المعنى ولهذا فلا يعدّ الاستثناء بالمعنى ،من أنواع الاستثناء .

ونظرا لإنكار النحويين حذف الأداة من جملة الاستثناء ، لم يذكره أحد منهم إلاّ ابن هشام فقال : وفي حذف أداة الاستثناء :" لا أعلم أنّ أحدا أجازه إلاّ أنّ السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله (- ٥٨١هـ) قال في قوله تعالى :" وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ "(١) : لا يتعلّق الاستثناء بفاعل ، إذ لم ينه عن أن يصل إلا أن يشاء الله بقوله ذلك ،ولا بالنهي ،لأنّك إذا قلت : أنت منهي عن أن تقوم إلاّ أن يشاء الله ، فلست بناهي ، فقد سلطته على أن يقوم ويقول : شاء الله ذلك ، وتأويل ذلك أنّ الأصل إلاّ قائلا : إلاّ أن يشاء الله . وحذف القول كثير وتضمّن كلامه حذف أداة الاستثناء والمستثنى جميعا"(٢)

ولكنّ ابن هشام ينكر هذا الرأي القائل بحذف أداة الاستثناء ،فيقول : " والصواب أنّ الاستثناء مفرّغ ، وأنّ المستثنى مصدر أو حال ،أي : إلاّ قولا مصحوبا بأن يشاء الله ،أو إلاّ متلبّسا بأن يشاء الله ، وقد علم أنه لا يكون القول مصحوبا بذلك، إلاّ مع حرف الاستثناء"(٣)

ولذلك فلا يجوز حذف أداة الاستثناء البتّة من نظم وسياق الاستثناء ، لأنّه بحذفها ، يختلّ المعنى ،فلا يقوم النظم في جملة الاستثناء إلاّ بوجودها في السياق ،فيقول

---

١. الكهف / الآية ٢٣
٢. مغني اللبيب : جـ٢ ، ص٦٣٩ ،ابن هشام .
٣. المصدر السابق : جـ٢ ،ص٦٣٩ ، ابن هشام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن السرّاج : " المستثنى يشبه المفعول به ، إذْ أتي به بعد استغناء الفعل بالفاعل وبعد تمام الكلام ،تقول : جاءني القوم إلاّ زيدا . فجاءني القوم : كلام تام ، وهو فعل وفاعل . فلو جاز أن تذكر " زيدا " بعد هذا الكلام التام المكوّن من الفعل والفاعل بغير حرف الاستثناء ، لما كان إلاّ نصبا ،لكن لا معنى لذلك ، إلاّ بتوسّط شيء آخر. فلمّا توسّطت (إلاّ) حدّث معنى الاستثناء ، ووصل الفعل إلى ما بعد (إلاّ)" (١) .

وعلى ذلك ،فلا استثناء بلا أداة ،لأنّ الأداة هي المعوّل الرئيسي في إقامة الاستثناء ، مبنى ومعنى ،فلا يجوز حذفها من جملة الاستثناء ، لأنّه بحذفها يضيع المعنى المقصود ويعوّج نظم الكلم ، فلا يبقى النظم في دائرة الاستثناء .

وبهذا فإنّ حروف المعاني ، تعدّ من الأسس المتينة في إقامة النظم في اللغة العربية عامّة وفي الاستثناء خاصّة .

الاستثناء من الاستثناء

من غريب النظم في أساليب الاستثناء ،أنّ المستثنى يكون مستثنى منه ، من مستثنى آخر بعده ، دون استخدام حروف العطف بينهما ، لأنّ الجمع بين أدوات الاستثناء وأدوات العطف ، مخالف لطبيعة النظم والسياق ، وتعليق الالفاظ في الاستثناء ،لأنّه يلزم الجمع بين النقيضين ،وحرف الاستثناء يدلّ على الإخراج ،والمباينة في الحكم ، بين المستثنى والمستثنى منه ،وحرف العطف ، يدلّ على الضمّ والجمع والمجانسه والتوافق في الحكم ، فلاِختلافِ المعنى الذي يؤدّيه كلّ منهما ، يمتنع الجمع بينهما في النظم كما في قولنا : نجح الطلاب إلاّ زيدا وإلاّ عمرا . فلا يجوز الجمع بين حرف العطف (الواو) وأداة الاستثناء (إلاّ) ، لتناقض المعنى أو كقولنا : له عليّ إلاّ ثلاثة وإلاّ أثنين ، وإنّما يمكن القول : جاءني المكّيون إلا قريشا إلا بني هاشم إلاّ بني عقيل . أو له علي عشرة إلاّ ثلاثة إلاّ اثنين .(٢)

فنلاحظ أنّ هذه الاستثناءات في الجملتين السابقتين ،كلّ مستثنى منها جزء

---

١. الأصول في النحو : جـ١ ، ص ٢٨١ ،ابن السرّاج

٢. انظر في هذه المسألة : الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٥٧٠ ،القرافي ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المستثنى منه الذي قبله وخارج عنه ،وهكذا تتدرّج حتى تصل إلى المستثنى منه الأوّل في نظم الكلم .

ومّما ورد في آي الذكر الحكيم من هذا النوع من الاستثناءات ،قوله تعالى : " قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ "(١).

فقد اختُلف في جواز الاستثناء من الاستثناء ، في هذه الآية الكريمة ،ولهذا يقول الزمخشري : " إنّ (إلا امرأته) ليس استثناء من الاستثناء (إلّا آل لوط) وإنّما هو مستثنى من الضمير المجرور في (لمنجوهم) الوارد قبل الاستثناء في السياق ،ولا يجوز أن يكون استثناء من استثناء في شيء ، لاختلاف الحكمين ،لأنّ (آل لوط) متعلّق بأرسلنا أو بمجرمين ،و (إلّا امرأته) تعلّق (بمنجوهم) فأنّى يكون استثناء من استثناء "(٢).

وقد خالف ابن مالك رأي الزمخشري في هذه المسألة ورأى أنّه يجوز أن يكون (إلّا امرأته) مستثنى من (آل لوط) أو من ضمير (منجوهم)(٣) .

وعلى الرغم من أنّ المسألة خلافيّة بين النحويين في هذه المسألة ،فإنّ الرأي الأعمّ والأشمل ،بأنّه يجوز الاستثناء من الاستثناء في النظم ،وقد يتطلّب الموقف والمقام ومقتضى الحال استخدام استثناء من استثناء في نظم الكلم وتأليفه ،إذا وقع المنشئ أو المتكلّم في خطأ أو نسيان ، فيمكنه أن يقول : لك عليّ عشرة دنانير إلّا أربعة إلّا ثلاثة. إذ إنّه بعد المستثنى الأوّل ،يتذكّر الخطأ ، فيعالجه بالمستثنى الثاني استدراكا عليه ، وهنا يصبح ذكر هذا المستثنى الثاني واجبا في النظم ، لتصحيح الخطأ والنسيان الذي وقع فيه المتكلّم في المستثنى الأوّل ، وهذا المستثنى الثاني ، لا يرفضه النظم ،ولا يأباه المعنى .

---

١. الحجر / الآيات ٥٨ ـ ٦٠

٢. انظر : الكشّاف : جـ٢ ،ص٣٩٤ ، الزمخشري .

٣. انظر : تسهيل الفوائد : ص ٣٤٧ ، ابن مالك . روح المعاني : المجلّد السابع . جـ١٤ ، ص٦٤ ،الآلوسي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلّ أكثر ما يستخدم أسلوب الاستثناء من الاستثناء ، في الخطاب القائم على المشافهة ، إذ يقول شخص ما : ما فاز في المسابقة إلّا زيد . فيشعر بخطئه ونسيانه فيكمل كلامه قائلا مباشرة ، إلّا عمرا . وحينئذ يكون الفائز الثاني (عمرا) لا الأوّل (زيد) .

وبهذا فإنّ الاستثناء من الاستثناء في النظم هنا يخدم الموقف النفسي لدى المنشئ الذي نسي فأخطأ ، ومن هنا يكسب هذا الاسلوب في الاستثناء بلاغته من تصويره للموقف الذي وقفه المتكلّم ، وتعبيره عنه تعبيرا سليما في معناه ومبناه ، لأنّه جاء في النظم لتصحيح خطأ وتصويب معنى .

مقدار المستثنى بالنسبة للمستثنى منه :

إنّ البحث في كمية المستثنى ومقداره وحجمه بالنسبة إلى المستثنى منه ، يقودنا إلى الحديث والبحث في الغرض البلاغي ، من الاستثناء وأساليبه ، ولمَ استخدمه العرب في لغتهم ؟ .

إنّ الاستثناء إنّما وضعه العرب لإخراج ما عساه يذهل عنه المتكلّم ، فيحتاج إلى إخراجه بعد اندراجه في اللفظ ، فيُعذَر في القليل ، لأنّ مثله يجوز عنه الذهول (١) .

فقد اختُلف في مقدار المستثنى المخرج بأداة الاستثناء ، بالنسبة للمستثنى منه فيقول ابن فارس : قال قوم : " لا يستثنى من الشيء إلّا ما كان دون نصفه ، لا يجوز أن يُقال : عشرة إلّا خمسة . وقال قوم : يستثنى القليل من الكثير ، ويستثنى الكثير ممّا هو أكثر منه ، وهذه العبارة هي الصحيحة . فأمّا من يقول : يستثنى الكثير من القليل فليس بالعبارة الجيّدة " (٢) .

وبهذا فإنّ ابن فارس يرى أنّ الاستثناء ، يفضّل فيه أنْ يكون المستثنى أقلّ من المستثنى منه ، ولا يفضّل أن يستثنى الكثير من القليل ، لأنّه لا يستثنى من الشيء إلّا ما كان دون نصفه .

---

١ . انظر : الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٥٤٠ ، القرافي .

٢ . الصاحبي في اللغة : ص ١٣٧ ، ابن فارس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويضيف ابن فارس قائلا : ومن الدليل على أنّ نصف الشيء قد يُستثنى من الشيء قوله ـ جلّ ثناؤه ـ يا أيُّها المزّمّلُ قمِ اللّيْلَ إلاّ قَلِيلاً (١) ثمّ قال : نصفه، أفلا تراه سمّى النصف قليلا ، واستثناه من الأصل (٢).

ومع إقراره بجواز استثناء النصف ، كما ورد في الآية الكريمة إلاّ أنّه بقي في نفسه شيء من ذلك فقال : " (إلاّ) تكون استثناء لقليل من كثير ، نحو : قام الناس إلاّ زيدا (٣)

وقد رأى أبو حيّان الاندلسي أنّ الاستثناء يشوبه القبح ، سواء أكان المستثنى أقلّ من المستثنى منه أم كان أقل منه ، وهو لا يستحسن إلاّ الكسور في الاستثناء فيقول : لا يكون الاستثناء إلاّ من شيء موقوف ، ولو قلت : رأيت رجالا إلاّ ثلاثة ، لم يجز وأمّا استثناء نصف الشيء فقبيح جدّا ، إلاّ أن تتكلّم به العرب ، وإذا قلت : عشرة إلاّ واحدا ، أو ثلاثة جاز ذلك ، لأنّه مقارب ، وفيه قبح ، لأنّ تسعة وثمانية كان يؤدّي عن ذلك العدد ، فإذا قلت عشرة دراهم إلاّ نصف درهم . حسن ذلك ، لأنّه كسر ، والكسور يحسن فيها الاستثناء جدّا ، وكذلك قوله ـ عزّ وجل ـ : " فَلَبِثَ فِيهِم أَلْفَ سَنَةٍ إلاّ خَمْسِينَ عَاماً (٤) حسن ذلك ، لأنّ ذلك كسر ، وهو نصف عشرة ومنزلته من العدد منزلة نصف الدرهم من العشرة (٥).

وقد اتفقوا على امتناع الاستثناء المستغرق ، أي : أن يكون المستثنى بمقدار المستثنى منه ، كقولنا : له عليّ عشرة دراهم إلاّ عشرة ، لعدم الفائدة المعنويّة لأنّ معنى السياق: ليس له عليّ شيء . ولهذا فإنّ استخدام اسلوب الاستثناء هنا جاء عبثا ، لأنّ لا فائدة في المعنى من استخدامه ، ويقول السكّاكي : " والامتناع كون الشيء غير نفسه لا يصح استثناء الكلّ من الكلّ ، فلا تقل : لفلان عليّ ثلاثة دراهم إلاّ ثلاثة ، إلاّ إذا أردته بقولك : لفلان عليّ ثلاثة إلاّ ثلاثة إلاّ اثنين (٦)

---

١. المزّمّل / الآيتان ١ ، ٢
٢. الصاحبي في اللغة : ص ١٣٧ ، ابن فارس
٣. المصدر السابق : ١٣٥ ، ابن فارس
٤. العنكبوت / من الآية ١٤ .
٥. تذكرة النحاة : ص ٢٩٤ ، ابو حيان .
٦. مفتاح العلوم : ص ٥٠٩ ، السكّاكي

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما استثناء النصف ،أو الأكثر من النصف ، فقد اختُلف فيه فقيل بجوازه ،كقولنا: له عليّ عشرة إلاّ تسعة .وقيل بعدم جوازه ،لأنّ الأصل أن يكون المستثنى أقلّ من المستثنى منه ،وممّا ورد في آي الذكر الحكيم من ذلك ، قوله تعالى :" قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ "(١) وقوله تعالى :" إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ "(٢)

فقد اختلف في مقدار المستثنى بالنسبة للمستثنى منه ، في الآيتين الكريمتين فيقول الآلوسي :" في الآية دليل لمن جوّز استثناء الأكثر ، وإلى ذلك الرأي ذهب السيرافي ، الحسن بن عبد الله (- ٣٦٨هـ) وابن خروف والشلوبين وابن مالك ، وأجاز هؤلاء النحويون أيضا ،استثناء النصف . وذهب بعض البصريين إلى أنّه لا يجوز كون المستثنى قدر نصف المستثنى منه ،أو أكثر ويتعين كونه أقلّ من النصف .

وذهب الجمهور إلى أنّه يجوز أن يكون المخرج النصف فما دون ، واتفقوا على أنّه لا يجوز أن يكون المستثنى مستغرقاً للمستثنى منه ،كقولنا : لك عليّ عشرة دنانير إلاّ عشرة . لأنّه لا معنى للاستثناء في هذا ،ولا حاجة إليه .

كما قال الجمهور : إنّه إذا كان المستثنى منه عددا صريحا ،يمتنع فيه استثناء النصف والأكثر ، وإنْ كان غير عدد صريح لا يمتنعان ، عن أبي حيّان أنّه قال :" إنّما هو استثناء الأقلّ ، وجميع ما استدلّ به على خلافه ،محتمل التأويل ، وقد اختُلف في مقدار المستثنى بالنسبة للمستثنى منه في الآيتين الكريمتين ويعود هذا الاختلاف إلى اختلاف آراء المفسّرين في الآيتين الكريمتين "(٣) .

أما السكّاكي فإنّه يشترط أن يكون المستثنى أقلّ من المستثنى منه ، لاعتبارات المعنى الذي يستوجب استثناء القليل من الكثير "(٤) .

---

١. الحجر / الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .
٢. الحجر / الآية ٤٢
٣. انظر : الاستغناء في أحكام الاستثناء ،ص ٥٣٨ ، القرافي . روح المعاني : المجلّد السابع ،جـ١٤ ، ص ٥١ ، الآلوسي .
٤. انظر : مفتاح العلوم : ص ١٣٤ ، السكاكي .

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الجوانب البلاغية في الربط بين مقدار المستثنى بالنسبة للمستثنى منه في جملة الاستثناء ، في النظم القرآني ، أنّه وزن بمقاييس القبح والجمال ، فإذا قال له علي مائة إلاّ درهما ، كان مستحسنا ، لأنّ المستثنى أقلّ من المستثنى منه ، أمّا إذا قال له عليّ مئة إلاّ تسعة وتسعين درهما ، كان مستقبحا ، والمستقبح في لغة العرب لا يكون من لغتهم .(١)

وممّا ورد في آي الذكر الحكيم من استثناء القليل من الكثير، قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً﴾(٢) وهو استثناء عدد معيّن ومحدّد ، من عدد معيّن ومحدّد ، فيقول الآلوسي : " ولعلّ ما عليه النظم الكريم في بيان مدّة لبثه - عليه السلام - للدلالة على كمال العدد ، وكونه متعيّنا لما دون تجوز فإن تسعمائة وخمسين ، قد يطلق على ما يقرب منه ، ولما في ذكر (الألف) من تخييل طول المدّة ، لأنّها أول ما تقرع السمع ، فإنّ المقصود من القصة تسلية رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - وتشبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة ، وإظهار ركاكة رأي الذين يحسبون أنّهم يتركون بلا ابتلاء . والنكتة في اختيار السنة أوّلا ، أنّها تطلق على الشدّة والجدب ، بخلاف العام ، فناسب اختيار السنة لزمان الدعوة الذي قاسى - عليه السلام - فيه ما قاسى من قومه "(٣)

وممّا ورد في الحديث النبوي الشريف من استثناء القليل من الكثير ، قوله - صلّى الله عليه وسلّم - "إنّ لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلاّ واحداً"(٤)

وعلى الرغم من أنّ الاستثناء في معظمه هو استثناء القليل من الكثير ، إلاّ أننا لو دقّقنا النظر في نظم جملة الاستثناء ومعناها ، في حالة النفي ، لوجدنا أن المستثنى أكثر من المستثنى منه ، كما في قولنا : ما نجح الطلاب إلاّ زيد أو زيدا . أو ما نجح في الامتحان إلاّ زيد . فإنّ (زيدا) وهو المستثنى فرد واحد ، وأمّا المستثنى منه الطلاّب الذين لم ينجحوا ، فهم كثر . ومثل ذلك قولنا : ما حضر المدعوون إلاّ عمرو . وغير ذلك من الامثلة التي يكون سياق الاستثناء ونظمه مسبوقا بنفي ، فإنّ مقدار المستثنى ونسبته بالنسبة إلى المستثنى منه ، أقلّ من المستثنى منه .

---

١. انظر : الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص٥٤٢ ، القرافي .
٢. العنكبوت / من الآية ١٤ .
٣. روح المعاني : المجلّد العاشر . جـ ٢٠ ، ص١٤٣ . الآلوسي .
٤. صحيح مسلم : جـ٢ ، ص٣١٤ ، رقم الحديث: ٢٠٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك فإنّ مقدار المستثنى بالنسبة إلى المستثنى منه ،ليس مشروطا بحدّ معيّن ، وإنّما يجوز أن يكون أكثر من المستثنى منه أو أقل ،لأنّ طبيعة النظم والسياق ، هي التي تحدّد المعنى المقصور ،كقولنا : ما فاز الكسول الا المجتهدين أو المجتهدون

الاستثناء واستغراق الزمن :

من قواعد الاستثناء وأسسه التي تؤثّر في بلاغة النظم فيه ، وجوب اتصال المستثنى بالمستثنى منه ،اتصالا زمانيا لا لفظيا فقط ، لأنّنا إذا قطعنا المستثنى عن المستثنى منه لفظا ، انقطع معناه زمنيا ،ممّا يؤدّي إلى بتر المعنى فيبدو ناقصا لا فائدة فيه للمخاطب والسامع . حيث إنّ معنى الاستثناء ،لا يتمّ ،ولا يؤدّي الفائدة المعنوية للمخاطب ، إلّا إذا اتصل النظم فيه اتصالا عضويا بين المستثنى والمستثنى منه وتعلّقت ألفاظه بعضها ببعض ،في سياق سليم المعنى والبناء .

ولهذا فصحّة الاستثناء في مبناه ومعناه ،أن يكون المستثنى متّصلا بالمستثنى منه ، حقيقة من غير فاصل زمني بينهما . أي لا يقف المتكلّم على المستثنى منه ،ثم يقطع كلامه عن ذكر المستثنى ، لفترة زمنية طويلة . كأن يقول : حضر الاحتفال المدعوّون جميعهم . ثم يسكت فترة زمنية طويلة ،فيتذكر بعد مرور تلك الفترة الزمنية أنّ النساء لم يحضرن ، فيبادر إلى إتمام كلامه الأوّل ، بقوله : إلّا النساء .

فهذا استثناء غير جائز ،لأنّ المعنى فيه مقطوع ،فإذا قُطع المعنى فإنّ عنصر البلاغة يُفقد فيه . كما أنّ النظم فيه ليس منتظما ،فلا يعدّ من كلام العرب فلو قال قائل لفلان عليّ عشرة دراهم . ثم قال بعد اسبوع أو شهر إلّا درهما . أو قال درست بحور الشعر العربي . ثم قال بعد اسبوع أو شهر ،إلّا البحر المتدارك . فإنّه لا يعد استثناء، لأنّ الكلام مقطوع ،وليس صحيحا .

ولو صحّ الاستثناء المنفصل زمنيا ، لأصبح أسلوب الاستثناء اسلوبا يتيح التلاعب والكذب والتدليس والمراوغة ،فينزع الثقة بين المنشئ والمخاطب . فإذا قال قائل : أشهد أنّ هذا البستان ملك لك . ثم جاء بعد شهر وقال : إلّا أشجار الرمان فيه

فـــلا يجوز ذلك ،لأنّ فيه من التلاعب والمراوغة والكذب ، ما هو واضح للعيان .

ولهذا فلا يجوز تأخـــير المستثنى عن المستثنى منه زمنيا ، لأنّ الاستثنـــاء مرتبط بزمن محدّد ومعيّن ، خاضع لحال المتكلّم والمنشيء ، ومقتضى الحال الذي قيـــل فيه الاستثناء ومقتضى الحال مرتبط بالاطار الزمني الذي ورد فيه هذا الاستثناء ، فـــــلا يتجاوزه إلى زمن آخر ،لأنّه قد يتغير مقتضى الحال بتغيّر الازمان ، فيفقد الاستثنـــاء أهمّ عنصر من عناصر البلاغة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

من قضايا البلاغة والأدب في أسلوب الاستثناء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معانـــي الاستثنـــاء البلاغيّة فـي القرآن الكريـــم :

على الرغم من أنّ المعنى العام الذي يؤدّيه اسلوب الاستثناء ، أو يحملـــه إلى المخاطب ،من خلال نظمه وسياقه في اللغة ،هو إخراج المستثنى من المستثنى منه ، فإنّ معنى الاستثناء ،قد يخرج عن هذا المعنى اللغوي النحوي المحدّد ، إلى معـان بلاغيّة عدّة ، يلجأ إليها المنشئ والمتكلّم ،لتعبّر عمّا يجول في خاطره ونفسه من معاني الخير أو الشر ، المتعلّقة بالكون والحياة والمجتمع ،وبما يتّصل بالانسان وعلاقاته وأحواله وبما يتّصل بالزمان والمكان ،من قضايا بني البشر ،التي عبّر عنها الأدباء والشعـــراء والمفكّرون والفلاسفة ،عبر التاريخ البشري ،بفن القول من شعر ونثـــر .

وإنّ هذه المعاني البلاغية التي يخرج إليها الاستثناء في السياق اللغـــوي تتّصل بالنظرات الأدبية المعبّرة عن عواطف الانسان ومشاعره وأحاسيسه ووجدانه وقيمـــه واتجاهاتـه وتطلّعاتـه وآماله ، أكثر من اتصالها بالاصول النحوية واللغوية القاعدية ،لأنّ هذه المعاني التي يخرج إليها سياق الاستثناء ، تحلّق في آفاق البلاغة الذوقية القائمة على الفهم والتحليل ، البعيدة عن البلاغة القاعدية الجامدة ، ولذلك فهي تركّز علـــى المعاني التي تخدم المقام ومقتضى الحال .

ولعلّ هذه المعاني البلاغية التي يشتمل عليها النظم في الاستثناء ، هـــي التي عملت على إخراج اسلوب الاستثناء ،من العلوم النحوية القاعديّة ، إلى العلوم البلاغية الذوقية الجمالية ،وإلاّ لم يدرجـــه علماء البلاغة ضمن فنون البلاغة وأفنانها . فقد أسلوب الاستثناء من علوم البلاغة والبيان .

فيقول ابن معصوم : " فليس كلّ استثناء يُعدّ من المحسّنات البديعيّة ، بـــل يُشترط فيه اشتماله على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي ، حتى يستحقّ به نظمـــه في سلك أنواع البديع ، وإلاّ لم يكن منه "(١)

ولكنّ هذه المعاني البلاغية ،في أسلوب الاستثناء ، تبقى كامنة فيه وغامضـــة

---

١. أنوار الربيـــع : جـ٣ ، ص١٠٩ ، ابن معصوم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستكنة مخفية ،إلى أن ننعم النظر فيه ، فنستشفها ،ونلمحها ونستخرجها ،من خلال الوقوف على الكلمة والتركيب والسياق والعبارة والفقرة والنص ، بتأمل ظاهر المعنى وباطنه ومنطوق النظم والتركيب والسياق ومفهومه ، واشاراته القريبة والبعيدة ، وظلال المعنى الذي يوحي به . حينئذ نلمح ما ينبثق منه من اشعاعات خفيفة ، تنبلج عن تلك المعاني البلاغية التي هي كالدرّة في الصدفة ،فإذا كان النظم والسياق هو الصدفه فإنّ ذلك المعنى البلاغي هو الدرّة الكامنة فيه .

ولعلّ باب الفهم الصحيح للأدب وفنّ القول ، لا ينفتح لنا ،إلّا إذا انعمنا النظر في التعرّف على هذه المعاني البلاغيّة الكامنة في النظم والسياق ، وبخاصّة في أساليب الاستثناء والنداء والاستفهام والتمني .

ونرى أن أسلوب الاستثناء ،حين يشتمل على تلك المعاني البلاغية ، يزيد تأثيره في السامع والمخاطب .

وقد عرف العرب قيمة اسلوب الاستثناء في الأداء والتعبير والإبانة والتوضيح والتأثير ، فاستخدموه وسيلة من وسائل التعبير الدقيق المحكم ، في مقامات لا ينهض بها سواه من الأساليب فأكثروا منه في الاستعمالات اللغوية الأدبية الشعرية والنثرية ، كما أكثر منه في آي الذكر الحكيم .

وإنّ أسلوب الاستثناء ،فيه من الاقتدار على التعبير عن المعاني التي يراد بها التأثير والتوكيد والمبالغة والتوضيح والإفهام والتخصيص والتحديد والاثبات والتعريض، مالا يوجد في غيره من الأساليب الاخرى .

ولهذا فإنّ أسلوب الاستثناء يمتاز بخصوبة التركيب ، وغزارة المعنى ، ممّا يجعله من الأساليب الغنية في المعاني البلاغية ،لأنّه نابع من خواطر الانسان ومشاعره وأحاسيسه وعواطفه واختلاجاته ، وموجّه إلى مخاطب رافض، أو منكر ،أو خالي الذهن ،كما في أسلوب النفي والاستثناء (القصر والحصر) .

أمّا في القرآن الكريم فقد زخرت آياته الكريمة ،التي اشتملت على أسلوب الاستثناء بالمعاني البلاغية ، وقد وردت تلك المعاني لخدمة المقام ومقتضى الحال ، في الموقف الذي تعبّر عنه الآيات الكريمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن تلك المعاني البلاغية التي خرج إليها الاستثناء في آي الذكر الحكيم التوكيد والتقرير والإثبات ،اظهار العجز والضعف ، التهديد والوعيد ، التحقير،التوبيخ التمحيص ،الإباحة والسماح ،الرحمة ،التنفير ، النصح والإرشاد ، التعظيم ، الإيمان بقضاء الله وقدره ، السببية ،الإنكار ، الاستهزاء والسخرية ، التشكيك ، المساواة ، المقارنة ، التحريض ،الادّعاء الباطل ، التنزيه والتعظيم ، بيان الثقة بالنفس، بثّ الأمل التيئيس ، التوضيح والتفسير ، التعميم ، التأنيب والشماتة ،العتاب ، التوضيح و التبيين وغير ذلك من المعاني البلاغية ،التي يمكن أن نستشفها من أسلوب الاستثناء في آي الذكر الحكيم .

التوكيد والتقرير والإثبات :

يعدّ التوكيد والتقرير والإثبات من أكثر المعاني البلاغية التي خرج إليها معنى الاستثناء ، في آي الذكر الحكيم ،وقد كان لهذه المعاني أثر بالغ في خدمة المقام ومقتضى الحال ،لأنّها في معظمها كانت تخاطب الكافرين والمشركين ، للاقرار بوحدانية الله - عزّ وجلّ - ، أو لتأكيد حكم واثبات فرض .

فخرج معنى الاستثناء إلى هذا المعنى في قوله تعالى : " يُخَادِعُونَ اللَّهَ والذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُم "(١) فقد أكّد ربّ العزّة - سبحانه وتعالى - وقرّر،أنّ الخداع راجع إلى أنفسهم ،ولن يستطيعوا خداع الله والمؤمنين .

وقوله تعالى : " وإِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ "(٢) إذ أكّد الله - سبحانه وتعالى - وأقرّ حقيقة ثابتة ،تؤكّد أنّه لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم، وهذا التأكيد الوارد في أسلوب الاستثناء يفيد الحقيقة ،فهو تأكيد حقيقي . ومن هذا القبيل قوله تعالى : " اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ الحَيُّ القَيّومُ لا تَأْخُذُه سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ "(٣) وقوله تعالى : " لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ "(٤) وقوله تعالى : " شَهِدَ اللَّهُ أَنّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ والمَلائِكَةُ وأُولُو العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ "(٥) وقوله تعالى : " وما من إِلَهٍ إِلاّ إِلَهٌ واحِدٌ "(٦) فقد

---

١. البقرة / من الآية ٩ ، ٢. البقرة / من الآية ١٦٣ .
٣. البقرة / من الآية ٢٥٥ ، ٤. آل عمران / من الآية ٦ .
٥. آل عمران / من الآية ١٨ . ٦. المائدة / من الآية ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكّد اللّهُ سبحانه وتعالى - وحدانيته في هذه الآية ناعتا من لم يؤمن بذلك بالكفر متهدّدا بالعذاب الأليم في قوله في الآية جميعها : "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"(١) وقوله تعالى : "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى"(٢) وقوله تعالى : "إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي"(٣) وقوله تعالى : "إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا"(٤) وقوله تعالى : "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"(٥) وغيرها(٦).

وقوله تعالى : "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ"(٧) فقد أكّد ربُّ العزّة وأقرّ حقيقة قلبها النصارى ، وهي أنّ المسيح-عليه السلام-رسول كما في الرسل ، وليس إلها كما يدّعي النصارى . وقوله تعالى : "مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ"(٨) وقوله تعالى : "وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ"(٩) وقد أكّد الله - سبحانه و تعالى - أنّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - مكلّف بالبلاء ، وأنّ الله وحده كاشف الضُّرّ ، ولا كاشف غيره .

وقوله تعالى : "وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ"(١٠) وغير ذلك من الآيات الكريمة الكثيرة التي خرج فيها الاستثناء ، إلى معنى التوكيد والاقرار .

ومّما يثبت أنّ أسلوب الاستثناء يخرج إلى معنى التوكيد والاقرار والإثبات ، فقد ورد هذا الاسلوب في مخاطبة الكافرين والمشركين ، في الآيات الكريمة التي ترمي إلى إثبات وحدانية الله - عزّ وجلّ - ولهذا ففي كلّ الآيات الكريمة التي دعت إلى وحدانية اللّه - عزّ وجلّ - ورد فيها أسلوب الاستثناء لتأكيد هذه الحقيقة وإقرارها .

---

١. المائدة / الآية ٧٣ . ٢. طه / الآية ٨
٣. طه / الآية ١٤ . ٤. طه / الآية ٩٨ .
٥. النمل / الآية ٢٦ .
٦. الحشر / الآيتان ٢٢ ، ٢٣ . التغابن / الآية ١٣ .
٧. المائدة / الآية ٧٥ .
٨. المائدة / الآية ٩٩ .
٩. الأنعام / من الآية ١٧ . ١٠. الأنعام / من الآية ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Tlemcen

إظهـــار الضّعـــف والعجـــز :

وأكثر ما خرج معنى الاستثناء إلى هذا المعنى البلاغي ، في خطاب الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ربّ العزّة - مظهرين ضعفهم ، أمامه - سبحانه وتعالى - لما لاقوه من عنت أقوامهم ، لاعراضهم عن الإيمان ، وتمسكهم بالكفر والعناد والإلحاد .

فقد خرج معنى الاستثناء إلى هذا المعنى ، في قوله تعالى : " قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ "(١) فقد أظهروا عجزهم أمام - ربّ العزّة - لأنّ علمهم محدود ، ولا علم لهم إلاّ ما علمهم إياه .

وقوله تعالى : " وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً "(٢) فقد أظهر الرسول - عليه السلام - ضعفه أمام ربّ العزّة - سبحانه وتعالى - عندما طلب إليه الكفّار أن يفعل المعجزات ، التي وردت في الآيات الكريمة السابقة على هذه الآية في قوله تعالى : " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً أو تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً أو تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أو تَأْتِيَ بِاللّهِ والمَلائِكَةِ قَبِيلاً أو يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أو تَرْقَى في السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً "(٣) .

وقوله تعالى : " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً ونَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاّ فِرَاراً "(٤) فقد شكا سيّدنا نوح - عليه السّلام - ضعفه لربّه - عزّ وجلّ - لأنّه لم يستطع اقناعهم بالإيمان بالله ، لا بل زادتهم دعوته لهم إعراضا وكفرا .

التهديـــد والوعيـــد :

لقد اختص هذا المعنى بما خاطب الله - سبحانه وتعالى - الكافرين والمشركين المعرضين عن الإيمان ، إذ خرج معنى الاستثناء في الآيات الكريمة ، إلى معنى التهديد والوعيد ، في قوله تعالى : " الذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاّ كَمَا يَقُومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشيطانُ مِنَ المَسِّ "(٥) فقد خرج معنى الاستثناء في الآية الكريمة ، إلى معنى التهديد والوعيد للذين يأكلون الربا .

---

١ . البقرة / من الآية ٣٢ . ٢ . الاسراء / الآية ٩٣ .
٣ . الاسراء / الآيات ٩٠ - ٩٣ . ٤ . نوح / الآيتان ٥ ، ٦ .
٥ . البقرة / من الآية ٢٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ "(١) فخرج معنى الاستثناء في الآية الكريمة إلى تهديد ووعيد من الله - عزّ وجلّ - لهم ، لمواقفهم من القرآن الكريم وآياته .

وقوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "(٢) فقد تكرّر تهديد الله - عزّ وجلّ - ووعيده لهم في الآية الكريمة بصورة مرعبة من ألوان العذاب .

وقوله تعالى : " أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "(٣) فقد أفاد معنى الاستثناء في الآية الكريمة الوعيد والتهديد بالعذاب بنار جهنّم ، جزاء ما عملوا من سيئات ، وأعمال باطلة .

وقوله تعالى : " وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ "(٤) فقد خرج معنى الاستثناء في الآية الكريمة ، إلى معنى التهديد والوعيد بسبب إنكارهم يوم القيامة .

وقوله تعالى : " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآبًا لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وِفَاقًا "(٥) وقوله تعالى : " وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا "(٦) وقوله تعالى : " فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى "(٧)

فقد خرج معنى الاستثناء في هذه الآيات الكريمة جميعها ، إلى معنى التهديد والوعيد ، لكلّ من لم يمتثل لأوامر الله وأصمّ أذنيه عن الحقّ ، وأعرض عن الإيمان ، وأغرق في الكفر والعناد . فجاء أسلوب الاستثناء يحمل معاني التهديد والوعيد ، العذاب الشديد بجميع ألوانه وأشكاله الواردة في الآيات . وقد ساعد أسلوب الاستثناء على الحدّة والقوة في

---

١. البقرة / من الآية ٨٥ .
٢. البقرة / الآية ١٧٤ .
٣. هود / الآيتان ١٥ ، ١٦ .
٤. يس / الآيتان ٤٨ ، ٤٩ .
٥. النبأ / الآيات من ٢١ - ٢٧ .
٦. النبأ / الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .
٧. الليل / الآيتان ١٤ ، ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنى التهديد والوعيد الوارد في الآيات الكريمة ، هذا إضافة إلى ما اشتمل النظم من ألفاظ مصورة لشدّة العذاب ، مثل جهنّم ، مرصاد ، مآب ، أحقاب ، حميم ، غسّاق ، تلظّى الأشقى .

التحقير والتوبيخ :

من المعاني البلاغية التي خرج إليها معنى الاستثناء ، التحقير والتوبيخ ، وهو معنى ورد في آي الذكر الحكيم لتحقير الأمور التي نهى عنها الاسلام وتوبيخ الذين اقترفوها ظلما وعنادا ، كما في قوله تعالى : " وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ "(١) فقد أفاد معنى الاستثناء تحقير الرافض لملّة إبراهيم - عليه السلام وتوبيخه ووصفه بالسفيه .

وقوله تعالى : " وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ "(٢) تحقيرا للحياة الدنيا الفانية

وقوله تعالى : " وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا "(٣) فقد خرج معنى الاستثناء في الآية الكريمة إلى احتقار تلك الآلهة التي عبدوها من دون الله - عزّ وجلّ - وهي آلهة حقيرة لأنّها جمادات لا تنفع ولا تضرّ ، وتدلّ على سخافة من يعبدها .

ولننظر إلى معاني التحقير التي تكرّرت في هذه الآية الكريمة بقوله تعالى : " وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلّا أنّهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصّلاة إلّا وهم كسالى ولا ينفقون إلّا وهم كارهون "(٤) فقد تكرّر أسلوب الاستثناء في هذه الآية الكريمة ثلاث مرات ، وقد جاء وصفهم يفيض بالتحقير والتوبيخ على ما بدر منهم من أعمال سيئة عند الله عزّ وجلّ - من شيء .

وقوله تعالى : " أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا "(٥) فقد وصلت درجة الحقارة بهم أنّهم أضلّ سبيلا من الأنعام والحيوانات السائمة ، وأنّ هذا المعنى البلاغي المستفاد من النظم ، ما جاء إلّا من خلال معنى الاستثناء الذي أفاد في هذه الآية الكريمة ، معنى التحقير الذي جعلهم أقلّ قيمة من

---

١ . البقرة / من الآية ١٣٠ . ٢ . آل عمران / من الآية ١٨٥ . والحديد / من الآية ٢٠ .
٣ . النساء / من الآية ١١٧ . ٤ . التوبة / الآية ٥٤ .
٥ . الفرقان / الآية ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأنعام ، لأنهم لا يسمعون كلام الحقّ ولا يستخدمون عقولهم في التفكير لتمييز الحق من الباطل ، والإيمان من الكفر ، فهم أضلّ من الأنعام . وقد زاد التشبيه الوارد في أسلوب الاستثناء المعنى طرافة ، ثم زاد هذا المعنى الطريف عمقا الاضراب " بل هم أضل سبيلا "

وقوله تعالى : " وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ "(١) فقد أفاد معنى الاستثناء في هذه الآية الكريمة تحقير الذين عملوا السيئات وتأنيبهم وتعييرهم بما كانوا يفعلون .

الإباحة :

خرج معنى الاستثناء في آي الذكر الحكيم إلى هذا المعنى البلاغي الدالّ على الإباحة والسماح ، لتلطّف الله - عزّ وجلّ - بعباده ، كما في قوله - عزّ وجلّ - : ولكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً "(٢) إذ خرج معنى الاستثناء في الآية الكريمة إلى معنى الإباحة المشروطة .

وقوله تعالى : " لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً "(٣) فإن خروج معنى الاستثناء إلى معنى الإباحة والسماح لهم ، واضح في الآية الكريمة " أي إلّا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك ، فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة ، وابطان المعاداة "(٤)

وقوله تعالى : " قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ "(٥) فقد أدّى معنى الاستثناء إلى السماح لهم بالاغتراف باليد ، وهو الشرب القليل ، دون الكرع ، وهو الشرب الكثير " ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع "(٦)

وقوله تعالى : " قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً "(٧) فقد جعل الله - سبحانه وتعالى - آية سيّدنا زكريا - عليه السلام - لأنّه رزقه بيحيى - عليه السلام - في الكبر ، حيث كانت امرأته عاقرا كذلك ، ألّا يكلّم الناس ثلاثة أيام . ثم جاء أسلوب

---

١. النمل / الآية ٩٠
٢. البقرة / من الآية ٢٣٥
٣. آل عمران / من الآية ٢٨
٤. تفسير النسفي : جـ١ ، ص ١٥٣
٥. البقرة / من الآية ٢٤٩
٦. تفسير النسفي : جـ١ ، ص ١٢٥
٧. آل عمران / من الآية ٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستثناء "إلاّ رمزا" ليحمل معنى الإباحة والسماح في جواز استخدام الاشارة دون الكلام باللسان .

وقوله تعالى : " والمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إلاّ مَا مَلَكَتْ أيْمَانُكُم "(١) فقد حرّم ، الله - عزّ وجلّ - نكاح المحصنات من النساء ، أي ذوات الأزواج ، لأنّهنّ أحصنّ فروجهن بالتزوج ، واستثنى ماملكت أيمانهم بالسبي في دار الحرب" والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات أي اللاتي لهنّ أزواج إلا ما ملكتموهنّ بسبيهنّ وإخراجهنّ بدون أزواجهن ، فلوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي ، فتحلّ الغنائم بملك اليمين بعد الاستبراء(٢) ولذا فقد خرج معنى الاستثناء في الآية الكريمة ،إلى معنى الإباحة .

وقوله تعالى : " ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إلاّ بِالحَقِّ "(٣) . فقد خرج معنى الاستثناء في الآية الكريمة إلى معنى الإباحة والسماح " أي لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم بالحقّ الذي هو أمر الشرع بقتلها وذلك كما ورد في الخبر بالكفر بعد الإيمان ، والزنا بعد الإحصان ، وقتل النفس المعصومة "(٤) فقد أبيح قتل النفس بهذه الأسباب المذكورة .

وقوله تعالى : " ولا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إلاّ بِالّتي هِيَ أحْسَنُ حتّى يَبْلُغَ أشُدَّهُ "(٥) إذ خرج معنى الاستثناء في الآية الكريمة ،إلى التصرف بمال اليتيم بالتي هي أحسن ، أي : ما يفعل بماله كحفظه وتثميره(٦)

ومن الآيات الكريمة التي خرج فيها معنى الاستثناء إلى معنى الإباحة والإذن والسماح ، قوله تعالى : " قَالَ تَزْرَعُونَ سَبعَ سِنِينَ دَأباً فَمَا حَصَدْتُم فذروه في سنبله إلاّ قَلِيلاً مِمّا تَأكُلُونَ "(٧) وقوله تعالى : " وَقُل لِلْمُؤمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْهَا وليَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَى جُيُوبِهِنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لبُعُولَتِهِنّ أو آبائِهِنّ ... "(٨) وقوله تعالى : " يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيّ

---

١. النساء / من الآية ٢٤ - ٢. تفسير النسفي : جـ١ ، ص ٢١٨ .
٣. الأنعام / من الآية ١٥١ . والإسراء / الآية ٣٣
٤. تفسير النسفي : جـ٢ ، ص ٤٠ ، روح المعاني ،المجلّد الرابع ،جـ٨ ، ص ٥٤ الآلوسي
٥. الأنعام / من الآية ١٥٢ . والإسراء / الآية ٣٤ .
٦. تفسير النسفي : جـ٢ ، ص ٤٠ ، روح المعاني : المجلّد الرابع ،جـ٨ ،ص ٥٥ .
٧. يوسف / آية ٤٧ . ٨. النور / من الآية ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلاّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُم"[1] وقوله تعالى : " والذينَ هُمْ لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ إلاّ عَلَى أزْوَاجِهِم أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمانُهم فإنّهم غَيْرُ مَلُومِينَ"[2]

فقد أفاد معنى الاستثناء الوارد في هذه الآيات الكريمة جميعها معنى بلاغيا جديدا ، وهو الإباحة والإذن والسماح . ولعلّ هذا المعنى البلاغي الجديد المستفاد من النظم ، قد عُرف من خلال خروج هذا الاستثناء من معناه الأصلي في السياق ، إلى معنى الإباحة والاذن والسماح . وقد كان لهذا المعنى البلاغي الجديد بما يحمل من إباحة وسماح ، وتيسير على العباد من ربّ العزّة ، ولولا هذه الإباحة والسماح لكان الأمر فيه صعوبة وعسر على العباد ، ولكنّ الله لطيف بعباده ، ولننظر إلى قوله تعالى : "وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَى جُيُوبِهِنّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ ..."[3] فلو لم يرد أسلوب الاستثناء مرّتين في الآية الكريمة ، بحذف "إلا ما ظهر منها" وحذف "إلا لبعولتهن . . " لاستحال تنفيذ الأمر ، فأورد الله ـ سبحانه وتعالى ـ الاستثناء مرّتين لتيسير الأمر بهذا السماح الذي تكرّم به عزّ وجلّ ـ لأنّه لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها .

الرحمة :

من المعاني البلاغية التي خرج إليها معنى الاستثناء في آي الذكر الحكيم ، الرحمة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده ومخلوقاته ، في قوله تعالى : " لا يُكَلّفُ اللّهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ"[4] إذ خرج معنى الاستثناء في الآية الكريمة ، إلى معنى الرحمة ، فلأنّه ـ سبحانه وتعالى ـ أرحم الراحمين ، لم يكلّف النفس إلا طاقتها ، لأنّه يعلم ما يمكن أن تتحمله النفس .

وقوله تعالى : " لا يُكَلّفُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها أولئِكَ أصْحَابُ الجَنّةِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ"[5] فمن رحمة الله ـ تعالى ـ أنّه لا يكلّف نفساً إلا طاقتها ، لأنّه هو الذي خلقها وهو أعلم بها وبقدرتها ومدى تحملها .

---

١. الأحزاب / من الآية ٥٣ . ٢. المعارج / الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .
٣. النور / من الآية ٣١ . ٤. البقرة / من الآية ٢٨٦ .
٥. الأعراف / من الآية ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : "وَمَا كُنْتَ تَرجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الكِتَابُ إِلاّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلكَافِرِينَ"(١) وقوله تعالى : "وإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُم فَلا صَرِيخَ لَهُم وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلاّ رَحْمَةً مِنّا وَمَتَاعاً إِلى حِينٍ"(٢) وقوله تعالى : "يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عن مَوْلًى شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ إِلاّ مَنْ رَحِمَ اللهُ"(٣) إِنّ المعنى الذي خرج إليه الاستثناء في هذه الآيات الكريمة جميعها ، هو معنى الرحمة والشفقة من الله - عزّ وجلّ - وقد برز هذا المعنى في السياق من خلال أسلوب الاستثناء الوارد في هذه الآيات الكريمة ، وقد وردت لفظة الرحمة نفسها في بعضها ، تأكيدا لهذا المعنى .

النصـــــح والإرشـــــاد :

خرج معنى الاستثناء في آي الذكر الحكيم ، إلى معنى النصح والإرشاد ، في مواقف عدّة ، تهدف إلى خدمة المقام ، ومقتضى الحال الذي تعبّر عنه الآية الكريمة ، كما في قوله تعالى : "يا بَنِيَّ إِنّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وأَنتُم مُسْلِمُونَ"(٤) ومثلها قوله تعالى : "يا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وأَنْتُم مُسْلِمُونَ"(٥) إذ إِنّ معنى النصح والإرشاد واضح ، من خلال خروج معنى الاستثناء إلى هذا المعنى البلاغي المستفاد من السياق في الآيتين الكريمتين ، وهو أن يموت الفرد على الاسلام والإيمـــان ، وليس على الكفر والإلحاد .

وقوله تعالى : "يا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُم وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاّ الحَقَّ"(٦) إِنّ معنى الاستثناء في هذه الآية الكريمة خرج إلى معنى النصح والإرشاد لأهل الكتاب في أن لا يقولوا على الله إِلاّ الحق ، وألا يزيّغوا الحقّ ويغلّطوا الباطل ، لأنّ الحقّ أحقّ أن يقال ويُتّبـــــع .

وقوله تعالى : "وأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاّ بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِم وَلا تَكُ في ضِيقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ"(٧) إذ خرج معنى الاستثناء في هذه الآية الكريمة إلى النصح والإرشاد بالصـــبر المثبّت والموفّق من الله - عزّ وجلّ - فربطت الآية الصبر بتوفيق الله وتثبيته ، ليكون أكثـــر صبرا وثقة بعون الله .

---

١. القصص / الآيـــة ٨٦ ٢. سورة يس / الآية ٤٤
٣. الدخان / الآيتان ٤٠ ، ٤١ ٤. البقرة / من الآية ١٣٢
٥. آل عمران / الآية ١٠٢ ٦. النساء / من الآية ١٧١
٧. النحل / من الآية ١٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنّ هذه الآيات الكريمة جميعها ، التي خرج فيها الاستثناء إلى معنى النصح والإرشاد ،قد ورد هذا المعنى ليوافق معطيات المقام ومقتضى الحال في الآيات الكريمة .

الإنكـــــــــــــــــــار :

لا شكّ أن خروج معنى الاستثناء في النظم إلى معنى الإنكار والرفض ،يزيـــد الاستثناء بلاغة وبيانا ، لما يحمله هذا المعنى من إيحاءات نفسية تجاه الأمـــر المنكـــر والمرفوض ،لتركه أو الابتعاد عنه ، كما في قوله تعالى :" وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَـــأً "(١) فإنّ الله سبحانه وتعالى - ينكر أن يقتل مؤمن مؤمنا إلاّ عن طريق الخطأ غير المتعمّد .

وقوله تعالى :" أَفَغَيْرَ اللّهِ ابْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الذي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً "(٢) وقوله تعالى :" قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ "(٣) وقوله تعالى :" يا أَيُّهَـــا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّهِ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ "(٤) فقـــد ورد الاستثناء في هذه الآيات الكريمة ،بأداة الاستثناء (غير) وقد خرج معنى الاستثناء فيها إلى معنى الإنكار ،لخدمة المقام ،ومقتضى الحال اللذين ورد فيها الكلام.

الادّعـــــاء الباطـل والكـــــاذب :

فقد خرج معنى الاستثناء في آي الذكر الحكيم إلى معنى الادّعاء الباطل ،غير القائم على الحقائق والاثباتات ،وإنّما على الكذب والأباطيل ،وقد ورد هذا المعنى علـى لسان الكافرين والمشركين والمنافقين ،وحاشا أن يكون في قول اللّهِ - عزّ وجلّ - هـــذه المعاني الباطلة الكاذبة إلاّ ما ورد على لسان الكافرين والمشركين والمنافقين ،كما فـي قوله تعالى على لسان الكافرين :" فَقَالَ المَلأُ الذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُم يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ "(٥) وقوله تعالى :" إِنْ هذا إِلاَّ رَجُلٌ بِـــهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِـهِ حَتَّى حِينٍ "(٦) وقوله تعالى :" وَقَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنيا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُم يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ "(٧) إنّ معنى الادّعاء الكاذب

---

١. النساء / من الآية ٩٢
٢. الأنعام / من الآية ١١٤
٣. الانعام / من الآية ١٦٤
٤. فاطر / من الآية ٣
٥. المؤمنون / من الآية ٢٤
٦. المؤمنون / الآية ٢٥
٧. المؤمنون / من الآية ٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والباطل الذي خرج إليه معنى الاستثناء واضح كلّ الوضوح في كلام الكافرين بحقّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - ورد هذا المعنى بصورة الاستثناء لزيادة الباطل باطلا والكذب كذبا في هذا المقام .

وقوله تعالى : "إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افترى عَلَى اللّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ"(١) وقوله تعالى : "لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وآباؤنا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ"(٢) وقوله تعالى: "وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ إِفْكٌ افتراه وأعانه عَلَيه قَومٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً"(٣) وقوله تعالى : "وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً"(٤) وقوله تعالى : "وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والذين فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُه إِلاَّ غُرُوراً"(٥) .

كما ورد هذا الادّعاء الباطل والكاذب ، على لسان الكافرين ثلاث مرات في آية واحدة في قوله تعالى : "وإذا تُتْلَى عَلَيهِم آيَاتُنا بَيِّناتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يريد أَنْ يَصُدَّكُم عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُم وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلحَقِّ لَمَّا جَاءَهُم إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ"(٦) .

إنّ الذي يسترعي الانتباه في هذه الآيات الكريمة التي خرج فيها معنى الاستثناء إلى معنى الادّعاء الباطل والكاذب ، أنّ عبارة "إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" التي أطلقها الكافرون والمشركون والمنافقون على القرآن الكريم ، قد تكرّرت غير مرّة ، في سياق وصفهم القرآن الكريم ، وأنّ هذا الوصف الذي أطلقوه مخالف كلّ المخالفة لحقيقة القرآن الكريم ولما ورد فيه - كما هو معروف - إذ إنّ القرآن الكريم قد اشتمل على العبادات والمعاملات والأحكام ، والتوحيد ، وقصص الأنبياء ، وأخبار الأمم السالفة ، وأخبار الغيب ، وبعض أنباء المستقبل وبعض القضايا العلمية ، وغير ذلك ، وباختصار ، إنّه كتاب دين ودولة ونظام سياسي واجتماعي واقتصادي ، ينفع الانسان في حياته وآخرته ، في كلّ زمان ومكان .

---

١. المؤمنون / الآية ٣٨ ٢. المؤمنون / الآية ٨٣
٣. الفرقان / الآية ٤ ٤. الفرقان / الآية ٨
٥. الاحزاب / الآية ١٢ ٦. سبأ / الآية ٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذا فإنّ وصفهم القرآن الكريم بهذه الصفة التي لا تليق بجلاله وقداسته. إمّا أن يكون ناتجا عن جهل لما فيه، لعدم اطّلاعهم على مضمونه، لأنّهم لو اطّلعوا عليه لعرفوه وميّزوا فضله، وهم أرباب الفصاحة والبيان. وإمّا عن تجاهل وعناد وكفر، وهنا يكمن الخطر في اتهام القرآن الكريم، زورا وبهتانا بهذه النعوت البعيدة عن الحقيقة، وإنّما هي ادعاءات وأباطيل كاذبة، يفنّدها ما اشتمل عليه هذا الكتاب الرباني الخالد، الذي أنزله اللّهُ - عزّ وجلّ - على سيّدنا محمد - صلّى الله عليه وسلّم -، خاتم الأنبياء والمرسلين، ليكون نبراس البشرية عبر القرون إلى يوم الدّين.

ومجمل القول إنّ ما ورد على لسان الكافرين والمنافقين والمشركين بحق الانبياء والدّيانات والكتب السماوية في هذه الآيات الكريمة جميعها، بأسلوب الاستثناء، قد خرج فيها معنى الاستثناء إلى معنى الادّعاء الباطل الكاذب الذي يصور حقيقتهم البعيدة عن الايمان، بأسلوب يكشف ادّعاءاتهم وأباطيلهم واتهاماتهم الكاذبة الباطلة، التي تكشف عن جهلهم وغبائهم وعنادهم وكفرهم، أو تجاهلهم وإعراضهم عن الحقّ والحقيقة وقد ورد في القرآن الكريم آيات عدّة غير هذه التي ذكرت، خرج فيها معنى الاستثناء إلى معنى الادّعاء الباطل.(١)

التفنيد :

فقد خرج معنى الاستثناء في القرآن الكريم، إلى معنى التفنيد، في الآيات الكريمة التي فنّد الله - سبحانه وتعالى - ادّعاءات الكافرين وأقوالهم الكاذبة المغلوطة كما في قوله تعالى: " يا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوراةُ والإِنْجِيلُ إِلاّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ "(٢) فقد فنّد اللّهُ - سبحانه وتعالى - ادّعاءاتهم بحقيقة تاريخيّة في أنّ سيّدنا إبراهيم - عليه السلام - سابق على التوراة والانجيل، وقد مُزج هذا التفنيد بالتوبيخ في أنّهم لا يعقلون.

---

١. الشعراء / الآية ١٥٤، ١٨٦. النمل / الآية ٦٨.
الروم / الآية ٥٨. سورة يس / الآيتان ١٥، ٤٧.
الصافات / الآيتان ١٥، ٥٨. سورة ص / الآية ٧.
الجاثية / الآية ٢٤. الاحقاف / الآية ١٧.
الذاريات / الآية ٥٢. الملك / الآية ٩.

٢. آل عمران / الآية ٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا "(١) وقوله تعالى : " وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي عَنِ الْحَقِّ شَيْئًا "(٢)

إنّ معنى التقنيد الذي خرج إليه معنى الاستثناء في الآيات الكريمة المذكورة واضح ،إذ إنّ اللّهَ - سبحانه وتعالى - قد كشف الحقيقة ،وبيّن الخداع والمداهنة ، بقوله - عزّ وجلّ - : " إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا " " إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ " وغير ذلك من الآيات الكريمة التي خرج فيها معنى الاستثناء إلى معنى التقنيد وكشف الحقائق .

التعليـــل وبيـــان السبـب :

فقـد خرج معنى الاستثناء في آي الذكر الحكيم ، إلى معنى التعليل وبيان السبب ، إذ ورد المستثنى بعد (إلّا) موضحا السبب ، ومعلّلا حدوث الفعل قبله، كما في قوله تعالى : " وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ "(٣) أي " إلّا امتحانا للناس وابتلاء ،لنعلم الثابت على الاسلام ، الصادق فيه ممّن هو على حرف ، ينكص على عقبيه ،فيرتدّ عن الاسلام عند تحويل القبلة "(٤) ولذا فقد خرج معنى الاستثناء في الآية الكريمة ،إلى التعليل والسببيّة .

وقوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ "(٥) وقوله تعالى : " وما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الذي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "(٦) وقوله تعالى : " وما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا "(٧) وقوله تعالى : " طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى "(٨) وقوله تعالى : " وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ "(٩) وقوله تعالى : " لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ "(١٠) إنّ نظرة إلـــى

---

١. الاحزاب / الآية ١٣ . ٢. النجـم / الآيـة ٢٨ .
٣. البقرة / من الآية ١٤٣
٤. تفسير النسفي :ج١ ،ص ٨٠، روح المعاني :المجلّد الأوّل .ج٢ . ص ٥ .
٥. النســـاء / من الآية ٦٤ .
٦. النحل / الآيـة ٦٤ . ٧. الإسراء / الآيـة ٥٩ .
٨. طـه / الآيات من ١ - ٣ . ٩. القصص / الآيـة ٥٩ .
١٠. الطلاق / من الآيـة ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوب الاستثناء في هذه الآيات الكريمة تجعلنا نعي أنّ معنى الاستثناء فيها ، قد خرج إلى التعليل والسببيّة ،الذي اقتضاه النظم والسياق والمقام ومقتضى الحال .

كما أنّه من الملاحظ أنّ هذا التعليل قد ورد بعد حكم ، لتعليله أو لبيان سببه ،لاقناع المخاطب بهذا الحكم الوارد في مقدّمة الكلام .

السخرية والاستهزاء :

من المعاني البلاغية التي خرج إليها معنى الاستثناء ،في سياق الآيات الكريمة في القرآن الكريم ،السخرية والاستهزاء . وقد ورد هذا المعنى في آي الذكر الحكيم لإظهار السخرية والاستهزاء من الكافرين والمشركين والمنافقين ،ردّا على أعمالهم وأقوالهم وما يفعلون ،كما في قوله تعالى :" وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً يَعِدُهُم وَيُمَنِّيهِم وما يَعِدُهُم الشَّيْطانُ إلاّ غُرُوراً "(١) إنّ خروج معنى الاستثناء إلى معنى السخرية والاستهزاء من أولئك الذين اتخذوا الشيطان ولياً من دون الله واضح لأنّ ما منّاهم به الشيطان وما وعدهم إلا غرورا ،أي كذبا وخداعا ، وليس حقيقة .

وقوله تعالى :" إنَّ الذينَ كَفَروا وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُم ولا لِيَهدِيَهُم طَرِيقاً إلاّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها أبَداً "(٢) فقد بلغ الاستهزاء والسخرية في قوله تعالى :" وَلاَ يَهْدِيهِم إلاّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ " ذروته ، لأنّ الهداية لا تكون إلاّ لطريق الخير ، ولكنّها هنا في أسلوب الاستثناء ،قد خرجت إلى طريق جهنّم ،وهذا أعظم الاستهزاء والسخرية منهم ،لأنّ طريق جهنّم طريق ضلال وكفر وعذاب .

وقوله تعالى :" ألاَ إنّ لِلّهِ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ في الأرْضِ وَما يَتّبِعُ الذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ شُرَكاءَ إنْ يَتّبِعُونَ إلاّ الظّنَّ وإنْ هُمْ إلاّ يَخْرُصُونَ "(٣)

لعلّ خروج معنى الاستثناء في هذه الآيات الكريمة إلى معنى السخرية والاستهزاء ،قد خدم المقام ومقتضى الحال ، لأنّ مواقفهم وأقوالهم تستحق هذا المعنى

---

١. النساء / الآيتان ١١٩ ، ١٢٠ .
٢. النساء / من الآية ١٦٩ .
٣. يونس / الآية ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوضيـــــــح والتفســـــــير :

تولّد هذا المعنى البلاغي من معنى الاستثناء ،لتوضيح أمر مبهم وتفسيره في آي الذكر الحكيم ، في قوله تعالى :"وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ"(١) وقوله تعالى :"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"(٢) وقوله تعالى: "قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ"(٣) وقوله تعالى :"وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ"(٤) وقوله تعالى :"وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ"(٥) وقوله تعالى :"فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ"(٦) وقوله تعالى :"وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ"(٧) وغير ذلك من الآيات الكريمة التي خرج فيها معنى الاستثناء ، إلى التوضيح والتفسير لما سبق من الكلام ، وأنّ معنى التوضيح والتفسير ظاهر في هذه الآيات الكريمة ،إذ إنّ المعنى يبقى ناقصا وغامضا حتى يرد الاستثناء فيعمل على توضيح ذلك المعنى وتفسيره للمخاطب والسامع . وقد يكون المعنى الوارد واضحا ،ولكنّ المقام يتطلّب تأكيد هذا الوضوح ، فجاء عن طريق أسلوب الاستثناء الذي زاده توضيحا ليكون حجّة على المخاطبين .

المســـــــــاواة :

يخرج معنى الاستثناء إلى المساواة ،من خلال مقارنة المستثنى بما قبله ، كما في قوله تعالى :"مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"(٨) فالحسنة بعشر أمثالها ، أمّا السيئة فجزاؤها بمثلها ، فالجزاء مساو للسيئة ،وقد ورد معنى المساواة ،عن طريق خروج الاستثناء إلى هذا المعنى وتأكيده وهذا منتهى العدل من الله - سبحانه وتعالى - بحق العباد ،ولذا فقد ختمت الآية الكريمة بما يؤكّد هذا المعنى ،بقوله تعالى :"وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" .

ومثل هذه الآية قوله تعالى :"مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"(٩) وقوله تعالى :"مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا

---

١. الأنعام / من الآية ٣٨ . ٢. إبراهيم / من الآية ٤ .
٣. إبراهيم / من الآية ١١ . ٤. الحجر / الآية ٤ .
٥. النحل / من الآية ٧٧ . ٦. سبأ / من الآية ١٤ .
٧. الشورى / من الآية ٥١ . ٨. الانعام / الآية ١٦٠ .
٩. القصص / الآيـــــة ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُجزَى إلاّ مِثْلَها وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ"(١) .

إذْ إنّ معنى المساواة الوارد في الآيات الكريمة في جزاء السيئة واضح ، وقد تكرّر في الآيات الكريمة الثلاث .

ومن المعاني البلاغية الأخرى التي خرج إليها معنى الاستثناء في آي الذكر الحكيم ، بثّ الأمل والطمأنينة في نفوس المؤمنين ، كما في قوله تعالى : "وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إلاّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ"(٢) .

والتشكيك : كما في قوله تعالى : "وإنّ الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْه ما لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتّباعَ الظّنّ"(٣) .

والمقارنة : في قوله تعالى : "فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدّنْيا فِي الآخِرَةِ إلاّ قَلِيلٌ"(٤)

والإيمان بقضاء اللّهِ وقدره ، في قوله تعالى : "قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إلاّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنا"(٥)

وبيان الأجر والثواب : في قوله تعالى : "ولا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إلاّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إنّ اللّهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المُحْسِنِينَ"(٦) وقوله تعالى : "وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِياً إلاّ كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَهُم اللّهُ أحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"(٧) .

والاستسلام : في قوله تعالى : "إذا ضاقَتْ عَلَيْهِم الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِم أنفُسُهُم وظَنّوا أنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إلاّ إلَيْهِ"(٨) .

والتحريض : في قوله تعالى : "قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أرَادَ بِأهْلِكَ سُوءاً إلاّ أنْ يُسْجَنَ أو عَذَابٌ أليمٌ"(٩)

والإكبار والتعظيم : في قوله تعالى : "وقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إنْ هَذَا إلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ"(١٠)

---

١. غافر / من الآية ٤٠ . ٢. آل عمران / الآية ١٢٦ .
٣. النساء / من الآية ١٥٧ . ٤. التوبة / من الآية ٣٨ .
٥. التوبة / من الآية ٥١ . ٦. التوبة / من الآية ١٢٠ .
٧. التوبة / الآية ١٢١ . ٨. التوبة / من الآية ١١٨ .
٩. يوسف / من الآية ٢٥ . ١٠. يوسف / الآية ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثقة بالنفس : في قوله تعالى : " قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي "(١) .

والاشفاق والخوف : في قوله تعالى على لسان يعقوب - عليه السلام - : " قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ "(٢)

والتيئيس : في قوله تعالى : لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ "(٣)

والتعميم : في قوله تعالى : " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا "(٤) وقوله تعالى : " يَا وَيْلَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا "(٥)

والاعتراف : في قوله تعالى : " قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ "(٦)

والعتاب : في قوله تعالى : " يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ "(٧)

إضافة إلى هذه المعاني البلاغية التي خرج إليها الاستثناء ، في الآيات الكريمة وجاءت لخدمة المعنى والمقام ومقتضى الحال ، فهناك معان بلاغيّة أخرى كثيرة ، خرج إليها معنى الاستثناء في آي الذكر الحكيم .

ومع أنّ هذه المعاني البلاغية كثيرة في القرآن الكريم ، إلّا أنّ علماء البلاغة لم يشيروا إلا إلى النزر القليل منها ، وردت عرضا في كلامهم على القصر ، في حين أنهم بحثوا المعاني البلاغية التي يخرج إليها الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني بحثا مستفيضا ، وأوضحوا تلك المعاني ، وفصّلوا فيها وبينوها في آي الذكر الحكيم وفن القول

---

١. يوسف / من الآية ٣٧ .
٢. يوسف / الآية ٦٤ .
٣. الرعد / الآية ١٤ .
٤. الاسراء / الآية ٤٤ .
٥. الكهف / من الآية ٤٩ .
٦. الشعراء / الآيات من ٩٦ - ١٠٠ .
٧. القصص / من الآية ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربي(١) في حين أنهم لم يذكروا هذه المعاني البلاغية التي يخرج إليها الاستثناء إلّا ما ندر جدا .

وهذه المعاني البلاغية التي يخرج إليها الاستثناء ،هي كما لاحظنا معان غنية ،ذات دلالات انسانية واجتماعية وعقلية وذهنية ونفسية ووجدانية وعاطفية ، تمس حياة الانسان في حياته وفي آخرته ،وتنظّم علاقاته بربّه ،ثم بنفسه وأخيه الانسان ومجتمعه .

المستثنى وأغراضه في القرآن الكريم

عرفنا أن أسلوب الاستثناء قد يخرج عن معناه الأصلي ،إلى معان بلاغية كثيرة ، تمّ إيضاحها في الموضوع السابق .

أمّا عن المستثنى الواقع بعد أداة الاستثناء ،وأغراضه في القرآن الكريم ،فهي أغراض عدّة يصعب حصرها لكثرتها ،وعلى الرغم من ذلك ،وبعد استقراء آيات الاستثناء في القرآن الكريم ،فقد تمّ حصر أكثر الألفاظ ورودا بعد أداة الاستثناء ،والغرض من ورودها في سياق الآيات الكريمة ، ويمكن حصرها بما يلي :

أولا : لفظ الجلالة ، وأسماء الله الحسنى وما يدل عليها :

فقد ورد لفظ الجلالة وأسماؤه الحسنى ، والضمائر العائدة إلى ذاته -سبحانه- الشيء الكثير في القرآن الكريم ،إذ إنّ ما ورد من ذلك بعد أدوات الاستثناء يفوق بأضعاف ما ورد من ألفاظ أخرى .

وقد تعدّدت أغراض ورود لفظ الجلالة وأسمائه الحسنى ،والضمائر العائدة إليه بعد أدوات الاستثناء تعدّدا كثيرا ، كان أشهرها ، الدعوة إلى وحدانية الله ،والإقرار

---

١. انظر : مفتاح العلوم : ص١٠٤ ، السكاكي . التلخيص في علوم البلاغة : من ص ١٥١ - ص١٧٥ ، القزويني . المصباح في المعاني والبيان والبديع : الفصل الخامس من ص٨٣ - ص٩٢ ، ابن الناظم . الطراز : جـ٢ ، من ص١٤٨ - ص١٩٣ ،يحيى بن حمزة العلوي . معترك الأقران في إعجاز القرآن :جـ١ ، من ص٣٢٧ - ص٣٤٥ السيوطي . أنوار الربيع : جـ٢ ، من ص١٣٤ - ص١٨٧ ،ابن معصوم. شروح التلخيص : التفتازاني ،ابن يعقوب المغربي ، السبكي ، الدسوقي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهذه الحقيقة وإثباتها وتأكيدها . كما في قوله تعالى : " وإلَهُكُم إلَهٌ واحِدٌ لا إلَه إلاّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ "(١) وقوله تعالى : " اللّهُ لا إلَه إلاّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ "(٢) وقوله تعالى : شَهِدَ اللّهُ أنّهُ لا إلَهَ إلاّ هُوَ "(٣) وقوله تعالى : " وَمَا مِنْ إلَهٍ إلاّ اللّهُ "(٤) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الكثيرة التي ورد فيها اسم الله تعالى - بعد أداة الاستثناء ، لتأكيد وحدانيته - عزّ وجلّ - .

ومن أغراض ورود لفظ الجلالة بعد أداة الاستثناء ، بيان قدرته - عزّ وجلّ - التي لا يشاركه فيها أحد ، كما في قوله تعالى : " وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ اللّهُ "(٥) وقوله تعالى : " وإنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاّ هُوَ "(٦) وقوله تعالى : " قُلْ أرأيْتُم إنْ أخَذَ اللّهُ سَمْعَكُم وأبْصَارَكُم وخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَنْ إلَهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأتِيكُم بِهِ "(٧) وقوله تعالى : " إنِ الحُكْمُ إلاّ لِلّهِ "(٨) .

ومن أغراض ورود لفظ الجلالة بعد أداة الاستثناء ، بيان علم الله - عزّ وجلّ - كما في قوله تعالى : " وعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلاّ هُوَ ويَعْلَمُ ما في البَرِّ والبَحْرِ وما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلاّ يَعْلَمُها وَلا حَبَّةٍ في ظُلُمَاتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلاّ في كِتَابٍ مُبِينٍ "(٩) وقوله تعالى : " ألَمْ يَأتِكُم نَبَأُ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُم قَومِ نُوحٍ وعَادٍ وثَمُودَ والذِينَ مِنْ بَعْدِهِم لا يَعْلَمُهُم إلاّ اللّهُ "(١٠) وقوله تعالى : " وَما تَحْمِلُ مِنْ أنْثَى وَلا تَضَعُ إلاّ بِعِلْمِهِ "(١١) وقوله تعالى : " هُوَ اللّهُ لا إلَهَ إلاّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ "(١٢) وقوله تعالى : " وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاّ هُوَ "(١٣) .

ومن أغراضه ، بيان خشية اللّهِ ، في قوله تعالى : " إنّما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ وأقَامَ الصّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ ولَمْ يَخْشَ إلاّ اللّهَ "(١٤) وقوله تعالى : " الذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللّهِ ويَخْشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ إلاّ اللّهَ "(١٥) .

---

١. البقرة / الآية ١٦٣ .
٢. البقرة / من الآية ٢٥٥ .
٣. آل عمران / من الآية ١٨ .
٤. آل عمران / من الآية ٦٢ .
٥. آل عمران / من الآية ١٣٥ .
٦. الانعام / من الآية ١٧ .
٧. الانعام / من الآية ٤٦ .
٨. الانعام / من الآية ٥٧ .
٩. الانعام / من الآية ٥٩ .
١٠. النمل / من الآية ٦٥ .
١١. فاطر / من الآية ١١ .
١٢. الحشر / من الآية ٢٢ .
١٣. المدّثر / من الآية ٣١ .
١٤. التوبه / من الآية ١٨ .
١٥. الاحزاب / من الآية ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أغراضه التوكّل على الله واللجوء إليه في الشدائد ، كما في قوله تعالى : "قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلاّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنا"(١) وقوله تعالى : "إِذْ ضَاقَتْ عَلَيْهِم الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِم أَنْفُسُهُم وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَيْهِ"(٢) وقوله تعالى : "قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَه إِلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ"(٣) وغير ذلك من الآيات الكريمة .

ومن أغراضه بيان أجر الله - سبحانه وتعالى - وثوابه لعباده ، كما في قوله تعالى : "فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما أَسْأَلُكُم مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللّهِ"(٤) وقوله تعالى : "يا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللّهِ"(٥) وغير ذلك من الآيات الكريمة .

ومن أغراضه بيان إذن الله - عزّ وجلّ - في تنفيذ الأمور ، كما في قوله تعالى : "وَما هُمْ بِضَآلِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ"(٦) وقوله تعالى : "وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ"(٧) وقوله تعالى : "وما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلاّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللّهِ"(٨) وقوله تعالى : "وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ"(٩) وقوله تعالى : "وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ"(١٠) وقوله تعالى : "وَما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ"(١١) وقوله تعالى : "ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ"(١٢) وقوله تعالى : "يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّ بِإِذْنِهِ"(١٣) وقوله تعالى : "وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ"(١٤) وغير ذلك .

ومن أغراضه إثبات بقاء الله - عزّ وجلّ - وأزليته ، كما في قوله تعالى : "لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ"(١٥)

ومن أغراضه بيان توفيق الله - عز وجل - وأثره في تسيير أمور الخلق ، كما في قوله تعالى : "وَما تَوْفِيقِي إِلاّ بِاللّهِ"(١٦)

---

١. التوبة / من الآية ٥١
٢. التوبة / من الآية ١١٨
٣. الرعد / من الآية ٣٠
٤. يونس / من الآية ٧٢
٥. هود / من الآية ٢٩
٦. البقرة / من الآية ١٠٢
٧. البقرة / من الآية ١٤٥
٨. النساء / من الآية ٦٤
٩. يونس / من الآية ١٠٠
١٠. الرعد / من الآية ٣٨
١١. إبراهيم / من الآية ١١
١٢. التغابن / من الآية ١١
١٣. هود / من الآية ١٠٥
١٤. الحج / من الآية ٦٥
١٥. القصص / من الآية ٨٨
١٦. هود / من الآية ٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أغراض ذكر اسمه تعالى بيان عموم رزقه وخيراته على مخلوقاته ، كما في قوله تعالى : "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا"(١) وهناك أغراض أخرى لذكر اسم الله تعالى بعد اداة الاستثناء في آي الذكر الحكيم .

ثانيا : الرسل وصفاتهم :

ذكر الرسل وصفاتهم بعد أدوات الاستثناء في القرآن الكريم ، سواء أكان هذا الذكر ايجابا من الله - سبحانه وتعالى - أم سلبا من الكافرين . وقد تعددت أغراض ذكر الرسل وصفاتهم ، بعد أدوات الاستثناء ، ومن هذه الاغراض :

تأكيد رسالاتهم واثباتها : في قوله تعالى : "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ"(٢) وقوله تعالى : "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ"(٣) ومن هذه الاغراض تقرير صفاتهم البشرية والانسانية واثباتها وتأكيدها ، حتى لا يتخذوا أربابا من دون الله ، ومن ذلك قوله تعالى : "وَقَالَ الْمَلأُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا"(٤) وقوله تعالى : "وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ"(٥) وقوله تعالى : "قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ"(٦) وقوله تعالى : "قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً"(٧) وغير ذلك من الآيات الكريمة .

ومن هذه الأغراض بيان الهدف من إرسالهم وإيضاح طبيعة عملهم ، في قوله تعالى : "وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ"(٨) وقوله تعالى : "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ"(٩) وقوله تعالى : "إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(١٠) وقوله تعالى : "وما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مبشرين ومنذرين"(١١) وقوله تعالى : وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ"(١٢) .

ومن هذه الأغراض بيان موقف الكافرين من الرسل ، في قوله تعالى : "وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"(١٣) وقوله تعالى : "إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ

---

١. هود / من الآية ٦
٢. آل عمران / من الآية ١٤٤
٣. المائدة / من الآية ٧٥
٤. هود / من الآية ٢٧
٥. يوسف / من الآية ١٠٩
٦. إبراهيم / من الآية ١١
٧. الاسراء / من الآية ٩٣
٨. الانعام / من الآية ٤٨
٩. الاعراف / من الآية ١٨٤
١٠. الاعراف / من الآية ١٨٨
١١. الكهف / من الآية ٥٦
١٢. الشعراء / من الآية ١١٥
١٣. الحجر / الآية ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً[١] وقوله تعالى : "إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ[٢]" وقوله تعالى : "إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً وما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ[٣]" وغير ذلك .

ثالثا : ذكر صفات القرآن الكريم :

فقد وردت صفات القرآن الكريم الايجابية والسلبية ، التي وردت على لسان الكافرين ، ومن أغراض ذكر صفات القرآن الكريم ، بعد أداة استثناء : إبراز صفاته في هدي الناس وتذكيرهم ، كما في قوله تعالى : "قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرى لِلْعالَمِينَ[٤]" وقوله تعالى : "طه مَا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرآنَ لِتَشْقَى إِلاّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى[٥]" وقوله تعالى : "وَمَا عَلَّمْناه الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وَقُرآنٌ مُبِينٌ[٦]" وغيرها .

ومن أغراض وصف القرآن الكريم ، تكذيب الكافرين وكشف نواياهم ، إذ وصفوه بالسحر ، كما في قوله تعالى : "وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً في قِرْطاسٍ فَلَمَسُوه بِأَيْدِيهِم لَقالَ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ[٧]" وقوله تعالى : "وإِذا رَأَوا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقالُوا إِنْ هَذَا إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ[٨]" وغيرها .

ومن أغراض وصف القرآن الكريم بأساطير الأولين ، تكذيب الكافرين وكشف نواياهم وفضح مواقفهم من القرآن الكريم ، إذ يقول الله تعالى : "يَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاّ أَساطِيرُ الأَوّلِينَ[٩]" وقوله تعالى : "وَلَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وآباؤنا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاّ أَساطِيرُ الأَوّلِينَ[١٠]" وغيرها .

رابعا : ذكر إعراض الكافرين وفسقهم وفجورهم :

والغرض من ذلك بيان صفاتهم وكشف مساوئهم ، من فسق وفجور ونفاق وغرور وكسل وكذب وضلال ، كما في قوله تعالى : "يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ويَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاّ الفاسِقِينَ[١١]" وقوله تعالى : "وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِها إِلاّ الفاسِقُونَ[١٢]"

---

١. الإسراء / من الآية ٤٧
٢. المؤمنون / الآية ٢٥
٣. المؤمنون / الآية ٣٨
٤. الانعام / الآية ٩٠
٥. طه / الآية ٣
٦. يس / الآية ٦٩
٧. الانعام / الآية ٧
٨. الصافات / الآية ١٥
٩. الانعام / الآية ٢
١٠. المؤمنون / الآية ٨٣ ، والنمل / الآية ٦٨
١١. البقرة / الآية ٢٦
١٢. البقرة / الآية ٩٩ .

All Rights Reserved. Thesis of Yarmouk University, Deposit to Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " ولا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُم كَارِهُونَ "(١) وقوله تعالى : " قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ "(٢) وقوله تعالى : " قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ "(٣)

خامساً : ذكر الكافرين والمنافقين والظالمين :

والغرض من ذكرهم ، بيان صفاتهم ،السيئة المعادية لوحدانية الله ، مما يكرس غضب الله عليهم ، في قوله تعالى : " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ "(٤) وقوله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ "(٥) وقوله تعالى : " وَإِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ "(٦) .

سادساً : ذكر جهنّم والنار والعذاب :

فقد ورد ما بعد أداة الاستثناء ، ذكر جهنّم والنار والعذاب ،ترهيبا للبشر وردعا للكافرين والمشركين والمنافقين والظالمين والخارجين عن أحكام الله تعالى وأوامره كما في قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ نَاراً "(٧) وقوله تعالى : " أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ "(٨) وقوله تعالى : " لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً "(٩) وقوله تعالى : " فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً "(١٠) وغيرها .

سابعا : ذكر رحمة الله - تعالى - :

ورد ذكر الرحمة بعد أداة الاستثناء لبيان رحمة الله - تعالى - بمخلوقاته واحسانه إليهم ، وقد وسعت رحمته السماوات والأرض . إذ ورد ذكر رحمته - تعالى - في قوله : " إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي "(١١) وقوله تعالى : " فَمِمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ "(١٢) وقوله تعالى : " وما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ "(١٣)

---

١. التوبة / من الآية ٥٤
٢. هود / من الآية ٥٠
٣. الحجر / الآية ٥٦
٤. البقرة / الآية ١٩٣
٥. الانعام / من الآية ٤٧
٦. يوسف / من الآية ٨٧
٧. البقرة / من الآية ١٧٤
٨. هود / الآية ١٥
٩. النبأ / الآيتان ٢٤ ، ٢٥
١٠. النبأ / الآية ٣٠
١١. يوسف / من الآية ٥٣
١٢. الإسراء / الآية ٨٦
١٣. الانبياء / الآية ١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " وإنْ نَشأْ نُغْرِقْهُم فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ إلاّ رَحْمَةً مِنّا "(١) وقوله تعالى : " يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ إلاّ مَنْ رَحِمَ اللّهُ "(٢) .

ثامنا : الحـــــق :

ورد لفظ (الحق) بعد أداة الاستثناء ، ليؤدّي غرضا دينياً واجتماعياً ، فـــي إحقاق الحقّ والالتزام بـــه ، ونبذ الباطل ، والابتعاد عنه ، كما في قوله تعالى : " وَلا تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إلاّ الحَقّ "(٣) ، وقوله تعالى : " وَحَقِيقٌ عَلَيّ أنْ لا أقُولَ عَلَى اللّهِ إلاّ الحَـــقّ "(٤) وقوله تعالى : " ألَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِيثاقُ الكِتابِ أنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللّهِ إلاّ الحَقّ "(٥) وقولـــه تعالى : " وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرّمَ اللّهُ إلاّ بِالحَقّ "(٦) ، وقوله تعالى : " ولا يَمْلِكُ الذيـــنَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشّفاعَةَ إلاّ مَنْ شَهِدَ بِالحَقّ "(٧) وغير ذلك من الآيات الكريمـــة .

تاسعا : صالح الأعمال والطاعـــــات :

والغرض من إيرادها بعد أداة الاستثناء في القرآن الكريم ترغيباً فيها ، وتأكيداً على أهمّيتها في الحياة والدّعوة إلى الالتزام بها وتطبيقها ، لإصلاح المجتمع ، لأنّ فيهـــا أجراً كبيرا . ومنها قوله تعالى : " وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إلاّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ "(٨) وقوله تعالى : " ولَئِنْ أذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنّي إنّهُ لَفَـــرِحٌ فَخُورٌ إلاّ الذين صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ "(٩) وقوله تعالى : " وَلا تَقْبَلُوا لَهُم شَهادَةً أبَدًا وأولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ إلاّ الذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وأصْلَحُوا "(١٠) وقوله تعالى : " وإنّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ إلاّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ "(١١) . وغير ذلك .

---

١ . يس / من الآيـــة ٤٤
٢ . الدخان / الآيتان ٤١ ، ٤٢
٣ . النساء / من الآيـــة ١٧١
٤ . الأعراف / من الآيـــة ١١٤
٥ . الاعراف / من الآيـــة ١٦٩
٦ . الإســـراء / من الآيـــة ٣٣
٧ . الزخرف / من الآيـــة ٨٦
٨ . التوبـــــة / من الآيـــه ١٢٠
٩ . هـــــود / من الآيـــة ١١١
١٠ . النور / الآيتـــان ٤ ، ٥
١١ . سورة ص / من الآيـــــة ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاشـــــراً : الأفعال السيئـــة وما فيها من كذب وخداع ونفاق :

وقد وردت بعد أداة الاستثناء تنفيرا منها وإبرازا لمساوئها ، وتقبيحا لمقترفيها وفضحا لهم ، ولبيان الحدود ، لعقاب فاعلها ، كما في قوله تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً "(١) وقوله تعالى : " إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ "(٢) وقوله تعالى : " إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ "(٣) وقوله تعالى : " وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً "(٤) وقوله تعالى : " إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً "(٥) وغـــير ذلك .

حادي عشر : تبليـــغ الرسالة :

إذ ورد هذا المستثنى لبيان ما كُلّف بـــه الرسل ، فالغرض منه بيان طبيعة عمل الرسل وما يجب عليهم أن يقوموا بـــه - رضوان الله عليهم - ، كما في قوله تعالى : " مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ "(٦) وقوله تعالى : " فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ "(٧) وقوله تعالى : " وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ "(٨) وقوله تعالى : " قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ "(٩) وغـــــيرها .

ثاني عشـــر : الإيمـــان والمؤمنون :

والغرض من ذكره تأكيد الإيمان في النفوس وتثبيته ، وبيان فضله ، وتعزيـــز المؤمنين في مواقفهم ، وإبعادهم عن أعمال السوء بفضل هذا الإيمان المنغرس فـــي نفوسهم ، وتمييزهم عن غيرهم من بني البشر . في قوله تعالى : " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ "(١٠) وقوله تعالى : " وما تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا "(١١) وقوله تعالى : " قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ

---

١ . الفرقان / الآيـــة ٤
٢ . سورة ص / الآيـــة ١٤
٣ . الملك / الآيـــة ٢٠
٤ . نوح / الآيـــة ٢٤
٥ . نـــوح / الآيـــة ٢٧
٦ . المائـــدة / من الآيـــة ٩٩
٧ . النحل / من الآيـــة ٣٥
٨ . العنكبوت / الآيـــة ١٨
٩ . يس / الآيتان ١٦ ، ١٧
١٠ . المائدة / الآيـــة ٥٩
١١ . الأعراف / الآيـــة ١٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلاّ إيماناً وتسليماً[١] وقوله تعالى : " وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلاّ من آمن وعمل صالحاً[٢] وقوله تعالى : " فبشرهم بعذاب أليم إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون[٣] وقوله تعالى : " وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد[٤] .

ثالث عشر: الاسلام والمسلمون .

والغرض من ذكر المستثنى بيان أهمية الإسلام لدى بني البشر وإبراز فضله في تقريبهم من الله - عزّ وجلّ - وإبعادهم عن الوقوع في المعاصي أو الانسياق وراء مكائد الشيطان ، في قوله تعالى : " يا بني إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون[٥] وقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون[٦] وغيرها .

رابع عشر : التوبة والتائبون :

والغرض من ورود هذا اللفظ مستثنى في القرآن ، بيان أهمية التوبة في الحصول على المغفرة ، وترغيب بني البشر بالتوبة بعد المعصية ، والدعوة إلى إصلاح الفرد والمجتمع ، في قوله تعالى : " أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلاّ الذين تابوا وأصلحوا[٧] وقوله تعالى : " ولن تجد لهم نصيراً إلاّ الذين تابوا وأصلحوا[٨] وقوله تعالى : " ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلاّ الذين تابوا[٩] وقوله تعالى : " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحاً[١٠] .

خامس عشر: وصف الحياة الدنيا :

والغرض من ذلك التقليل من شأن الحياة الدنيا الفانية ، حتى لا يتمسك بها الانسان وينسى الحياة الخالدة والإعداد والاستعداد لها لأنّ الدنيا جسر للعبور إلى الدار الآخرة . فقال تعالى : " وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور[١١] وقوله تعالى :

---

١. الاحزاب / من الآية ٢٢
٢. سبأ / من الآية ٣٧
٣. الانشقاق / الآية ٢٥
٤. البروج / الآية ٨
٥. البقرة / من الآية ١٣٢
٦. آل عمران / الآية ١٠٢
٧. البقرة / من الآيتان ١٥٩، ١٦٠
٨. النساء / من الآيتين ١٤٥، ١٤٦
٩. المائدة / الآية ٣٣
١٠. مريم / الآيتين ٥٩، ٦٠
١١. آل عمران / من الآية ١٨٥

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ"(١) وقوله تعالى: "وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ"(٢)

سادس عشر : العـــدد والكمّيـــة :

وأكثر ما ورد فيه لفظ (قليل) والغرض من ذلك الاستثناء إخراج هذا القليل من عموم الحكم وشموله تحديداً له في قوله تعالى: "قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ"(٣) وقوله تعالى: "وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ"(٤) وقوله تعالى: "فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ"(٥) وقوله تعالى: "قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ"(٦) وقوله تعالى: "يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً"(٧)

سابع عشـــر : الزمـــــن :

فقد ورد المستثنى ما يدل على الزمن، والغرض من ذلك إثبات الحكم وربطه بزمن محدّد، كقوله تعالى: "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ"(٨) وقوله تعالى: "إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً"(٩) وقوله تعالى: "فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً"(١٠) وقوله تعالى: "كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ"(١١) وقوله تعالى: "يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا"(١٢)

ثامن عشر : الخســـــارة :

فقد وردت هذه اللفظة أو ما في معناها مستثنى للحكم بالخسارة على أفعال الكافرين وأعمالهم وكل ما يخططون له، كما في قوله تعالى: "ولا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَاراً"(١٣) وقولـــه تعالى: "وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ"(١٤) وقوله تعالى: "وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ"(١٥) وغير ذلك.

---

١. الانعام / من الآيـة ٣٢
٢. الرعـــد / من الآيـة ٢٦
٣. آل عمران / من الآيـة ٢٤
٤. هـــود / من الآيـة ٤٠
٥. يوســف / من الآيـة ٤٧
٦. الكهـف / من الآيـة ٢٢
٧. طـــه / من الآيـة ١٠٣
٨. طـــه / الآيـة ١٠٤
٩. طـــه / الآيـة ١٠٤
١٠. العنكبوت / من الآيـة ١٤
١١. الاحقاف / من الآيـة ٣٥
١٢. النازعات / الآيـة ٤٦
١٣. فاطـــر / من الآيـة ٣٩
١٤. غافـــر / من الآيـة ٣٧
١٥. غافـــر / من الآية ٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاســـــع عشر : إبليـــس والشيطـــان :

وغرض ورود ذكر إبليس والشيطان مستثنى ، بيان عصيان إبليس ، لأوامر الله - عزّ وجلّ - وإصراره على هذا العصيان وبيان أثر الشيطان في بني البشر ، وخطره عليهم في قوله تعالى : " وإذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ أبَى "(١) إذ ورد لفظ إبليس مستثنى في ستّة مواضع أخرى في آي الذكر الحكيم(٢) وقوله تعالى : " وإنْ يَدْعُونَ إلاّ شَيْطَاناً مَرِيداً "(٣) وقوله تعالى : " وَمَا أنْسَانِيهُ إلاّ الشَّيْطَانُ "(٤)

عشريـــــن : الحفاظ على العهود والمواثيق :

فقد وردت الألفاظ الدالة على الحفاظ على العهود والمواثيق ، والالتزام بها ، كما في قوله تعالى : " وإنِ استَنْصَرُوكُم في الدِّينِ فَعَلَيكُمُ النَّصرُ إلاّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُم وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ "(٥) وقوله تعالى : " كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إلاّ الّذِينَ عَاهَدْتُم عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ "(٦)

وغير ذلك من الالفاظ التي وردت بعد أداة الاستثناء في القرآن الكريم مثل المشيئة والصبر والاستئذان والتعميم ، لأغراض تهدف إلى خدمة الانسان .

الاستثنـــــاء والتراكيـــب اللغويّـــة الأدبيّـــة :

تمتاز أساليب الاستثناء بأنواعها المختلفة ، بأنّها إحدى التراكيب اللغويّـــة الأدبية التي عوّل عليها الأدباء ، في فنّ القـــول العربي ، للتأثـــير في المخاطبين ، على اختلاف أحوالهم ومواقفهم وعقائدهم من المسألة التي يُعبّر عنها ، لإقناع المخاطبيـــن بمعطياتها .

ومن روائع هذا الأسلوب ، أنّه يمكن أن نخاطب به مخاطَباً يختلف في رأيـــه ومعتقده عن مخاطَب آخر ، وبذات الأسلوب ، ونظمه وسياقه ، ولكنّ المعنى يخدم كـــلّ مخاطَب على حدة ، وورد في القرآن الكريم أمثلة كثيرة تؤيّد ذلك ، ومنها قوله تعالى :

---

١ . البقرة / من الآيـــة ٣٤ ، الاسراء / الآية ٦١ . طـــه / الآيـــة ١٦

٢ . الأعـــراف / الآية ١٣ . الحجر / الآية ٣١ الكهـــف / الآيـــة ٥٠ . سورة ص / الايـــة ٧٤

٣ . النساء من الآيـــة ١١٧

٤ . الكهف / من الاية ٦٣

٥ . الانفال / من الآيـــة ٧٢

٦ . التوبـــة / من الآيـــة ٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ، وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ "(١)

فإنّ هذه الآية الكريمة اشتملت على معان ، لتسلية المسلمين ، واستنهاض نفوسهم بعد ما أصابهم في معركة أُحد ، فبيّن اللهُ - سبحانه وتعالى - لهم أنّ حمل الرسالة يتطلّب تضحية وصبرا وجهادا بالمال والنفس ، وإلّا لما كان هناك فضل لهم عند الله - عزّ وجلّ - .

ثم ينتقل الحديث في الآية الكريمة على أمر يتّصل بجوهر العقيدة ، وهو ما كان من المسلمين ، عند ما أُشيع أنّ الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - قد مات ، فزُلزلوا زلزالاً شديدا ، حتّى كأنّهم أنكروا موته - صلّى الله عليه وسلّم - لتوهمهم أنّه لا يموت أو لأنّ النبأ نزل على أسماعهم كالصاعقة ، فأفقدهم القدرة على تحمّل الصدمة ، فهدّأ اللهُ - عزّ وجلّ - من روعهم ، بأسلوب الاستثناء ، الذي وضّح لهم حقيقة الأمر الذي يؤمنون به ، وهو أنّه - صلّى اللهُ عليه وسلّم - مع اختصاصه بالرسالة ، إلّا أنّه سيصيبه ممّا يصيب البشر من أحوال وأعراض ، ومنها الموت . ثم يعلو نغم الأسلوب بالتهديد ، ولكنّه تهديد ورد بعد إيضاح وإفهام وتذكير .

وفي مقابل هذا الأسلوب ، هناك أسلوب مماثل له في التركيب اللغوي الأدبي أورده الله تعالى بقوله : " مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ "(٢)

فإنّ الناظر إلى النظم والتركيب اللغوي في هذه الآية الكريمة ، والآية السابقة ، لا يلحظ أي اختلاف بينهما إلّا في الأسماء الواردة في الآيتين ، فهنا المسيح بن مريم - عليه السّلام - وفي الآية الأولى ، سيّدنا محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - .

أمّا ما ورد بعد أداة الاستثناء في النظم ، في الآيتين الكريمتين المذكورتين ،

---

١ . آل عمران / الآيتان ١٤٣ ، ١٤٤ . ٢ . المائدة / الآية ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو نفسه " إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ " وعلى الرغم من هذا التشابه في النظم والتركيب اللغوي ، بين الآيتين الكريمتين ، إلاّ أنّ لكلّ آية منهما غرضا بلاغيا خاصا بها بسبب اختلاف حال المخاطب في كلٍّ منهما ، إذ إنّ الحقيقة التي يُراد لفت النفوس إليها في الآية الأولى يقينية لديهم ، وهم على إيمان مطلق بها ، ولكنّ طغيان الموقف وهول ما سمعوا عن موت الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - جعلهم يذهلون عن تلك الحقيقة التي ذكّرتهم بها الآية الكريمة .

فخاطبهم الله - سبحانه وتعالى - بأسلوب الاستثناء الذي يمتاز بالتأثير في المخاطب ، فهزّهم هزّا ، ليفيئوا إلى معتقداتهم السليمة ، التي لا تشوبها شائبة ، لتكون لهم عونا في مواقف الشدّة ، فتقيهم من الانزلاق في الأمور التي تؤدّي إلى ضعف الإيمان لديهم .

أما في الآية الكريمة الثانية ، فإنّ المخاطب يختلف في موقفه ومقامه عن المخاطب الأوّل ، لأنّ اللّهَ - سبحانه وتعالى - يقول فيهم : "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ . . . . . "(١)

فالمخاطبون هنا في هذه الآية الكريمة مشركون ، لأنّهم اعتقدوا أنّ المسيح بن مريم - عليه السّلام - إلهاً وليس بشرا رسولا ، فجاء أسلوب الاستثناء في الآية الكريمة ، للردّ عليهم ، ليرجعوا عن ضلالهم ، لأنّه رسول كباقي الرسُل الذين مضوا قبله ، ونظراً لإنكارهم هذه الحقيقة ، فقد عقّب بالدليل المحسوس الذي يلمسه بنوالبشر في ممارساتهم الحياتيّة ، على صدق هذه الحقيقة ، وهو قوله تعالى : " كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ " أي أنّهما كانا يخضعان لأحوال البشر وأعراضهم ، ولذا كان يجري عليهما ما يجري على البشر من ضرورات لازمة لحفظ الحياة .

ولو كانا إلهين كما اعتقدوا لما احتاجا إلى هذه الضرورات التي تحفظ لهما الحياة ، لأنّهما من مظاهر النقص في النفس البشرية ، وطبيعة تكوين

---

١ . المائدة / من الآية ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجسم الانساني ، لأنّ الإله لا يحتاج في استمرار بقائه إلى أشياء من خارجه ، لأنّه هو الخالق البارئ المصوّر الذي يُعطي ولا يحتاج شيئا ، لأنّه على كل شيء قدير .

فالاسلوب هنا في هذه الآية الكريمة ، أسلوب اقناع ، يحاور العقل لإقناعه بما يرفضه ويأباه ، أو إقناعه بتغيير المعتقد المغلوط الذي يحمله ويؤمن به .

أما في الآية الأولى فهو أسلوب تذكير لما قد نُسي في ساعة الهول والشدّة .

وجملة القول : إنّ أسلوب الاستثناء في فنّ القول العربي ، يصلح لمخاطبة المخاطَب في جميع أحواله وظروفه ، مع اختلاف المقام ، وإن تقاربت الألفاظ في النظم وتشابهت التراكيب اللغوية ، كما هو في الآيتين الكريمتين السابقتين ، لأنّ المنشئ يقتصر من النظم والتركيب ، على قدر الحاجة لنقل المعنى ، ووفقا للمقام الذي يكون فيه المخاطب ليصل إلى هدفه بأقصر طريق وأوجز كلام ، وأبلغ عبارة ، وهذه الصفات جميعها تتوفر في أسلوب الاستثناء ، إذ اكتشفها الأدباء فاستغلوها ، بأن استخدموا أسلوب الاستثناء في تراكيبهم اللغوية الأدبية ، ليعبّروا عن أفكارهم وخواطرهم بأوجز كلام ، وأبلغ عبارة ، وأرشق تعبير ، مستفيدين ممّا ورد من ذلك ، في آي الذكر الحكيم .

ومن الروائع في أساليب الاستثناء ، الواردة في القرآن الكريم ، للتعبير عن المقام بكلّ دقّة ووضوح ، ليكون مفحما للكافرين والمشركين والمنافقين ، قوله تعالى : " حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وهم يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ "[1]

فقد ورد الاستثناء في الآية الكريمة ، لمخاطبة منكر أشدّ الإنكار ، يرى أنّ ما يسمعه من الذكر الحكيم ، ما هو إلّا أساطير الأوّلين ، وقصص السابقين الاسطوريّة .

ولذا فإنّهم بموقفهم المنكر هذا فإنّهم سيُجازَوْن بعذاب شديد ، وقد ورد هذا التهديد بأسلوب استثنائي ، في أنّهم لا يُهلكون إلّا أنفسَهم . وهذا جزاء من يُعرض عن الذكر الحكيم ، وطريق الإيمان القويم ، وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

---

١ . الأنعام / الآيـــــة ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى : " لا أَقُولُ لَكُم عِندِي خَزَائِنُ اللّهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ ، وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ " (١) إذ ورد أسلوب الاستثناء في الآية الكريمة ، في هذا التركيب اللغوي ، بعد مجموعة من التراكيب المنفية ، لتأكيد قصر اتباعه على الوحي ، وأنه لا يتعدى ذلك إلى غيره ، لأنه أراد ، أنه لا يتبع في أمر الدين شيئا أي شيء ، إلا ما يوحى إليه من ربه .

فقد جاء أسلوب الاستثناء ، بهذا التركيب اللغوي ، لتأكيد هذه الحقيقة عند المخاطبين ، في أنه رسول ، لا يتبع إلا ما يُوحَى إليه ، ونفى عن نفسه الصفات الأخرى ، الواردة في الآية الكريمة .

فللأسلوب الاستثناء الوارد بهذا التركيب اللغوي ، من البلاغة والبيان والاقتدار ، ما يجعله قادرا على أن يحمل تلك المعاني التي يُراد بها لفت المخاطب إلى حقيقة قد أغفلها ، وسار في أمره على غير هداه ، فيعمل على تصحيح معتقداتهم .

وعلى الرغم من أن علماء البلاغة ، في دراساتهم البلاغية ، قد ركزوا على المخاطب ومراعاة أحواله ، ولم يذكروا المنشئ وبخاصة في آي الذكر الحكيم ، والتراكيب اللغوية تنزيها لله - سبحانه وتعالى - وتعظيما لجلال عظمته ، لأن منشئ التراكيب اللغوية الأدبية ، غير القرآنية ، بشر ، يخضع للأهواء والعواطف والوجدان ، والمتغيرات التي تحيط به ، فتنعكس على نتاجه . إلا أن هناك بعض الآيات الكريمة التي اشتملت على الاستثناء المخاطب فيها ربّ العزّة ، ومنها قوله تعالى على لسان سيدنا يونس - ذي النون - عليه السلام - : " فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ " (٢)

فإن الضراعة والخطاب في الآية الكريمة ، متجه إلى الله - سبحانه وتعالى - ولذا فإن المخاطب في هذه الآية الكريمة ، هو ربّ العزّة - سبحانه وتعالى - وليس من المعقول في شيء ، مراعاة حال المخاطب في هذه الآية الكريمة ، وإنما جاء هذا الاسلوب في التعبير عن ذاك المتكلم الذي استنجد بالله ، ليخلصه مما هو فيه من الضيق والحرج والضعف ، ولذا يزداد الشعور بالمعنى ، وعمق الاحساس به لدى المتكلم نفسه ، في هذا المقام ، لأنه يصور ذاته ، ويبين عن مشاعره وأحاسيسه وعواطفه ووجدانه ، مما

---

١. الأنعام / الآية ٥٠ ٢. الأنبياء / من الآية ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتلج في نفسه ، في ذلك المقام الخطير .

وسواء أكان المقصود في الخطاب ، المخاطب ، أم ذات المتكلّم ، فإنّ اسلوب الاستثناء يلجأ إليه المنشيء والمتكلّم في توضيح المعنى وتحديده وتوكيده واثباته وإقراره وحين نرى ما يكتنف المعنى من جمال وبهاء وبلاغة وبيان ، فإنّما يرجع سبب ذلك إلى التركيب اللغوي الاستثنائي ، الذي خرج من معنى الاستثناء ، إلى معان أخرى ، تمّ التعرّف على كثير منها ، ولعلّ هذه المعاني البلاغيّة ، هي التي أملت على علماء البلاغة ادراج الاستثناء ، ضمن علوم البلاغة والبيان .

فيرمي المنشيء من كلامه إفادة المخاطب ، فإذا استخدم في كلامه تركيبا لغويا ممزوجا بمعاني البلاغة والبيان ، فقد خرج به عن الإخبار العادي " ويُربط بحديث علم البيان ، تقسيم الحال إلى ثلاثة أنماط : حال المتخاطبين ، وحال الفاعلين ، وحال الحدث ، والفائدة المرجوّة ، في هذه الأحوال من إيصال المعنى (الحدث) من المتفنّن إلى المتلقّي . وإذا لم يتمّ هذا التوصيل بفائدة ، فإنّه يكون كلاما كأي كلام بمعنى أنّه اخبار ، وفرق بين الإخبار والبيان ، إذ الإخبار من جنس كلام العرب وكلامهم واسع "(١)

ولذا فإنّ التركيب اللغوي للاستثناء ، يكون إخبارا عاديّاً ، حتى يشتمل على معان بلاغية ، فيصبح من البلاغة والبيان . هذه هي القاعدة التي استند إليها البلاغيّون في جعل الاستثناء من علوم البلاغة والبيان ، ولذا فان الاستثناء الذي لا يشتمل على معنى بلاغي جديد ، في التركيب اللغوي ، يزيد على ما في الاستثناء من الإخبار ، لا يُعدّ من البيان في شيء .

وبما أنّ معظم التراكيب اللغويّة للاستثناء ، الواردة في القرآن الكريم ، تحمل من المعاني البلاغيّة ما تحمل ، فهي لذلك تكون ذات طابع أدبي ، لأنّها ليست كلاما عاديا اخباريا ، وإنّما هي تراكيب لغوية أدبية مشحونة بتلك المعاني التي ربت بها عن أن تكون كلاماً عادياً ، وهنا يكمن سرّ تأثّر الأدباء بهذه التراكيب اللغوية الأدبية الواردة في القرآن الكريم .

---

١ . دراسات في النقد الأدبي : ص ٩٥ ، د . محمد بركات أبو علي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستثناء وفنّ القول العربي :

استخدم الأدباء العرب أساليب الاستثناء ، وأنماطه اللغويّة ، منذ العصر الجاهلي ، في أشعارهم وخطبهم وأقوالهم ، وحتى يومنا هذا ، وكان لهذه الأساليب وجود متميّز ، لما لها من أثر في حمل المعاني الداخلية الكامنة في النفس ، التي يودّ أن يعبّر عنها الأديب .

وبما أنّ جملة الاستثناء ، تحمل في سياقها معنيين متضادّين ، أحدهما مثبت والثاني مخرج ، أو أحدهما منفي والثاني مثبت ، كان لهذا التضادّ في المعنى داخل سياق الاستثناء وتركيبه اللغوي ، زيادة في تأكيده وإثباته وإيجازه .

فالاستثناء من أبلغ أساليب العربية ، إنشائية كانت أم خبريه ، لأنّه يحمل معاني عدّة ، أهمّها التأكيد والإيجاز والتخصيص والإثبات ، فالجملة في أسلوب الاستثناء وتركيبه اللغوي ، تعادل قوّة جملتين ، إحداهما مثبته ، والأخرى منفية ، وحسبنا أن نتأمّل بعض شواهد الاستثناء في القرآن الكريم ، وفنّ القول العربي ، لندرك شيئا من أسرار بلاغتها وبيانها ، التي تأخذ بشغاف القلوب ، ومجامع الأرواح ، ومنافذ العقول كما في قوله تعالى : " إنِ الحُكمُ إلاّ لِلّهِ أمَرَ ألاّ تَعبُدُوا إلاّ إيّاهُ "(١) .

فإنّنا نرى أمامنا صورتين رائعتين لهذا الأسلوب الموجز المؤكّد ، فلا حكم إلاّ لِلّهِ وحده لا شريك له ، ولا يملك غيره معه حكما قط . وقد نهى الناس جميعا عن أن يعبدوا سواه ، فكلّ جملة استثنائية قد أدّت معنى جملتين ، إحداهما مثبتة والأخرى منفيّة ، وهنا تكمن روعة أسلوب الاستثناء وجماله القائم على التركيز والإيجاز والتوكيد .

وأسلوب الاستثناء في فنّ القول العربي أسلوب تذوقي ، لما يحمل من تلك المعاني البلاغيّة ، والصور البيانيّة الرائعة الرقيقة ، التي تحسّ بها النفوس المطبوعة على تذوّق لرائع القول وسحر البيان ، ومن ذلك قوله تعالى : " وَقَالُوا لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتّى تَفجُرَ لَنَا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً أوْ تَكُونَ لَكَ جَنّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وعِنَبٍ فَتُفَجّرَ الأنْهَارَ خِلالَها تَفْجِيراً أوْ تُسْقِطَ السّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً وَلَنْ نُؤمِنَ لِرُقِيّكَ حَتّى تُنَزّلَ عَلَيْنا كِتَاباً

---

١ . يونس / من الآية ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ... وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (١) .

لقد تشدّد المشركون في كلامهم على الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - وطلبوا منه تحقيق المعجزات ، فهم لا يؤمنون إلّا بهذه الشروط القاسية ، التي وردت في الآيـــة الكريمة ، على لسانهم ، يتشدّقون بها ، فجاء أسلوب الاستثناء ، للردّ عليهم ، قاطعـــا أقاويلهم الظالمة ، التي تصور إغراقهم بالكفر "قل سبحان ربّي هل كنت إلّا بشرا رسولا" فهو - صلّى الله عليه وسلّم - بشر وانسان مثلهم ، إلّا أنّ اللّهَ - سبحانه وتعالى - قد كرّمه بالرسالة ، ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين للناس كافّة .

ولذا فإنّ أسلوب الاستثناء ، يرد في فنّ القول العربي ، ليفيد المبالغة والتوكيد وتثبيت المعاني في النفس ، والتأثير في المخاطب ، وله أهمّية قصوى في تقوية الكلام ، وتقريره وإثباتـه ، بأسلوب موجز بليغ ، ولذلك يعدّ أسلوب الاستثناء بأنواعه المختلفة ، وبخاصّة القصر ، من أهمّ بحوث مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، في فنّ القول العربي .

الاستثنـــاء وتوكيـــد المـــدح بمـــا يشبـــه الـــذمّ :

لقد أفاد الأدباء والشعراء والكُتّاب ، من مزايا أسلوب الاستثناء ، ووظّفوه في فنّ القول العربي نثرا وشعرا ، فيقول الحاتمي ، محمد بن الحسن (-٣٨٨هـ) : "إنّ أوّل من بـــدأ بالاستثناء ، النابغة الذبيانـــي ، وأحسن كلّ الإحسان في قوله :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ (٢)

وهذا كقول النابغة الجعدي :

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّـــهُ ... جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

فَتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَـــهُ ... عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا (٣)

وتابع الحاتمي استشهاده بأقوال الشعراء على الاستثناء (٤) .

---

١ . الإسراء / الآيات ٩٠ - ٩٣ ٢ . ديوان النابغة : ص ٦٠ . وقد ذكر الشاهد في معظم كتب البلاغة والنحو ، منها كتاب سيبويه : جـ٢ ، ص ٣٢٦ ، العمدة : جـ٢ ، ص ٤٨ ، ابن رشيق ، تحرير التحبير : ص ١٣٣ ، ابن أبي الاصبع . الطراز جـ١ ، ص ١٧٩ ، العلوي . الاستغناء في أحكام الاستثناء : ص ٤٤ ، القرافـــي البرهان : جـ٣ ، ص ٤٨ ، الزركـــشي .

٣ . ديوان النابغة الجعدي : ص ١٣٧ ٤ . حلية المحاضرة : جـ١ ، ص ٥٩ . الحاتمي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونقل الحريري ، القاسم بن علي (-٦١٥هـ) ما ذكر الحاتمي حرفا بحرف، وأضاف قائلا : ويسمّى هذا تأكيد المدح بما يشبه الذمّ.(١)

فالحاتمي ومن بعده الحريري يدّعيان أنّ النابغة الذبياني أوّل من بدأ أسلوب الاستثناء ، في حين أنّنا نجد أنّ امرأ القيس بن حجر الكندي قد استخدم أسلوب الاستثناء في أشعاره ،غير مرّة ، ويتّفق العلماء والإخباريون والنسّابون ،أنّ امرأ القيس (-٨٠ق هـ)تقريبا ،أقدم من النابغة الذبياني (-١٨ ق هـ) تقريبا . لا بل يعدّ امرؤ القيس من أقدم الشعراء الجاهليين الذين وصلتنا أشعارهم ، ومّما ورد من أساليب الاستثناء في شعر امرئ القيس ،قوله :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيابَها ... لَدَى السِّتْرِ إلّا لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ(٢)

وقوله :

وَتَيْماءَ لَمْ يُتْرَكْ بِها جِذْعُ نَخْلَةٍ ... وَلا أُجُماً إلّا مَشِيداً بِجَنْدَلِ(٣)

وغير ذلك من أبيات شعريّة ،ورد فيها أسلوب الاستثناء ، لدى هذا الشاعر ،وغيره، ممّا يدلّ على أنّ هذا الأسلوب قديم في فنّ القول العربي .

ولعلّ الحاتمي والحريري يقصدان بكلامهما ،هذا النوع من أنواع الاستثناء الذي سمّاه البلاغيّون : تأكيد المدح بما يشبه الذمّ(٤) ولم يقصدا أساليب الاستثناء جميعها لأنّ الأنواع الأخرى كانت معروفة ،عدا أسلوبي التوحيد والمشيئة اللذين عُرفا واستخدما في القرآن الكريم ،وفنّ القول العربي ، بعد نزول القرآن الكريم ،لأنّهما أسلوبان استثنائيان، يعبّران عن عقيدة جديدة لم تكن معروفة لدى الجاهليين ،قبل ظهور الإسلام.

---

١. شرح مقامات الحريري : جـ٣ ، ص١٤٣ ، ابو العبّاس الشريشي .
٢. شرح القصائد العشر . ص٨٤ ، الخطيب التبريزي
٣. شرح القصائد العشر: ص١٢٧ ، الخطيب التبريزي
٤. انظر : كتاب البديع : ص٦٢ ،ابن المعتز . كتاب الصناعتين : ص٤٠٨ ،ابو هلال العسكري . مفتاح العلوم : ص٢٣٦ ، السكّاكي . العمدة :جـ٢ ،ص٤٨ ، ابن رشيق القيرواني . نهاية الأرب : جـ٧ ، ص١٢١ ، النويري ، شرح مقامات الحريري : جـ٣ ، ص١٤٣ . ابو العباس الشريشي . التلخيص في علوم البلاغة ص٣٨٠ ، القزويني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسواء أكان النابغة الذبياني ،أم غيره ،قد حاز شرف السبق، فإنّ هـــذا الاسلوب الذى استخدمه النابغة في شعره ،يعدّ من أعلى أساليب العربية بلاغة وبيانا وفصاحة ، لما يحمل من معنى طريف يسترعي انتباه المخاطب : فيقول عبد القـادر البغدادي (-١٠٩٣هـ) :" وهذا البيت مشهور ،وقد تداوله العلماء في تصانيفهـم وقد أورده علماء البديع شاهدا لتأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، فإنّه نفى العيب عـن هؤلاء القوم ،على جهة الاستغراق ،ثمّ أثبت لهم عيبا ، وهو تثلّم سيوفهم من مضاربـه الجبوش ،وهذا ليس بعيب ،بل هو غاية المدح ، فقد أكّد المدح بما يشبه الذمّ"(١)

ولذا فقد بيّن البغدادي سرّ البيان في هذا البيت القائم على أسلوب الاستثناء ولولا هذا الأسلوب لما بلغ المعنى هذا الحدّ من البلاغة والبيان .

ويقول ابن رشيق،الحسن بن رشيق القيرواني (-٤٦٣ هـ) في بيت النابغـة الذبياني :" فجعل فلول السيوف عيبا ،وهو أوكد في المدح"(٢) أي إنّ هذا الأسلوب قد زاد المدح تأكيدا ومبالغة .

ويقول ضياء الدين بن الأثير تحت باب الاستثناء :" وهو توكيد مدح بما يشبـه الذمّ ، كقول الذبياني (البيت) ،فجعل فلول السيوف عيبا ،وذلك آكد للمدح"(٣)

وسمّاه يحيى بن حمزة العلوي ،التوجيه ، فقال : وهو من قولك وجّهت هـــذا البُرد ،إذا جعلت له وجها ،يحسن لأجله ويُرغب فيه ،هذا في اللغة ،وأمّا في مصطلح علماء البيان ، فهو أن يكون الكلام له وجهان ،ثم أنّه يرد في البلاغة على استعمالين نذكرهما ، الاستعمال الأوّل : أن يؤكّد المدح بما يكون مشبّها للذمّ ،بأن تنفـي عن الممدوح وصفا معيّنا ،ثم تعقبه بالاستثناء ، فتوهم أنّك استثنيت ما يذم به ، فتأتـي

---

١. خزانة الأدب : جـ٣ ، ص ٣٢٨ ، البغدادي .
٢. العمدة : جـ٢ ، ص ٤٨ ، ابن رشيق القيرواني .
٣. كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب : ص ١٩٢ ، ضياء الدين بن الأثير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بما من شأنه أن يذمّ به وفيه المبالغة في مدح الممدوح ، ومثاله قول النابغة (البيت) ومن ذلك ما قاله ابن الرومي ، علي بن العباس (- ٢٨٣ هـ) :

وَما تَعْتَرِيها آفَةٌ بَشَرِيَّةٌ ... مِنَ النَّوْمِ إلّا أنَّها تَتَحَسَّرُ

كَذلِكَ أنْفاسُ الرِّياضِ بِسُحْرَةٍ ... تطيبُ وأنفاسُ الأنامِ تَغَيَّرُ (١)

والاستعمال الثاني من التوجيه ، هو أن يمدح شيء بقتضي المدح بشيء آخر وهذا كقول المتنبي :

نَهَبْتَ مِنَ الأعْمارِ ما لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئْتِ الدُّنيا بأنَّكَ خالِدُ (٢)

فأوّل البيت يدلّ على المدح بالشجاعة ، وآخره دالّ على علو الدرجة ، ومن هذا قول بعضهم : هم بحار العُلى إلّا أنّهم جبال الحلم ، وأكثر العلوي من ذكر الأمثلة والشواهد الشعريّة والنثرية على هذا الاسلوب (٣).

وما قاله ابن رشيق في بيتي النابغة الجعدي : " استثنى جوده الذي يستأصل ماله ، بعد أن وصفه بالكمال ، وبهذا الاستثناء ، تمّ وزاد كمالاً وتأكّد حسنه ، وكأنّه لما كان فيه ما يسوء أعاديه ، لم يطلق عليه أنه يسرّ فقط ، وذلك زيادة في مدحه (٤) ".

ومن هذا الضرب من الاستثناء ، أن يثبت لشيء صفة مدح ، وتُعقّب بأداة استثناء ، يليها صفة مدح أخرى له (٥) نحو قول رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - : " أنا أفْصَحُ العَرَبِ بَيْدَ أنّي مِنْ قُرَيْشٍ (٦) و (بيد) هنا : بمعنى (غير) وهي أداة استثناء . وقد زاد هذا الاسلوب المدح مدحا ومبالغة فيه .

ومن تأكيد المدح بما يشبه الذمّ قوله تعالى : " وَما تَنْقِمُ مِنّا إلّا أنْ آمَنّا بِآياتِ رَبِّنا لَمّا جاءَتْنا " (٧) أي وما تعيب منّا إلا أصل المناقب والمفاخر كلّها ، وهو الإيمان بآيات اللّه - عزّ وجلّ - . ومنه قول بديع الزمان الهمذاني يمدح خلف بن أحمد السجستاني (- ٣٩٩ هـ) :

---

١ . ديوان ابن الرومي : جـ١ ، ص ٢٧٤ .
٢ . ديوان المتنبي : جـ١ ، ص ٢٧٤ ، شرح البرقوقي .
٣ . الطراز : جـ٣ ، ص ١٣٧ ، يحيى بن حمزة العلوي .
٤ . العمدة : جـ٢ ، ص ٤٨ ، ابن رشيق القيرواني .
٥ . التلخيص في علوم البلاغة : ص ٣٨١ ، القزويني .
٦ . النهاية في غريب الحديث والأثر : جـ٢ ، ص ١٥٩ ، مجد الدين بن الأثير الجزري .
٧ . الأعراف / من الآية ١٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هُوَ البَدْرُ إلاّ أنّهُ البَحْرُ زاخِـراً سِوَى أنّـه الضِرغَامُ لَكِنّه الوَبْـلُ (١)

ومن هذا الضرب من الاستثناء ، ما يُستثنى بتأكيد الذمّ بما يشبه المدح ، وغرضه المبالغة في الذمّ ، وإقراره وتأكيده ، وهو أن يُستثنى من صفة مدح منفيّة عن الشيء صفة ذمّ بتقدير دخولها فيها ، كقوله : فلان لا خير فيه إلاّ أنّه يسيء إلى من أحسن إليه . أو أن يُثبت للشيء صفة ذمّ ، وتعقبه أداة استثناء ، تليها صفة ذمّ أخرى له ، كقولنا : فلان فاسق إلاّ أنّه جاهل . (٢)

وقد استهوى هذا النوع من أنواع الاستثناء الأدباء والشعراء ، فأكثروا منه في أشعارهم ، لأنّه يبلغ غاية المدح والثناء توكيدا وتخصيصا وإيجازا وبلاغة وبيانا ، وكذلك الحال في الفخر والهجاء ، وغيرهما من أغراض الشعر ، ولذا فقد جمع هذا التركيب اللغوي الأدبي في أسلوب الاستثناء عناصر من البلاغة والبيان .

ولعلّ هذا البيان الرائع في هذا الأسلوب ، لم يأت إلاّ من طبيعة النظم ، فالكشف الإعجاز البلاغي في الأدب ، من تصوير ما يختلج في نفوس الشعراء والأدباء وأنّ المعنى الكامن وراء هذا النظم ، إنّما هو تلك الاختلاجات الخفية والغامضة في باطن النفس التي أبدعت هذا التركيب اللغوي .

وأن هذا المنهج الذي أبتدعه الأدباء في النظم ، في هذا الأسلوب ، يدلّ على سدادهم في فهم المعنى ، وتذوّقهم حلاوته ، تذوّق البصير بأحوال اللغة ، وما يستكنّ فيها من أسرار ، وما يختفي في جوفها من درر المعاني ، التي يغوص إليها الأدباء والشعراء لخدمة المقام ومقتضى الحال .

وليس هذا التذوّق هو الاستمتاع بجمال العبارة فحسب ، وإنّما هو وعي بما تحويه العبارة والتركيب اللغوي الأدبي ، وبما يشتمله الأسلوب من معنى دقيق مقصود ، وما يرمي إليه هذا السياق والنظم من مرام قريبة وبعيدة ، فرتّب الأديب والشاعر الكلم هذا الترتيب ليؤدّي معنى فيه المدح ، ثم رتّب الكلم بعد ذلك بأسلوب استثنائي ، ليفيد تأكيد هذا المعنى ، ولكن بذمّ في ظاهره ومدح بليغ وعميق وطريف في باطنه ، وهذا يدلّ على سدى

---

١ . التلخيص في علوم البلاغة : ص ٣٨٢ ، القزويني .
٢ . المصدر السابق : ص ٣٨٢ ، القزويني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امتلاك الأديب والشاعر ناصية البيان ، وحسن استخدام الألفاظ ونظمها وتعليق بعضها ببعض ، لتؤدّي المعنى الذي يريد ، بمعنى عميق وصورة جميلة وطريقة تؤثر في المخاطب.

ولعلّ هذا الأسلوب الذي يؤكّد المدح بما يشبه الذمّ في الأدب العربي يكشف عن عادات القوم وتقاليدهم وقيمهم ، ولذا فإنّ فنّ القول العربي في أسلوب الاستثناء يرتبط بالقيم الاجتماعية السائدة ، والمتعارف عليها بين أفراد المجتمع، فلو قرأ فرد أجنبي ، لا خبرة له بالقيم الاجتماعية العربية في الجود والكرم ، قول النابغة الجعدي :

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ... جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ المَالِ بَاقِيَا

لظنّ أنّ الاستثناء هنا ذمّ ، وليس مدحا ، ولما تذوّق هذا الأسلوب ، لجهله بطبائع العرب وعاداتهم وقيمهم ، ولجهله بطبيعة النظم العربي في هذا الأسلوب ، الذي أفاد معنى المدح ، والمبالغة فيه ، وتأكيده . ولذا فإنّ الأدب يعبّر عن قيم المجتمع وتقاليده وعقائد أبنائه ، فكلّما كان الأديب والشاعر أكثر تفاعلا بقضايا مجتمعه وأحواله ، كان أدبه أكثر عمقا وتأثيرا .

وقد أورد علماء البلاغة في مصنّفاتهم ، مجموعة من الأشعار ، على هذا النوع من الاستثناء ، تقديرا منهم لبلاغته وبيانه وطرافته ، فيقول ابن رشيق القيرواني : " ومن مليح هذا النوع قول أبي هَفّان ، عبد الله بن أحمد (٢٥٧هـ) وقد تقدّم فيه ، وجوّد غاية التجويد :

ولا عَيْبَ فِينا غَيْرَ أَنَّ سَمَاحَنَا ... أَضَرَّ بِنا والبَأْسُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

فأَفْنَى الرَّدَى أَرْوَاحَنا غَيْرَ ظَالِمٍ ... وأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنا غَيْرَ عَائِبِ

فقوله : إنّ السماح والبأس أضرّ بهم ، ليس بعيب على الحقيقة ، ولكن توكيد مدح ، والمليح كلّ المليح قوله : غير ظالم ، وغير عائب . فهذا الثاني أعجب من الأول وألطف موقعا[1] .

إنّ معنى الفخر الطريف ، في هذين البيتين ، لم يأت إلاّ من طبيعة النظم

---

١. العمدة : جـ٢ ، ص ٤٨ ، ابن رشيق القيرواني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتركيب اللغوي الأدبي ، القائم على توكيد المدح بما يشبه الذمّ ، من خلال أسلوب الاستثناء الذي أبرزه ابن رشيق بقوله : " والمليح كلّ المليح قوله : غير ظالم ، وغير عائب فهذا الثاني ، أي الاستثناء ، أعجب من الأوّل ، وألطف موقعا ، لما أفاده من معنى طريف يسترعي انتباه المخاطب ويؤثّر فيه ، لما في المعنى من مبالغة وقوّة وطرافة ، ومن هذا النوع اللطيف من الاستثناء ، قول ابن الرومي :

لَيْسَ لَهُ عَيْبٌ سِوى أنّـهُ ... لا تَقَعُ العَيْنُ عَلَى شَبْهِـهِ (١)

فجعل انفراده في الدنيا بالحسن ، دون أن يكون له قرين يشبهه عيبا . ولكنّ هذا العيب الطريف البديع ، يزيد حسنه ويؤكّده ، إذ ليس من العيب في شيء ، أن يكون متفرّدا بالحسن والجمال ، ولا يشبهه غيره ، لينافسه على ذلك ، وهذا منتهى المدح بالتّفرّد بالجمال . ومنه قول حاتم الطائي :

وَما تَتَشَكّى جارَتي غَيْرَ أنّـني ... إذا غابَ عَنْها بَعْلُها لا أَزُورُهـا
سَيَبْلُغُها خَيْري وَيَرْجِعُ أَهْلُها ... إليْها وَلَمْ تُقْصَرْ عَلَيّ سُتُورُهـا (٢)

فقد أدرك حاتم بهيتبيه أعلى مراتب الفخر بالعفّة والشرف والكرم ، من خلال أسلوب الاستثناء القائم على تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، إذْ يُخيّل للقارئ في بداية البيت الأوّل ، أنّ جارته تتشكّى منه سوءا لأنّ الشكاية لا تكون إلاّ لأمر سيّء ، ولكنّ أسلوب الاستثناء الذي استخدمه حاتم في التركيب اللغوي الأدبي للبيت ، بعد أداة الاستثناء (غير) قلب المعنى إلى أعظم الفخر ، وما كان حاتم أن يفخر بعفافه وشرفه وكرمه وجوده ، بهذا البيان ، وهذا المعنى الطريف اللطيف ، إلاّ بهذا الأسلوب الاستثنائي الذي عبّر عن المعنى بكلّ دقّة ومبالغة محبّبة جميلة .

ومن الجوانب التي يخدم فيها أسلوب الاستثناء المعنى ، في إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء ، وهو أن يقصد المتكلّم أن يفرد انسانا بصفة مدح لا يشركه فيها غيره ، فينفي تلك الصفة في أول كلامه عن جميع الناس ، ويثبتها للممدوح خاصّة ، كقول الخنساء ، تماضر بنت عمرو (- ٢٤ هـ) في أخيها صخر:

---

١ . ديوان ابن الرومي : جـ٣ ، ص ٤٢٣ . ٢ . ديوان حاتم الطائي : ص ٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَما بَلَغَتْ كَفُّ امرئٍ مُتَنَاوِلاً ... مِنَ المَجْدِ إلاّ والذي نِلْتَ أطْوَلُ
وَما بَلَغَ المَهْدُونَ لِلنّاسِ مِدْحَةً ... وإنْ أطْنَبُوا إلاّ الذي فِيكَ أفْضَلُ (١)

إذ إنّنا نلمح أثر استخدام الشاعرة اسلوب الاستثناء في رفع شأن أخيها صخر ، وتمييزه على غيره من أصحاب المجد وذوي الصفات العظيمة التي تغنّى بها المادحون ، وكان لأسلوب الاستثناء الأثر الواضح في إبراز صفات الممدوح .

الاستثناء الصناعي أو البديعي :

خلط البلاغيون بين أنواع الاستثناء خلطا كبيرا ، فقد كان أبو هلال العسكري أول من أشار إلى هذا النوع ، وميّزه عن الاستثناء اللغوي النحوي الذي اهتمّ به النحويون ، وخرّجوا قضاياه ومسائله وقواعده ، فقال : " الاستثناء على ضربين : فالضرب الأول هو أن تأتي بمعنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثني بغيره ، فتكون الزيادة التي قصدتها ، والتوكيد الذي توخيته في استثنائك "(٢) وقد استشهد على ذلك بأمثلة لما يسمّى تأكيد المدح بما يشبه الذم .

ثم ذكر الضرب الآخر فقال : " وهو استقصاء المعنى والتحرّز من دخول النقصان فيه "(٣) . وضرب على ذلك أمثلة لما يُسمّى استثناء الاحتراس .

وجاء ابن رشيق القيرواني وذكر تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، وضرب على ذلك أمثلة العسكري وابن المعتز نفسها ، ثم تحدّث عن استثناء الاحتراس .(٤)

وبقي هذا الخلط بين أنواع الاستثناء قائما حتى جاء ابن أبي الاصبع فبيّن أن الاستثناء نوعان ، فقال : " الاستثناء استثناءان : لغوي وصناعي ، فاللغوي إخراج القليل من الكثير ، وقد فرغ النحاة من ذلك مفصّلا في كتبهم . والصناعي : هو الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى زائدا يعدّ من محاسن الكلام ، يستحق به الاتيان

---

١ . ديوان الخنساء : ص ٢٥
٢ . كتاب الصناعتين : ص ٤٢٤ ، أبو هلال العسكري .
٣ . المصدر السابق : ص ٤٢٤ ، أبو هلال العسكري .
٤ . انظر : العمدة : جـ ٢ ، ص ٤٨ ، ابن رشيق القيرواني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أبواب البديع[1]

ولذا فإنّ الاستثناء الصناعي ،هو نفسه الاستثناء البديعي ،إذ إنّ الاستثناء الصناعي : هو الذي يشتمل على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي ،وتضمّن ضربا من المحاسن واللطائف البلاغية ، تؤدّي إلى معنى ذي طلاوة وبهجة وجمال ، فيستحق بها نظمه في سلك أنواع البديع ،ليكون استثناء بديعيا .

ولعلّ استخدام مصطلح الاستثناء الصناعي على الاستثناء البديعي ،لأنّ المنشئ يصنع فنّه القولي الاستثنائي صناعة ،باشتماله على معنى بلاغي بديعي ،يسترعي انتباه المخاطب ويؤثّر فيه ، ويشحنه بعواطفه ووجدانه وخياله ، ويضفي عليه من أحاسيسه ومشاعره ما يجعله من اللطائف البلاغية المليئة بالمعاني الانسانية .

وقد توسّع البلاغيّون[1] في حدّ هذا الاستثناء ،فأدخلوا في رحابه كلّ استثناء اشتمل على معنى بلاغي طريف جديد ،يزيد على معنى الإخراج الذي وصفه النحويون .

ولذا فقد أدخلوا تحت لوائه ، تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، وتأكيد المدح بما يشبه المدح ، وتأكيد الذمّ بما يشبه المدح ، واستثناء الحصر والقصر والاحتراس والتكميل ، والاستثناء والاستدراك والرجوع ،لأنّ هذه الأنواع جميعها تشتمل على معنى بلاغي جديد ذي طرافة وطلاوة وعذوبة ، كقول المتنبي الذي وظف أسلوب الاستثناء توظيفا عمليا ، للتعبير عن عواطفه ووجدانه ، وأحزانه ،في رثاء جدّته التي وافاها الأجل المحتوم بعيدة عنه ،مظهرا تجلّده وصبره وتحدّيه للصّعاب ، ومفتخرا بنفسه الأبية الشجاعة ،قائلا :

وَلَمْ يَسْلُبها إلّا المَنايا وإنّما ... أشدُّ مِنَ السُّقمِ الذي أذْهبَ السُّقْما
تَغَرّبَ لا مُسْتَعْظِماً غَيْرَ نَفْسِه ... وَلَا قَابِلاً إلّا لِخَالِقِه حُكْما
ولا سالِكاً إلّا فؤادَ عَجاجَةٍ ... وَلَا وَاجِداً إلّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْما[3]

---

١. تحرير التحبير : ص ٣٣٣ ، ابن أبي الاصبع .
٢. انظر: البديع: ص ٦٢ ،ابن المعتز. العمدة :جـ٢ ،ص ٤٨ ،ابن رشيق القيرواني مفتاح العلوم: ص ٢٢٦ ، السكّاكي . نهاية الأرب :جـ٧ ،ص ١٢١ ، النويري . الطراز :جـ٣ ، ص ١٢٦ ، العلوي. أنوار الربيع :جـ٣ ،ص ١١٢ ، ابن معصوم
٣. ديوان المتنبي : جـ٢ ، ص ٣٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد حشد المتنبي في هذه الابيات الثلاثة ، خمس جمل استثنائية ، لتعبّر عن معاني الحزن والأسى ، على وفاة جدّته بعيدة عنه ، وبعيدا عنها ، ولتعبر عن معاني العظمة والافتخار ، والإباء والشموخ والأنفة ، وتحدّي الصّعاب ، وبلوغ المجد .

فلم يكن هناك شيء قادرا على أن يوقع في نفسها شيئا من الصبر والسلوان ، ويكشف همّها وكربها بسبب غيبته إلاّ الموت الذي أوقف تلك المعاناة غير المحتملة ، وقد بلغ الفخر والتعاظم أوجه عندما قصر المتنبي استعظامه على نفسه فليس ثمة شيء يخيف الشاعر ويفزعه لأنّه ذو نفس عظيمة ، ترنو إلى المجد .

وقد وردت (غير) في النظم والتركيب اللغوي الأدبي ، عند الشاعر ، لتفيد معنى (إلاّ) الاستثنائية ، ولكنّها في موقعها من التركيب اللغوي فاقت (إلاّ) بلاغة وبيانا وإفصاحا ، لأنّها أكثر ايحاء للمعنى المقصود الذي يخدم المقام .

ثم أردف هذا الاستثناء باستثناء آخر ، زاد معنى الفخر قوّة ومبالغة ، وزوّده بطاقة لا تنفذ من خلال قوله : وَلَا قَابِلًا إلاّ لِخَالِقِهِ حُكْما . أي إنّ نفسه التي لا يستعظم الشاعر في الكون غيرها ، تأبى أي حكم عليها ، إلاّ حكم خالقها ، فهو لا يرضخ ولا يذلّ لأي مخلوق كائن من كان .

فهو يرفض أن يكون محكوما من أحد إلاّ من الذي خلقه ، ولذا فهو لا يهاب شيئا ، لأنّه قد سلّم الأمر كلّه لِلّهِ - عزّ وجلّ - فهو لا يسلك إلاّ أتّون المعارك ووسطها يخوض غمارها بكلّ شجاعة وبسالة وقوّة .

وختم هذا الحشد من جمل الاستثناء ، بمعنى جميل سام ، إذْ قصر إحساسه بالطعم الحلو ، والمذاق المستحسن على المكرمة فلا يجد لغيرها مذاقا ، ولا يطلب غيرها شيئا مستطابا ، وإنّما هي المكرمة وحدها .

إنّ هذه الجمل الاستثنائية المتلاحقة في التراكيب اللغوية الأدبية قد بدرت من شاعر ذي إحساس مشتعل ، ينزع إلى المراقي العالية ، ومعارج المجد ، فهو في الحرب لا يقف إلاّ على جذوتها المتوقّدة ، ولا يلذ طعوم الأشياء لديه ، وإنّما يلذ طعوم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكرمات ، ولو رجعنا إلى المصنّفات التي ترجمت لحياته وصفاته ، لوجدنا أن هذه الصفات التي ذكرها في أبياته ،تصور نفسه وشخصيته .(١)

ومن أروع المعاني البلاغية التي أورد ها المتنبي ،مستخدما في ذلك أسلوب الاستثناء ،وفيها من الغرابة والطرافة والإبداع ،ما لم تكن لولا ورود ها في هذا الاسلوب ، قوله :

لَهُ عَسْكَرا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إذا رَمَى بِها عَسْكَراً لم يُبْقِ إلاّ جَمَاجِمَه(٢)

أي إنّ لسيف الدولة الحمداني (-٣٥٦هـ) الذي قارع جيوش البيزنطيين ، وانتصر عليهم في معارك عدّة ،خلّد ها المتنبي وغيره من الشعراء في أشعارهم ، جيشين قويّين ، هما: جيش الفرسان الزاحف فوق الأرض ، وجيش الطيور الجارحة ،التي تنزل على الأعداء من السماء .

فجيش الفرسان الأرضي ،يقتل الأعداء ، تاركا جثثهم ملقاة على الأرض ، ليأتي جيش الطيور الجارحة ، فينقضّ على جثثهم يأكل منها ، حتى لا يبقى من تلك الجثث إلاّ الجماجم .

ولم يوجّه المتنبي شعره هذا ، إلى مخاطب معيّن مخصوص بهذا القول ليقنعه به ، وإنّما هو يخاطب كلّ من يسمع هذا الشعر في عصره ،أو بعد عصره ، فيجد المعنى في البيت غريبا طريفا ، لقوّة المبالغة فيه ،إذ لا يبقى من جيش الأعداء حيّ ، ولا جسد ميت ، وإنّما تبقى الجماجم وحد ها ،لتدلّ على جثث الأعداء الذين قضى عليهم جيش سيف الدولة الحمداني .

وعلى الرغم من غرابة هذا المعنى الوارد في أسلوب الاستثناء ، وطرافة الصورة المعبّرة عن شدّة المعركة ، المبالغ في تصويرها لبطولة جيش سيف الدولة وقوّته ، إلاّ أنّ المتنبي أثبتها وأبرزها ، وجمع جوانبها ، وأطّر ها بأسلوب الاستثناء الذي أورده في التركيب اللفظي الأدبي للبيت المذكور .

---

١. القاضي الجرجاني ، الأديب الناقد : ص٥٩ ، د. محمود السمرة .
٢. ديوان المتنبي :جـ٣ ، ص٤٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن روائع المعاني التي أبرزها أسلوب الاستثناء في التركيب اللغوي الأدبي ما ذكره المتنبي لإثبات حكم وإبطال غيره بالحجج الملموسة والمنطقية ، قوله :

وَلَوْلَمْ يَعْلُ إِلاّ ذُو مَحَلٍّ ... تَعَالَى الجيشُ وانْحَطَّ الغَمَامُ
وَلَوْلَمْ يُرْعَ إِلاّ مُسْتَحِقٌّ ... لِرَتْبَتِهِ أَسَامَهُمُ البُسَامُ (١)

فإنّ الحكم الوارد في الشطر الثاني في البيتين ، لا يتأتّى إلاّ على ما تقدّم ، في أسلوب الاستثناء ، من تقرير واثبات له ، في الشطر الأول . وهنا تبرز أهمّية هذا الاسلوب في تقرير الأحكام وإثباتها .

إنّ هذه الصورة الأدبيّة ، والمعاني البيانيه ، الواردة في هذه الابيات جميعها ، قد استمدت قوّتها البيانية ، وطرافتها البلاغية ، وجمال التصوير فيها من أسلوب الاستثناء الوارد في التركيب اللغوي الأدبي في الشعر ، وهذا يدلّ على قيمته في النظم والأداء والإبانة ، والمبالغة المحبّبة ، وأنه وسيلة ناجعة من وسائل التعبير المحكمة ، في مقامات لا ينهض فيها سواه من أساليب العربية . ولذا فقد عرف الأدباء فضله ، فاستخدموه في تراكيبهم اللغوية الأدبية ، للتعبير عن معان خاصة في مقامات محدّدة ، خدمة لمقتضى الحال .

ولو تتبّعنا شعر المتنبي ، أو غيره من الشعراء ، في العصور القديمة والحديثة لحصلنا على معان طريفة ، وصور رائعة بديعة ، ما كانت لتبدو إلا من خلال استخدام أسلوب الاستثناء في التراكيب اللغوية الأدبية في شعرهم .

وقد استخدم الأدباء والشعراء أسلوب الاستثناء ، في أشعارهم ، للاحتراس والاحتياط ، من أن يؤدّي معنى السياق إلى غير ما يقصد الشاعر في شعره ، فورد خدمة للمعنى المقصود ، كقول الشاعر :

فَأَصْبَحْتُ مِمّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... سِوى ذِكْرِهَا - كَالقَابِضِ المَاءِ بِالبَيْدِ (٢)

إذ أورد الشاعر أسلوب الاستثناء - سوى ذكرها - في التركيب اللغوي الأدبي في البيت للاحتراس والاحتياط من أن يؤدّي السياق إلى جنوح في المعنى لا يقصده الشاعر ولا

---

١ . ديوان المتنبي : جـ٢ ، ص ٣٠٧ .
٢ . العمدة : جـ٢ ، ص ٥٠ ، ابن رشيق القيرواني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمعنيه ،يؤثّر على بيانه ،ولهذا فقد ورد الاستثناء في البيت لتوضيح المعنى ، كي لا يؤدّي إلى لبس ، أو جنوح عن القصد .

وممّا ورد من أسلوب الاستثناء في التراكيب اللغوية الأدبية في الشعر ،للاحتراس قول طرفة بن العبد :

فَسَقَى دِيَارَكِ - غَيرَ مُفْسِدِهَا - صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي (١)

فقد استخدم طرفة أسلوب الاستثناء - غير مفسدها - في التركيب اللغوي الأدبي في البيت ، احتراسا من أن يؤدّي معنى السياق فسادا في المعنى ، واحتراسا من أن يظنّ المخاطب ،أنّ المطر يفسد الديار ويؤدّي إلى خرابها .

ومن روائع الاستثناء الذي أورده الشعراء ، وأجادوا فيه أيّما إجادة في اظهار معاني المدح والمبالغة فيه بصورة يتجلّى فيها البيان ، وتعلو فيها البلاغة ، لما اشتمله من طرافة في المعنى ،قول الشاعر :

تَهْتَزُّ بَدْءَ سَأَلْتَ سِوَاكَ وَأَجْدَبَتْ أَرْضٌ بِغَيْرِ بِحَارِ جُودِكَ تُوسَمُ

فَالعِزُّ إِلاَّ فِي حَيَاتِكَ ذِلَّةٌ وَالمَالُ إِلاَّ مِنْ يَدَيْكَ مُحَرَّمُ (٢)

فإنّ البيت الثاني ، قد اشتمل تركيبه اللغوي الأدبي ، على الاستثناء ، فأفاد معنى طريفا ،تبدو طرافته في علاقة التنافر في المعنى ، بين ما قبل (إلاّ) وما بعدها فأدّى هذا التنافر في المعنى ، إلى زيادة في بلاغته وبيانه وروعته ، أدّت إلى المبالغة في المدح ، وإنّ هذه المبالغة في المدح ، ناتجة عن تنافر الألفاظ في معناها ، وحسن تعليق بعضها ببعض في النظم ، فالعزّ ذلّ إلاّ في حياته ،والمال محرّم إلاّ من بيديه .

ومن روائع الاستثناء في التركيب اللغوي الأدبي ، ما ذكره أبو بكر بن حجّاج (- ٣٩١ هـ) في الغزل فقال :

---

١. ديوان طرفة بن العبد :ص ٩٣ ، العمدة : جـ ٤ ،ص ٥٠ ، ابن رشيق القيرواني

٢. أنوار الربيع : جـ٣ ،ص ١١١ ، ابن معصوم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَقُولُونَ إنّ السِّحْرَ فِي أرْضِ بَابِـــلٍ ... وما السِّحْرُ إلّا ما أرَتْكَ مَحَاجِرُه
وَما الغُصْنُ إلّا ما انْثَنَى تَحْتَ بُرْدِهِ ... وما الدَّعْصُ إلّا ما طَوَتْـهُ مآزِرُه
وما الدُّرُّ إلّا ثَغْرُه وكَلامُـــــهُ ... وَما اللّيْـلُ إلّا صِدْغُهُ وغَدَائِرُه (١)

إنّ بلاغة الوصف والتشبيه الجميل الوارد في هذه الأبيات الرقيقة العذبة ، راجعة إلى ما تضمّنته من استثناء في تركيبها اللغوي الأدبي ، لأنّه أدّى إلى تخصيص الصفة بالموصوف ، وتخصيص الموصوف بالصفة ، واقتران كلٍّ منهما بالآخر ، فأصبحا متلازمين ممّا زاد المعنى طرافة وجمالا وروعة وبهاء وبلاغة وبيانا ، فما السحر إلّا عيناه ، وما الغصن إلّا قوامه ، وما كثيب الرمل إلّا حوضه ، وما الدرّ إلّا ثغره وكلامه ، وما الليل إلّا شَعره الفاحم الأسود . فزاد أسلوب الاستثناء هذه الأوصاف والتشبيهات ، رونقا وبهاء ، كما أن التشبيه المقلوب في هذه الأبيات زاد المعنى طرافة ، لأنّ الأصل أنْ نشبّه العينين بالسحر ، والقوام بالغصن ، والحوض والعجيزة بكثيب الرمل ، والثغر والكلام بالدرّ ، والشعر الأسود بالليل .

ومن أنواع الاستثناء التي استخدمها الأدباء والشعراء في التراكيب اللغوية الأدبية وفن القول العربي ، قول الشاعـــــر :

إليكَ وإلّا ما تُحَثُّ الركَائِـــبُ ... وَعَنْكَ وإلّا فالمُحَدِّثُ كَـــاذِبُ

فإنّ خلاصة هذا البيت المشتمل على أسلوب الاستثناء ، قول الشاعر للممدوح : لا تحثّ الركائب إلّا إليك ، ولا يصدق المحدّث إلّا عنك (٢) . وهذا معنى فيه حصر الصفة بالموصوف وقصرها عليه ممّا يزيده توكيدا وتخصيصا .

ومن أساليب الاستثناء ذات السحر المعنوي الرقيق ، القائم على التقديم والتأخير في النظم والتركيب اللغوي الأدبي ، قول صفي الدين الحلّي (- ٦٧٦هـ) :

فَكُلُّ مَا سَرَّ قَلْبِي واسْتَرَاحَ بِـــهِ ... إلّا الدُّمُوعُ عَصَانِـي بَعْدَ بُعْدِهِم

فقد أخّر خبر (كلّ) وهو عصاني ، عن الاستثناء ، ممّا زاد المعنى حلاوة وعذوبـــة ، ومعنى البيت : إنّ كل شيء كان يسرّه ويستريح بـه ويطيعه ، قبل الفراق ، عصاه بعده إلّا الدموع فإنّها أطاعته ، وفي هذا المعنى من الرقّة الزائدة على معنى الاستثناء ، ما لا يخفى على أهل الذوق (٣) .

---

١ . نفح الطّيب : جـ٥ ، ص ٢٦١ ، المقّري . أنوار الربيع : جـ٣ ، ص ١١٢ ، ابن معصوم
٢ . خزانة الأدب : ص ١١٩ ، ابن حجّة الحموي . تحرير التحبير : ص ٣٣٧ ، ابن ابي الاصبع
٣ . خزانة الادب : ص ١١٩ . ابن حجّة الحموي . أنوار الربيع : جـ٣ ، ص ١١٤ ، ابن معصوم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المعاني الجميلة في أسلوب الاستثناء ، ما ورد في بيت ابن معصوم نفسه:

سَلَوتُ مِنْ بَعْدِهِم هيْفَ القُدُودِ فَلَمْ استَثْنِ إلاّ غُصُوناً شُبِّهتْ بِهِمُ

فيقول معلّقا على بيته : زيادة معنى هذا البيت على معنى الاستثناء ، في أنّ الاستثناء إنّما وقع للغصون التي شُبّهت بهم ، فالاستثناء لها ، إنّما هو من هذه الحيثية ، لا لمعاطفها وتثنّيها ، فلولا تشبيهها بهم لم يستثنها ، ولا أعارها طرفه .(١)

ونلمس أثر الاستثناء في إيضاح الصورة ، لدى أبي تمّام ، حبيب بن أوس (— ٢٣١ هـ) في قوله :

لم يَغْزُ يَوْماً وَلَمْ يَنْهَضْ إلى بَلَدٍ إلاّ تَقدّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرّعْبِ (٢)

فقد وظّف الشاعر قول رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - : " نُصرتَ بالرعب " في التركيب اللغوي الأدبي ، من خلال الاستثناء في هذا البيت ، ممّا زاد المدح مبالغة محبّبة إلى نفس المخاطب والممدوح .

ومن جمال الاستثناء في التركيب اللغوي الأدبي في شعره قوله :

بَصُرتَ بالراحَةِ الكُبْرى فَلَمْ تَرَها تُنالُ إلاّ عَلَى جِسْرٍ مِنَ التّعَبِ (٣)

فقد نفى نيل الراحة الكبرى عن كل طريق ، وكلّ سبب ، إلاّ عن طريق واحد ، وسبب واحد هو الدأب على جسر التعب ، وأدّى معنى الاستثناء هذا إلى وصف المعتصم بعلو الهمّة وطموح النفس ، إلى كبريات المحامد ، التي لا سبيل إلى نيلها إلاّ بتجشّم الصعاب وركوب الأهوال المخيفة ، التي لا يقتحمها إلاّ كلّ ذي همّة عالية ، وممّا زاد الاستثناء عمقا وطرافة في المعنى ، استخدام الشاعر لفظ (جسر) الذي يدلّ على وجود الأهوال المخيفة السحيقة تحته ، تفزع من يعبره وتخيفه ، لما يلاقي من تلك الأهوال ، ولكن المعتصم لم يأبه لهذه الأهوال المثبّطة للعزائم ، وفاز بالراحة الكبرى بعد النصر المبين على الأعداء في معركة عمورية ، التي أطلق عليها أبو تمّام اسم فتح الفتوح .

---

١. أنوار الربيع : جـ٣ ، ص ١١٤ ، ابن معصوم .
٢. ديوان أبي تمّام : ص ١٦ .
٣. ديوان أبي تمّام : ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استخدم الشعراء أسلوب الاستثناء في التراكيب اللغوية الأدبيّة الشعرية ، للتعبير عن الالتزام والاقتران والانتماء ، كما في قول دريد بن الصمّة :

وَهَلْ أنا إلاّ مِنْ غزيّةَ إنْ غَوَتْ غَوَيتُ وإنْ تَرْشُدْ غَزيّةُ أرْشُدِ (١)

فقد التزم الشاعر بما يجري لقبيلته وقومه من خير أو شرٍّ ، فإذا غوت القبيلة غوى ، وإذا رشدت يرشد ، فالشاعر مندغم تماما في الجماعة من قبيلته ، لا يخرج عليها ، ولا يخالف رأيها ، وهذا المعنى الذي يدلّ على الانتماء والارتباط والالتزام ، يرجع إلى أسلوب الاستثناء وما يحمله من معان تؤكّد هذه الارتباطات .

ولكنّ الشاعر في هذا التركيب اللغوي الأدبي لأسلوب الاستثناء ، قد أورد الحديث عن ذاته ونفسه ، وخصوصيته التي تفسّر حاله ، وليس حال المخاطب ، لأنّ احساسه بالانتماء إلى قبيلته إحساس عميق ، وبما أنّ هذا الإحساس مستقرّ في نفس الشاعر وضميره وشعوره ، فقد صاغه ، بهذه الصياغة مستعينا بأسلوب الاستثناء ، وهو في حقيقة أمره ، ليس غرضه الردّ على مخاطب ، أو توهّم أن أحدا ينكر عليه هذه الحقيقة ، لأنّ القوم في ذلك العصر التزموا بها ، لا بل اتخذوها عقيدة ملزمة ، ولهذا فإنّ المخاطب هنا في هذا البيت ، هي نفس الشاعر وذاته ، حتّى لا يقع في طائلة ملامتها ، على ما حدث من هزيمة قومه ، الذين لم يمتثلوا لأمره ونصيحته ، ومع ذلك لم يخرج على طاعتهم ، وبقي ملازما لهم على الرغم من أنّه كان يعي أنّهم على غير هدى وصواب ، ويوضح ذلك قوله :

أمَرْتُهُم أمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوى فَلَمْ يَسْتَبينُوا الرُّشْدَ إلاّ ضُحَى الغَدِ
فَلَمّا عَصَونِي كُنْتُ مِنْهُم وَقَدْ أرَى غِوَايَتَهُم وأنّني غَيْرُ مُهْتَدِ (١)

ولعلّ جمال البلاغة وروعة البيان الذي استرعى انتباه البلاغيين ، في أسلوب الاستثناء لم يكن لهذا الأسلوب في نفسه ، وإنّما لما يوحي به ، من معان بلاغية رقيقة وطريفة وبما أنّ هذه المعاني الرقيقة العذبة التي تخاطب شغاف القلوب ، وتدغدغ العواطف الانسانية ، والاحاسيس البشرية ، فإنّ الشعراء أكثروا منها في باب الفخر والمدح والغزل ومن روائع تلك المعاني الرقيقة في الاستثناء ، في هذا المقام ، ما ذكره كلّ من لسان الدين ابن الخطيب (- ٧٧٦هـ) في كتابه (السحر والشعر) وعلي بن سعيد (- ٦٨٥هـ) في كتابه (المرقصات والمطربات) ومن ذلك قول أبي جعفر بن طلحة (- ٣٤٠ هـ) :

---

١ . الشعر والشعراء : ص ٥٠٦ ، ابن قتيبة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشَّمْسُ لا تَشْرَبُ خَمْرَ النَّدَى في الرَّوْضِ إلاّ بِكُؤوسِ الشَّقِيقِ (١)

إذ إنّ المعنى العذب الرقيق الوارد في أسلوب الاستثناء ، زاد معنى البيت جمالا وعذوبة ورقّة وبلاغة وبيانا .

ومن روائع المعاني الرقيقة ، في أسلوب الاستثناء ، قول القاضي الأرجاني ، أحمد ابن محمد (- ٥٤٤هـ) :

وما يُنْزِلُ الغَيْثُ إلاّ لِأنْ يُقَبِّلَ بينَ يَدَيْكَ الثَّرَى (٢)

فقد استعان الشاعر بأسلوب الاستثناء ، ليزيد معنى المدح مبالغة ، فيها من الطرافة ما ينعش نفس المخاطب ، في أن الغيث لا ينزل من السماء لإغاثة المخلوقات على الأرض بالماء الذي هو عماد الحياة ، بل كي يقبّل الأرض بين يدي الممدوح ، ومن ثم ينعم به على المخلوقات . وقد كان لأسلوب الاستثناء الوارد في هذا البيت ، الأثر الواضح في إبراز هذا المعنى البلاغي الطريف الجميل .

ومن روائع الاستثناء في التراكيب اللغوية الأدبية ، قول الشاعر :

قُلْ لِلَّذي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إلاّ مَنْ لَهُ خَطَرُ

أَمَا تَرَى البَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ

وَفي السَّمَاءِ نُجُومٌ ما لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إلاّ الشَّمْسُ والقَمَرُ (٣)

إذ زاد الاستثناء الوارد في هذه الأبيات المعنى جمالا وبهاء وروعة وبيانا ، حيث أبرز هذا الأسلوب الوارد في التركيب اللغوي الأدبي للأبيات ، عظم الشمس والقمر بين النجوم وتشبيه الشاعر نفسه بهما ، ليبرّر ما أصابه ، بهذا المعنى الرقيق الذي يقنع المخاطب لا لقوّة حجّته ، وإنّما لرقّة معناه .

ومن المعاني الرقيقة الناتجة عن أسلوب الاستثناء في التراكيب الأدبية ، قول الشاعر :

---

١ . المُرقِصات والمُطربات : ص ٤٢ ، علي بن سعيد .

٢ . المصدر السابق : ص ٦٥ ، علي بن سعيد .

٣ . السحر والشعر : ص ٢٩ ، لسان الدين بن الخطيب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خَطَرَاتُ ذِكْرِكِ تَسْتَثِيرُ مَوَدَّتِي ... وَأُحِسُّ مِنْهَا فِي الفُؤَادِ دَبِيبَا
لا عُضْوَلِي إلّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ ... فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا (١)

ما أجمل وأرقّ هذا المعنى الذي ورد فيه أسلوب الاستثناء في البيت الثاني ، إذْ إنّ كلّ عضو من أعضاء جسمه قد مُلئ صبابة ومودّة وهياما . فكان لأسلوب الاستثناء الوارد في البيت الأثر الوضح في إبراز هذا المعنى الرقيق وتخصيص الصبابة في كلّ عضو من أعضاء جسمه التي غدت قلوبا . فإذا كان القلب الواحد يُشغل صاحبه بالصبابة والهوى ، ويغريه بذلك ، لولا تحكيم العقل ، فكيف وقد غدا كل عضو لديه قلبا ؟

ولو تتبّعنا الشعر الوارد في هذين الكتابين ، لاغترفنا منهما أمثلة وشواهد عدّة على روعة المعاني البلاغية التي يبدعها أسلوب الاستثناء في الشعر ، وليس الأمر مقصورا على هذين الكتابين ، بل إنّنا لو أخذنا أي ديوان لشاعر قديم أو حديث ، لوجدنا أنّ الشعراء قد عوّلوا على أسلوب الاستثناء في أشعارهم ، للتعبير عن المعاني التي يودّون تأكيدها وتخصيصها وتقويتها ، أو إثباتها ، أو المبالغة فيها ، أو ابرازها بثوب طريف جميل قشيب ، يسترعي انتباه المخاطبين ، فيؤخذون بروعته وبهائه .

ولعلّ الفرق بين استخدام الأدباء والشعراء لأسلوب الاستثناء في تراكيبهم اللغوية الأدبية ، وبين غيرهم ، أن الشعراء يستخدمون لغة تخييلية محضة ، تقوم على التشبيه والمجاز ، فتحلّق بالمعنى في مجالات البلاغة والبيان . فهم يستخدمون أسلوب الاستثناء ، وسيلة لغاية ، يرمون إليها ، جعلت منه أحد موضوعات علوم البلاغة والبيان لاشتماله على معان بلاغية جديدة ، تزيد على معنى الاستثناء المحض .

ولا يقلّ مجال استخدام أسلوب الاستثناء في النثر ، عمّا هو في الشعر ، لأنّ الأدباء والخطباء والكتّاب ، اعتمدوا عليه ، لإثبات آرائهم وتأكيدها وإقرارها ، ولأنّ الأمر يحتاج إلى تقصّي دراسة موسّعة ، خارجة عن موضوعنا ، فسيُكتفى بعرض الشواهد والأمثلة على إبراز أهمّية الاستثناء في النثر ، فيقول الجاحظ في وصف كلام رسول الله - صلّى اللّهُ عليه وسلّم - : " فلم ينطق إلّا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلّم إلّا بكلام قد حُفّ بالعصمة وشُيّد بالتأييد ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، ولا بلتمس إسكات الخصم إلا بما

---

١ . السحر والشعر : ص ٤٤ ، لسان الدين بن الخطيب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعرفه الخصم، ولا يحتجّ إلاّ بالصدق ،ولا يطلب الفلج إلاّ بالحقّ"(١)

فقد استعان الجاحظ بأسلوب الاستثناء للتعبير عن فصاحة الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - وبلاغته وبيانه . وقد أدّى استخدام الاستثناء في التراكيب اللغوية لديه ،إلى تكشيف المعاني ،وغزارتها وحشدها . كما أدّى هذا الأسلوب إلى زيادة قوّة النبرة في النظم ،وإلى قوّة الإحساس بالمعنى ،وعمق الشعور به ،وإلى توثيق وتوكيد وحفاوة .

واستخدم قَطَري بن الفجاءة (- ٧٨ هـ) أسلوب الاستثناء في خطبته ،فأدّى إلى زيادة في التأثير على المخاطب ،وتأكيد المعنى ،الذي طرحه فقال :" وقد رأيتم تنكّر الدُّنيا لِمَنْ دَانَ لَهَا وآثرَها ، وأخْلَدَ إلَيْها حِينَ ظَعَنُوا عَنْها لِفراقِ الأبَدِ . هَل زوّدتهم إلاّ شَقاء ؟ وأحلّتهم إلاّ الضَّنكَ ؟ أو نوّرتْ لَهم إلاّ الظُّلمة ؟ أو أعقبتْهُم إلاّ النّدامَةَ؟ فهذه توثرون أم عليها تَحْرِصُون(٢) ؟"

ذكر الخطيب ما فعلت الدنيا بالأمم السالفة ،مستخدما أسلوب الاستثناء الذي عبّر عن رأيه فيها أوضح تعبير ،من خلال معنى الإنكار الذي حمله أسلوب الاستثناء فزاد المعنى إقناعا للمخاطب ،ليأخذ برأي الخطيب .

وتبدو أهمّية أسلوب الاستثناء في تحقيق المعنى ، والإصرار عليه ،وتنفيذه ،في قول الحجّاج بن يوسف (- ٩٥هـ) من خطبة له في العراق ،في بداية ولايته:" إنّي واللّهِ لا أعِدُ إلاّ وَفَيْتُ ،ولا أهمُّ إلاّ أمْضَيتُ ،ولا أخْلُقُ إلاّ فَرَيْتُ"(٣)

إنّ هذه المعاني التي رمى إليها الحجّاج في خطبته ،لا يمكن أن يعبّر عنها هذا التعبير الدقيق إلاّ أسلوب الاستثناء . ولذا فإنّ الخطباء أكثروا من هذا الاسلوب في خطبهم ، لإفادته الإقناع والتأثير ، بإيجاز،وقوّة النبرة ،فهو توكيد وثيق ، ومظهر من مظاهر العناية بالفكرة والحفاوة بها .

---

١. البيان والتبيين : جـ٢ ،ص٤٤ ،الجاحظ .
٢. المصدر السابق : جـ٢ ، ص١١٣ ،الجاحظ .
٣. المصدر السابق : جـ٢ ،ص٢٢٥ ، الجاحظ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الملاحظ أنّنا نجد أسلوب الاستثناء ،اذا سلك فيه الأدباء طريق المعاني البلاغية المجازية ،نرى فيه من الدقّة والتركيز ،بمقدار ما فيه من تأثير ،وقوّة أداء إلى جانب الطرافة والعذوبة والجمال . ولعلّ هذا ما جعل الاستثناء أحد موضوعات علوم البلاغة والبيان .

وجملة القول : إنّ منزلة أسلوب الاستثناء في الأدب العربي ، منزلة سامية رفيعة ،لما له من أثر في حمل المعاني الانسانية ،التي عبّر عنها الأدباء والشعراء والخطباء والكُتّاب ، في فنّ القول العربي ، من نثر وشعر .

فعندما كانوا يقصدون التعبير عن المعنى والإلحاح عليه ،لابرازه للمخاطب واقناعه به ،كانوا يلجأون إلى أسلوب الاستثناء ،لأنّه الوسيلة الناجعة ،التي تخدم هذا الهدف الذي يقصدون . هذا الى جانب تزيين المعنى ، وتجويده ،وبعث الطرافة فيه ، ليسترعي انتباه المخاطب ،وهو العنصر المهمّ في عملية الابداع الفنّي لدى الأدباء .

فقد عمل أسلوب الاستثناء في الأدب العربي ،على تهذيب النفس وصقلها بما فيه من مضامين الخير التي يدعو إليها بتركيز ودقّة وتأكيد . ولذا فإن تلك المعاني البلاغية ، والمضامين الأخلاقية ، الداعية إلى الخير ، تتّصل بالنظرات الأدبية بوشائج متينة ، ممّا يتطلّب أن يقوم دارس بدراسة باب الاستثناء وأنواعه وأساليبه بين البلاغة والأدب ، وما هذا الفصل المقتضب إلاّ خطوة ينبغي أن تتبع بخطوات في رسالة متكاملة أخرى ، تتناول هذا الموضوع .

وبذلك نكون قد ربطنا باب الاستثناء وأنواعه وأساليبه بثلاث وجهات ، وهي النحو والبلاغة والأدب ،وعلى الرغم من أنّ البلاغيين قد أشاروا في مصنّفاتهم ، إشارات خفيفة إلى صلة الاستثناء بالأدب ،إلاّ أنّهم لم يبحثوا هذا الجانب المشرق من أساليب الاستثناء ،مع أهميته ، لأنّ الأدب في تراكيبه اللغوية ، ونظمه ،وبناء المعمار الفني فيه ، اعتمد على أساليب الاستثناء ، في التعبير عن المعاني الداخلية النفسية بدقّة وتحديد وتأكيد . وأنّ صلة أسلوب الاستثناء بالأدب ، ذات علاقة بالنقد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودراساته الذوقية والقاعدية ، فيكون هذا الموضوع من فنون الأدب والنقد ذات القواعد البلاغية ، أو ما يُسمّى بالبلاغة النقديّة ، لأنّ البلاغة تُعدّ من أسس النقد وأركانه ومرتكزاته ، التي لا بدّ أن يتسلّح بها الناقد .

وإنّ استخدام أسلوب الاستثناء في التراكيب الأدبيّة ، وفنّ القول العربي يحتاج من المتفنّن والمنشئ إلى ثقافة لغوية ، وثقافة فنية ، وثقافة بلاغية ، تعينه على إبداع فنّه إبداعا متميّزا ، تمكّنه من الدقّة في التعبير عن معانيه المختزنة في داخل نفسه ، وحسن صياغة أفكاره بأمانة وإخلاص ووضوح في تصوير مشاعره الصادقة وأحاسيسه الحيّة ، وإلّا كان استخدام هذا الأسلوب ، لا يتعدّى الإخبار العادي الذي لا يحمل أي معنى بلاغي ، يثير المخاطب أو يؤثّر فيه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

يعد هذه الدراسة النحوية البلاغية لأساليب الاستثناء في القرآن الكريم التي عملت على إيضاح الصّلة بين هذين العلمين التوأمين ، لوحدة نشأتهما واتّصال قضاياهما وتشابكها ،إذ إنّ أسلوب الاستثناء ، يبدأ نحوياً من حيث تركيب الفاظه وتعليق بعضها ببعض ، لتشكيل جمل وتراكيب سليمة خالية من الأخطاء اللغوية والصرفية ، وخاضعة لمعاني النحو وقواعده وأسسه ، وينتهي بلاغياً ،بما يشتمل عليه من جمال النظم وسحر المعنى الذي تشتمل عليه جملة الاستثناء ، ويزيد على معنى (الإخراج)الذي ذكره النحويون .

ولذا فإنّ العلمين يكمّل أحدهما الآخر ، فالنحو بلا بلاغة هيكل عظمي لا حياة فيه ولا رواء ، والبلاغة معان أثيرية لا وجود لها إلاّ في الألفاظ والجمل والتراكيب والعبارات والفقر والموضوعات ، التي تتشكّل وفق معاني النحو وقواعده فالمعاني البلاغية هي التي تكسو الهيكل العظمي ، بما يحتاج إليه ، لبثّ الروح والحياة والبهاء والجمال فيه ، وهذه المعاني البلاغية البهية في أسلوب الاستثناء ،هي التي جعلته أسلوبا يتجاذبه كلّ من النحويين والبلاغيين ، إذْ إنّ النحويين اهتموا بسلامة بناء الجملة فيه ،ثمّ إنّ البلاغيين اهتمّوا بجمال البناء الفني الذي حمل المعاني الطريفة الجميلة الرائعة التي تسترعي انتباه المخاطب وتؤثّر فيه .

وبذلك فقد حدّدت الدراسة نظرة كلٍّ من النحويين والبلاغيين إلى أسلوب الاستثناء ، وبيّنت - من خلال الدراسة والتحليل - أنّها نظرة تكاملية ،إذْ إنّ عمل كلّ منهما يكمّل الآخر ، في النظرة إلى أسلوب الاستثناء - وتناول مسائله وقضاياه .

وقد خلصت هذه الدراسة التي ربطت بين هذين العلمين إلى نتائج يمكن تلخيصها بما يلي :

أولا : إنّ القرآن الكريم ، والنصّ القرآني ، مادّة خصبة لدراسة أساليب الاستثناء وأدواته ومسائله وقضاياه ، بلاغيّا ونحويا ، إذ وردت (إلاّ) في ستمائة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موضع وتسعة وخمسين موضعاً . ووردت (غير) في مائة موضع وسبعة وأربعين موضعاً . ووردت (دون) في مائة موضع وأربعة وأربعين موضعا ، وغير ذلك من أدوات الاستثناء الأخرى التي وردت في القرآن الكريم .

ثانيا : إنّ هناك أدوات استثناء مشهورة في فنّ القول العربي ،لم ترد استثنائية في القرآن الكريم ، ومنها (حاشا) التي وردت تنزيهية في آي الذكر الحكيم ، و (سوى) التي لم ترد استثنائية في القرآن الكريم . وأن هناك عددا من أدوات الاستثناء ،لم ترد قط في القرآن الكريم ، ومنها (عدا) و(ما) و (بَلْه) و (بَيْدَ) و (لا سيّما) وغيرها .

ثالثا : تعدّ (إلاّ) أمّ أدوات الاستثناء ،لأنّ الأدوات الأخرى ، تُقاس عليها ،وتُحمل على معناها ، ولسعة انتشار استعمالها في القرآن الكريم استثنائية ، وغير استثنائية ـ تحولت من الاستثناء إلى الحصر والقصر ـ في حين أنّنا نجد (غير) لم ترد استثنائية في القرآن الكريم إلاّ في سبعة عشر موضعا مختلفا فيها بين الاستثناء وغيره ، يجليها التفسير البلاغي القائم على المعنى ، ويقرّها التحليل البلاغي للمقام ومقتضى الحال فيها .

رابعا : التعرّف على خواص أساليب الاستثناء وميزاتها ، معرفة تبرز ما بين الصورة الخارجية ، والأغراض المعنوية ، من توافق وتطابق .

خامسا : تآزر علمي البلاغة والنحو ، وتكاملها في دراسة (النظم) في جملة الاستثناء استهدفت التعرف على خصائصها البنائيّة والمعنوية ، من خلال تحليل الوحدة التعبيرية ، للكشف عن وظيفة البناء اللغوي ،وقدرته على استيعاب المضمون الذي يعبّر عن المعاني الكامنة في نفس المنشئ .

سادسا : تحديد عدد من قواعد الاستثناء ، وفق الواقع اللغوي المستعمل في آي الذكر الحكيم ، ولذلك فقد تمّ تصحيح بعض مفاهيم النحويين وقواعدهم ، لتوافق الاستعمال اللغوي في النص القرآني ، ومثال ذلك ،أنّ النحويين قالوا : إنّ الاستثناء المفرّغ ،يجب أن يكون مسبوقا بنفي أو شبه نفي . ولكن الواقع اللغوي في آي الذكر الحكيم ،يخالف هذه القاعدة ويبطلها في نحو عشرين موضعا تمّ استخراجها من النص القرآني الكريم ، ورد فيها الاستثناء المفرّغ ، غير مسبوق بنفي أوشبه نفي ،لا بل كان في بعضها مسبوقا بتأكيد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سابعا : تحديد بعض مفاهيم البلاغيين وتصحيحها ، في نظرتهم إلى أنواع الاستثناء والخلط بينها ، ولا سيّما الاستثناء الصناعي والبديعي . إذ إنّ هذين المفهومين ، هما لنوع واحد من الاستثناء وليسا لنوعين اثنين ، كما وهم بعض البلاغيين .

ثامنا : إبراز أثر البلاغة في النحو ، وإيثار الغرض البلاغي على القاعدة الإعرابية ، لأنّ بعض الألفاظ والجمل - كما في إعراب (غير) - لها غير وجه من وجوه الإعراب وما فيها وجه إلاّ له حظّ من القبول - وقد ورد أمثلة عدّة على ذلك - بسبب النظرة الجزئية إلى الموضع الإعرابي ، ولكنّ النظرة الكلّية الشمولية ، تخضع في تصوّرها للمعنى البلاغي ، والموقف والمقام ومقتضى الحال ، ممّا يجعل الجانب البلاغي راجحا ، والجانب النحوي مرجوحاً ، وبينهما توافق واتّلاف ، ولذا فقد أبرزت الدراسة أثر المعنى وأهمّيته في الربط بين النحو والبلاغة وبخاصّة في أساليب الاستثناء ، وأثر هذا المعنى في تحديد الإعراب وتقديره .

تاسعا : تفرّد القرآن الكريم ، ونيله شرف السبق في إيراد بعض أساليب الاستثناء وأنواعه ومنها أسلوب استثناء المشيئة ، وأسلوب استثناء التوحيد والتشهّد ، لأنّهما من صلب العقيدة الاسلامية ، ولا سيّما أسلوب استثناء التوحيد أو التشهّد الذي يُعدّ أوّل أركان الإسلام . فلم يرد هذا الأسلوب ، وأسلوب المشيئة من قبل في فنّ القول العربي ، في العصر الجاهلي ، لمخالفتهما عقائد القوم في ذلك العصر ، ولذا فقد كان الأسلوب الاستثنائي في بنائه صورة للفكر الاسلامي من خلال العقيدة الإسلامية ومعطياتها الجديدة في هذين النوعين .

عاشرا : خروج الاستثناء إلى معان بلاغية عدّة ، مثله في ذلك مثل أساليب الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني ، وتمّ إبراز تلك المعاني التي يخرج إليها الاستثناء على الرغم من أنّ البلاغيين لم يذكروا تلك المعاني ، كما ذكروها في الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني .

أحد عشر : بيان وإثبات أنّ أسلوب الاستثناء يعدّ من أفصح أساليب العربية وأوجزها ، لأنّ جملة الاستثناء ، تحمل في سياقها معنيين متضادّين ، أحدهما مُدخل والثاني مُخرج ، أو أحدهما مُثبت والثاني منفي ، فكان لهذا الإيجاز الذي يحمل معنى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التضادّ أثره في بلاغة هذا الأسلوب وبيانه .

ثاني عشر: إنّ أسلوب الاستثناء المفرّغ ، يعدّ من أفضل الأساليب العربية المستخدمة لتأكيد المعنى وتخصيصه وقصره وحصره ، ، ولذا فإنّ المنشئ يلجأ إليه إذا ما أراد تأكيد المعنى أو تخصيصه أو قصره وحصره ، فكان أكثر أنواع الاستثناء وروداً في القرآن الكريم إذ ورد في أربعمائة موضع وعشرين موضعاً تقريباً .

ثالث عشر: إظهار الفرق بين (إنْ) النافية ، و (ما) النافية في أسلوب الاستثناء ، إذ إنّ (إنْ) تُستخدم لزيادة تأكيد المعنى ، وإبراز القوّة فيه ، وأمّا (ما) فتُستخدم للنفي العادي ، وهذا من خفايا النظم في أسلوب الاستثناء ، في فن القول العربي ، فما يسترعي الانتباه كثرة استخدام (إنْ) النافية في أسلوب الاستثناء .

رابع عشر: إيضاح منزلة أسلوب الاستثناء في الأدب العربي ، لما له من أثر في حمل المعاني الانسانية التي عبّر عنها الأدباء والشعراء والخطباء والكُتّاب بدقّة وبلاغة وفصاحة وبيان ، سواء أكان في الجانب العقلي أم في الجانب الوجداني والعاطفي .

خامس عشر: بيان وإيضاح العلاقة التكاملية بين البلاغة والنحو والنقد والأدب ، من خلال أسلوب الاستثناء في فنّ القول العربي ، شعره ونثره ، لأنّ الأديب والناقد لا بدّ لهما من أن يتسلحا بثقافة بلاغيّة ، ولا سيّما الناقد ، لأنّ البلاغة تُعدّ إحدى أهمّ أدواته النقدية ، فيما يسمّى بالبلاغة النقدية ، ولأنّ البلاغة العربية والنقد الأدبي لدى العرب ، خرجا من مشكاة واحدة ، ثم افترقا ، وعلى الرغم من افتراقهما ، فقد بقي كلّ منهما بحاجة إلى الآخر ، عند إصدار الأحكام النقديّة على فنّ القول ، وهما بحاجة إلى النحو كذلك ، فهذه العلوم الثلاثة يكمل كلّ منها الآخر ، ولا يستطيع حامل أحدها أن يستغني عن الآخرين لأنّها حلقات متصلة مترابطة ، تعمل على خدمة فنّ القول من شعر ونثر .

هذه هي بعض النتائج التي تمّ التوصّل إليها في هذه الدراسة التي أرجو أن تكون قد استوفت الموضوع حقّه ، في جانبيه البلاغي والنحوي ، وعملت على الربط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينهما ،لحاجة كلٍّ منهما إلى الآخر في خدمة النص القرآني ،وفنّ القول العربي بأنواعه جميعها ، من خلال اتّباع المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة التي مزجت بين الدرس البلاغي والدرس النحوي ، في معالجة مسائل الاستثناء وقضاياه في القرآن المجيد .

والله ولي التوفيق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس الموضوعـــــــات

الموضـــــوع	الصفحـــة
المقدمـــــة	١ - ٧
الفصـــل الأوّل :	٨ — ٧٠
حـدّ الاستثنـاء	٩ - ١٨
أدوات الاستثنـاء	١٩ - ٣٧
أنواع الاستثنـاء	٣٨ - ٤٢
صلة النحو بالبلاغـة	٤٣ - ٥٩
أثر المعنى في البلاغة والنحو، من خلال الاستثناء	٥٩ - ٦٢
الحمل على المعنى في أسلوب الاستثناء	٦٣ - ٧٠
الفصـل الثانـي :	٧١ - ١٣١
خروج الاستثناء على مقتضى الظاهر	٧٢ - ٧٥
خروج حدّ الاستثناء على مقتضى الظاهر عند النحويين	٧٦ - ٩٦
تحوّل معنى الاستثناء من الإخراج إلى التضاد	٩٦ - ١٠٣
خروج الاستثناء المفرغ على مقتضى الظاهر	١٠٤ - ١٢٥
أثر حال المخاطب في خروج الاستثناء المفرغ على مقتضى الظاهـر	١٢٦-١٣١
الفصـــل الثالـــث	١٣٢-٢٢٤
أدوات الاستثناء في القرآن الكريـم	١٣٣-١٦٣
أنواع الاستثناء في القرآن الكريـم	١٦٤-٢٢٤
الاستثناء التام الموجـب	١٦٦-١٧٤
الاستثناء التام المنفـي	١٧٤-١٧٨
الاستثناء المتصل والاستثناء المنقطـع	١٧٩-٢٠١

This digital copy is a result of Jordan Library Project at University of Jordan. All Rights Reserved.

الموضـــــوع	الصفحـــــة
الاستثنـاء المفـرّغ	٢٠٢ - ٢١٥
استثناء التهليل (التشهّد والتوحيد)	٢١٥ - ٢١٩
استثنـــاء المشيئـــة	٢١٩ - ٢٢٤
الفصـــل الرابـــــع :	٢٢٥ - ٣٢١
بلاغة الاستثناء في القرآن الكريـم	٢٢٥ - ٣٢١
القصر والاستثناء في القرآن الكريم	٢٢٦-٢٢٨
طرفا القصر في الاستثناء المفـرّغ	٢٢٨ - ٢٣٧
أنواع القصر الإضافي في الاستثناء المفرّغ	٢٣٧ - ٢٤٧
الاستدراك والاستثناء في القرآن الكريـم	٢٤٧ - ٢٥٤
العلاقة بين الاستثناء والنفـي	٢٥٤ - ٢٥٩
النظم في أساليب الاستثنـاء	٢٥٩ - ٢٦٤
أنماط النظم في جملة الاستثناء	٢٦٤ - ٢٧٦
الاستثناء المصدّر (بما) و(إنْ) النافيتين	٢٧٦ - ٢٨٤
دخول (لا) النافية في جملة الاستثناء	٢٨٤ - ٢٨٨
تقديم المستثنى في النظـم	٢٨٨ - ٢٩٤
تقديم أدوات الاستثناء في النظـم	٢٩٤ - ٣٠١
الجمع بين أداتي الاستثناء في النظم	٣٠١ - ٣٠٤
تعدّد المستثنى وتكراره في النظـم	٣٠٥ - ٣٠٨
حذف المستثنى وإضمـاره	٣٠٨ - ٣١٢
حـذف أداة الاستثنـاء	٣١٢ - ٣١٤
الاستثنـاء من الاستثنـاء	٣١٤ - ٣١٦
مقدار المستثنى بالنسبة للمستثنى منه	٣١٦ - ٣٢٠
الاستثناء واستغراق الزمـن	٣٢٠ - ٣٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــوع	الصفحـــة
الفصـــل الخامـــس	٣٢٢ - ٣٧٩
معاني الاستثناء البلاغية في القرآن الكريم	٣٢٢ - ٣٤٢
المستثنى وأغراضه في القرآن الكريم	٣٤٢ - ٣٥٢
الاستثناء والتراكيب اللغوية الأدبية	٣٥٢ - ٣٥٧
الاستثناء وفنّ القول العربي	٣٥٨ - ٣٥٩
الاستثناء وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ	٣٥٩ - ٣٦٦
الاستثناء الصناعي أو البديعي	٣٦٦ - ٣٧٩
الخاتمة	٣٨٠ - ٣٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــادر والمراجـــــع

١. القرآن الكريـــــم .

٢. الآداب السامية / محمد عطية الأبراشي .- مصر : عيسى البابي الحلبي وشركـــــاه ، ١٩٤٦ م .

٣. الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي .-بيروت : دار المعرفـــة — ١٩ م .

٤. إتمام الدراية/ جلال الدين السيوطي .-بيروت : دار الكتب العلمية ،- ١٩م.

٥. أثر القرآن في تطور الدرس النحوي / د . عفيف دمشقية .- ط١ .-بـــيروت: معهـــد الانماء الدولـــي ، ١٩٧٨ م .

٦. أثر القرآن في تطور النقد العربي / د . محمد زغلول سلام .- ط٢ .- مصر: دار المعارف ، ١٩٦١ م .

٧. أثر القرآن والقراءات في النحو العربي / د . محمد اللبدي .- الكويـــت: دار الثقافـــــة ، ١٩٧٤ م .

٨. أثر النحاة فـي البحـــث البلاغي / د . عبد القادر حسين .- القاهـــرة دار نهضة مصر للطباعة والنشـــر ، ١٩٧٥م.

٩. الإحكام في أصول الأحكام / أبو محمد علي بن حزم الأندلسي ، تحقيـــق : أحمد محمد شاكـــر .- القاهـــرة ، -١٩م.

١٠. الإحكام في أصول الأحكام / أبو الحسن الآمدي .- القاهرة: مكتبـــة صبيـــح ، ١٩٦٨ م .

١١. أساليب الاستفهام في القرآن / د . عبد الحليم السيد فودة .- القاهـــرة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، -١٩م.

١٢. أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ، من الوجهة البلاغية / بسيوني عبـــد الفتاح .- رسالة جامعية ، الأزهـــر ، ١٩٨٣م.

١٣. أساليب الاقناع في القرآن الكريم/ ابن عيسى عبد القادر بطاهر .- رسالـــة جامعية ، الجامعـــة الأردنية ، ١٩٩٠م.

١٤. أساليب التوكيد في القرآن الكريم/ طه عبد الحميد .- رسالة جامعية ،جامعة عيـــن شمـــس ، ١٩٥٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥. أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم/ د. أحمد مختار العزوة ـ. دمشق، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٩٨٥م.

١٦. أساليب الشرط في القرآن الكريم/ عبد الله محمد آدم ـ. رسالة جامعية، جامعة الأزهر، ١٩٧٧م.

١٧. أساليب النفي في العربية/د. مصطفى النحاس ـ. الكويت: جامعة الكويت، ١٩٧٩م.

١٨. أساليب النفي في القرآن/د. أحمد ماهر ـ. الأسكندرية: دار الناشر الجامعي، ١٩٨٠؛ دار المعارف، ١٩٨٥م.

١٩. أسباب النزول /أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ـ. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٩م.

٢٠. الاستغناء في أحكام الاستثناء/ شهاب الدين القرافي، تحقيق طه محسن ـ. بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٨٢م.

٢١. أسرار البلاغة/عبد القاهر الجرجاني، تصحيح: محمد رشيد رضا ـ. القاهرة: مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٥٩م.

٢٢. أسرار البلاغة / عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ. ريتر ـ. بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٩م.

٢٣. أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم/ د. محمود السيد شيخون ـ. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٣م.

٢٤. أسرار العربية / أبو البركات بن الأنباري، تحقيق محمد البيطار ـ. دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٥٧م.

٢٥. أسس النقد الأدبي عند العرب / د. أحمد أحمد بدوي ـ. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.

٢٦. الأسلوب / أحمد الشايب ـ. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦م.

٢٧. أسلوب التوكيد في القرآن الكريم/ طالب الرفاعي ـ. رسالة جامعيّة، كلية دار العلوم، ١٩٧٥م.

٢٨. أسلوب التوكيد اللغوي في منهج وصفي في التحليل اللغوي / د. خليل عمايرة ـ. جامعة اليرموك، ـــ ١٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٩. أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين /د. فتحي بيومي حمودة .- جدّة: دار البيان العربي ، ١٩٨٥م.

٣٠. أسلوب النفي والاستفهام في العربية في منهج وصفي في التحليل اللغوي/ د. خليل عمايرة .- جامعة اليرموك ،- ١٩م.

٣١. الأشباه والنظائر في النحو / جلال الدين السيوطي ،تحقيق: طه سعيد .- القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٥م.

٣٢. الأصمعيات/أبو سعيد الأصمعي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون .- القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٤م.

٣٣. الأصول / د. تمّام حسّان .- الدار البيضاء : دار الثقافة، ١٩٨١م .

٣٤. أصول التفكير النحوي / د. علي أبو المكارم .- ليبيا : منشورات الجامعة الليبيّة ، ١٩٧٣م.

٣٥. الأصول في النحو / ابن السرّاج ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي .-بيروت: مؤسّسة الرسالة ، ١٩٨٥م .

٣٦. أصول النحو العربي / د. محمد عيد .- القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٨م .

٣٧. إعجاز القرآن / أبو بكر محمّد بن الطيّب ، الباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر .- القاهرة : دار المعارف، ١٩٥٤م.

٣٨. إعجاز القرآن ،الإعجاز في دراسات السابقين / عبد الكريم الخطيب .-بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٧٥م.

٣٩. إعجاز القرآن ،الإعجاز في مفهوم جديد / عبد الكريم الخطيب .-بيروت:دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٧٥م.

٤٠. إعراب ثلاثين سورة من القرآن / ابن خالويه .-بيروت : مكتبة الهلال ، ١٩٨٥م

٤١. إعراب القرآن / أبو معز النحّاس ،تحقيق : د. زهير غازي .- القاهرة: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٥م .

٤٢. إعراب القرآن / مكّي بن أبي طالب القيسي، المنسوب خطأ للزجّاج ،تحقيق : إبراهيم الابياري.- القاهرة: المؤسّسة المصرية العامة ، ١٩٦٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٣. الأغاني / أبو الفرج الأصفهاني .- المؤسّسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ،- ١٩ م .

٤٤. الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب /أبو محمّد بن السّيد البَطَلْيَوْسي ،تحقيق : مصطفى السقا وحامد عبد المجيد .- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٨٢م .

٤٥. الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب/أبو محمّد بن السّيد البَطَلْيَوْسي ، تحقيق : مصطفى السقا وحامد عبد المجيد .- بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠م .

٤٦. الأم / الإمام الشافعي ، محمد بن إدريس .- بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٣م.

٤٧. أمالي المرتضي ،غرر الفوائد ودرر القلائد / الشريف المرتضي ،علي بن الحسين ،تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم .- بيروت:دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧م.

٤٨. إملاء ما منّ به الرحمن / العكبري ،أبو البقاء عبد الله بن الحسين بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٧٩م.

٤٩. الإنصاف في مسائل الخلاف/ ابن الأنباري ،أبو البركات عبد الرحمن بن محمد تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .- بيروت : دار الجيل ، ١٩٨٢م.

٥٠. أنوار الربيع في أنواع البديع/ علي بن معصوم ، تحقيق : شاكر هادي شاكر.- كربلاء : مكتبة العرفان ، ١٩٦٩م.

٥١. أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك/ ابن هشام ، أبو محمد عبد الله بن يوسف ، تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٩٦٦ م .

٥٢. الإيضاح في علل النحو / أبو القاسم الزجّاجي ، تحقيق : د . مازن المبارك .-بيروت : دار النفائس ، ١٩٨٦م .

٥٣. البحر المحيط/ أبو حيّان الأندلسي .-بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٣م.

٥٤. بحوث المطابقة لمقتضى الحال / د . علي البدري .- القاهرة: مطبعة السعادة ، ١٩٨٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٥. بحوث ومقالات في البلاغة/ د . فتحي فريد .ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٤م.

٥٦. البديع / ابن المعتز، تعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ـ. القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٤٢م .

٥٧. البديع في البديع في نقد الشعر/ أسامة بن منقذ ،تحقيق : عبدآ. علي مهنا بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م.

٥٨. بديع القرآن / ابن أبي الإصبع المصري ،تحقيق : د . حفني محمد شرف.ـ القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر.ـ٩ م.

٥٩. البرهان في علوم القرآن /الزركشي ،بدر الدين محمد بن عبد الله ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.ـالقاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧٢م.

٦٠. بلاغة أرسطو بين العرب واليونان / د . إبراهيم سلامة .ـ القاهرة : مكتبة الأنجلو المصريّة ، ١٩٥٢م.

٦١. البلاغة تطور وتاريخ / د . شوقي ضيف.ـ دار المعارف، ١٩٨١م.

٦٢. البلاغة ،عرض وتوجيه وتفسير/ د . محمد بركات أبو علي .ـ عمّان : دار الفكر للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣م .

٦٣. بلاغة العطف في القرآن الكريم / د . عفّت الشرقاوي .ـ بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨١م.

٦٤. البلاغة ،فنونها وأفنانها /د . فضل حسن عبّاس .ـ عمّان : دار الفرقان ، ١٩٧٣م.

٦٥. بلاغة الكلمة والجملة والجمل / د . منير سلطان .ـ الاسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٧٣م.

٦٦. البلاغة والأسلوبية / د . محمد عبد المطّلب .ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م.

٦٧. بناء الجملة في لهجة نابلس المعاصرة / محمد جواد محمد .ـ رسالة جامعية القاهرة : جامعة عين شمس ، ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٨. بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل/الخطّابي ،تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلّام ـ القاهرة: مطبعة دار المعارف ، ١٩٦٨ م.

٦٩. البيان في غريب إعراب القرآن / أبو البركات بن الأنباري ، تحقيق : د .طه عبد الحميد ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٩م.

٧٠. البيان والتبيّن /أبو عثمان الجاحظ ـ بيروت: دار الفكر للجميع، ١٩٦٨م.

٧١. البيان والتبيّن/ أبو عثمان الجاحظ،تحقيق : عبد السلام هارون ـ بيروت: دار الجيل ، ـ ١٩م.

٧٢. التأكيد في القرآن الكريم/ فخري صالح سليمان ـ رسالة جامعية،جامعة الأزهر ، ١٩٧٨م.

٧٣. تأويل مشكل القرآن / أبو محمد عبد الله بن قتيبة،تحقيق: السيد أحمد صقر القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٥٤م.

٧٤. التأويل النحوي في القرآن الكريم/د . عبد الفتّاح الحموز ـ الرياض: مكتبة الرشيد ، ١٩٨٤م.

٧٥. تاج العروس/محمد مرتضى الزبيدي ـ بيروت: مكتبة الحياة، ـ ١٩م .

٧٦. تاريخ اللغات الساميّة/ جودة محمد الطملاوي ـ القاهرة: مطبعة الطليعة ١٩٣٢م.

٧٧. تاريخ اللغات الساميّة/ اسرائيل ولفنسون ـ القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٢٩م.

٧٨. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان/ شرف الدين بن محمد الطيبي تحقيق : هادي عطية مطر ـ بيروت: عالم الكتب ، ١٩٨٧م.

٧٩. التحفة السنيّة بشرح المقدّمة الأجروميّة / محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت : المكتبة الثقافية ، ـ ١٩م.

٨٠. تذكرة النحاة/ أبو حيّان الأندلسي ،تحقيق : د . عفيف عبد الرحمن ـ بيروت : مؤسّسة الرسالة ، ١٩٨٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨١. التركيب اللغوي للأدب/ د. لطفي عبد البديع ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.

٨٢. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد / ابن مالك، تحقيق: محمد بركات ـ القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

٨٣. التطوّر الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن / د. عودة أبو عودة ـ الزرقاء ـ مكتبة المنار، ١٩٨٥م.

٨٤. تفسير الطبرسي /أبو علي الطبرسي ـ دار الفكر، ١٩٦١م.

٨٥. تفسير غريب القرآن /أبو محمد عبد الله بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٨م.

٨٦. تفسير القرطبي / أبو عبد الله القرطبي ـ القاهرة: دار الناشر العربي، ١٩٦٧م.

٨٧. تفسير النسفي / أبو البركات عبد الله النسفي ـ القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ـ ١٩م.

٨٨. تفصيل آيات القرآن الحكيم/ جول لا بوم واد وار مونتيه، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ـ بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م.

٨٩. التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس/ حمادي حمودي ـ تونس: منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.

٩٠. تقريب النشر في القراءات العشر/ شمس الدين بن الجزري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض ـ القاهرة: مطبعة البابي الحلبي ١٩٦١م.

٩١. التلخيص في علوم البلاغة / الخطيب القزويني، شرح عبد الرحمن البرقوقي مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٢م.

٩٢. تناوب حروف الجر في لغة القرآن/د. محمد حسن عواد ـ عمّان، دار الفرقان، ١٩٨٢م.

٩٣. تهذيب اللغة/ أبو منصور الأزهري، تحقيق: إبراهيم الابياري ـ القاهرة دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.

٩٤. تيسير العربية بين القديم والحديث / د. عبد الكريم خليفة ـ عمّان: منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٥. جامع الدروس العربية/الشيخ مصطفى الغلاييني ،مراجعة وتنقيح :د. عبد المنعم خفاجة.-بيروت:المكتبة العصرية ١٩٨٦م.

٩٦. الجملة العربية،دراسة لغوية نحوية/د. محمد إبراهيم عبادة .-الاسكندرية منشأة المعارف ، ١٩٨٤م.

٩٧. الجملة النحوية ،نشأة وتطورا وإعرابا/ د. فتحي الدجني .-الكويت:مكتبة الفلاح ، ١٩٧٨م.

٩٨. الجمل في النحو /أبو القاسم الزجّاجي ،تحقيق:د. علي الحمد .-بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م.

٩٩. الجني الداني في حروف المعاني /الحسن بن القاسم المرادي ،تحقيق:فخر الدين قباوة ومحمد فاضل .- بيروت دار الآفاق ، ١٩٨٣م.

١٠٠. جوهر الكنز/ ابن الأثير الحلبي ،تحقيق: د. محمد زغلول سلام.- الاسكندرية: منشأة المعارف ، -١٩م.

١٠١. حاشية الشيخ حسن العطّار على الأزهرية/ مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٤٧م.

١٠٢. حاشية الصبّان على شرح الأشموني / القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، -١٩م.

١٠٣. الحجّة في القراءات السبع/ ابن خالويه ، تحقيق عبدالعال سالم مكرم.- بيروت : دار الشروق ، ١٩٧١م.

١٠٤. الحجّة في القراءات السبع/أبو علي الفارسي ،تحقيق:د. علي النجدي ناصف القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٥م.

١٠٥. حجّة القراءات/ أبو زرعة بن زنجلة،تحقيق: سعيد الأفغاني .- بني غازي: منشورات جامعة بني غازي، ١٩٧٤م.

١٠٦. حلية المحاضرة/ محمد بن الحاتمي ،تحقيق: هلال ناجي .-بغداد ، ١٩٧٨م.

١٠٧. الحماسة/البحتري، تحقيق: كمال مصطفى .-القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٢٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٨. خزانة الأدب وغاية الأرب/ابن حجّة الحموي. ـ بيروت: دار القاموس الحديث مكتبة البيان ، ـ ١٩م.

١٠٩. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب/ عبد القادر البغدادي ،تحقيق: عبد السلام هارون. ـ القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م

١١٠. الخصائص/ابن جنّي ،تحقيق: محمد علي النجار. ـ القاهرة: دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م.

١١١. الخصائص/ابن جنّي ،تحقيق: محمد علي النجار. ـ بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠م.

١١٢. الدراسات الأدبية/ رئيف خوري . ـ بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٩م.

١١٣. دراسات في البلاغة/ د. محمد بركات أبو علي . ـ عمّان: دار الفكر للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤م.

١١٤. دراسات في علم اللغة/ د. كمال بشر . ـ مصر: دار المعارف، ١٩٦٩م.

١١٥. دراسات في النقد الأدبي /د. محمد بركات أبو علي . ـ عمّان: دار الفكر للنشر والتوزيع ، ١٩٨٩م.

١١٦. دراسات لأسلوب القرآن الكريم / محمد عبد الخالق عضيمة. ـ القاهرة: دار الحديث ، ١٩٧٢م.

١١٧. دروس في اللغة العبرية/ ريحي كمال . ـ بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٦٣م.

١١٨. دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق: د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية. ـ دمشق: دار قتيبة، ١٩٨٣م.

١١٩. دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجاني ،تصحيح وتعليق محمد عبده ومحمد الشنقيطي ومحمد رشيد رضا . ـ بيروت: دار المعرفة ، ١٩٧٨م

١٢٠. دلالات التراكيب/د. محمد أبو موسى . ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٩م.

١٢١. ديوان ابن الرومي / القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى ، ـ ١٩م.

١٢٢. ديوان أبي تمّام/ شرح د. شاهين عطية . ـ بيروت: مكتبة الطلاب ومكتبة الكتاب اللبناني ، ١٩٦٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٣. ديوان الأخطل / شرح مهدي محمد ناصر.-بيروت: دار الكتب العلميّة ١٩٨٦م.
١٢٤. ديوان البارودي / شرح علي الجارم .-القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م.
١٢٥. ديوان جران العود / رواية أبي سعيد السكري .-القاهرة: دار الكتب المصرية ، ١٩٣١م.
١٢٦. ديوان جميل بثينة / بيروت : دار صادر ، ١٩٦٦م.
١٢٧. ديوان حاتم الطائي / تحقيق كرم البستاني .-بيروت : دار السيرة، ١٩٨٢م.
١٢٨. ديوان ذي الرّمّة/ دمشق : المكتب الاسلامي ، ١٩٦٤م.
١٢٩. ديوان طرفة بن العبد / بيروت : دار صادر ، ١٩٦١م.
١٣٠. ديوان العجّاج / رواية الأصمعي .-بيروت : مكتبة دار الشرق ، ١٩٧١م.
١٣١. ديوان عمرو بن معديكرب/ تحقيق : هاشم الطعان .-بغداد : وزارة الثقافة — ١٩م.
١٣٢. ديوان الفرزدق / بيروت : دار صادر ، ١٩٦٠م.
١٣٣. ديوان كعب بن زهير / بيروت : دار الفكر للجميع ، ١٩٦٨م.
١٣٤. ديوان المتنبي / شرح البرقوقي .-بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٨٠م.
١٣٥. ديوان النابغة الذبياني / تحقيق : د. شكري فيصل .-بيروت: دار الفكر ١٩٦٨م.
١٣٦. رصف المباني في شرح حروف المعاني / أحمد المالقي ، تحقيق : أحمد الخراط .-دمشق : مجمع اللغة العربية ،٢٩٧٢م.
١٣٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم/ شهاب الدين الآلوسي .-بيروت دار الفكر ، ١٩٨٧م.
١٣٨. السبعة في القراءات/ أبوبكر بن مجاهد ، تحقيق : د. شوقي ضيف.- القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٢م.
١٣٩. السحر والشعر/ لسان الدين بن الخطيب.-مطبعة مدريد ، ١٩٨١م.
١٤٠. سر العربية وبيانها / د. محمد بركات أبو علي .-عمّان : دار البشير، ١٩٨٧م.
١٤١. سر الفصاحة/ ابن سنان الخفاجي ،شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٩٦٩م.

١٤٢. سيبويه إمام النحاة/ د. علي النجدي ناصف .. القاهرة: مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٣م.

١٤٣. شرح الأشموني / تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد .. بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٥٥م.

١٤٤. شرح التصريح على التوضيح / خالد الأزهري .. القاهرة: إحياء الكتب العربية ، — ١٩م.

١٤٥. شرح التلخيص في البلاغة / جلال الدين القزويني ، تحقيق: محمد هاشم بيروت: دار الجيل ، ١٩٨٢م.

١٤٦. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى / صنعة ثعلب.. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م.

١٤٧. شرح الشاطبية / علي بن محمد .. القاهرة: مكتبة محمد علي صبيح ، ١٩٥٣م.

١٤٨. شرح شذور الذهب/ ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد .. القاهرة: المكتبة التجارية ، ١٩٦٥م.

١٤٩. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان/ جلال الدين السيوطي .. مصر: مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، ١٩٣٩م.

١٥٠. شرح القصائد العشر / الخطيب التبريزي، تحقيق: محمي الدين عبد الحميد .. القاهرة: مطبعة السعادة ، ١٩٦٤م.

١٥١. شرح قطر الندى وبل الصدى/ ابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد .. بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٩٦٣م.

١٥٢. شرح القواعد البصروية/ علاء الدين البصروي، تحقيق: عزام عمر الشجراوي .. رسالة جامعية، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧م.

١٥٣. شرح الكافية/ الرضي الاستراباذي .. استانبول: المطبعة العامرة ، ١٢٧٥هـ

١٥٤. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة/ صفي الدين الحلّي، تحقيق: د. نسيب نشاوي .. دمشق: مطبعة مجمع اللغة العربية ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥٥. شرح المفصّل /ابن يعيش - بيروت ؛ عالم الكتب، — ١٩م.
١٥٦. شرح مقامات الحريري/أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن ،تحقيق ؛د . محمد أبو الفضل إبراهيم .- القاهرة ؛ المؤسسة العربية للطبع والنشر، ١٩٦٩م.
١٥٧. شروح التلخيص/ مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ،لابن يعقوب المغربي ، وعروس الأفراح ،للسبكي ، والايضاح للقزويني . وحاشية الدسوقي على شرح التفتازاني .- القاهرة ؛ مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٣٧ م .
١٥٨. شعر النابغة الجعدي / دمشق ، ١٩٦٤ م.
١٥٩. الشعر والشعراء/ مسلم بن قتيبة ، مراجعة ؛ محمد العريان ؛ بيروت دار إحياء العلوم ، ١٩٨٦م.
١٦٠. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح / ابن مالك ،تحقيق ؛ محمد فؤاد عبد الباقي .- القاهرة ؛ مكتبة دار العروبة ، ١٩٥٧ م.
١٦١. الصاحبي في اللغة / أحمد بن فارس .- بيروت ؛ دار إحياء العلوم ، ١٩٦٥م.
١٦٢. صحيح البخاري / تقديم ؛ أحمد محمد شاكر .- بيروت ؛ دار الجيل ،- ١٩م
١٦٣. صحيح مسلم / تحقيق ؛ محمد فؤاد عبد الباقي .- بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨م.
١٦٤. الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي / د . محمد بركات أبو علي .- عمان ؛ مكتبة الرسالة ، ١٩٧٩ م .
١٦٥. الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز/ يحيى بن حمزة العلوي. بيروت ؛ دار الكتب العلمية ، — ١٩ م.
١٦٦. طيبة النشر في القراءات العشر / ابن الجزري .- القاهرة ؛ مطبعة الطوخي ١٣٠٢ هـ
١٦٧. ظاهرة الحمل على المعنى في الدراسات النحوية/ محمد أشرف اسماعيل .-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسالة جامعية، كلية دار العلوم ، ١٩٨٩م.

١٦٨. عجائب القرآن / فخر الدين الرازي ، تحقيق : د. السّيد الجميلي .. بيروت: دار مكتبة الهلال ، ١٩٨٥م .

١٦٩. العقد الفريد / ابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : د . مفيد قمحية .. بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م.

١٧٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده / ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٤م.

١٧١. فصول في البلاغة / د . محمد بركات أبو علي .. عمّان : دار الفكر للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣م.

١٧٢. الفلك الدائر على المثل السائر / ابن أبي الحديد ، تحقيق : د . أحمد الحوفي ، ود . بدوي طبانة .. القاهرة: مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٠م.

١٧٣. الفهرست /ابن النديم .. القاهرة : المكتبة التجارية ، ١٩٧٩م.

١٧٤. في أصول النحو / سعيد الأفغاني .. دمشق : مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧م.

١٧٥. في البنية والدلالة / د . سعد أبو الرضا .. الأسكندرية : منشأة المعارف ١٩٧٧م.

١٧٦. في تاريخ العربية / د . نهاد الموسى .. عمّان ، ١٩٧٦م.

١٧٧. في التحليل اللغوي : منهج وصفي تحليلي على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام/ د . خليل عمايرة الزرقاء : مكتبة المنار ، ١٩٨٧م.

١٧٨. في النحو العربي / د . مهدي المخزومي .. مصر: مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٦م.

١٧٩. في النحو العربي ، نقد وتوجيه / د . مهدي المخزومي .. بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٦٤م.

١٨٠. في نحو اللغة وتراكيبها ، منهج وتطبيق / د . خليل عمايرة .. جدّة : عالم المعرفة ، ١٩٨٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٨١. القاضي الجرجاني ،الأديب الناقد / د . محمود السمرة .-بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م .

١٨٢. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية / عبد العال سالم مكرّم .-القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦٨م.

١٨٣. القرطين / ابن الكناني القرطبي .-مصر : مكتبة الخانجي ، ١٣٥٥ هـ

١٨٤. قصص القرآن الكريم / سعيد اللحام .-بيروت : مكتبة الهلال ، ١٩٨٧ م.

١٨٥. قواعد تحويلية للغة العربية / د . محمد علي الخولي .- الرياض:دار المريخ ، ١٩٨١ م.

١٨٦. الكافي في القراءات السبع / أبو عبد الله الرعيني .-مصر : المطبعة الميمنية ١٣٢٦ هـ .

١٨٧. كتاب الاقتراح في علم أصول النحو / جلال الدين السيوطي .-حلب: دار المعارف ، ١٣٥٩هـ.

١٨٨. كتاب سيبويه / تحقيق عبد السلام هارون .-بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م.

١٨٩. كتاب الصناعتين / أبو هلال العسكري ،تحقيق : علي محمد ومحمد أبو الفضل إبراهيم .-القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧١ م.

١٩٠. كتاب المقتصد في شرح الإيضاح / عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق :د .كاظم بحر المرجان .-بغداد : دار الرشيد ١٩٨٢ م.

١٩١. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل/ جار الله الزمخشري .-بيروت:دار الكتاب العربي ، ١٩٨٦ م.

١٩٢. كشف الأسرار / علاء الدين البخاري .-بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٩٧٤ م.

١٩٣. الكشف عن وجوه القراءات السبع/ مكّي بن أبي طالب، تحقيق : محيي الدين عبد الرحمن .-دمشق ، ١٩٧٤ م.

١٩٤. كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب/ ضياء الدين بن الأثير ،تحقيق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن وهلال ناجي
منشورات جامعة الموصل ، ١٩٨٢ م.

١٩٥. الكوكب الدّري، فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية / جمال الدين الإسنوي، تحقيق: د. محمد حسن عوّاد عمّان: دار عمّار، ١٩٨٠ م.

١٩٦. لباب النقول في أسباب النزول/ جلال الدين السيوطي ـ بيروت: دار إحياء العلوم العربية، ١٩٨٠م.

١٩٧. لسان العرب / جمال الدين بن منظور ـ بيروت: دار صادر، ـــ ١٩ م.

١٩٨. لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم/ أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق د. عبد الحميد السيد طلب ـ الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٤ م.

١٩٩. لغات ومواقف/ د. محمد بركات أبو علي ـ عمّان: مكتبة الرسالة، ١٩٧٨م.

٢٠٠. اللمع في العربية/ ابن جنّي، تحقيق: د. حسين محمد شرف ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٩ م.

٢٠١. مباحث التخصيص عند الأصوليين والنحاة /د. محمود سعد ـ الأسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٨ م.

٢٠٢. مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة / د. ميشال زكريا ـ بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤ م.

٢٠٣. المثل السائر / ابن الأثير الجزري، تحقيق: د. أحمد الحوفي وبدوي طبانة مصر: مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٠ م.

٢٠٤. مجالس ثعلب/ تحقيق: عبد السلام هارون ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٩م.

٢٠٥. المحتسب في تبيين وجوه القراءات / ابن جنّي، تحقيق: علي نجدي ناصف ـ القاهرة: دار التحرير للطباعة والنشر، ١٩٦٦م.

٢٠٦. مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح / مصر: مطبعة محمد علي صبيح، ١٣٤٧ هـ.

٢٠٧. مختصر المعاني / سعد الدين التفتازاني ـ مصر: مطبعة عطايا، ـــ ١٩ م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠٨. المرقصات والمطربات/ علي بن سعيد .- بيروت : دار حمد ومحيو، - ١٩ م.
٢٠٩. المزهر في علوم اللغة وأنواعها / جلال الدين السيوطي ،تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ورفاقه .- القاهرة : دار التراث، -١٩م.
٢١٠. المسائل السفرية في النحو/ ابن هشام الأنصاري ،تحقيق :د . علي حسن البواب .- الرياض:دار طيبة للنشر والتوزيع ١٩٨٢ م.
٢١١. المسائل المشكلة - البغداديات/ أبو علي النحوي ،تحقيق : صلاح الدين السنكاوي .- بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٣م.
٢١٢. مسند الإمام أحمد / تحقيق : أحمد محمد شاكر .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٤ م.
٢١٣. مشكلة المعنى بين النحو واللغة/ محمد فؤاد أحمد .- رسالة جامعية ،كلية دار العلوم ، ١٩٨٦ م.
٢١٤. المصباح في المعاني والبيان والبديع/ بدر الدين بن الناظم ،تحقيق :د. حسني عبد الجليل .- القاهرة : مكتبة الآداب، ١٩٨٩ م.
٢١٥. المطالع السعيدة/ جلال الدين السيوطي ،تحقيق : د . طاهر سليمان . - الأسكندرية : الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م.
٢١٦. المطوّل على التلخيص / خطيب دمشق : شرح التفتازاني .- استانبول : مطبعة أحمد كامل ، ١٣٣٠ هـ .
٢١٧. المعاني الثانية في الأسلوب القرآني / د . فتحي عامر .- الاسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٧٦ م.
٢١٨. معاني الحروف / أبو الحسن الرّماني ،تحقيق : د . عبد الفتاح اسماعيل .- القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٣م.
٢١٩. المعاني في ضوء أساليب القرآن / د . عبد الفتاح لاشين .- دمشق : المكتبة الأموية ، ١٩٨٣ م.
٢٢٠. معاني القرآن / أبو زكريا الفرّاء .- بيروت: عالم الكتب / ١٩٨٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٢١. معاني القرآن وإعرابه/ أبو اسحاق الزجّاج ،تحقيق : عبد الجليل شلبي .- القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ١٩٧٤ م.

٢٢٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن / جلال الدين السيوطي ،تحقيق : أحمد شمس الدين .-بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٨٨م.

٢٢٣. معجم الأدباء /ياقوت الحموي ،تحقيق : أحمد الرفاعي .-القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧٦ م.

٢٢٤. معجم البلدان / ياقوت الحموي.-بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ٧٩ م.

٢٢٥. معجم الدراسات القرآنية/ د . ابتسام الصفار .-الموصل: جامعة الموصل ١٩٨٤ م.

٢٢٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها /د . أحمد مطلوب.-بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٣ م.

٢٢٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي .-استانبول المكتبة الاسلامية ، ١٩٨٤ م.

٢٢٨. معجم مقاييس اللغة / أحمد بن فارس، تحقيق : عبد السلام هارون .-بيروت دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩ م.

٢٢٩. المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل/ عبد العزيز عبده ،رسالة جامعية ، جامعة الأزهر، ١٩٨٥ م.

٢٣٠. المغني في أبواب التوحيد والعدل/ القاضي عبد الجبار، تحقيق : محمد مصطفى حلمي وآخرين .-القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، - ١٩٥ م.

٢٣١. مغني اللبيب/ ابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .-بيروت دار احياء التراث العربي ، - ١٩ م.

٢٣٢. مفتاح العلوم / أبو يعقوب السكاكي .-بيروت دار الكتب العلمية ، - ١٩ م.

٢٣٣. المفصّل في علم العربية/ جار الله الزمخشري .-بيروت : دار الجيل ،- ١٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣٤. مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة / د. محمد بركات أبو علي .- عمّان : دار البشير ، ١٩٨٨ م.

٢٣٥. المقابسات/ أبو حيّان التوحيدي ،تحقيق : حسن السندوبي .- القاهرة : المكتبة التجارية ، ١٩٢٩ م.

٢٣٦. مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث/ إبراهيم محمد الخولي .- رسالة جامعية ،جامعة الأزهر ، ١٩٨٢ م.

٢٣٧. المقتضب/أبو العباس المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة .- بيروت عالم الكتب ، ١٩٦٣ م.

٢٣٨. مقدمة ابن خلدون / تحقيق علي عبد الواحد وافي .- القاهرة : دار نهضة مصر ، - ١٩ م.

٢٣٩. المقرّب/ ابن عصفور ، تحقيق : أحمد الجواري وعبد الله الجبوري .- بغداد مطبعة العاني ، ١٩٨٦ م.

٢٤٠. ملحة الإعراب / أبو محمد الحريري .- القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٤٩ م.

٢٤١. من أسرار اللغة / د. إبراهيم أنيس .- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦ م.

٢٤٢. مناهج بلاغية/ د. أحمد مطلوب .- الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٣ م.

٢٤٣. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب/أمين الخولي .- القاهرة .- دار المعرفة ، ١٩٦١ م.

٢٤٤. من بلاغة القرآن الكريم /أحمد أحمد بدوي .- القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٠ م.

٢٤٥. الموجز في تاريخ البلاغة / د. مازن المبارك .- دمشق : دار الفكر، ١٩٨١م.

٢٤٦. ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه/ ابن البارزي .- بيروت : مؤسسة الرسالة ١٩٨٣ م.

٢٤٧. نحو بلاغة جديدة /د. محمد عبد المنعم خفاجي ود. عبد العزيز شرف .- القاهرة: دار غريب للطباعة، ١٩٧٧ م.

٢٤٨. نحو القرآن / أحمد عبد الستار الجواري .- بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٤ م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٤٩. النحو الوافي / عباس حسن .. مصر : دار المعارف، ١٩٧٥ م .
٢٥٠. النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم/ د . محمد صلاح الدين مصطفى .. الكويت: مؤسسة علي الصباح ، ١٩٧٩ م.
٢٥١. النشر في القراءات العشر/ ابن الجزري ،تحقيق : علي محمد الضباع.. دمشق ١٩٤٧ م.
٢٥٢. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث/ د . نهاد الموسى .. عمّان : دار البشير ، ١٩٨٧ م.
٢٥٣. نظرية النحو القرآني ، نشأتها وتطورها ومقوّماتها / د . أحمد مكّي الأنصاري مكّة المكرمة : دار القبلة للثقافة الاسلامية ١٤٠٥ هـ .
٢٥٤. نفح الطيب / أحمد بن محمد المقّري، تحقيق : د . إحسان عبّاس .. بيروت دار صادر ، ١٩٦٨ م.
٢٥٥. نقد الشعر/ قدامة بن جعفر، تحقيق : د . محمد عبد المنعم خفاجي .. بيروت دار الكتب العلمية ، ـ ١٩ م.
٢٥٦. النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن / الرمّاني ،تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام .. مصر : دار المعارف ، ١٩٦٨ م .
٢٥٧. نهاية الأرب في فنون الأدب/ شهاب الدين النويري .. القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ـ ١٩ م
٢٥٨. النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الاثير الجزري ،تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي .. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٦٣ م.
٢٥٩. الهاشميات / الكميت الأسدي ، شرح : فارس سعد .. بيروت: مطابع صادر ريحاني ، ١٩٧٥ م.
٢٦٠. همع الهوامع / جلال الدين السيوطي ،تحقيق : عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرّم .. الكويت : دار البحوث العلمية، ٧٥م.
٢٦١. وحي القلم / مصطفى صادق الرافعي .. مصر : المكتبة التجارية، ١٩٥٥ م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــــد وريـــــــات

١. حوليات معهد الآداب الشرقيـــــة : المجلّـــد الأول ، ١٩٨٦ م.

٢. مجلّـــة الأزهـــــر : المجلّد الثاني والعشرون ، العدد الثالث، ١٩٥٠م. ١٣٧٠ هـ .

٣. مجلـــة دراسات الجامعة الأردنية : المجلّد السادس،العدد الثانـــي كانـــــون الأول ، ١٩٧٩ م .

٤. مجلّـــة منـــبر الاســـلام : السنة الخامسة والعشرون ، العدد السابـــع ١٩٦٧ م.

٥. مجلّـــة المورد : العدد الثالـــث ، المجلّد الثالـــث ، ١٩٧٥ م. بغـــــــداد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس الآيـــات القرآنيـــــة

الآيـــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــة
إيّاك نعبد وإيّاك نستعين	الفاتحة	٤	٢٩٢
غير المغضوب عليهـــم	الفاتحة	٧	٢٣
وما يخادعون إلاّ أنفسهم	البقرة	٩	٢٠٩، ٢٤٠
وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم	البقرة	١٤	١٥٢
وادعوا شهداءكم من دون الله	البقرة	٢٣	١٦١
وما يضلّ به إلاّ الفاسقين	البقرة	٢٦	٢٠٩، ٢٣١، ٢٤٦
لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا	البقرة	٣٢	٣٢٧
فسجدوا إلاّ إبليس	البقرة	٣٤	١٦٨
وإنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين	البقرة	٤٥	١٠٧، ٢٠٥
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا	البقرة	٧٦	١٥١
لا تعبدوا إلاّ اللّـــه	البقرة	٨٣	٣٨، ١٦٨
فما جزاء من يفعل ذلك إلاّ خزي	البقرة	٨٥	٣٢٨
ويكفرون بما وراءه	البقرة	٩١	١٦٣
وما يكفر بها إلاّ الفاسقون	البقرة	٩٩	٢٠٨، ٣٤٦
من أحد إلاّ بإذن الله	البقرة	١٠٢	١٦٠، ٣٤٤
ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين	البقرة	١١٤	٢١١
ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه	البقرة	١٣٠	٣٢٩
فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون	البقرة	١٣٢	٢٠٦، ٣٣٣، ٣٥٠
تلك أمّة قد خلت	البقرة	١٣٤	١٥٢
إلاّ لنعلم من يتبع الرسل	البقرة	١٤٣	١٠٨، ٣٣٧
وما كان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله	البقرة	١٤٥	٣٤٤
لئلا يكون للناس عليكم حجّة إلاّ الذين ظلموا	البقرة	١٥٠	٧٩
ويلعنهم اللاعنون إلاّ الذين تابوا	البقرة	١٦٠	٣٥٠
لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم	البقرة	١٦٣	٢١٦، ٢١٨، ٣٢٥،
فمن اضطرّ غير باغ	البقرة	١٧٣	١٤٥، ٢٥٥
ما يأكلون في بطونهم إلاّ ناراً	البقرة	١٧٤	٣٢٨، ٣٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــة
فلا عدوان إلاّ على الظالمين	البقرة	١٩٣	٣٤٧
هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله	البقرة	٢١٠	٢١٤
لا تواعدوهنّ سرّا إلاّ أن تقولوا قولا معروفا	البقرة	٢٣٥	٣٣٠
ما لم تمسوهنّ أو تفرضوا لهنّ فريضة	البقرة	٢٣٦	١٦٢
فنصف ما فرضتم إلاّ أن يعفون	البقرة	٢٣٧	١١٢
متاعا إلى الحول غير إخراج	البقرة	٢٤٠	١٤٥
تولّوا إلاّ قليلا منهم	البقرة	٢٤٦	٣٠٩
فشربوا منه إلاّ قليلا منهم	البقرة	٢٤٩	٣٨، ١٦٩، ١٧٤
الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم	البقرة	٢٥٥	٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٣٤٣
وما يذّكّر إلاّ أولو الألباب	البقرة	٢٦٩	٣٠٩
وما تنفقون إلاّ ابتغاء وجه الله	البقرة	٢٧٢	٢١١
لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان	البقرة	٢٧٥	٣٢٧
إلاّ أن تكون تجارة حاضرة	البقرة	٢٨٢	١٥٧ ، ١٥٨
لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها	البقرة	٢٨٦	٣٣٢
وما يعلم تأويله إلاّ الله	آل عمران	٧	٢٠٨
شهد الله أنّه لا إله إلاّ الله	آل عمران	١٨	٧٣، ٣٢٥، ٣٤٣
لن تمسّنا النار إلاّ أياما	آل عمران	٢٤	٣٥١
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون	آل عمران	٢٨	١٦١ ، ٣٣٠
وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحدا	آل عمران	٣١	٧٣
إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب	آل عمران	٣٧	٢٥٥
ألاّ تكلّم الناس ثلاثة أيّام إلاّ رمزا	آل عمران	٤١	١٩٨ ، ٣٣٠
وما محمّد إلاّ رسول	آل عمران	٤٤	٢٣٣ ، ٢٣٦
وما من إله إلاّ الله	آل عمران	٦٢	٢١٨
ألاّ تعبدوا إلاّ الله	آل عمران	٦٤	٢٣٠
وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده	آل عمران	٦٥	١٢٩
وما يضلّون إلاّ أنفسهم	آل عمران	٦٩	٢٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــــة
أفغير دين الله يبغون	آل عمران	٨٣	٢٩٨
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه	آل عمران	٨٥	١٤٥ ، ٢٠٧
ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون	آل عمران	١٠٢	٧٣ ، ٣٥٠
فسجدوا إلاّ إبليس	آل عمران	١١١	١٩٥
ضربت عليهم الذّلّة أينما ثقفوا إلاّ بحبل	آل عمران	١١٢	١١٣
وإذا خَلَوا عضّوا عليكم الأنامل	آل عمران	١١٩	١٥٢
وما جعله الله إلاّ بُشرى لكم	آل عمران	١٢٦	٢٣١ ، ٣٤٠
ومن يغفر الذنوب إلاّ الله	آل عمران	١٣٥	٢٤٥ ، ٢٤٣
قد خلت من قبلكم سنن	آل عمران	١٣٧	١٥٢
أحسبتم أن تدخلوا الجنّة	آل عمران	١٤٣	٣٥٣
وما محمّد إلاّ رسول	آل عمران	١٤٤	٣٨ ، ٥٥
وما كان قولهم إلاّ أن قالوا ربّنا اغفر لنا	آل عمران	١٤٧	٢٠٨
يظنون بالله غير الحقّ	آل عمران	١٥٤	١٤٣
وانكحوا ما طاب لكم من النساء	النساء	٣	٨٨
من بعد وصيّة يوصى بها أو دين غير مضار	النساء	١٢	١٤٥
ولا تنكحوا . . . من النساء إلاّ ما قد سلف	النساء	٢٢	٧٣
ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين	النساء	٢٤	١٤٥ ، ١٦٣ ، ٣٣١
بالمعروف محصنات غير مسافحات	النساء	٢٥	١٤٥
إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم	النساء	٢٩	٣١ ، ١٥٧
واسمع غير مسمع وراعنا ليّاً بألسنتهم	النساء	٤٦	١٤٦
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء	النساء	٤٨	١٦١
إن أردنا إلاّ إحسانا وتوفيقا	النساء	٦٢	٢٠٩ ، ٢٧٧
وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبيّن لهم	النساء	٦٤	٣٣٧
ما فعلوه إلاّ قليل منهم	النساء	٦٦	١٧٧ ، ١٨٢ ، ٢٧٠
بيّت طائفة منهم غير الذي تقول	النساء	٨١	١٤٣
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا	النساء	٨٢	١٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــــة
ودية مسلّمة إلى أهله إلا أن يصّدّقوا	النساء	٩٢	٧٣، ١١٤، ٣٣٤
لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي	النساء	٩٥	١٣٥
لا خير في كثير من نجواهم إلّا من أمر	النساء	١١٤	٨٠
ويتبع غير سبيل المؤمنين	النساء	١١٥	١٤٤
إن يدعون من دونه إلّا إناثا	النساء	١١٧	٢٨٠، ٣٢٩
ولا يذكرون الله إلّا قليلا	النساء	١٤٢	٢١١
ما لهم به من علم إلّا اتباع الظنّ	النساء	١٥٧	١٩١
ولا ليهديهم طريقا إلّا طريق جهنّم	النساء	١٦٩	٨١، ٣٣٨
ولا تقولوا على الله إلّا الحقّ	النساء	١٧١	٢٠٤، ٣٣٣، ٣٤٨
احلّت لكم بهيمة الانعام إلّا ما يتلى عليكم	المائدة	١	١٣٥
فمن اضطرّ في مخمصه غير متجانف لإ ثم	المائدة	٣	١٤٦
محصنين غير مسافحين	المائدة	٤	١٤٦
محصنين غير مسافحين	المائدة	٥	٢٥٥
فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق	المائدة	٦	١٢
إني لا أملك إلّا نفسي وأخي	المائدة	٢٥	١٣٠، ٢٣٦
ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلّا الذين تابوا	المائدة	٣٣	٣٥٠
هل تنقمون منّا إلّا أن آمنّا	المائدة	٥٩	٣٤٩
وما من إله إلّا إله واحد	المائدة	٧٣	٢٨١، ٣٢٥، ٣٢٦
ما المسيح بن مريم إلّا رسول	المائدة	٧٥	٣٢٦، ٣٥٣
لا تغلوا في دينكم غير الحق	المائدة	٧٧	١٤٩
ما على الرسول إلّا البلاغ	المائدة	٩٩	٢٠٦، ٢٣٢، ٢٤٥، ٣٢٦
ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق	المائدة	١١٦	١٢٩
ما قلت لهم إلّا ما أمرتني	المائدة	١١٧	١٢٨، ٢٤٠، ٢٤٦
وما تأتيهم من آية من آيات ربّهم إلّا كانوا	الانعام	٤	١٢٤
إنْ هذا إلّا سحر مبين	الانعام	٧	٢٠٧
أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون	الانعام	١٤	١٤٤، ٢٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــة	السورة	الرقم	الصفحـــة
وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو	الانعام	١٧	١٣٠، ٣٢٦، ٣٤٣
وإن يهلكون إلّا أنفسهم	الانعام	٢٦	٢٤٢، ٢٤٦، ٣٥٥
وما الحياة الدنيا إلّا لعب ولهو	الانعام	٣٢	٣٥١
قل أغير الله اتّخذ وليا	الانعام	٤٠	١٤٤، ٢٩٩
من إله غير الله يأتيكم به	الانعام	٤٦	٣٤٣
هل يهلك إلّا القوم الظالمون	الانعام	٤٧	٢٠٩، ٢٣٢، ٢٤٥
وما نرسل المرسلين إلّا مبشّرين ومنذرين	الانعام	٤٨	٢٨١، ٣٢٦
إن اتّبع إلّا ما يوحى إلي	الانعام	٥٠	٣٥٦
وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلّا هو	الانعام	٥٦	٢٣٠
إن الحكم إلّا لله	الانعام	٥٧	٧٤، ٣٤٣
وما تسقط ورقة إلّا يعلمها	الانعام	٥٩	٢١٤، ٣٤٣
ولا أخاف ما تشركون به إلّا أن يشاء ربّي	الانعام	٨٠	٢٢٣
إنْ هو إلّا ذكرى للعالمين	الانعام	٩٠	٣٤٦
بما كنتم تقولون على الله غير الحق	الانعام	٩٣	١٤٩
والزيتون والرمّان مشتبها وغير متشابه	الانعام	٩٩	١٤٦
اتّبع ما يوحى إليك من ربّك لا إله إلّا هو	الانعام	١٠٦	١٣٠
أفغير الله ابتغي حكمـــا	الانعام	١١٤	١٤٤، ٣٣٤
خالدين فيها إلّا ما شاء الله	الانعام	١٢٨	٢٢٤
أنشأ جنّات معروشات وغير معروشات	الانعام	١٤١	١٤٦
ليضلّ الناس بغير علم	الانعام	١٤٤	٢٥٦
فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد	الانعام	١٤٥	١٤٦، ١٥٧
ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ	الانعام	١٥١	٢١٣، ٣٣١
ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن	الانعام	١٥٢	٢١٣، ٣٣١
ومن جاء بالسيّئة فلا يجزى إلّا مثلها	الانعام	١٦٠	٣٣٩
قل أغير الله أبغي ربّـــا	الانعام	١٦٤	١٤٤، ٢٩٩، ٣٣٤
ولا تتّبعوا من دونه أولياء	الاعراف	٣	١٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــــة
فسجدوا إلاّ إبليس	الاعراف	١١	١٩٥
واذكر ربّك في نفسك تضرّعا وخيفة ودون الجهر	الاعراف	٢٥	١٦١
ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سم	الاعراف	٤٠	١٦٠
ولا يكلف نفسا إلاّ وسعها	الاعراف	٤٢	٣٣٢
صالحا غير الذي كنّا نعمل	الاعراف	٥٣	٢٣ ، ١٤٤
ما لكم من إله غيره	الاعراف	٥٩	١٣٦
وإلى عاد أخاهم هـــودا	الاعراف	٦٥	١٣٦
وإلى ثمود أخاهم صالحا	الاعراف	٧٣	١٣٦
إنّكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء	الاعراف	٨١	١٦١
وإلى مدين أخاهـــم شعيبا	الاعراف	٨٥	١٣٦
فأنجيناه وأهله إلاّ امرأته	الاعراف	٨٣	٣٠٩
وما يكون لنا أن نعود فيها إلاّ أن يشاء	الاعراف	٨٩	٢٢١
وما أرسلنا في قرية من نبيّ إلاّ أخذنا	الاعراف	٩٤	١٢٤ ، ٢١٥ ، ٣٠٣
فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون	الاعراف	٩٩	٢٠٨ ، ٢٦٩
لا أقول على الله إلاّ الحق	الاعراف	١١٤	٣٤٨
وما تنقم منّا إلاّ أن آمنّا بآيات ربّنا	الاعراف	١٢٦	٢١٤ ، ٣٦٢
أغير الله ابغيكـــم إلها	الاعراف	١٤٠	١٤٤ ، ١٤٦
أن لا يقولوا على الله إلاّ الحقّ	الاعراف	١٦٩	٣٤٨
لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرّا إلاّ ما شاء الله	الاعراف	١٨٨	١٢٧ ، ٢٥٩ ، ٣٤٥
وتودّون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم	الانفال	٧	١٤٢ ، ٢٥٤
ومن يولّهم يومئذ دبره إلاّ متحرّفا لقتال	الانفال	١٦	١١٥
فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم	الانفال	١٧	٢٥٢
وما كان صلاتهم عند البيت إلاّ مكاء	الانفال	٣٥	٢١٢
إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى	الانفال	٤٢	٢٥٣
ما كان لنبي أن يكون له أسرى	الانفال	٦٧	٩٢
فعليكم النصر إلاّ على قوم بينكم وبينهم ميثاق	الانفال	٧٢	١١٦ ، ٣٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــــة
واعلموا أنكم غير معجزي الله	التوبة	٣	١٤٣
فاعلموا انكم غير معجزي الله	التوبة	٣	١٤٣
وعند رسوله إلاّ الذين عاهدتم	التوبة	٧	٣٥٢
ولم يخشى إلاّ اللـــه	التوبة	١٨	٣٤٣
وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً	التوبة	٣١	٢٣٢
ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره	التوبة	٣٢	٣٨
فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل	التوبة	٣٨	٣٤٠
لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا	التوبة	٥١	٣٤٠، ٣٤٤
ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى	التوبة	٥٤	٢٠٦، ٢١٢، ٣٢٩، ٣٤٧
إن أردنا إلاّ الحســـنى	التوبة	١٠٧	٢٧٧
ريبة في قلوبهم إلاّ ان تقطّع	التوبة	١١٠	١١٢
لا ملجأ من الله إلاّ إليـــه	التوبة	١١٨	٣٤٠
إلاّ كتب لهم به عمل صالح	التوبة	١٢٠	١٢٤، ٣٤٠، ٣٤٨
ولا يقطعون وادياً إلاّ كتب لهم	التوبة	١٢١	١٢٥، ٣٤٠
ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره	التوبة	١٣٢	١١٠
إن اتّبع إلاّ ما يوحى إلي	يونس	١٥	٢٨٠
وما كان الناس إلاّ أمّة واحدة	يونس	١٩	٢٢٣
فماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال	يونس	٣٢	٢٠٦
إن الحكم إلاّ لِلّـــه	يونس	٤٠	٣٥٨
كأن لم يلبثوا إلاّ ساعة من النهار	يونس	٤٥	٢١٢
وما تعملون من عمل إلاّ كنّا عليكم شهوداً	يونس	٦١	١٢٥، ٢١٢
إن يتّبعون إلاّ الظنّ	يونس	٦٦	٣٣٨
إن أجري إلاّ على الله	يونس	٧٢	٣٤٤
لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو اسرائيل	يونس	٩٠	٢١٨
فنفعها إيمانها إلاّ قوم يونس	يونس	٩٨	٥٧، ٦٧، ٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــــة
فلا كاشف له إلّا هـــو	يونس	١٠٧	٢٣٢
وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها	هود	٦	٣٤٥
إن هذا إلّا سحر مبين	هود	٧	٢٣٢ ، ٢٨٤
إنّه لفخور إلا الذين صبروا	هود	١١	٩٦
ليس لهم في الآخرة إلّا النار	هود	١٥	٣٢٨ ، ٣٤٧
ليس لهم في الآخرة إلّا النار	هود	١٦	٢٠٨
وما آمن معه إلّا قليل	هود	٤٠	٢٠٩ ، ٣٥١
لا عاصم اليوم من أمر الله إلّا من رحم	هود	٤٣	٥٧
وإلى عاد أخاهم هودا	هود	٥٠	١٣٦ ، ٣٤٧
إنْ نقول إلّا اعتراك بعض آلهتنا بسوء	هود	٥٤	٣٠٣
ما من دابّة إلّا هو آخذ بناصيتها	هود	٥٦	٢٠٦
فما تزيدونني غير تخسير	هود	٦٣	١٣٧
ولا يلتفت منكم أحد إلّا امرأتك	هود	٨١	١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٧٠
وما توفيقي إلّا بالله	هود	٨٨	٢٤٥ ، ٣٤٤
وما زادوهم غير تتبيب	هود	١٠١	١٣٨
وما نؤخّره إلّا لأجل معدود	هود	١٠٤	٢١٣
لا تكلّم نفس إلّا بإذنه	هود	١٠٥	٣٤٤
ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء الله	هود	١٠٧	٥٤
ما دامت السماوات والارض إلا ما شاء ربّك	هود	١٠٧	٢٢١
وإنّا لموفوهم نصيبهم غير منقوص	هود	١٠٩	١٤٦
إنّه لفرح فخور إلّا الذين صبحوا	هود	١١١	٣٤٨
إلّا قليلا مما أنجينا منهم	هود	١١٦	٣٨ ، ١٦٩ ، ١٨٤ ، ١٩١
إلّا أن يسجـــــن	يوسف	٢٥	٣٤٠
حاشى لِلّه ما هذا بشرا إن هذا إلّا ملك يوسف	يوسف	٣١	١٥٥ ، ٢٠٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠
إلا نبّأتكما بتأويله	يوسف	٣٧	٣٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــــة
فذروه في سنبله إلاّ قليل	يوسف	٤٧	٣٥١
قلن حاش لِلّه ما علمنا عليه من سوء	يوسف	٥١	١٥٥
إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي	يوسف	٥٣	١١٩، ٣٤٧
هل آمنكم عليه إلاّ كما أمنتكم على أخيه	يوسف	٦٤	٣٤١
لتأتنّني به إلاّ أن يحاط بكم	يوسف	٦٦	١٠٩
إلاّ حاجة في نفس يعقوب	يوسف	٦٨	١٩٢
معاذ الله أن نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا	يوسف	٧٩	١٢٠
لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون	يوسف	٨٧	٣٤٧
وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالا	يوسف	١٠٩	٣٤٥
وجنات من اعناب ونخيل وغير صنوان	الرعد	٤	١٤٢
لا يستجيبون له بشيء إلاّ كباسط كفيه	الرعد	١٤	٣٤١
وما الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ متاع	الرعد	٢٦	٢٤٢، ٣٥١
إن يأتي بآية إلاّ بإذن الله	الرعد	٣٨	٣٤٤
وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه	إبراهيم	٤	٣٣٩
إن أنتم إلاّ بشر مثلنا	إبراهيم	١٠	١٢٨، ٢٥٨، ٢٩٠
إنْ نحن إلاّ بشر مثلكم	إبراهيم	١١	٥٦، ٢٥٨، ٣٤٤
إنْ أنتم إلاّ بشر مثلنا	إبراهيم	١٢	٥٦
يوم تبدّل الأرض غير الأرض	إبراهيم	٤٨	١٤٥
وما أهلكنا من قرية إلاّ ولها كتاب	الحجر	٤	٣٣٩
ما ننزل الملائكة إلاّ بالحق	الحجر	٨	٢٤٥
وحفظناها من كلّ شيطان رجيم إلاّ من	الحجر	١٧	١٧٢
فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلاّ إبليس	الحجر	٣٠	٥١
فاخرج منها فإنّك رجيم	الحجر	٣٤	٥٢
وما يأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزئون	الحجر	١١	٣٤٥
ولأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين	الحجر	٤٠	٣١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــــة
ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتّبعك	الحجر	٤٢	٣١٨
إلّا آل لوط إنّا لمنجّوهم أجمعين	الحجر	٥٩	١٩٩
إنّا لمنجوهم اجمعين إلّا امرأته	الحجر	٦٠	٣١٥
إنّه لا إله إلّا أنا فاتّقون	النحل	٢	٢١٨
فهل على الرسول إلّا البلاغ المبين	النحل	٣٥	٢٤٥
وله الدين واصبا أفغير الله تتّقون	النحل	٥٢	١٤٤، ٣٠٠
وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيّن لهم	النحل	٦٤	٣٣٧
إن هذا إلّا أساطير الأوّلين	النحل	٦٨	٢٧٧
وما أمر الساعة إلّا كلمح البصر	النحل	٧٧	٣٣٩
ومن جاء بالسيّئة فكبت وجوههم في النار	النحل	٩٠	٣٠٨
فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد	النحل	١١٥	١٤٦
واصبر وما صبرك إلّا بالله	النحل	١٢٧	٨٣، ٣٣٣
وإنْ من شيء إلّا يسبّح بحمده	الاسراء	١٤	٣٤١
وما يعدهم الشيطان إلّا غرورا	الاسراء	٢٤	٢٤٢
إنْ تتّبعون إلّا رجلا مسحورا	الاسراء	٤٧	٢٣٢
إن نرسل بالآيات إلّا كذّب بها	الاسراء	٥٩	٣٣٧
وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنة	الاسراء	٦٠	٢٠٩
فسجدوا إلّا ابليس	الاسراء	٧٣	١٤٤
لتفتري علينا غيره	الاسراء	٨٦	٣٤٧
لا تجد لك به علينا وكيلا إلّا رحمة	الاسراء	٩٣	٢٤٤، ٣٢٧، ٣٥٩
هل كنت إلّا بشرا رسولا	الاسراء	٩٣	٢٤٤، ٣٢٧، ٣٥٩
فأبى الظالمون إلّا كفورا	الاسراء	٩٩	١١١
وما أرسلناك إلّا مبشّرا ونذيرا	الاسراء	١٠٥	١٢٧، ٢١١
إن يقولون إلّا كذبـــا	الكهف	٥	٢٤٤، ٢٧٩
ما يعلمهم إلّا قليل	الكهف	٢٢	٨٤، ٢١١، ٣٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــــة
إنّي فاعل ذلك غدا إلّا أن يشاء الله	الكهف	٢٣	٣١٣
فسجدوا إلّا إبليس كان من الجنّ	الكهف	٥٠	١٩٦
وما أنسانيه إلّا الشيطان	الكهف	٦٣	٣٥٢
واشتعل الرأس شيبا	مريم	٤	٢٧٣
فسوف يلقون غيّا إلّا من تاب وآمن	مريم	٥٩	٩٨
إلّا من تاب وآمن	مريم	٦٠	٣٥٠
لا يسمعون فيها لغوا إلّا سلاما	مريم	٦٢	٣٩ ، ١٧٧
وإن منكم إلّا واردها	مريم	٧١	١٦٤
إلّا تذكرة لمن يخشى	طـه	٣	٣٣٧
الله لا إله إلّا هو له الاسماء الحسنى	طـه	٨	٣٢٦
إنّني أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني	طـه	١٤	٣٢٦
لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى	طـه	٥٨	١٥٣
الله الذي لا إله إلّا هو	طـه	٩٨	٣٢٦
إنْ لبثتم إلّا عشرا	طـه	١٠٣	٣٥١
إن لبثتم إلّا يوما	طـه	١٠٤	٢١٢ ، ٣٥١
لا تنفع الشفاعة إلّا من أذن له الرحمن	طـه	١٠٩	٢٣٠
فسجدوا إلّا إبليس أبـــى	طـه	١١٦	١٩٦
لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا	الانبياء	٢٢	٦٦ ، ٨٤ ، ٢٥٥
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه	الانبياء	٢٥	٢٣٠
إن يتخذونك إلّا هزوا	الانبياء	٣٦	٢١٠
أن لا إله إلّا أنـــت	الانبياء	٨٧	٢١٩ ، ٣٥٦
وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين	الانبياء	١٠٧	٢١١ ، ٣٤٧
حنفاء لله غير مشركين بـــه	الحج	٣١	١٤٦
ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه	الحج	٦٥	١١٦ ، ٣٤٤
والذين هم لفروجهم حافظون إلّا على....	المؤمنون	٥	١١٧
فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون	المؤمنون	٧	١٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــــة	السورة	الرقـم	الصفحـــــــة
ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه	المؤمنون	٢٢	١٣٦
ما هذا إلّا بشـــر مثلكم	المؤمنون	٢٤	٢٩٠ ، ٣٣٤
إن هو إلّا رجل بـه جنّـة	المؤمنون	٢٥	٢٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٦
ما هذا إلّا بشـــر مثلكم	المؤمنون	٣٣	٢٠٧
ما هذا إلّا بشر مثلكم	المؤمنون	٣٤	٢٨٢
إن هو إلّا رجل افترى على الله	المؤمنون	٣٨	٣٣٥ ، ٣٤٦
إن هذا إلّا أساطير الأولين	المؤمنون	٨٣	٣٤٦
والزانية لا ينكحها إلّا زان	النور	٣	٢٤٤
أولئك الفاسقون إلّا الذين تابوا	النور	٥	٣٤٨
ولم يكن لهم شهداء إلّا أنفسهم	النور	٦	١٧٨
ولا يبدين زينتهن إلّا لبعولتهن	النور	٣١	٨٨ ، ١٣٨ ، ٣٣١
الزاني لا ينكح إلّا زانية أو مشركة	النور	٣٢	٨٧
وما على الرسول إلّا البلاغ	النور	٥٤	٢٣٩ ، ٢٤٥
أن يضعن ثيابهن غير متبرجات	النور	٦٠	١٤٦
إن هذا إلّا افك افتراه	الفرقان	٤	٣٤٩
إن تتبعون إلّا رجلا مسحورا	الفرقان	٨	٣٣٥
وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلّا انهم	الفرقان	٢٠	٨٩ ، ٣١٠
إن هم إلّا كالأنعام	الفرقان	٤٤	٣٢٩
فأبى أكثر الناس إلّا كفورا	الفرقان	٥٠	١١١
لئن اتخذت إلها غيري	الشعراء	٢٩	١٤٥
فانّهم عدو لي إلّا ربّ العالمين	الشعراء	٧٧	٩٩
وما أضلنا إلّا المجرمون	الشعراء	٩٩	٣٤١
إن أنا إلّا نذير مبين	الشعراء	١١٥	٣٤٥
وما أنت إلّا بشر مثلنا	الشعراء	١٥٤	٢٥٨
نزل به الروح الأمين على قلبك	الشعراء	١٩٤	١

All rights reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــة	السورة	الرقم	الصفحـــة
وانّهم يقولون مالا يفعلون إلاّ الذين آمنوا	الشعراء	٢٢٦	١٠٠
إنّي لا يخاف لديّ المرسلون إلاّ من ظلم	النمل	١١	٩٠، ٢٥٥
فمكث غـــير بعيـــد	النمل	٢٢	١٤٩
اللّه لا إله إلاّ هو ربّ العرش العظيم	النمل	٢٦	٣٢٦
لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب	النمل	٦٥	٩٢، ١٩٢، ٣٤٣
وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده	النمل	٦٨	٣٣٦
ومن في الأرض إلاّ من شاء الله	النمل	٨٧	٢٢٤
هل تجزون إلاّ ما كنتم تعملون	النمل	٩٠	٣٣٠
إن تريد إلاّ أن تكون جبارا	القصص	١٩	١٥٧
وما كنّا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون	القصص	٥٩	٢١٢، ٣٣٧
من جاء بالحسنة فله خير منها	القصص	٨٤	٣٠٨
إن يلقى اليك الكتاب إلاّ رحمة	القصص	٨٦	٣٣٣
كلّ شيء هالك إلاّ وجهه	القصص	٨٨	٣٤٤
فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاما	العنكبوت	١٤	٥٣
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة	الروم	٥٥	١٥٠
إلاّ أن تفعلوا إلى أوليائكم	الأحزاب	٦	١١٨
إن يريدون إلاّ فرارا	الاحزاب	١٣	٣٣٧
وما زادهم إلاّ إيمانا وتسليما	الاحزاب	٢٢	٢١٠، ٣٥٠
ولا يخشون أحدا إلاّ اللّه	الاحزاب	٣٩	١٧٧، ٣٤٣
لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يؤذن لكم	الاحزاب	٥٣	١٣٩، ٣٣٢
ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين	سبأ	٣	٩٣
وهل نجازي إلاّ الكفـــور	سبأ	١٧	٢٤٤
إن هو إلاّ نذيـــــر	سبأ	٢٦	٢٤٢
وما أرسلناك إلاّ كافّة للناس	سبأ	٢٨	٢٣٩
إلاّ من آمن وعمل صالحا	سبأ	٣٧	٣٥٠
ما هذا إلاّ رجل يريد أن يصدكم	سبأ	٤٣	٣٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــــة
هل من خالق غير الله	فاطر	٣	١٣٩ ، ٣٣٤
ولا تضع إلّا بعلمه	فاطر	١١	٣٤٣
إن أنت إلّا نذير	فاطر	٢٣	١٢٧
وإنْ من أمّة إلّا خلا فيها نذير	فاطر	٢٤	٣٨ ، ١٥٢
ولا يزيد الكافرين كفرهم إلّا خسارا	فاطر	٣٩	٣٥١
بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا	فاطر	٤٠	٢٧٩
إنْ أنتم إلّا تكذبون	يس	١٥	٢٨
وما علينا إلّا البلاغ المبين	يس	١٧	٣٤٩
إنْ كانت إلّا صيحة واحدة	يس	٢٩	٢٦٨ ، ٢٨٠
ولا هم ينقذون إلّا رحمة منّا	يس	٤٣	١٨٥
ولا هم ينقذون إلّا رحمة منّا	يس	٤٤	٣٣٣ ، ٣٤٨
إنْ أنتم إلّا في ضلال مبين	يس	٤٧	٢٧٩ ، ٢٨٣
ما ينظرون إلّا صيحة واحدة	يس	٤٩	٣٢٨
إنْ كانت إلّا صيحة واحدة	يس	٥٣	٣٤٧
إنْ هو إلّا ذكر وقرآن مبين	يس	٦٩	٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٤٦
إنْ هذا إلّا سحر مبين	الصافات	١٥	٣٤٦
إنْ هذا إلّا سحر مبين	الصافات	١٨	٢٧٩
سبحان الله عمّا يصفون إلّا عباد الله	الصافات	١٦٠	١٩٣
وما منّا إلّا له مقام معلوم	الصافات	١٦٤	٣٠٩
إن هذا إلّا اختلاق	سورة ص	٧	٢٧٩
إن كلّ إلّا كذّب الرسل	سورة ص	١٤	١٥٩ ، ٣٤٩
ليبغي بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا	سورة ص	٢٤	١٠٠ ، ٣٤٨
أنا خير منه خلقتني من نار	سورة ص	٧٦	١٩٦
قل أفغير الله تأمرونّي أعبد	الزمر	٦٤	١٤٤
فصعق من في السماوات ومن في الأرض	الزمر	٦٨	٩
وما كيد فرعون إلّا في تباب	غافر	٣٧	٣٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــة
وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال	غافر	٥٠	٣٥١
لا حجّة بيننا وبينكم	الشورى	١٥	٧٩
إن عليك إلاّ البلاغ	الشورى	٤٨	٢٨١
وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحيا	الشورى	٥١	٣٣٩
وهو في الخصام غير مبين	الزخرف	١٨	١٤٢
إنني براء ممّا تعبدون إلاّ الذي فطرني	الزخرف	٢٧	١٠٠
الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتّقين	الزخرف	٦٧	١٠١
الشفاعة إلاّ من شهد بالحق	الزخرف	٨٦	٣٤٨
إن هي إلاّ موتتنا الأولى	الدخان	٣٤	٢٨٣
ولا هم ينصرون إلاّ من رحم الله	الدخان	٤١	٣٣٣
ولا هم ينصرون إلاّ من رحم	الدخان	٤٢	٣٤٨
لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الأولى	الدخان	٥٦	١٩٣
ما كان حجّتهم إلاّ أن قالوا ائتوا بآبائنا	الجاثية	٢٥	٢٠٨
إن نظنّ إلاّ ظنا	الجاثية	٣٢	٢١١
فأصبحوا لا يُرى إلاّ مساكنهم	الاحقاف	٢٥	٢٠٩، ٢٥٧
فاعلم أنّه لا إله إلاّ الله	محمد	١٩	٧٣
لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا	الحجرات	١٤	٢٥٠
وأزلفت الجنّة للمتّقين غير بعيد	سورة ق	٣١	١٥٠
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين	الذاريات	٣٦	١٤٤
وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون	الذاريات	٥٦	٢٤٣
إن هو إلاّ وحي يوحى	النجم	٣	٢٧٨
يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلاّ اللّمم	النجم	٣٢	٢٠٠
وإن ليس للأنسان إلاّ ما سعى	النجم	٣٩	٢٠٨
حور مقصورات في الخيام	الرحمن	٧٢	٢٣٧
ولا تأثيما إلاّ قيلا سلاما	الواقعة	٢٦	١٩٤
فلولا إن كنتم غير مدينين	الواقعة	٨٦	١٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	السورة	الرقم	الصفحـــــة
وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور	الحديد	٢٠	٦٩
هو الله لا إله إلّا هـــو	الحشر	٢٢	٣٤٣
ولا يخرجن إلّا أن يأتين بفاحشة	الطلاق	١	٣٣٧
إن الكافرون إلّا في غرور	الملك	٢٠	٢٧٩ ، ٣٤٩
إذ اقسموا ليصرمنّها مصبحين ولا يستثنون	القلم	١٨	٩
وإذا مسّه الخير منوعا إلّا المصلين	المعارج	٢٢	١٠٢
لفروجهم حافظون إلّا على أزواجهم	المعارج	٣٠	٣٣٢
فلم يزدهم دعائي إلّا فرارا	نوح	٦	٣٢٧
ولا تزد الظالمين إلّا فرارا	نوح	٢٤	٣٤٩
ولا يلدوا إلّا فاجرا كفّارا	نوح	٢٧	٥٣ ، ٣٤٩
ولن أجد من دونه ملتحدا إلّا بلاغا	الجن	١٠	١٧٨
قم الليل إلّا قليلا	المزمل	٢	٣١٧
إنْ هذا إلّا قول البشر	المدثر	٢٥	٢٨٠
وما هي إلّا ذكرى للبشر	المدثر	٣١	٢٨١ ، ٣٤٣
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلّا حميما	النبأ	٢٥	٣٤٧
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلّا حميما	النبأ	٢٥	٣٨٨
فذوقوا فلن نزيدكم إلّا عذابا	النبأ	٣٠	٣٢٨ ، ٣٤٧
لا يتكلّمون إلّا من أذن له الرحمن	النبأ	٣٨	٣٤٣
لم يلبثوا إلّا عشيّة أو ضحاها	النازعات	٤٦	٣٥١
عبس وتولّى أن جاءه الأعمـــى	عبس	١	٩١
فبشّرهم بعذاب أليم إلّا الذين آمنوا	الانشقاق	٢٤	١٦٥ ، ٣٥٠
إنْ كلّ نفس لمّا عليها حافظ	الطارق	٤	٣٤ ، ١٥٨ ، ٢٧٧
لست عليهم بمصيطر إلّا من تولّى وكفر	الغاشية	٢١	٩٤ ، ١٦٥
وما لأحد عنده من نعمة	الليل	١٩	٣٢٨
إلّا ابتغاء وجه ربّه الأعلى	الليل	٢٠	٦٧ ، ١٨٥
ثم رددناه أسفل سافلين إلّا الذين آمنوا	التين	٥	٩٥ ، ٢٤٣
وما أمروا إلّا ليعبدوا اللّـــه	البينة	٥	٢١٤
والعصر إنّ الإنسان لفي خسر إلّا الذين	العصر	١	١٠٢ ، ١٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس الأحاديـــث النبويـــــة

الحديـــــث	الصفحـــة
أحرموا كلّهم إلاّ أبو قتادة لم يحرم .	١٧٢
أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ذخرا من بله ما اطلعتم عليه .	٣٥
أنا أفصح العرب بيد أني من قريش .	٤٠ ، ٣٦٢
إنّ لِلّه تسعة وتسعين اسما مئة إلاّ واحدا .	٣١٩
إنّها لمشية يبغضها الله ورسوله إلاّ في هذا الموطن .	١٢١
كل أمتي معافى إلاّ المجاهرون .	١٧٢
كلّ مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصّرانه	٣٥
لا ثنى في الصدقة .	١١
لا صلاة إلاّ بطهور .	٣١٠
لا نكاح إلاّ بولي .	٣١٠
ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه ، فكل ليس السنّ والظفر .	٢٩
ما للشياطين من سلاح أبلغ في الصالحين من النساء الا المتزوجون ، أولئك المطهّرون المبرّؤون من الخنا .	١٧٣
ما من الناس أحد إلاّ قد أخطأ أو همّ بخطيئة ليس يحيى بن زكرياء .	٩١
ما من نبي إلاّ قد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكرياء .	٢٩
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم .	٣٣
ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلاّ الله .	١٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــــرس الأشعـــــــــار

أوّل البيت	قافيتـــه	الصفحـــة
بصرت	التعب	٣٧٣
ولا عيب	جانب	٣٦٤
لا أشتهي	الحاجب	٢٩٤
خطرات	دبيبا	٣٧٦
لم يفـز	الرعب	٣٧٣
فـأفنى	عائب	٣٦٤
لا عضو	قلوبا	٣٧٦
إليك	كاذب	١٥، ٣٧٢
ولا عيب	الكتائب	١٣، ٤٠، ٥٧، ٢٤٩، ٣٥٩
ومالي	مشعب	١٨٠، ٢٩٠
سواي	يلعب	٣٠١
كـأن	النوائح	٢٩٤
ولا أرى	أحد	٢٩
وقفت	أحد	١٨٦
وهل	أرشد	٣٧٤
فأصبحت	باليد	٣٧٠
إلاّ أواري	الجلد	١٨٦
نهبت	خالد	٣٦٢
ألا بكرت	الروى	١١
أمرتهم	الغد	٣٧٤
صحا	فأصعدا	١٢١
فلمّا	مهند	٣٧٤
وما تعتريها	تتحير	٣٦٢
كذلك	تغيّر	٣٦٢

أوّل البيت	قافيتـه	الصفحـة
وما ينزل	الثرى	٣٧٥
وماء	حاضر	٢٦
فلم يدر	حِمْيَرا	٢٩٣
قـل	خطر	٣٧٥
أما ترى	الدرر	٣٧٥
وفي السماء	القمر	٣٧٥
ومالـي	ناصـر	٢٩١
الناس	وزر	٢٩١
خلا إنّ	شوس	٢٩٥
وبلدة	العيس	٣٩، ١٨٦
لو خيّر	فارسا	٢٩٣
ألا قد	المتربّع	١٢١
فلا تبعدن	نازع	٤١، ٢٤٩
والشمس	الشفيق	٣٧٥
خلا اللّه	عيا لكا	٢٩٥
وما بلغت	أطول	٣٦٦
وما بلغ	أفضل	٣٦٦
فيا دار	أهوال	٢٥١
وتيماء	بجندل	٣٦٠
لا يقع	تهليل	٢٣١
ولا سيّما	جلجل	٣٢
ليـس	قليل	٣٥، ٢٤٩
فجئـت	المتفضل	٣٦٠
هو البدر	الوبيل	٤١، ٣٦٣
فما تـرك	أعظما	٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أول البيت	قافيته	الصفحة
تكلّ	بعدهم	٣٧٢
سلوت	بهم	٣٧٣
تبتّت	توسم	٣٧١
تغرب	حكما	٣٦٧
ولم يسلها	السقما	٣٦٧
ولا سالكا	طعما	٣٦٧
ولولم	الغمام	٣٧٠
فالعزّ	محرم	٣٧١
ولولم	المسام	٣٧٠
أني جنب	ثني	١١
فنيت	فان	١٣
وكلّ أخ	الفرقدان	١٧٠
ما بالمدينة	مروانا	٣٠٤
ولا عيب	الوطن	٧٩
وما تتشكى	أزورها	٣٦٥
أنيخت	بغاسها	١٦٩
له عسكر	جماجمه	٣٦٩
مالك	رمله	٣٠٦
سيبلغها	ستورها	٣٦٥
ليس	شبهة	٣٦٥
وما الدّر	غدائره	٣٧٢
وما الغصن	مآزره	٣٧٢
يقولون	محاجره	٣٧٢
أخو	نائله	٢٤٨، ٢٤٩
وما مثله	يقاربه	٢٩٣

أول البيت	قافيته	الصفحة
ولم يبق	دانوا	١٥٤
غيري	شجعوا	٢٩٧
فتى كان	الأعاديا	١٣
واخوان	للأعادي	٢٤٨
وبلدة	إنسي	٢٩٥
فتى	باقيا	١٣، ٥٧، ٢٤٩، ٣٦٤
فلو كانت	ترانسي	١٢١
فسقى	تهمي	١٣، ٤١، ٣٧١
وخلتهم	فؤادي	٢٤٨
وقالوا	ودادي	٢٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
الآلوسي	٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٧، ١١٩، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٨، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٧٠، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٥.
إبراهيم أنيس	٢٥٨
أبي بن كعب	١٥٥، ١٥٦، ١٦٩
ابن الأثير	١٤، ٢٦٧، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٦١، ٣٦٢.
ابن الأثير الحلبي	٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١.
أحمد الجواري	١٠٤
أحمد الشايب	٤٥
أحمد بن فارس	١١، ٣٥، ٤٩، ١٦٧، ٢٢٧، ٣٠٩، ٣١٦، ٣١٧.
أحمد مطلوب	٤٨
الأحوص	٣٠
الأخطل	١٢١، ٢٩٥.
الأخفش	٢٨، ٩٤، ١٥٨

العلم	الصفحة
الأزهري	٢٥، ٨٠، ١٥٩، ١٩٠، ٣٠٦
أسامة بن منقذ	٢٤٩
الاستراباذي	٢٠، ٦١، ٨٠، ٨٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٢، ١٢٣، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٧، ١٧٠، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٧٦.
الإسنوي	١٨، ٣٤، ٢٩٠
أبو الأسود الدؤلي	٤٣
الأشموني	١٢، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٧٦، ١٠٦، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٨٦، ١٩٠، ٢٢٣، ٣٠٦.
ابن أبي الإصبع	١٤، ١٦، ٤١، ٥٣، ٢٤٨، ٢٥٣، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧٢
الأصفهاني	١٢١
الأعشى	١٥٥، ١٦٩
امرؤ القيس	٣٢، ٦٣٠
أمين الخولي	١٦٥
ابن الأنباري	١٢، ٢٠، ٢٣، ٢٧، ٦١، ٧٦، ٨٠، ٨٦، ٩٤، ١٢٣، ١٤١، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٧، ١٨٠، ١٨٦، ٢٠٥، ٢٢٣، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٧٧، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم	الصفحة
أوس بن حَجَر	١١
ابن البارزي	٨٨
البارودي	٣٠١
الباقلاني	١٤
البحتري	١٥٤
البخاري	١٧٣
بديع الزمان	٤١ ، ٣٦٢
البصروي	٣٤ ، ١٥٩
البغدادي	٣٠ ، ١٥٤ ، ١٦٦ ، ١٨٦
	٢٥٠ ، ٣٦١ .
ابو بكر ابن الحارث	١٣٨
ابوبكر بن حجاج	٣٧١
التبريزي	٣٢ ، ٢٤٩ ، ٣٦٠
التفتازاني	٥٧ ، ٢٣٤ ، ٣٠٩
تمّام حسّان	٤٥ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٩
ابو تمّام	٢٩٧ ، ٣٧٣
تيسير عيسى	٣٤
ثعلب	٢٩٥
الجاحظ	٤٧ ، ١٦٦ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧
جران العود	٣٩
ابن الجزري	١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٥٥
	١٨٢ ، ١٨٣
ابو جعفر بن طلحة	٣٧٤
جميل بثينه	١٢١
جناح بن حبيش	١٦٨

العلم	الصفحة
ابن جنّي	١١ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ٢٣٨ ، ٢٦٨ ، ٢٩٥ .
الجوهري	١١
الحاتمي	٣٥٩
حاتم الطائي	٣٦٥
ابن الحاجب	١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٨٢ ، ٢٠٤
الحجّاج بن يوسف	٣٧٧
ابن حجّة الحموي	١٥ ، ٣٧٢
ابن أبي الحديد	٢٩٣
الحريري	٣٦٠
ابن حزم	٤٤
حسن بن محمد	١٥٥
حمزة بن حبيب	١٤٠
ابن حمزة العلوي	١ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٢٧٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ .
ابو حيّان	٣٤ ، ٣٦ ، ٦٧ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٨٢ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٣١٧ .
ابن حيوة	١٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم	الصفحة
ابن خالويه	١٩٤ ، ٢٠٦
ابن خروف	٢٨ ، ١٩١ ، ٣١٨
الخضري	١٩١
خلف	
السجستاني	٣٦٢
خلف بن هاشم	١٣٥
الخليل بن أحمد	٢٦
خليل عمايرة	٢٦٦
الخنساء	٣٦٥ ، ٣٦٦
دريد بن الصمّة	٣٧٤
الدسوقي	٣٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
ذي الرُّمة	٢٦ ، ١٦٩
الرازي	١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢٢٨
الرافعي	٦٩
الرمّاني	٢٥
الربيع بن ضبيع	١٣
ابن رشيق	٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤
	٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧١
الرمّاني	١٩ ، ٢٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩٢
ابن الرومي	٢٤٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥
الزجّاج	٢٨ ، ٦١ ، ١٨٠ ، ٢٠٦ ،
	٢٣٨ ، ٢٩٤
الزجّاجي	٢٢ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣١ ، ١٤١
	١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٨١ ، ١٩٠
	٢٠٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ .
الزركشي	١٥ ، ١٠٧ ، ١٥٦ ، ١٩١ ،
	١٩٣ ، ١٩٤ ، ٣٥٩

العلم	الصفحة
الزمخشري	٢٢ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩
	١١٥ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ،
	١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ،
	١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،
	١٦٧ ، ١٧١ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ،
	١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ،
	٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ،
	٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٣١٥ .
زهير بن أبي سلمى	٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
ابو زيد الأنصاري	٢٨
ابو زيد الطائي	٢٩٥
السبكي	٥٧
ابن السرّاج	١١ ، ١٩ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٦٥ ،
	٦٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤١
	١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٥
	١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٣٨
	٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٧١ ، ٢٨٤
	٢٨٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣١٠
	٣١٤ ،
السكّاكي	٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٤
	٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
	٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧
ابو السمال	١٥٥ ، ١٥٦
ابن سنان الخفاجي	٢٦٠
السهيلي	٣١٣
سيبويه	١٠ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ،
	٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم	الصفحة
سيبويه	٤٩، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٧، ١٠٥، ١٠٦، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٨، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٢، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٨٩، ٢٩١، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٠، ٣٥٩
ابن السّيد البَطَلْيَوْسي	٥٨
السيرافي	٣١٨
سيف الدولة	٣٦٩
السيوطي	١٤، ٣٣، ٣٥، ٤١، ٨٧، ١٠٧، ١١٨، ١٥٤، ١٥٩، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٩٤.
الشافعي	٨٨
شرف الدين الطيبي	٢٦٠، ٢٨٦
الشريشي	٣٦٠

العلم	الصفحة
الشلوبين	٨٥، ٣١٨
الصبّان	٣٠، ١٥٤، ١٩٠، ١٩١، ٢٢٣.
صفي الدين الحلّي	٣٧٢
الطبري	١، ٨٢، ١٦٣، ١٩٣، ١٩٧، ٢٥٥.
طرفة بن العبد	١٣، ٤١، ٣٧١.
ابن عبّاس	١٣٨
عبد الله بن عامر	١٣٥، ١٣٨
عبد الله بن ابي قتادة	١٧٢
عبد الله بن مسعود	١٦٨
عبد القادر حسين	٤٨
عبد القاهر الجرجاني	١٩، ٢٠، ١٢٦، ١٦٦، ٢٠٣، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٨٠.
عبد الكريم خليفة	٧، ٥٠
ابو عبيدة	١٦٦، ٢٩٥
العجّاج	٢٩٥
العطّار	١٠٧، ١٩٠
ابن عقيل	٣٠٦
العكبري	٢٧، ٣٥، ٦٧، ٨١، ٨٦، ٩٠، ١١٤، ١١٩، ١٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم	الصفحة
العكبري	١٣٧، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٨، ١٧١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٧، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣.
علاء الدين البخاري	١٨
ابو العلاء المعرّي	٢٥١
علي بن سعيد	٣٧٤، ٣٧٥
علي بن محمد الآمدي	١٧
علي النجدي	٤٩
عمر بن الخطّاب	٣٤، ٢٢٩
ابو عمرو الداني	١٥٣، ١٥٥، ١٥٨
عمرو بن عبيد	٤٧
ابو عمرو بن العلاء	٢٨، ١٥٣، ١٦٨، ١٨٣، ٢٧٠.
عودة ابو عودة	١٦٥
الفارسي	٢٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٨.
فتحي عامر	٧٠
فخر الدين الرازي	٤
الفرّاء	٢٠، ٣٦، ٦١، ٩١، ٩٤، ١٠٦، ١١٤، ١٣٧، ١٤٨، ١٦٦، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٢

العلم	الصفحة
الفرّاء	١٩١، ١٩٢، ٢٠٤، ٢٢٣، ٢٧٦، ٣٠٤.
الفرزدق	٢٩٣، ٣٠٤
الفضل بن إبراهيم	١٤٠
الفيروز أبادي	٩، ٣٣، ٢٢٧.
القاضي الأرجاني	٣٧٥
القاضي الجرجاني	٣٦٩
ابن قتيبة	١٥٣، ١٦٦، ١٩٣، ٢٧٤
القراني	٤، ١٧، ٢٠، ٢٢، ٢٧، ٣٣، ٨٥، ٩٠، ١٩٧، ٢٢٣، ٢٧١، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٣٥٩.
القرطبي	١٠، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٦
القزويني	١٤، ٤٠، ٥٦، ١٢٦، ٢٣٣، ٢٦٤، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣
قَطَري بن الفجاءة	٣٧٧
ابن كثير (القارىء)	١٥٣، ١٨٣، ٢٧٠
الكسائي	٢٥، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٦٩، ٢٩٤، ٣٠٢
كعب بن زهير	١١، ٢٣١
كعب بن مالك	٢٩١
كمال بشر	٦٠، ٦٨
الكميت	١٨٠، ١٩١
لسان الدين بن الخطيب	٣٧٤، ٣٧٥
لبيد بن ربيعة	٢٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم	الصفحة
ابن ماجة	٣١٠
المازني	٢٨
المالقي	٣٤، ٣٤، ١٥٩
ابن مالك	١٢، ٣٤، ٣٥، ١٠٦، ١٢٣، ١٤١، ١٥٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٣١٥، ٣١٨
المبرّد	٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٦٠، ٦٢، ٦٦، ٧٧، ٨٥، ٨٦، ١٠٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٤٨، ١٥٦، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٣، ٢٥١، ٢٧١، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٠
المتنبي	٢٩٧، ٣٦٢، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠
محمد شرف	٦٦
محمد بركات	
أبو علي	٦، ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٣٠٤، ٣٥٧
محمد بكر	٥٩
محمد جواد النوري	٥٩
محمد حسن عوّاد	٦
محمد علي الخولي	٢٦٤
محمد عيد	٦٢
محمد فؤاد	٦٨، ٢٦٧
محمد محي الدين	١٢
محمد يوسف نجم	١١
محمود السمرة	٧، ٣٦٩
المرادي	١٩، ٣٤، ٦٤، ١٥٩
المرتضى الزبيدي	٩، ٢٢٢
مصطفى الغلاييني	٢٥
ابن مطرّف الكناني	٢٥٥
ابن المعتز	١٤، ٢٤٩، ٣٦٠، ٣٦٧
ابن معصوم	١٦، ١٧٣، ٢٠٣، ٢٤٨، ٢٥١، ٣٢٣، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣
المغربي	٥٧، ٢٣٤
المقّري	٣٧٢
المقنّع الكندي	٣٥
مكّي بن أبي طالب	٢٠٦
ابن منظور	٩، ٣٣، ١٦٢
مهدي المخزومي	٥٩
ميشال زكريا	٢٦٤
النابغة الجعدي	١٣، ٥٨، ٢٤٩، ٣٥٩، ٣٦٤
النابغة الذبياني	١٣، ٢٩، ٤٠، ٢٤٩، ٣٥٩، ٣٦١
نافع بن عبد الرحمن	١٣٥، ١٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم	الصفحة
النحّاس	١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
	١٤٨ ، ١٦٣ ، ١٩٢ ، ١٩٤
	١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٣
ابن النديم	٤٤
النسفي	١٠ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٦٢
	١٦٣ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٨
	٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٣٣٠
النسيري	١٢١
نهاد الموسى	٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٦
	٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
النويري	١٢١ ، ٢٤٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧
النيسابوري	٨٧ ، ١١٨ ، ٢٢٧
أبو هريرة	١٧٢
أبو هفان	٣٦٤
أبو هلال العسكري	١٣ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٦
	٢٤٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦
ابن هشام	١٩ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ،
	٣٣ ، ٣٥ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٧ ،
	٨٥ ، ٩٠ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ،
	١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥٠
	١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٧
	١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٨٣
	١٨٥ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦
	٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ،
	٢٢٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٩١
	٣١٠ ، ٣١٧ .

العلم	الصفحة
ياقوت الحموي	١ ، ٢٧٦
يحيى الأسدي	١٩٤
ابن يعيش	٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٢ ،
	٦٧ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧
	١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٧
	١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٦
	١٨٨ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
	٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٩١ ، ٣١٢
يونس بن حبيب	١٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس المصطلحات البلاغية والنحويـــــة

المصطلح	الصفحـــــة
الإتباع	٢١ ، ١٦٧ ، ٢٩٢ ،
الإثبات	٢٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٠
	٢٠٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٨
	٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٨٠ ، ٣٢٤
الاحتراس	١٤ ، ٤١ ، ٥٢
الاستئناف	٩٥
استثناء الاحتراس	٢٣٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧١
الاستثناء البديعي	٣٦٦ ، ٣٦٧
الاستثناء التام	٧٣ ، ٧٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨
	١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣
	١٧٣ ، ١٧٤ ،
الاستثناء التام	١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧
المنفـــي	١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦
استثناء التوحيد	٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩
	٣١٠ ،
الاستثناء السالب	٥١ ، ٥٥ ، ٥٧
الاستثناء الصناعي	٦٦ ، ٣٦٧
الاستثناء اللغوي	٤٠ ، ٤٢
الاستثناء المستغرق	٣١٧
استثنائية المشيئة	٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
	٢٢٣ ، ٣٦٠ ،
الاستثناء المتصل	٣٨ ، ٧٣ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ،
	١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤
	١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦
	١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢

المصطلح	الصفحـــــة
الاستثناء المفرّغ	١٣ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٥١ ،
	٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
	٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣
	٢١٥ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧
	٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩
	٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٧١ ، ٣٠٩
	٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٣
الاستثناء المنقطع	٣٨ ، ٣٩ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٧ ،
	٧٩ ، ٨٠ ، ١١٩ ، ١٦٤ ،
	١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦
	١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠
	١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤
	١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨
	١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢٠ ، ٢٥١
الاستثناء الناقص	٧٣ ، ٧٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦
	١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠
	١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥
	١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠
	١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦
	١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٥٨
	٣١١ ،
الاستدراك	٢ ، ٦ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٦٦
	٩٥ ، ١٨٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
	٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢
	٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلح	الصفحة
الاستفهام	٤، ٣٨، ٥١، ٣٤١، ٣٨٠
اسم الفاعل	١٣٩، ١٤٠
اسم الفعل	١٥٦
الإضافة	٤٤
الطلب	٤٥
الاطناب	٢٢٨
إضمار المستثنى	٣٠٨، ٣٠٩
الإعجاز	٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨
الإعراب	٢٢، ٤٥، ١٥١، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٦٨، ٣٠٩
الإغراء	٢٦٨
الاقتران	٩٧، ٣٧٤
الأمر	٤٥، ٥١، ٣٤١، ٣٨٢
الإنشاء	٤٥، ٥١
الإنكار	٣٨، ٢٣٨، ٢٩٩، ٣٠٠
الإيجاب	١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ٢٠٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٥٤، ٤٦، ٢٢٦، ٣٥٨، ٣٧٧، ٣٨٢
البدل	٨٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٠، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٤، ٢١٧، ٢٧٠، ٢٩٢، ٣٠٤، ٣٠٦.
بدل بعض	١٨١
بدل غلط	٣٠٦
البديع	١٤، ١٥، ١٦، ٣٧، ٤٠، ٢٥٠، ٣٢٣
التابع	١٨١، ٢٤٥
تأكيد الذم بما يشبه المدح	٤١، ٣٦٣، ٣٦٧
تأكيد المدح بما يشبه الذم	١٤، ١٥، ١٦، ٤٠، ٥٨، ٧٩، ١٦٤، ١٩٤، ٢٤٩، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٦، ٣٦٧
التحذير	٢٦٨
التحقير	٤٤
التخفيف	٣١٠
التذييل	٥٤
التردد	٥٣٨
التشبيه	٣٣٠، ٣٧٢
التشبيه المقلوب	٣٧٢
التعجب	٧٢
التعريف	٤٥
التقديم والتأخير	٤٥، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١
التكميل	١٤، ٤١، ٥٢
التمني	٤٥، ٥١، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلح	الصفحة
التأنيث	٤٤ ، ٢٧١
التنكير	٤٥
التوجيه	٢ ، ٣٦١
التوكيد	٤، ١٣٠، ١٥٠، ١٥٩، ٢٢٨، ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٠٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٥٨، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٧٧ ، ٣٨١ .
الجحد	١٠٦ ، ٢٥٥
الجر	١٣٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٥١، ١٧٢، ١٧٦، ٢٠٦، ٢٦٣، ٢٦٩، ٣١١
الجمع	٤٤ ، ٦٢
الجملة الاسمية	٣٤ ، ٢٧٦
الجملة الفعلية	١٧٣ ، ٢٧٦
الحال	١٣٦، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٧٢، ٣١٣
الحال والاستقبال	٢٥٦
الحذف	٣٠، ٦١، ١٣٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٨، ٣١٢، ٣١٣
حذف المستثنى	٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠
حروف المعاني	٢٦٣ ، ٣١٤
الحصر	٤٠، ٦٧، ٨٨، ١٠٥ ، ٢٠٢، ٢٢٨، ٢٧٦، ٢٧٩

المصطلح	الصفحة
الحصر	٢٨٠، ٢٨١، ٣١١، ٣١٢ ، ٣٢٤، ٣٦٧، ٣٨١
الحمل على المعنى	٦٢، ٦٣، ٦٦
الخاص	٢١٦
خالي الذهن	٢٣٨
الخبر	٣٠، ١٤٢، ١٥١، ١٥٧ ، ١٧١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٦ ، ٢١٧، ٢٦٩ .
خبر إنّ	١٤٣، ١٥١، ٢٠٥
خبر كان	١٤٢، ١٥١، ٢٠٥
الخبر المحذوف	١٧٤، ١٨٩، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١١٨
ذكر الخاص	٨٠
الذكر والحذف	٤٥
الرجوع	٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٦٧
الرفع	١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٥١ ، ١٥٨، ١٦٩، ١٧١، ١٧٣ ، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٤ ، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٤ ، ٢١٧، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٦
الشرط	٤، ١٥، ٣٨، ٩٤، ٩٥
الصفة	٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٣ ، ٥٥ ، ٦٨، ٩٠، ١٣٤، ١٣٧ ، ١٣٨، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠ ، ١٥١، ١٧١، ١٧٢، ١٨٢ ، ١٩٣، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلح	الصفحة
الصفة	٢٦٣، ٢٩٧، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٦٣، ٣٧٢
ضرب ابتدائي	٢٨٢
ضرب إنكاري	٢٨٢
ضرب طلبي	٢٨٢
الطلب	٤
الظرف	٢٦، ٢٧، ٣٦، ١١٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٦٢، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٤،
العام	٢١٧
العطف	١٦٢، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٨٦، ٣٠٥، ٣٠٦، ٠
عطف النسق	١٧٦، ١٨١، ١٨٣
علم المعاني	٣، ٢٦٠، ٢٧٥
الفاعل	٢٤، ٣١، ١٥٧، ١٧١، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣١٤
الفرع	٣١١
الفصل والوصل	٤٥
فضلة	١٧٦
الفعل	٢٤، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ١٤٠، ١٥٤، ١٥٧، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٦٩، ٣٠٤، ٣١٤
فعل جامد	٢٩،
فعل لازم	٢٥
فعل ماض	١٢٣، ١٥٢، ٢٠٥، ٢١٤

المصطلح	الصفحة
فعل مضارع	٢٩، ٣٦، ١١٦، ١٢٣، ١٦٢
فعل ناقص	٣٠، ٣١، ١٥٧،
القرينة	٤٦
القسم	٢٧٧، ٢٧٨
القصر	٢، ٦، ١٣، ١٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٥٥، ٥٧، ٦٨، ١٠٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٨، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٩٣، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٥٩، ٣٦٧، ٣٨١، ٢٣٧
القصر الإضافي	٢٣٧
قصر الإفراد	٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣،
قصر التعيين	٢٤٢، ٢٤٣
القصر الحقيقي الادّعائي	٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٧
القصر الحقيقي التحقّقي	٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧
قصر الصفة على موصوف	٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٨٥، ٢٩٤
قصر قلب	٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢
قصر موصوف على صفة	٦٩، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٨٥
قصر النفي والاستثناء	٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلح	الصفحة
القيد	٢٦٦
اللطائف البلاغية	٥٥ ، ٥٧
المبتدأ	٣٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٣، ١٩١، ١٩٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٦٩، ٠
المبدل منه	١٨٠
المثنى	٤٤ ، ١٧٤
المجاز	٤٦، ٤٨
المجرور	٣٣
المحسنات البديعية	٣٢٣
المرفوع	٣٣
المستثنى	٢، ٥٢، ٧٩، ٨٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٦٦، ١٧٩، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٩، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٤، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٣
المستثنى منه	١٢، ١٥، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٧٩، ٨٩، ١٠٣، ١٦٦، ١٧٩، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٩، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٣،

المصطلح	الصفحة
المسند	٢٦٣
المسند إليه	٢٦٣
المصدر المؤول	٢٠٨
المضاف إليه	٢١ ، ١٥١ ، ٢٦٩
المعاظلة المعنوية	٢٩٣
المبني	٣٢
المعرب	٣٥
المعرفة	١٣٤، ١٧٦، ٢١٣، ٢١٨
المعنى	٢، ٥، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ١١١،
المعنى الظاهر	٦٧، ٧٦
معنى المعنى	٣٧، ٦٧
المعنى المقالي	٦٩
المعنى المقامي	٦٩
المفعول به	٢٤، ٢٥، ٢٦، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٩، ١٥١، ٥، ٢، ٩، ٢، ٢١٤، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٩٣، ٢٩٤
المفعول لأجله	١٩٢، ٥، ٢، ٢١١، ٢٣٨
المفعول المطلق	١٤٩، ١٥، ١٥١، ٢٢٥، ٢١١
المقام	٥ ، ٣ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٨٧، ٩٨، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٨، ١٢، ١٦٤، ٢٣٦، ٢٦٣، ٢٨٧، ٢٩١،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلح	الصفحة
مقتضى الحال	٧٢، ٧٤، ٧٧، ٨٧، ٩٣، ١١١، ١١٨، ١٦٦، ٢٦٣، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٥٩، ٣٧٠، ٣٨١،
مقتضى الظاهر	٥، ٧٦، ٨٤، ٩٥، ١٠٨، ١١٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٣١
المقصور	٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٩٣، ٢٩٤،
المقصور عليه	٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٩٤
الموصوف	٦٨، ٩٠، ٢٤٤، ٢٦٣
	٣١، ٣٧٢
نائب الفاعل	٥، ٢٠٩، ٢
النداء	٤، ٣٨، ٤٥، ٥١، ٣٢٤
	٣٤١
النسب	٤٤
النصب	٢٤، ٣٢، ١٣٤، ١٣٧، ١٤١، ١٥١، ١٧٣، ١٧٥، ١٨، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٤، ٢١٨، ٣٠٣، ٣٠٦
النظم	٦، ٤٦، ٤٨، ٦٢، ١٨٧، ٢٤٧، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣١١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٢

المصطلح	الصفحة
النفي	٤، ٢٢، ٣٧، ٣٨، ٥١، ٦٦، ٨٥، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١٢١، ١٢٦، ١٧٩، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٨١، ٣٨٢،
النكرة	٦٥، ١٣٤، ١٧٥، ٢١٧، ٢١٨
النهي	٣٨، ٤٥، ٢١٣، ٣٤١، ٣٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

THE STYLE OF EXCEPTION BETWEEN GRAMMAR AND RHETORIC IN THE HOLY QURAN.

٤٤٦٧٠٦

As the exception style is handled by both grammar and Rhetoric, I decided that the title of this study should be ," The exception style between grammar and rhetoric in tthe HOLY QURAN".

The reasons which devoted to this study were the Holy Quran includes hundreds of verses and situations where the articles of exception, specially,"except"( ), which is stated in six hundred and fifty-nine situations, and the article,"other than",( ), which is mentioned in a hundred and fourty-seven situations, besides other articles of exception.

Therefore, it is obvious that " exception " in the Holy Quran is a rich field of scientific study, grammatically and rhetorially, so as to supplement the other stylistic studies of the Holy Quran.

My mission started with reciting the Holy Quran verse by verse, extracting the articles of exception stated in its Holy Verses.

I have written them all, thus having made a register of the verses of exception stated in the Holy Quran with all their articles. This register helped me in chaptering the study and facilitating my research backed by evidence.

I have tried in my study to construct a bridge between grammar and rhetoric, so as to highlight the influence of each of them upon the other. The undercovered aspects which have attracted the attention of the scholars of rhetoric who have introdu ced it into their science, under the name of "Restriction", "Exclution", "Overtaking","Reference" or Guidance".

I have realized that the effect of meaning on the style of exception was the cornerstone round which the scholars studies of grammar and rhetoric revolved, where the meaning was the link between them.

The value of this study stems from the fact that it is, as far as I know, the only study that deals with the style of exception in the Holy Quran, thus by modifying many concepts of the scholars of grammar and rhetoric.

This study has shed light on the influence of meaning on connecting between grammar and rhetoric. It has also clarified the rhetoric meaning produced by the exception style in the Holy Quran. It has also shown that the view of both the scholars of grammar and the scholars of exception style is complementary and not a controversial one.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

This study pointed out the structrual and the contextual characteristics of the exception style so as to clarify the linguistic, artistic structure of this style and its ability to contain the context which expresses meanings intended in the speaker's mind.

The study has proved that the exception style is considered to be one of the most eloquent and brief in Arabiclanguage, because the exception sentence carries within it two controversial meanings, one is positive meaning and the other is negative meaning.

This briefing which carries controversial meanings has a great effect on the elocution of this style.
It has been clarified that the status of the exception style in Arabic literature is very highly dislinguisted as it has a great influence on carrying the human meanings expressed by literary authors for affecting the addressed reader mentally and emotionally.

As regards the method, I have used in this study, it is the descriptive, the analytic and their mixture all through the chapters of the study.

In chapter one I dealt with the definition of exception linguistically and its literary definition among the grammar and rhetoric specialists and scholars. I stated its types and defined its articles.

In chapter two I dealt with changing the meaning of the "exception" from exception to opposition.

In the third chapter I dealt with issues of exception grammatically in the Holy Quran; thus exposing a new fact that the Holy Quran is unique in being the first in creating two types of exception; which are the exception used in the unification (oneness of Allah the Almighty, Tawheed and Tashahud) and the exception used in volition, because they were not used in the Arabic speech during the Dark Age due to their being against the creeds of people of that age.

In chapter four I talked about the rhetoric of exception in the Holy Quran through its types and the relation between exception, overtalking and his relation of negative speech.

In chapter five I talked about the issues of rhetoric literature and criticism clarifying the meanings to which exception extends.

I have concluded the study mentioning the new findings which I have found out.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit